تفسير الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

المجلد الثالث

من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الفرقان

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

DKI

بيروت - لبنان

تفسير الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

الجزء الثالث

من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الفرقان

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملا علي القاري

Title : TAFSĪR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاّ علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes)	2592	عدد الصفحات (٥ مجلدات)
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st (2 Colors)		الطبعة : الأولى (لونان)

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7596-0
ISBN 2-7451-7596-3

سورة إبراهيم عليه السلام

[مكيّة]

وهي إحدى وخمسون آية(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: قلوب العارفين بالله إشراقها، وقلوب الوالهين بالله احتراقها، لهؤلاء ذوق الشراب محبته ولهؤلاء شوق إلى لقاء رؤيته، فأصحاب الوصول قالوا: بالله حصل من الحادثات ما حصل، وأرباب الوصول قالوا: بالله وصل من الطالبين مَن وصل.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] سبق مراراً ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 1] أي هذه السورة كتاب جامع للأسرار ولُباب لامع للأنوار ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 1] وأحلنا بيانه عليك ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 1] بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من نفع دنياهم وأخراهم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية 1] من أنواع الضلالة وموجبات التفرقة ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية 1] أي إلى نور الهداية الموصلة إلى أنوار التوحيد وأسرار المعرفة وأطوار الجمعية في مقام/ التنديد. ولا يخفى أن النور في الآية يحتمل الإفراد والوحدة والجنس 87/أ الشامل للكثرة، فقد قال جعفر الصادق: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البدعة إلى نور السنَّة، ومن ظلمات النفوس إلى أنوار القلوب.

وقال الأستاذ: من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الجمال إلى نور اليقين، ومن ظلمات وجود التقدير إلى قضاء نور شهود التقدير، ومن ظلمات دعاوي النفوس إلى نور معارف القلوب، ومن ظلمات التفرقة إلى أنوار الجمع، ومن ظلمات الابتداع إلى أنوار الاتباع ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 1] بتوفيقه وتسهيله وتحقيقه أو بإرادته ومشيئته وسابق حكمه وقضائه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ

(١) كذا في الأصل المخطوط.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الآية 1] بدل من إلى النور بتكرير عامله وإضافة الصراط إلى الله لأنه مقصده أو مظهره وتخصيصه بالوصفين للإيماء إلى أنه لا يذلّ سالكه ولا يخيب سائله. والمراد به الصراط المستقيم والدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إن صراط الله هو نهج التوحيد بشواهد التفريد.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] جملة من مبتدأ وخبر على ما قرأه نافع وابن عامر بالرفع والباقون بالجر على البدل ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 2] وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من ظلمات الحجاب إلى نور مدرك صوب الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرَّف الخلق بأن الله هو الذي له ما في السموات وما في الأرض فمن عرفه فله المآب الحميد ومن جحده فله العذاب الشديد وذلك العذاب هو جهله بأنه من هو يعني والحجاب أشد العذاب.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 3] ويؤثرون اليسير من حطام الدنيا عن الخطير من إنعام الأخرى وذلك لشدة ضلالتهم وكثرة جهالتهم حيث لم يعلموا أن الآخرة خير وأبقى لمن هو أتقى وأنقى ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] ويعرضون عن طريق الحق أو يمنعون عنه ومن قدروا عليه من الخلق ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية 3] أي يطلبون لها زيغاً وميلاً عن الحق ليفرحوا
87/ب فيها وينسبوها/ إلى الباطل. وفي الكلام حذف وإيصال والموصول يحتمل الثلاثة من الأحوال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 3] عن الوصال وعن حسن الحال في المآل.

وقال الأستاذ: أولئك لهم في الدنيا الافتراق وهو أشد عقوبة وفي الآخرة الاحتراق وهو أجلّ محنة ومصيبة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 4] إلا بلغة قومه الذين هو منهم وبُعِثَ فيهم ولو أُرسل إلى غيرهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [الآية 4] ما أُمروا به فيفهموه منه بسرعة ولم ينقلوه لغيرهم بترجمته فيحصل لهم مرتبة الكمال ورتبة

التكميل كما أشار إليه قوله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1]. هذا ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على تلك الألسنة استقل ذلك بزيادة من المعجزة لكن كان يومىء إلى اختلاف الكلمة وفوت فضل المجاهدة في تعلُّم المباني ومعرفة المعاني المقتضية لجزيل المثوبة مع بُعد أكثر أفراد الأمة شرقاً وغرباً عن تلك الحضرة، فإفراد اللغة بهذه الملاحظة برحمة عامة دالة على نعمة خاصة ولعل وجه تخصيص هذه اللغة كونها لغة أهل الجنة في الدار الآخرة مع ما فيه من الإشارة إلى أن تحصيل هذه المنزلة من الانتفاع بالآيات المنزلة ليس بمعرفة اللغة ولا بمجرد العلم والمعرفة، فكم مِن جاهل باللسان حصل له الإيمان والعرفان، وكم مِن عالم بمراتب بلاغة المعاني وفصاحة البيان وقع في مقام الكفران والخذلان كما يومىء إلى هذا التبيان قوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] بخذلانه عن الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 4] بتوفيقه للعرفان.

وقال الأستاذ: إنما كان كذلك ليكون آكد في إلزام الحجة وأنى ينفع ذلك إذا لم يوفقوا لسلوك المحجة فأهل الهداية فازوا بسابقة العناية وأصحاب الغواية وقفوا في ذلّ العداوة فلا اعتراض عليه فيما يصنع ولا يسئل عما يفعل لِمَ يفعل، يعني وكذا لا يعقل فتأمل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 5] كاليد والعصا ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ [الآية 5] أن مفسرة لا مصدرية لخللها بالنسبة المعنوية، والمعنى / كن 88/ أ
سبباً لإخراج قومك ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الآية 5] بدعوتك لهم من ظلمات شكّهم إلى نور اليقين ومن علاقات حالهم إلى الحضور المبين ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أنذرهم وعِظْهم بوقائعه التي وقعت على الأمم المؤتلفة أو بنعمائه وبلائه في الأيام المختلفة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5027)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 173) رقم (2907)، والدارمي في السنن (2/ 538) رقم (3337)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 19) رقم (8037).

وقال الأستاذ: ذكَّرهم بما سلف لهم من وقت الميثاق وإقرارهم ما وقع عنهم من فنون البلاء في سالف أحوالهم. ويقال: وذكِّرهم بما سبق من الصفوة لأرواحهم قبل حلولها في أشباحهم.

سقياً لها ولطيبها ولحسنها وبهائها أيام لم يلج النوى بين العصا ولحائها[1]

أو هي الأيام التي كان العبد فيها في كتم العدم، والحق يقول بقوله الأزلي: «عبادي لم يكن للعبد عين ولا أثر ولا لمخلوق عنه خبر ولا وفاق بعد ولا شقاق ولا وفاء ولا حياء ولا جهد للسابقين ولا عناء ولا ورد للمقتصدين ولا بكاء ولا ذنب للظالمين ولا السواء كان متعلق العلم متناول القدرة مقصور الحكم على الإرادة لا علم له ولا اختيار ولا ذلّة ولا أوضار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 5] أي للمبالغ في الصبر على بلائه والشكر على نعمائه فإنه إذا سمع بما نزل عليَّ من قبله من البلاء وأُفيض عليه من النعماء اعتبر وتنبَّه وتبَّصر لما يجب عليه من الصبر والشكر أو لكل مؤمن، فقد ورد: أن الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر[2]، فيصبر عن المعصية ويشكر بالطاعة على أن حاله لا يخلو عن المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن الصبار غريق المحن لكنه راضٍ بحكمة لذيذ العيش بسره وإن كان مستوجباً للرحمة عند خلقه، والشكور غريق المنن لكنه محجوب لشهود النعم عليه استغراقه في ظهور حقه، بل هذا واقف مع صبره وهذا واقف مع شكره وكل ملازم لحده وقدره والله غالب على أمره مقدّس في نفسه متعزِّز بجلالة قدسه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ
88/ب فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 6] أي اذكروا نعمة الله وقت إنجاءه سبحانه إياكم/ في أصلاب أبائكم أو زمان إنجاء أسلافكم ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 6] ليذيقونكم أشد

(1) تفسير القشيري (4/ 28) وروح المعاني (13/ 230) من دون نسبة.
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 123) رقم (5/ 97)، والقضاعي في المسند (1/ 127) رقم (159).

العقوبة من الاستبعاد والذلّة والاستعمال في الأعمال الشاقة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية 6] إظهاراً للعداوة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الآية 6] يتركون بناتكم أحياء للنسل وإبقاء للخدمة ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ [الآية 6] أي في مجموع ذلك ابتلاء وامتحان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية 6] ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء، فالمراد بالبلاء النقمة إلى سوء العذاب، فالمراد به المحنة وعلى كل تقدير طولبوا بالصبر وعوتبوا بترك الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن تذكير ما سلف من النعمة توجب تجديد ما سبق من المحبة، وفي الخبر: «جُبِلَتْ القلوب على حبّ مَن أحسن إليها»[1]، فالحق سبحانه أمر موسى عليه السلام بتذكير قومه عزيز ما سبق إليهم من شرائف إنعامه ولطائف إكرامه، وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء المرسلة: «عبدي أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً»[2]، ثم أمرهم بأن يذكرهم بما كانوا فيه من البلاء العظيم من فرعون وقومه من ذبح الأولاد والاسترقاق وما كان فيه من صنوف العقوبة ثم تخليص الحق لهم عن ذلك لعجائب الكفاية.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 7] من كلام موسى أو من قوله تعالى، والمعنى أعلمكم ربّكم حيث قال لكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ [الآية 7] ما أنعمت عليكم بالإيمان والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [الآية 7] النعمة على النعمة والمراد الكثرة أو نعمه الظاهرة والباطنة أو نعم الدنيا والآخرة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 7] بنعمكم أو قصرتم في شكركم ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [الآية 7] فيصيبكم، ومن عادة الكريم أن يصرِّح بالوعد ويعرض بالوعيد.

قال ابن عطاء: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ هدايتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من إكرامي ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ إحساني لأعذبنكم اليوم بامتحاني وغداً بفراقي وهجراني،

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 381) رقم (466)، والقضاعي في المسند (1/ 350) رقم (599). وانظر جامع الأحاديث (12/ 33) رقم (11366).
(2) تفسير الرازي (3/ 4) وتفسير القشيري (4/ 29) وإحياء علوم الدين (6/ 332).

ولئن عرفتم قدر أفضالي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [الآية 7] من وجود نوالي إلى شهود جمالي وحالي، ويقال: لئن شكرتم وجود توفيق العبادة لأزيدنكم تحقيق الإرادة. ويقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ وجود ألطافي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ شهود أوصافي، أو ﴿لَئِن
89/أ شَكَرْتُمْ﴾ صنوف نعمي/ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ كشوف كرمي، ثم لأرقينكم إلى شهود قدمي، ويقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ ما خوّلتكم لأمن عطائي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ما وعدتكم من لقائي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 8] من الثقلين وتخصيصهما لانحصار تصور الكفر فيهما ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [الآية 8] مستحق للحمد في ذاته ويحمده ملائكته وأهل سمواته بل وينطق بنعمته ذرّات مخلوقاته فما صبرتم بكفركم وكفرانكم إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد النعمة وعرّضتموها لشدة النقمة كما جاء في آية: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:الآية 12].

وقال الأستاذ: إن اجتمعتم أنتم ومن عاصركم وكل مَن غاب عنكم وحضركم والذين يقتفون أثركم عن أن تكفروا بالله جميعاً وأخذتم كل يوم شركاً فظيعاً ما أوحيتم لقومنا شيئاً كما لو شكرتم وآمنتم لملكنا ربنا والحق بنعوته ووصف جبروته عليّ وعن العالم بأسره غني.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 9] كلام مبتدأ من الله تعالى، وقيل: من كلام موسى ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 9] عطف على ما قبله ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] اعتراض، المعنى أنهم لكثرتهم لا يعلمهم إلا خالقهم، وقد ورد النسابون ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 9]
89/ب بالمعجزات/ الواضحة والحجج الظاهرات ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 9] بأن عضوها غيظاً من مجيء أنبيائهم وإفضاح أحوالهم أوردوها في أفواه أنبيائهم بمنعوتهم عن أنبيائهم ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 9] على زعمكم في الرسالة ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 9] من الإيمان والمعرفة ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 9] موقع في الريبة أو في شبهة توجب قلق النفس وعدم الطمأنينة.

قال الأستاذ: ألم يأتكم استفهام في معنى التقرير أخبرهم أنه أخبرهم أنه لما جاءتهم الرسل قابلوهم بالكنود وعاملوهم بالجحود وردوا أيديهم في أفواههم وجروا على سبيل أمثالهم في الكفر وأشباههم وبنوا على الشك والريبة قواعدهم وأسرُّوا على الشرك والفرية مذاهبهم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [الآية 10] دخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك مجرده، والمعنى إنما ندعوكم إليه وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة الظاهرة عليه كما أشار إليها بقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] صفة للجلالة.

وأفاد الأستاذ: أن المراد بالاستفهام هنا التوبيخ والنفي أي كيف يشك في نبوّته مَن لا يتحرك إلا نفس أو مصرفاً بنعوته بلا كيف يبصر جلال قدره إلا من كحّله بنور برّه ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 10] إلى الإيمان بربكم ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 10] بعض ذنوبكم وهو ما بين الحق وبينكم فإن الإسلام يحيد دونه المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ [الآية 10] تأخيراً حسناً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 10] إلى وقت سمّاه الله وقدّره وقضاه وجعله أجر أعمالكم.

وقال الأستاذ: ليس العجب ممن يكلفه سيده المشاق ويحمله ما لا يطاق أن يهرب من خدمته أو يحتج إلى شوق راحته إنما العجب من عزيز كريم يدعو عبده لغفرانه ويفيض عليه إذا أجابه سجال إحسانه ثم يقابل أمره بالعناد ويؤثر عليه راحة نفسه في داره ما يجمع أمره بسبب الفساد لا يشمل هذا إلا على قسمة بإشقائه صادقة وأحكام لله برده سابقة.

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 10] لا فضل لكم علينا فلم تُخَصُّون بالنبوّة دوننا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ [الآية 10] أي تصرفونا بهذه الدعوة ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ/ ءَابَآؤُنَا﴾ [الآية 10] قدماؤنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 10] بحجة ظاهرة 90/أ
تدل على استحقاقكم بمزية فاخرة أو على صحة ادعائكم بالنبوّة لعدم اعتدادهم بما ظهر على أنبيائهم من المعجزة وتفننوا بطلب الآيات المقترحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم شاهدوا من الرسل ظواهرهم ولم يعرفوا سرائرهم

ومالوا إلى تقليدهم لأسلافهم على ما اعتادوا من شقاقهم وخلافهم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 11] أي ما نحن إلا أمثالكم في الصورة البشرية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 11] بالسريرة السنية من النبوَّة والولاية وسائر الأوصاف الرضية كالشجاعة والسخاوة والقناعة وأمثالها من الأحوال العلّية. وفي الآية دلالة على أن النبوَّة عظيمة وهبية لا كسبية وإن ترجيح بعض الجائزات بالمشيئة الأزلية.

وفي «تفسير السلمي»: قيل يمن على مَن يشاء بالمعرفة. وقال سهل: بحلاوة كلامه وفهم مرامه.

وقال الأستاذ: أي الفرق بيننا أنه مَنَّ علينا بتعريفه واستخلصنا بما أفردنا به من شريعته.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بأمر خرق العادة متعلق بالمشيئة وكل نبي يختص بنوع من المعجزة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] في الصبر في معاداتكم والتحمُّل على معاداتكم. قيل: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد. وقيل: الثقة بالوعد. وقيل: التوكل غضّ البصر عن الدنيا وقطع القلب عن الأخرى اعتماداً على كرم المولى.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 12] أي أي عذر لنا في عدم توكلنا على مولانا في جميع ما أولانا من أمور دنيانا وأخرانا ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾ [الآية 12] ربنا ﴿سُبُلَنَا﴾ [الآية 12] طرق معرفته ومنها العلم بأن الأمور كلها بقبضته وقدرته وتحت مشيئته.

وقال الأستاذ: أي ما لنا أن لا نتوكل على الله وقد رقانا من حد تكشف البرهان إلى روح تكلف البيان بكثرة ما أفاض علينا من جميل الإحسان وكفانا من مهمات الشأن.

90/ ب ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ [الآية 12] أكدوا / بالقسم المقدر وتوكلهم وعدم

مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم فالصبر على الإيذاء من سنن الأنبياء.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر على البلاء يهون إذا كان على رؤية المبلي ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 12] فليثبت المتوكلون على توكلهم الناشىء عن إيمانهم بوجوده وإيقانهم بكرمه وجوده.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 13] بربهم ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ [الآية 13] أي المرسل إليهم تهديداً وتوعيداً لهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ [الآية 13] بلدتنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ [الآية 13] أو لتصيرنّ ﴿فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] إلى رسلهم ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 13] الكافرين منهم.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 14] في دارهم وديارهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 14] آمنين من شرار شرارهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 14] أي ما ذكر من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ [الآية 14] موقفي وهو الموقف الذي يوقف فيه العباد يوم القيامة للحكومة المميزة بين أرباب المثوبة وأصحاب العقوبة لقيامي بالاطلاع عليه وحفظي لأعماله بالنظر إليه ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [الآية 14] وعيدي لعبيدي من تبعيدي، فالأول تذكير المحاسبة في الآجل والثاني تحقيق المراقبة في العاجل.

وأفاد الأستاذ: لما عجز الأعداء عن معارضة الأنبياء أخذوا معهم في الجفاء بأنواع الإيذاء والتهديد لهم بفنون البلاء من ذلك الإخراج عن الأوطان والتشريد في البلدان فربط الله على قلوبهم بوعد النصر على مقاساة بلائهم.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ [الآية 15] أي يسأل من الله الأنبياء الفتح والنصر على الأعداء ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [الآية 15] وخسر كل ظالم للخلق معاند للحق أو متنكر على الطاعة ومتفنن في الخصومة.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استعجلوا القضاء فلما نزل بهم البلاء لم ينفعهم التضرُّع والبكاء ولم يقبل منهم الصدقة والنداء وندموا حين لا ندامة وتضرّعوا بعدما عدموا السلامة. ويقال: أن الرسل لما بغتوا بإقرار قومهم سألوا من الله النصرة عليهم فأجابهم الله بإهلاكهم. ويقال: إذا صدق النجاء

واستعظم البلاء قرب النجاء.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 16] أي من بين يديه فإنه مرجعها ومباشر لأسبابها
91/أ واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها/ في العقبى، أو من خلفه بمعنى وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك بمعنى استتر، فلفظ وراء يقع على ما بين يديه وعلى ما خلفه ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ [الآية 16] أي عطف على مقدّر تقديره من وراءه جهنم يُلقى فيها ما يلقى ويسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [الآية 16] عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جروح أهل النار.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [الآية 17] يتكلف جرعه وبلغه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [الآية 17] لا يقرب أن يبلغه فكيف يسيغه وهو يغص به فيطول عناءه، والسوغ مرور الشراب على الحلق بسهولة وقبوله طبيعة ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 17] أي أسبابه من المشتقات فتحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وأصابع يده ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [الآية 17] فيستريح ولا حي صحيح كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:الآية 74]، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ [الآية 17] من بين يديه أو من خلفه أو من غير ما ذكر من عذابه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [الآية 17] أي نوع آخر أشد من هذا وهو حبس الأنفاس وضيق الاحتباس وضم قرين سوء إليه ويستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه من الخلود فيما بين يديه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الكافر يأتيه العذاب فيما بين يديه من الزمان أو من خلفه لأجل ما سلف في الماضي من العصيان ويسقى من عصارة أهل النار ما يشربه جرعة بعد جرعة ولصعوبة مرارته وحرارته لا يشربه بمرقه، ويأتيه الموت من كل عضو من الشدة وهذا أجر من اغترّ بأيام قليلة ساعدته المنية فيها وانخدع بها ولم يشعر بما يليها.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 18] مبتدأ خبره ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [الآية 18] وقرأ نافع الرياح، والمعنى حملته ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [الآية 18] شديد هبوبها فيه شبه عبادة الكفرة برماد طيّرته الريح العاصفة، وفي

معناها صنائعهم من صلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب والضيافة والصدقة في كونها حيطة لبنائها على غير أساس من معرفة الله وتصحيح النية والتخليص من الرياء والسمعة مع أن الله سبحانه جازاهم عليها في دنياهم بطول الأعمار / 91/ ب
وكثرة الأولاد وسعة الأموال ودوام الصحة ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ [الآية 18] يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية 18] من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية 18] من الجزاء الجميل وهو قولك لمثيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 18] الإشارة إلى ضلالتهم وطغيانهم في كفرانهم مع حسبانهم أن لهم ثواباً على صورة إحسانهم ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الآية 18] فإنه الغاية في البُعد عن صراط العزيز الحميد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي: خالق السموات والأرض بالحكم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية 19] يعدمكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 19] يخلقكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] بمتعذر أو متعسر فإنه على كل شيء مقتدر فمن هذا برهانه تعالى شأنه كان حقيقاً بأن لو منَّ به ويعيد على وفق أمره ءجاء لثوابه وخوفاً من عقابه.

وقال الأستاذ: أي الله خلق السموات والأرض بالحكم الحق أي له ذلك بحق ملكه وخلقهما بقوله الحق فجعل كل جزء منها على وحدانيته دليلاً، ولمن أراد الوصول إلى ربه سبيلاً. ثم قال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية 19] بالإفناء ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 19] بموقف من الإنشاء وليس ذلك عليه بعسير وأنى ذلك وهو على كل شيء قدير.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية 21] أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لحكمه سبحانه بمحاسبة أمورهم، وذكر بلفظ الماضي لتحقق ظهورهم ولسبق تعلق علمه سبحانه بهم ﴿جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [الآية 21] أي ضعفاء الرأي من الأتباع الذين قلدوا الرؤساء الأقوياء في اتّباع الابتداع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ [الآية 21] من الأغنياء الأعتياء الذين استبقوهم في الإغواء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [الآية 21] تبعاً في الدنيا بتكذيب الأنبياء والإعراض عن نصيحة الأولياء ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ [الآية 21] دافعون عنا في العقبى ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية 21] من الأولى للبيان

واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول إنما قالوا توهُّماً أن يدفعوا عنهم شيئاً من البلاء أو يرفعوا عنهم شيئاً من العناء ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 21] أي المستكبرين ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] للإيمان ووفقنا للعرفان ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [الآية 21] لشركناكم في الهداية وفي الخلاص من العقوبة ولكنا غوينا فأغويناكم كما غوينا. / والمعنى فاخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لكم علينا ولا مزية لكم لدينا ولا ملامة من جهتكم راجعة إلينا حين تبين حالنا فنحن وإياكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [الآية 21] ملجأ ومنجا من عذابنا الذي نزل بنا بأمر ربنا. روي أنهم يقولون: تعالوا نجزع ونتضرع لعله ينفعنا فيجزعون ويشفعون خمسماية عام فلم ينفعهم فيقولون: تعالوا نصبر لعل صبرنا يفيدنا في هذا المقام فلا يفيدهم فيقولون: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا مدافع عنا. 92/ أ

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 22] حكم وفرغ منه وتمّ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قام خطيباً في الأشقياء لدفع توهُّم الأغبياء في حقه حقيقة إحقاقه الإغواء حيث لم يعرفوا حقائق الأشياء بما بيَّن لهم الأنبياء من أن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 22] وعداً من حقه أن ينجز لقوله الحق وخبره الصدق من الوعد بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ [الآية 22] وعد الباطل بأن لا بعث ولا حساب ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [الآية 22] بتبيين خلف وعدي في المآب ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 22] تسلط جبر وقهر يحببكم به إلى ارتكاب الكفر والمعصية ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [الآية 22] لكن دعوتكم إلى الضلالة والجهالة والغفلة ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [الآية 22] أسرعتم في إجابة دعوتي وما تأملتم في أول أمري ولا في مآل عقاب عاقبتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ [الآية 22] بوسوستي فإن من صرح بالعداوة لا يُلام بمثل هذه الحالة ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [الآية 22] حيث أطعتموني حيث دعوتكم ولم تطيعوا دعوة ربكم على لسان البشير النذير ولم تقبلوا نصيحته لكم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:الآية 6].

وقد قال السلمي في التفسير: إنه قيل مَن لم يلم نفسه على الدوام ويَرضَى عنها في حال من أحوالها فقد أهلكها. أقول: وسببه أن مَن لم يَلم نفسه اللوامة

في الدنيا على خلاف الأولى احتاج إلى ملامتها في الأخرى عند مشاهدة العقبى / ومحاسبة المولى. 92/ ب

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [الآية 22] بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [الآية 22] من طرد الباب ورفع الحجاب. وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في باب الالتقاء ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ [الآية 22] بحذف ياء الإضافة وكون ما مصدرية، إني كفرت اليوم في العقبى بإشراككم إياي ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 22] قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى تبرأت منه وتبعّدت عنه كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:الآية 14]، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 22] تتميم لكلامه أو ابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى له أو لغيره. وفي حكاية أمثال ذلك مما يقع بيانه هنالك تنبيه للسامعين وإيقاظ للغافلين حتى يحاسبوا أنفسهم ولا يضيعوا أنفاسهم لئلا يحشروا مع حزب الشيطان وأتباعهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 23] بساتين معمورة بأنواع أثمارها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 23] أي تحت أشجارها أو تحت قصور أهلها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 23] مقدره الخلود فيها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 23] بسبب أمره أو بقضائه وقدره والمدخلون هم الملائكة أو المعنى أذن لهم بدخولها ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ [الآية 23] تحية الملائكة أو الله سبحانه لهم أو تحية ما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [الآية 23] أو ملاقاتهم فيها ذات سلامة من الملامة والكراهة في تلك المقامة فإنها دار النعمة والكرامة.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان هو التصديق والعمل الصالح للتصديق تحقيق ويدخل في جملة الأعمال الصالحة ما قلّ وكثر من وجوه الخير حتى القذاة يميطها عن الطريق. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء:الآية 94] أي في عاقبة أمره. ثم أحوالهم في دار السلام متفاوتة في الرتبة، فقوم يُحييهم الملائكة قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء:الآية 103]، وقوم يحييهم الملك، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:الآية 44] سلموا من الاحتراق، ثم من الفراق، ثم من العذاب، ثم من الحجاب. أقول: ولا منع للجمع في مقام السلام للجميع لأنهم وصلوا إلى مرتبة

93/ أ جمع الجمع المؤدي إلى ذلك المقام ولعموم رحمة / رب كريم بقول مطلق عميم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس:الآية 58].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [الآية 24] وضعه وبيَّنه للملَّتين من جميع الأمة ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [الآية 24] أي جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [الآية 24] فهو تفسير لقوله ضرب مثلاً فأبهمه أولاً ثم أوضحه ثانياً لأنه أوقع للنفس في تأثيرها لأجل إعادة الجملة وتكريرها ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [الآية 24] في الأرض ثابت بفروعه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ [الآية 24] أعلاها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 24] أي الهواء.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ [الآية 25] تعطي أثمارها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ [الآية 25] عيَّنه الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [الآية 25] بأمر خالقها وإرادة بارئها ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الآية 25] أمثال أهل الجنة أو أمثال هذا المثل ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 25] بالانتقال من الأمثال إلى تصور اختلاف الأحوال فيحصل لهم الكمال بتأملهم في كلام المتعال.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [الآية 26] أي مثل شجرة خبيثة ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ [الآية 26] أخذت اجتثّث بالكلية واستؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] لأن عروقها قريبة من فوقها ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [الآية 26] لا استقرار بها ولا مدار للاستمرار عليها، وفسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام ولها القرآن، والكلمة الخبيثة بالإشراك بالله والدعاء إلى عبادة مَن سواه وتكذيب الحق وأهله. والأظهر أنه ما يعم ذلك من كل كلمة مليحة أو كلمة قبيحة، فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح، والكلمة الخبيثة ضدها، وقد فسرت الشجرة الطيبة بالنخلة[1]. وروي ذلك مرفوعاً من الطرق الصحيحة، وشجرة طوبى في الجنة[2]، والخبيثة بالحنظل[3] ولعل المراد بها أيضاً ما يعم ذلك بأن

(1) النكت والعيون (2/ 330)، وتفسير الخازن (4/ 114).
(2) أخرجه ابن حبان في الصحيح (16/ 429) رقم (7413).
(3) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 295) رقم (3119) وأبو يعلى في المسند (7/ 182) رقم (4165).

ذلك كل شجرة يطيب ثمرها في جميع زهرها وما يكون بخلاف ذلك أمرها وهو لا ينافي ما صح في الأخبار من تفسير الشجرة الطيبة بالنخلة حيث يراد بها مثلاً أو نظر كلها لا حقيقة الانحصار، بل في العموم إشارة إلى بيان اختلاف مراتب أخلاق الأبرار وأحوال الأشجار بحسب تفاوت مذاق الأثمار وبقائها وثباتها في الديار والقفار كما أشار / إليه قوله سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ 93/ب
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعرَاف:الآية 58].

وأفاد الأستاذ: ربما أراد من أن هذا المثل خبّره الله به للإيمان والمعرفة فشبّهه بشجرة طيبة أصلِ تلك الشجرة باقٍ تؤتي أُكلها كل وقت وزمان وينتفع بها أهلها كل حين وآن، فالإيمان كتلك الشجرة أصلها المعرفة مصححة بالأدلة والبراهين وسنن المرسلين ثم مجانبة المعصية كصيانة الشجرة عما يضرها من كشط مظهرٍ وقطع عرق وإتلاف غصن وما جرى مجراه، وأوراق تلك الشجرة قيامة بآداب العبودية وأنهار تلك الشجرة أخلاقه الجميلة وثمرة تلك الشجرة حلاوة الطاعة ولذة الخدمة ثم الثمار تختلف في الطعم والطبع والرائحة والصورة كذلك ثمرات الطاعة ومعاني الأشياء التي يجدها العبد في قلبه تختلف من حلاوة طاعة وهي صفة العابدين، وبسط يجده في وقته وهو صفة العارفين، ولوعة تدركه في ضميره وهو صفة المريدين، وأسف يناله وهو صفة المحبين، وقلق واهتياج يجده ولا يعرف سببه ولا يجد سبيلاً إلى سكونه وهو صفة المشتاقين إلى ما لا يفي بشرحه نطق ولا يستوفيه قول. وذكر من لوائح ولوامع وطوارق وشوارق، كما قيل:

طـوارق أنـوار تـلـوح إذا بـدت فتظهر كتماناً وتُخبر عن جمع[1]

ثم إن ثمرات الأشجار في السنة مرة وثمرة هذه الشجرة في كل لحظة كذا وكذا كرة، وكما قال تعالى في ثواب أهل الجنة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآيتان 32،33] وقلوب أهل الحقائق عنها لا مصروفة ولا محجوبة وهي لها في كل وقت ونفس بعدله غير محجوبة ولا

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 44) وفي الرسالة (1/ 32) وقد نسبه إلى الجنيد.

مدفوعة وثمرات هذه الشجرة أشرق وأنوارها ألطف وأظرف وإشارات هذه القصة وألفاظهم في مراتبهم ومعانيهم كالرياحين والأزهار وهي مختلفة متفاوتة الكلية والكيفية ومقدار الاستمرار. ويقال: الكلمة الطيبة وهي الشهادة لله بالوحدانية وللرسول بالنبوَّة والرسالة وإنما تكون طيبة إذا صدرت عن سر مخلص، والشجرة
94/أ الطيبة المعرفة،/ وأصلها ثابت في أرض غير سبخة[1] والأرض السبخة من أرض الكافر والمنافق لا تنبت، والإيمان في قلوبهم لا يثبت. ثم لا بد للشجرة من الماء وما لِهذه الشجرة من دوام العناية وإنما تورق بالكفاية وتتورد بالكلاءة والهداية وتثمر بالوقاية والرعاية. ويقال: ما هذه الشجرة إلا الحياة والندامة والتلهف والحسرة والخشوع وإسبال الدموع والإثابة. ويقال: ثمرات هذه الشجرة مختلفة بحسب أحوال أهلها فمنها التوكُّل والتفويض والتسليم والمحبة الوافية والشوق والرضا وسائر الأحوال الصافية والأخلاق الزكية ثم الكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وخبثها ما صحبها من نجاسة الشرك والعصبية فخبيث الكلمة لصدورها عن قلب هو مستقر الشرك ومتبعه والشجرة الخبيثة هي الشرك اجتثت من فوق الأرض لأن أساس الكفر متناقض متضاد ليس له أصل صحيح ولا برهان موجب ولا دليل كاشف ولا علة مقتضية، إنما ذلك شبه وأباطيل وضلال اقتضاها وساوس وتأويل ما لها من قرار لأنها حاصلة من شِبَه واهية وأصول فاسدة بادية، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [الآية 27] الذي يثبت بالحجة عندهم وتمكّن قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزالون إذا افتتنوا في دينهم كأصحاب الأخدود وأمثالهم وفي الآخرة فلا يتلعثمون إن سئلوا عن معتقدهم في القبر ولا يدهشهم أهوال يوم الحشر والنشر، وقد صح عنه ﷺ أنه ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: مَن ربك وما دينك وما نبيّك فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد عليه السلام، فنادى من السماوات: صدق عبدي»[2]، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ

(1) الأرض التي تعلوها الملوحة. انظر لسان العرب (3/ 23).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 233) رقم (9145).

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 27] على أنفسهم بالكفر والمعصية وحيث لم يقدروا على الجواب وتحيروا في محضر الحساب المؤدي إلى العقاب ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 27] من تثبيت / المؤمنين وإثابتهم وإضلال الكفار ومعاقبتهم. 94/ ب

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: الخلق كلهم مجبورون تحت الإرادة والقدرة مقهورون على لسان الجبروت والعظمة وليس من أمورهم شيء راجع إليهم، ممنوعين عما يريدون مقضي عليهم بما يكرهون، وهذا من آثار العبودية وفنائها، والله تعالى يدبر الأمور ويبديها وينشئها، أنشأها على إرادته وإبدأها على مشيئته لا ناقض لما أبرم ولا مبرم لما نقض، والأفعال على الحقيقة فعله والكون صنعه ولا علة لفعله ولا لصنعه.

وأفاد الأستاذ: أن البعث هو البقاء على الاستقامة وترك العوج في الديانة والقول الثابت هو الشهادة الصادرة عن صفاء العقيدة وخلوص السريرة الحميدة. ويقال: القول الثابت هو بيان الجنان لا نطق اللسان. ويقال: هو قول العزيز القدير الذي لا يجوز عليه الزوال والفناء، هو بالثبوت أوْلى من قول العبد يقول الله وقول العبد أثر والآثار لا يجوز عليها الثبات والبقاء عيناً وإنما يكون حكماً، فثبات العبد لقول الله وهو حكمه له بالإيمان وإخباره أنه مؤمن وتسميته له بالإيمان والعرفان وقول الله لا يزول في جميع الأزمان ففي الدنيا ينبئهم حتى لا يدعهم لغيرهم شبهة، وفي القبر يثبِّتهم عند سؤال الملك للفتنة، وفي القيامة يثبِّتهم عند المحاسبة، وفي الجنة يثبِّتهم ولا يزول حمدهم لله مع كمال المعرفة، ثم إذا تنوَّعت عليهم الخواطر وتصنَّفت عليهم الدواعي فالحق ينبئهم حتى لا يحيدوا عن النهج المستقيم ولا يزيغوا عن الدين. ويقال: إذا دعتهم الوساوس إلى متابعة الشيطان وجرتهم الهواجس إلى مواقعة النفس فالحق يثبِّتهم على موافقة رضاه. ويقال: إذا دعتهم دواعي المحبة من كل جنس لمحبة الدنيا تركوا الجميع ولم يستجيبوا إلا لدواعي حبه سبحانه، كما قيل:

إذا واجهتنا حيلة كي تزيلنا أبينا وقلنا إلى إجابته أول[1]

---

(1) ذكر القشيري في تفسيره لفظاً آخر وهو على النحو التالي:
إذا ما دعتنا حاجة كي تردنا أبينا وقلنا مطلب الحق أولاً

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] شكرها ﴿كُفْرًا﴾ [الآية 28] بها
95/أ بأن وضعوها/ مكانه كفراناً لها ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ [الآية 28] أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ [الآية 28] أتباعهم وأشياعهم في الكفران وترك الإيمان والعرفان ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [الآية 28] دار الهلاك بحملهم على الكفر والإشراك.

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] عطف بيان لها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الآية 29] يدخلون فيها ويقاسون ألم حرّها وبردها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [الآية 29] دار البوار ومقرّها الكفار والفجار.

وقال أبو عثمان: أجهل الخلق مَن استعملها في المعصية ولم يقم بشكرها بأن يعرف النعمة في رضى وليّها من الطاعة.

وقال الأستاذ: أي وضعوا الكفران محل الشكر والإحسان كمن أبدلها مما كان ينبغي أن يشكروا، واستعمال النقمة في المعصية من هذه الجملة وأعضاء العبد كلها نعم من الله عليه فإذا استعمل العاصي يديه في زلّة بدل ما كان الواجب استعماله في الطاعة فقد بدّل نعمته كفراً، وكذلك إذا أودع الغفلة قلبه مكان المعرفة والعلاقة وقفة مكان الانقطاع إليه وعلق قلبه بالأغيار بدل الثقة به ولطخ لسانه بذكر المخلوقين ومدحهم بدل ذكر الله واشتغل بغير الله دون الفناء في ذكره كل هذا تبديل نعمة الله كفراً، وإذا كان العبد منقطعاً إلى الله مكتفياً من قبل الله ووجد في فراغه مع الله راحة ومع الخلق سلوة ومن إقباله عليه سبحانه كفاية ثم رجع إلى أسباب التفرقة ووقع في بحار الأشغال ومعاملة الخلق ومدحهم وذمّهم فقد أحلّ قومه دار البوار على معنى إيقاعه قلبه ونفسه وجوارحه في المذلّة من الخلق والمضرّة من الحال، وشأنه كما قيل:

ولم أر مثل مَن يفارق جنة   ويقرع بالتطغيان باب جهنم[1]

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية 30] الذي هو التوحيد ومقام

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46).

التفريد بإيقاع غيرهم من حضيض التقليد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والمعنى ليضلوا بهم أتباعهم باتباعهم لأهوائهم عن طريق الحق وسبيل الصدق، واللام للمعاتبة كما في حديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[1]، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ [الآية 30] عيشوا بشهوتكم أو بعبادة / آلهتكم التي ألهتكم عن طاعة مولاكم 95/ ب
وساعة آخرتكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 30] كسائر الكفار والفجار.

وأفاد الأستاذ: أنهم رضوا بأن يكون معمولهم معبودهم ومنحوتهم مقصودهم فضلُّوا عن نهج الاستقامة وزلوا عن مقام الكرامة وسيلقون غب صنيعهم يوم القيامة حين لن ينفعهم الندامة كما قيل:

قد تركناك والذي تريد ... فعسى أن تملهم فتعودا[2]

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ [الآية 30] أياماً قلائل في الدنيا فإن مآلكم إلى خلود النار في العقبى.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 31] خصّهم بالإضافة التشريفية تنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية. والمعنى قل لهم ما أمرناك به من قولنا ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:الآية 43] أو أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بقرينة قوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الآية 31] وفيه تنبيه على أنهم لفرط مسارعتهم إلى مطاوعتهم لا تنفك طاعتهم عن أمره ﷺ بإطاعتهم، أو التقدير: قل لهم ليقيموا أو ينفقوا كقول القائل: محمد تفد نفسك كل نفس ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 31] إنفاق سر وعلانية، وفي وقتي سر أو علانية والأحب إخفاء النافلة وإعلان الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [الآية 31] فيشتري المقصر ما يتدارك به أو ما يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ [الآية 31] لا مخافة فيه فينفعه أحد بالشفاعة لمن بالغ في المعصية كما قلت:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً ... فارجعي قبل أن يسد الطريق

وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالفتح فيهما.

---

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (19/ 190) رقم (20536).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 46).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 32] مبتدأ وخبر ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [الآية 32] تعيشون به على وجه المأنوس وهو يشمل المأكول والمشروب والملبوس، ومن بيانية مقدمة ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 32] بمشيئته وقدرته أو بمقتضى قضائه وقدره ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [الآية 32] معدّة لانتفاعكم بها في الزروع والأشجار المنتجة للأثمار.

﴿وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [الآية 33] يدأبان في مسيرتهما ويدومان في إنارتهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الآية 33] يتعاقبان لراحتكم ومعيشتكم.

96/أ قال جعفر الصادق: سخّر لكم السموات/ بالأمطار والأرض بالنبات والفلك بأن تتخذوا سبيلها متجراً والشمس والقمر توصلان إليكم منافع الزروع والثمار، وسخر قلب المؤمن لمحبته ومقاربته وحظ الله من العبد القلوب لا غير لأنه موضع نظره ومستودع أمانته وسره، ذكره السلمي. ولعل المراد بحفظ الله حقه الواجب على العبد من إعانة من حفظ قلبه من غير ربه وكثير ما يستعجل الحظ بمعنى النصيب في القسمة، وأما الحظ بمعنى اللذة فلا يجوز نسبتها إليه سبحانه.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية في الظاهر رفع السماء فأعلاها والأرض من تحتها دحاها وخلق بحاراً وأجرى أنهاراً وأنبت أشجاراً وأنبت بها أزهاراً وأثماراً وأمطر من السماء ماء مدراراً وأخرج من الثمرات أصنافاً ونوع لها أوصافاً وأفرد لكل واحد منها طعماً مخصوصاً ولإدراكه وقتاً معلوماً مصنوعاً، وأما في الباطن فسماء القلوب زينها بمصابيح العقول وأطلع فيها شمس التوحيد وقمر الوفاق ومرج في القلوب بحر الخوف والرجاء وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان لا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف كما في الخبر: «لو وزنا لاعتدلا»[1]، وهذا لعوام المؤمنين. وأما للخواص فالفيض والبسط ولخاص الخاص الهيبة والأنس والبقاء والفناء، وسخّر لهم الفلك في

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 50).

هذه البحار ليعبروها بالسلامة وهي فلك التوفيق والعصمة والحماية وسفينة الإيواء والحفظ والرعاية، وكذلك سخّر ليالي الطيب للمريدين وليالي الطرب لأهل الأنس من المحبين وليالي الحرب للتابعين وكذلك نهار العارفين باستغنائهم عن سراج العلم عند طلوع نهار اليقين.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [الآية 34] وأعطاكم بعض جميع مسؤولاتكم بلسان حالكم أو بيان قالكم من جهة حاجاتكم وفيه تنبيه على أن كل صنف من الموجود بعض ما في قدرة واجب الوجود، وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة أو مصدرية على أنها تكون بمعنى المفعول، وقرىء بتنوين كل أي من كل شيء ما احتجتم إليه، ويجوز أن تكون ما نافية / في موضع النصب 96/ ب
على الحالية، وأتاكم من كل شيء غير سائليه.

قال الأستاذ: أي ما سمت إليه هممكم وتعلق به سؤالكم وخسر تحقيق ذلك بيانكم أنلناكم فوق ما تأملون وأعطيناكم أكثر مما ترجون. ومن قرأ بتنوين كل وجعل ما نافية أي من كل شيء مما لم تسألوه كذلك جاء أنه قال: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني هذا لأرباب الطاعات دعوت وغفرت لكم قبل أن تستغفروني وهذا لأرباب الزلّات علم قصور لسان العاصي وما يمنعه من الخجل وما يقبض على لسانه إذا تذكر ما عمله من الزلل فأعطاه غفرانه بدءاً وكفاه خشية السؤال والتنصل فقال: غفرت لكم قبل أن تستغفروني، ومتى خطر على قلب العبد ما أهلّه الحق سبحانه من العرفان وكيف ذا والحديث قبل أن كان له إمكان أو معرفة أو إيمان أو طاعة أو عصيان أو عبادة أو إحسان أو كان له أعضاء وأركان أو كان للعبد شبحاً أو أثراً لا بل كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارغاً فتمكنا[1]

---

(1) نسب هذا البيت إلى مجنون بني عامر. انظر البيان والتبيين (1/ 233)، والحيوان (1/ 338).
ونسب إلى ابن الطثرية. انظر محاضرات الأدباء (٨/ ٣٤٩)، وأخبار أبي تمام (١/ ٤٠)، وحماسة القرشي (١/ ٢١).

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] أي أنواع النفع من المنن وأصناف الدفع من المحن ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ [الآية 34] لا تحصروها ولا تضبطوها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً من أفرادها لعدم تناهي أجناسها وأصنافها فكيف تقدرون أن تقوموا بشكرها، وصرف كل منها في طاعة منعهما فلا شكر لذلك إلا أن معرفة العجز عما هنالك وهذا تحقيق كلام الصديق: العجز عن درك الإدراك إدراك ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ [الآية 34] كثير الظلم على نفسه بأن يعرِّضها للحرمان ﴿كَفَّارٌ﴾ [الآية 34] شديد الكفران لما فيه من الإنعام والإحسان. قيل: ظلوم في الشدة يشكر أو يجذع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

وقال السلمي: ظلوم لنفسه حيث ظن أن شكره يقابل نعمه، كفار محجوب عن رؤية فضله وكرمه.

وقال الأستاذ: أي كيف شكركم يفي بنعمي وشكركم نذر يسير
97/أ وإنعامي. وفير وإني لكم بعد إنعامي وعلومكم عن تفصيلها / متقاصرة وفهومكم عن تحصيلها متأخرة وإذا كان ما يدفع عن العبد من وجوه المحن وفنون البلايا والفتن من مقدراته لا نهاية لها فكيف يأتي الحصر والإحصاء على ما لا يتناهى وكما أن النفع من نعمه والدفع أيضاً من نعمه وكرمه. ويقال: إن توفيق الشكر من جملة ما ينعم به الحق على العبد فإذا أراد أن يشكروه عليه لم يمكنه إلا بتوفيق آخر فإنه يبقى عليه من النعم ما لا يشكره.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ [الآية 35] بلده مكة ﴿ءَامِنًا﴾ [الآية 35] ذا أمن لمن فيها أو نزل بها ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ [الآية 35] من بعدي وأولادي من صلبي ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [الآية 35] واجنبني وجنبني منه لغات بمعنى اجعلني في جانب عنه، وفيه دلالة على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله لهم وحفظه إياهم.

وفي تفسير السلمي قيل: المراد بالأصنام أنفس الأنام فإن لكل نفس صنماً من الهوى إلا من طهر بنور توفيق المولى.

وقال ابن عطاء: المراد بعبادتها والخلد والركون إليها.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 36] سرن بسبب ضلالة كثير من الخلق، فهذا موجب سؤال الاستفادة بالحق ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ [الآية 36] على ديني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [الآية 36] بعضي لاينفك عني فيما ينوبني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 36] تقدر أن تغفر له وترحمه من البداءة أو بعد التوفيق للتوبة أو بعد التعذيب إن كانت المعصية فيما عدا الشرك والكفر، وفيه إشارة إلى أن كل ذنب فله سبحانه أن يغفره حتى الشرك غير أن الوعيد فرق بينه وبين غيره.

وقال الأستاذ: لما سأل أن يجعل مكة بلداً آمناً طلب أن يجعل قلبه محلاً آمناً والبدن يكون آمناً إذا صبر عن المخالفات والهوى والقلب يكون آمناً إذا لم يكن فيه شيء غير حب المولى، ثم الصنم ما يعبد من دون الله قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:الآية 24] فصنم كل شيء ما يشغله عن مولاه من طاعة وعبادة ومال وولد وجاه. ويقال: إنه لما بنى بيت ربه استعاذ به أن يجيره من ملاحظة بنائه وفعله، ويقال: / إنه عليه السلام كان متردداً 97/ب
بين شهود فضل ربه وشهود فضل نفسه فلما لقي من فضله وجوده قال من كمال بسطه: واغفر لي ربي، ولما نظر من حيث فقد نفسه قال: واجنبني وبنيَّ. ويقال: شاهد عزه واستغناءه فقال: واجنبني، وشاهد شمول لطفه وعموم جمعه فقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ [الشعراء:الآية 86]، ثم قال: ومن نفعني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [الآية 36] موافق لي ومن أهل ملتي ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ [الآية 36] وخالفني وعصاك ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 36] كائن بعين البسط فلاحظهم بعين الرحمة واسترحمهم بالإشارة. ويقال: من عصاني ولم يقل من عصاك وإن كان من عصاه فقد عصى الله ولكن للفظ من عصاني إيماء إلى أنه إنما طلب الرحمة فيما كان تصيب نفسه من ترك حقه في عصيانهم لربه فلم يقتصر لنفسه بل قال لهم برحمة ربه. ويقال: إن قول نبينا ﷺ في هذا المعنى ثم جئت قال جزماً وسأل حتماً: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(1). وإبراهيم عليه السلام عرض وقال: فإنك غفور رحيم. ويقال: لم يجزم السؤال لأنه راعى أدب المقال. أقول: فجزم نبينا ﷺ للسؤال

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3477)، وابن حبان في الصحيح (3/ 254) رقم (973)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 164) رقم (1447).

يومىء إلى ما له من الكمال في مقام البسط والكمال.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية 37] بعض أولادي وأجنادي ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [الآية 37] لئلا ينشغلوا بغير القيامة ويتكلوا على ربهم في أمر المعيشة ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [الآية 37] المحترم المكرَّم الذي حرَّمت التهاون به والتعرُّض لأهله. روي أن هاجر كانت جارية سارة وهما بالشام فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم من جناح جبريل أو قدم إسماعيل ثم إن قبيلة جرهم رأوا ثمَّ طيوراً فقال: لا طير إلا على الماء، فقصدوه فرأوهما فقالوا: أشركينا في ماءك فنشركك في ألباننا ففعلت ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 37] أي أسكنتهم عند مسجدي المعظم لإقامة الصلاة، / والمقصود من الدعاء توفيقهم للعبادة. وقيل: اللام لام الأمر، والمراد هو الدعاء لهم بالإقامة والاستقامة بتوفيق الطاعة وحسن العبادة. 98/أ

قال ابن عطاء: أسكنتهم وادياً لا متعلق لي ولا علاقة لهم سؤال ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 37] أي أفئدة من أفئدة الناس أو من للتبعيض ولذا قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ونحوهم ولحجت اليهود والنصارى وغيرهم وفيه إشارة إلى أن الدعوة خاصة والمدعوين زبدة وخلاصة ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 37] تميل إليهم شرقاً وتحمس عليهم ذوقاً ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 37] فواكه المطعومات والملبوسات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 37] ربهم على تلك الحالات، وأجاب الله دعوته وجعله حرماً آمناً يجيء إليه ثمرات كل شيء حتى قد يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في وقت واحد، وحتى يوجد تحف الأشياء المحتاج إليها مجموعة في أيام موسم الحج مسهلة من الأطراف والأكناف مجلوبة.

قال ابن عطاء: من انقطع عن الخلق بالكلية صرف الله إليه وجوه البرية وجعل مودّته في صدورهم ومحبته في قلوبهم وذلك من دعاء الخليل من ربه الجليل لما قطع بأهله من الخلق وأسباب الرزق دعا لهم بالرفق فقال: ﴿فَٱجۡعَلۡ

أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] الآية، قال: مَن كان لله كان الله له.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن صدق توكله وصدق تفويضه بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية 37] أي قوماً منهم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [الآية 37] فلا متعلق من الأغيار بقلوبهم ولا متناول لأفكارهم وأسرارهم مطروحون ببابك مقيمون بحضرة جنابك جار بينهم حلمك إن راعيتهم وكفيتهم كانوا أعز خلق الله وإن أقصيتهم ونبذتهم كانوا أذلّ خلق الله عند بيتك المحرم وإنما رأى الرفقة بينهم في الجوار لا في المبار فقال: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [الآية 37] ثم قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 37] أي / أسكنتهم لإقامة حقك بهم لا لحظوظهم بك 98/ ب
بإقامة حقك عليهم ليشتغلوا بعبادتهم ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] فأمر قوماً بأن يقوموا بكفايتهم وارزقهم من الثمرات فإن مَن قام بحق الله أقام الله بحقه قوماً واستجاب الله دعاءه وصارت القلوب من كل بحر وبر كالمجبول على محبة ذلك البيت الأجلّ والميل إلى سكان ذلك المحل.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ [الآية 38] تعلم سرنا كما علم علننا، والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم منا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب إلا لإظهار العبودية وافتقاراً إلى الحضرة الربوبية. وقيل: ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع والمسكنة، وتكرير ربّنا للمبالغة في مقام الدعوة.

قال السلمي: وقيل ما نخفي من الحجة وما نعلن من الجد.

قال ابن عطاء: ما نخفي من الأحوال وما نعلن من الأفعال ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 38] من الاستغراق في نفي الحقائق.

وأفاد الأستاذ: أن من عرف هذه الجملة استراح عن النظر إلى الأغيار واستروح قلبه عن مترجم الأفكار.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ [الآية 39] أي في حال كبري ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [الآية 39] روي أنه وُلِد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة واثنتي عشرة، وقيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة واستظهاراً

لما فيه من الآية. وإسماعيل جد نبينا ﷺ وإسحاق أبو سائر الأنبياء ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [الآية 39] أي مجيب، ومنه قوله: سمع الله لمن حمده، أي أجابه.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 40] صيِّرني مديماً لها وقائماً بحقوقها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [الآية 40] أي واجعل بعض أجنادي مقيمين لها ومواظبين عليها والتبعيض لعلمه إما بإعلامه سبحانه له أو باستقراء عادة الله في الأمم الماضية من وجود الكفار والفجار في الذرية.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة فإن
99/أ الجعل والخلق بمعنى / واحد في اللغة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 41] وقد سبق عذر استغفاره لهما، وقيل: أراد وجوبهما ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 41] من السابقين واللاحقين ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [الآية 41] يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

وأفاد الأستاذ: أن إجابة الدعاء فضل من الله يفعل ما يشاء فلا ينبغي للعبد أن يتوكل على دعاء أحد من الأعيان وإن كان عالي الشأن بل يجب على العبد أن يعلق قلبه بالله ولا يسكن إلى ما سواه فلا دعاء أتم من دعاء إبراهيم ولا عناية أتم من عنايته بشأن أبيه ثم إنه لم ينفعه فيه ولا ينبغي للعبد أن يترك دعاءه ويقطع رجاءه فإن إبراهيم دعا لأبيه فلم يستجب فيه، ثم إنه لم يترك الدعاء في حق سائر الأشياء كالأبناء ولا غضاضة على العبد في أن لم يجبه مولاه في شيء ولا مذلة بل الدعاء عبادة فلا بد للعبد من فعلها والإجابة فضل فله سبحانه فعلها وتركها.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 42] فيه مثلبة للمظلوم وتهديد للظالم الملوم.

وأفاد الأستاذ أن المظلوم إذا تحقق أنه سبحانه عالم بما يلاقيه من البلاءات على مقاساته وخفف عليه تحمله ومرارته. والظلم على وجوه، ظلم على النفس بوضع الزلة مكان الطاعة، وظلم على القلب بتمكين الخواطر الرديئة وإخطار الغير بالبال، وظلم على الروح بمحبة المخلوقين. ويقال:

الشيطان من جملة الظالمين والعبد المؤمن مظلوم من جهته والحق سبحانه ينتصف له منه غداً وذلك لمن لا يتبعه اليوم طائعاً فيتأذى بوساوسه ويدفعه بالمجاهدة عن نفسه ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 42] أي أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ [الآية 43] حال كونهم مسرعين إلى الداعي وصوب صوت النداء ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 43] رافعيها إلى جهة السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [الآية 43] أي لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم بل بقيت عيونهم شاخصة ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [الآية 43] كالخلاء خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة أو خالية عن الصدق / خاوية عن الحق. 99/ ب

قال ابن عطاء: هذا صفة قلوب الحق متعلق به لإقرار الأمة، ولا يسكن إلا إليه وليس في قلوبهم محل لغير الله قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النّمل:الآية 88] ولا تلتفت إلى غير الله ولا لها قرار مع ما سواه.

وقال الأستاذ: وهذا لعوام المؤمنين لتعلق قلوبهم بالانتقام لهم وأما الخواص فإذا علموا أنه سبحانه عالم بهم وبحالهم فإنهم يثقون بذلك ويكتفون لما هناك، وأما خاص الخاص فعلموا أنهم عبيده فإنهم لا يرضون بالعفو عن مَن ظلمهم حتى يستغفروا لهم كما قال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1]. وأما أصحاب التوحيد فإذا علموا أن المنشيء هو الله ولا مخترع سواه فليس بينهم وبين أحد محاسبة ولا مع أحد معاتبة ولأمته مطالبة أنهم يعدون إثبات الغير في الظن والحساب شركاء نظر إلى حقيقة الوحدة.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 44] خوِّفهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 44] وقت إتيان العذاب لهم وهو يوم القيامة أو يوم موتهم فإنه أول أيام عذابهم، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 44] بالكفر والكفران والعصيان والعدوان ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 44] أخِّر العذاب عنا وأمهلنا على حالنا إلى

(1) انظر تخريج الحديث السابق.

حد من الزمان قريب من آجالنا لتدارك أحوالنا وإصلاح أعمالنا ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 44] بإقرار التوحيد وإظهار الدعوة لا بحقيقتها لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:الآية 28]. ولما قيل: وما مواعيدها إلا أباطيل وتظهر مما يقع لهم ولأمثالهم من الدعاء عند البلاء والعود إلى الجفاء بعد الإنجاء ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [الآية 44] ما لكم جواب القسم جاء بلفظ المخاطبة على المطابقة دون الحكاية وإلا لقيل: ما لنا، والمعنى يقال لهم أقسمتم بلسان الحال ما لكم من زوال في جاه ومال حيث نعمتم شديداً وأملتم بعيداً.

﴿وَسَكَنتُمْ﴾ [الآية 45] أمداً مديداً ﴿فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 45] بالكفر والمعصية، قيل: أراد بهم عاداً وثموداً ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [الآية 45] بما يشاهدون وما نزل عليهم في منازلهم وآثارهم وما
100/أ تسمعون / من تواتر أخبارهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الآية 45] من أحوالهم تنبيهاً على أمثالهم.

قال أبو عثمان: مجاوزة الفساق وأهل المعصية من غير ضرورة فسق كامن ومعصية مستترة لأن الله تعالى ذمّ قوماً من عباده فقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 45] ولم يقدر من أقام بها، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النّساء:الآية 97].

وقال الأستاذ: أي أحللنا بهم العقوبة وأشهدناكم فما اعتبرتم وجريتم على منهاجهم وما انزجرتم وفعلتم مثل فعلهم وبإمهالنا إياكم اغتررتم فانظروا مثل ما عاملناهم به جزاء لكم على ما أسلفتم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ [الآية 46] لإبطال الحق وإظهار الباطل ﴿مَكْرَهُمْ﴾ [الآية 46] المستغرق فيه جهدهم وفكرهم ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 46] ما يمكرهم به جزاء لمكرهم أو مكتوب عنده فعلهم وجزاؤهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 46] في العظمة والشدة ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 46] مسوّي لإزالة الجبال الثابتة فإن وصلته فرضية غير واقعية. وقيل: مخففة من المثقلة والمعنى إنهم

مكروا ليزيلوا ما هو ثابت كالجبال الراسية من آيات الله وشرائعه الماضية. وقرأ الكسائي: لتزول بالفتح والفرع على ألفها المخففة واللام هي الفاصلة والمراد منه المبالغة في تفخيم أمرهم وتعظيم مكرهم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [الآية 47] كقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:الآية 51] لأصله مُخلِفَ رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 47] لا يخلف الميعاد فإذا لم يخلف وعده أحداً لا يخلف رسله أبداً ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 47] غالب لا يدافع وقادر لا يمانع ذو انتقام لأوليائه من أعدائه.

وقال الأستاذ: أي لا تحسبنه مخلف رسله وعده لا يخلف الوعد لصدقه في قوله، وله أن يعذبهم بما وعدهم لِحَقِّه في ملكه وهو ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 47] لا يصل إليه أحد وإن كان ولياً ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 47] لا يفوته أحد وإن كان قوياً.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الآية 48] غير السموات والتبديل بالصفة أو الذات ويؤيد الأولى قوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفُرقان:الآية 70]، ويقوي الثاني ما عن علي كرَّم الله وجهه: «تبدل أرضاً من فضة / وسمٰوات من ذهب»[1] وهو لا ينافي ما روى ابن مسعود وأنس رضي الله 100/ ب
عنهما: «يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ أحد عليها خطيئة»[2].

وعن ابن عباس: هي تلك الأرض بعينها وإنما تغير صفتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة مرفوعاً: تبدل الأرض غير الأرض فينبسط الأديم فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً[3].

وفي «**تفسير السلمي**» قيل: فإن الأشياء إذ ذاك قد عادت إلى مصادرها.

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (1/ 170) رقم (140).
(2) أخرجه ابن حبان ـ بلفظ مختلف ـ في الصحيح (16/ 312) رقم (7320).
(3) أورده البيهقي في البعث والنشور (2/ 137).

وقيل: متى كانوا أشياء حتى صاروا لا شيء لأنهم في جنب الحق أقل من الهباء في الهواء.

قال الأستاذ: لا تختلف عينها وإنما تختلف صورتها وذلك ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التّكوير: الآيتان 2،3] وإنما يدل المكان الزمان على إفراد الإنسان باختلاف أحوالهم في السرور والمحن الناشئة عن أعمالهم فمن وصل من الرخاء إلى البلاء أو من البلاء إلى الرجاء. ويقال: تغير الوقت عليهم. ويقال: إن آدم عليه السلام لما قتل أحد بنيه الآخر قال:

تغيّرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبّر قبيح

فعلى هذه القضية فمن كان صاحب بسط فرد إلى حال القبض أو كان صاحب أنس فصار صاحب حجاب يصح أن يقال: بدّل له الأرض غير الأرض. قال بعضهم:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار الذي كنت أعرف

قلت: وكما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التّوبَة:الآية 118]. وكقول القائل:

أما الخيام فكأنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائهم(1)

ثم قال: وكذا العبد المريد إذا وقعت له فِترة وكانت الشمس له كاسفة والأرض به راجفة والنهار له ليل والليل له ويل ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [الآية 48] أي خرجوا من قبورهم وقت نشورهم وحضورهم لمحاسبة ربهم ومجازات كسبهم، وفي الوصفين إيماء إلى أن الحال في غاية من الصعوبة والمآل في نهاية من الشدة فإن الأمر إذا كان لواحد قهار فلا مستغاث لأحد ولا استئجار ولا خلاص إلا لمن ستره الستار وغفر الغفار ورحمه الجبّار.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ [الآية 49] قرنوا مع الشياطين من قرنائهم/ 101/أ
أو قرنت أيديهم وأرجلهم في الأغلال إلى رقابهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [الآية 49] أي

---

(1) نسب إلى أبي الحسن الغالي. انظر معجم الأدباء (2/ 26).

القيود، وإنكار الفعال على مقدار ما لهم من سوء العقائد والأعمال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ [الآية 50] قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ [الآية 50] وهو ما يتخلف من شجر الأبهل فيطبخ ويطلى به الجربى من الإبل فيحرق الجرب بحدّته ويزيله بشدته وهو أسود اللون منتن الرائحة تشتعل به النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار ليقوم مقام خلع الأبرار فيجتمع عليهم ألم لذعه ووحشة لونه ونتن ريحه واشتعال النار في جرمه، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، ولعل أسبابها ما يحيط بجواهر النفس من الأخلاق الرديئة والعقائد الدنيئة التي توجب لصاحبها أنواعاً من الآثام المورثة للعموم والآلام على الدوام ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 50] لأنهم لم يتوجهوا إلى الحق بها ولم يستعملوا حواسهم التي خُلقت لأجله فيها كما يطلع على الأفئدة لأنها فارغة عن المعرفة.

وإنما يفعل بهم ذلك ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ [الآية 51] مجرمة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ [الآية 51] واكتفى في الكلام بما يناسب المقام أو برزوا ليجزي الله كل نفس ما عملت من خير أو شر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 51] لأنه لا يشغله حساب عن حساب تعالى شأنه وعظم برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن الأغلال تجمعهم والأصفاد تقرنهم والسلاسل تقيدهم والقطران يثلمهم والحميم شرابهم والحرقة عذابهم والفرقة حجابهم وذلك جزاء مَن خالفوا ربهم.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 52] ما في هذه الآية أو السورة ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 52] كفاية لهم في الموعظة ليتعظوا به ويتيقظوا من نوم الغفلة ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 52] عن المعصية ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 52] منزّه عن نعت المثلية ووصف الشركة ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 52] الميثاق الأول ويوم المآب.

وأفاد الأستاذ: أن الحجج واضحة والأمارات لائحة والمهلة متسعة والداعي مبلغ والتمكين من القيام بحق التكليف مساعد ولكن القسمة سابقة والتوفيق ممنوع عن طائفة، والرب سبحانه فعّال لما يريد فمن / اعتبر نجا 101/ ب
ومن غفل تردى ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:الآية 4] والله أعلم.

سورة الحجر

[مكيَّة]

وهي تسع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله ولكن لإسقاطها علّة، فلم يقبل من قبل باستحقاق وزيد في شكل الباء بسم الله وليس لزيادتها علّة ليعلم أن الإثبات والإسقاط بلا علّة فلم يقبل من قبل باستحقاق وعلّة ولا رد من رد لاستيجاب وعلّة. فإن قيل: العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال من كتابتها أشكل بأن الباء من بسم الله زيد في شكلها، وكثرة الاستعمال موجود في حقها فإن قيل: العلة في زيادة شكل الباء بركة اتصالها ببسم الله أشكل بحذف ألف الوصل لأن الاتصال موجود فيها لم يبق إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علّة يرفع من يشاء ويمنع من يشاء.

قلت: لا يبعد أن يقال: النكتة في تطويل الباء ظهور معنى الاستعانة مخافة اشتباهها بسمات ما يليها في الكتابة فيكون إشارة إلى أن توفيق الإيمان فضل سبب من العمل بخلاف تحقيق الخذلان فإنه عدل موجبه قول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:الآية 23]. وفيه أيضاً إيماء إلى أن الحكم الإلٰهية منها معلومة ومكشوفة لنا ومنها مجهولة ومستورة عنا.

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الآية 1] أي هذه السورة آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً ومقروءاً شاملاً يبين الرشد من الغي آخراً وأولاً أو ظاهر أنواره وباهر أسراره لمن أعطي فضلاً فاضلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه يبيِّن للمؤمنين ما يسكن قلوبهم وللمريدين ما يقوي

رجائهم وللمحسنين ما يهيج اشتياقهم وللمشتاقين ما يثير لواعج أسرارهم.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الآية 2] حين عاينوا يوم القيامة أو حلول الموت أو نزول النصرة والغلبة. وقرأ نافع وعاصم: ربما بالتخفيف وما نكرة موصوفة كقوله:

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال[1]

ورب ها هنا تحتمل الكثرة في الندامة والقلة لما يدهشهم أهوال / القيامة. 102/ أ

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: ربما يود الذين فسقوا لو كانوا مطيعين، وقيل: ربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين وربما يود الذين غفلوا لو كانوا ذاكرين. قلت: وفي الحديث: «ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها»[2]. ومن القواعد الصوفية: أن الغفلة كفر وضلالة، كما قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردتي[3]

وقال الأستاذ: وإذا عرفوا عن من بقوا علموا كيف شقوا، وأي كأس سقوا. ويقال: إذا صارت المعارف ضرورية احترقت نفوس أقوام عقوبة وتقطعت قلوب آخرين حسرة.

﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية 3] دعهم واتركهم ﴿يَأْكُلُوا۟﴾ [الآية 3] متمناهم ﴿وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ [الآية 3] بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ [الآية 3] يشغلهم توقعهم لطول الأعمار عن مولاهم وعن استعدادهم لزاد معادهم في عقباهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءهم.

---

(1) نسب لكعب بن مالك. انظر خزانة الأدب (2/ 302)، ونسب إلى أمية بن أبي الصلت. انظر فرحة الأديب (1/ 46) وإلى غيرهم.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).
(3) نسب إلى الفارضي. انظر تزيين الأسواق في أخبار العشاق (1/ 10).

قال أبو عثمان: أسوأ الناس في حالاته مَن كان شغله تنفيذ شهواته.

وقال الأستاذ: إن قيمة كل امرىء همّته وهمّة كل أحد تظهر بها نهمته فإذا كانت النهمة مقصورة على الأكل والمتع فصاحبها منعوت بالصفة البهيمية ولكن البهيمة لا تحاسب وعلى العقل لا تطلب والتكليف يتبعه التعنيف والتشريف.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 4] أي أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية 4] أي أجل مقدّر كُتِبَ في اللوح على وجه مفهوم.

وأفاد الأستاذ: أن الآجال معلومة والأحوال مقسومة والمشيئة في الكائنات ماضية ولا يخفى على الحق خافية.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ [الآية 5] عنه ساعة.

﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية 6] أي المفترون لقلة عقولهم لأعقل الخلق وأكملهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الآية 6] أي على زعمه ومظنة أصحابه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 6] حيث تقول قول المجانين من أن الإله واحد لا شريك له، وإن القرآن كتابه وإنك رسوله، وقد ورد: «اذكروا الله حتى يقولوا مجنون»[1].

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [الآية 7] لولا تحضرنا ﴿بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية 7] ليصدقوك على
102/ب إنذارك ويعضدوك على آثارك ﴿إِن كُنتَ/ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 7] في إخبارك.

﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ [الآية 8] أي ما تتنزل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية 8] وقرأ أبو بكر بصيغة المجهول وحفص وحمزة والكسائي بالنون ونصب الملائكة ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 8] إلا تنزيلاً ملتبساً بالوجه الذي نحقق له إرادته وتعلق به قدرته واقتضته حكمته ولا حكمة في أن يأتيكم بصورة المشاهدة فإنها توجب لكم المشابهة ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن نسلكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان بالمعرفة وفسر الحق بالوحي والعذاب، ويؤيده قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الآية 8] إذا جواب وجزاء الشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مؤخرين.

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376).

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا الآيات بعدما أرتجت علتهم بما أيّده به من المعجزات فتوجه اللوم عليهم بسواد أديمهم وأخبر الحق سبحانه أنه أجرى عادته بأنه إذا أظهر الملائكة لأبصار قوم بأعيانهم كان ذلك عند إرادة استئصالهم لأنه تصير المعرفة ضرورية وفي المعلوم أنه لم يكن في الوقت هلاكهم لعلمه أن في أصلابهم من يؤمن بالله في استقبالهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الآية 9] أي القرآن لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف:الآية 44]، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الآية 9] من التحريف والزيادة والنقص بأن نقدر له جمله وحفظه لما فيه من الحروف والسكون والحركة.

وفي «تفسير السلمي»: وإنا لنحفظه في قلوب أوليائنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل التوراة ووكّل حفظها إلى بني إسرائيل فقال بما استحفظوا من كتاب الله ففرقوا وبدلوا وأنزل القرآن وأخبر أنه حافظه فلما تولى حفظه لا جرم أنه لكتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصّلَت:الآية 42]. ويقال: أخبر أنه حافظ القرآن وإنما حفظه بقراءته فقلوب القرّاء خزائن كتابه وهو لا يضيع حافظ كتابه فإن في تضييعهم تضييع كتابه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [الآية 10] جميعاً من النبيين ﴿مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 10] فرقهم المختلفين، والمعنى نبأنا رجالاً منهم وجعلناهم رسلاً إليهم.

103/أ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ/ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11] كما يفعل هؤلاء المجرمون والتعبير بالصيغة المضارعية مع ما الموضوعة للزمن الحالية بناء على أن حكاية الحال الماضية والمراد به تسلية للذات المصطفوية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن عادتهم كان التكذيب وأدام سنّته معهم في التعذيب.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ [الآية 12] ندخل استهزاء النبيين ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 12] من الكافرين.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 13] أي حال كونهم غير مؤمنين بالذكر المبين ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 13] قد مضت عادة المتقدمين بوقوع سنَّة الله فيهم بأن خذلهم وأسلك الكفر في قلوبهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاغ قلوبهم عن شهود الحقيقة فسد بالحرمان عليهم سكون الطريقة وبيَّن أنه لو أراهم الآيات عيان ما ازدادوا إلا عتواً وطغياناً وأن من سبق له الحكم بالشقاء لا يزداد على ممر الأيام إلا ما سبق به صادق القضاء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟﴾ [الآية 14] أي فصار المقترحون ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الآية 14] إليه يصعدون ويرون عجائبها ويشاهدون غرائبها.

﴿لَقَالُوٓا۟﴾ [الآية 15] من غلوهم في عتوهم ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾ [الآية 15] فاسدة ومنعت من أبصارنا مأخوذة من السكر بمعنى سد النهر. قرأه ابن كثير بالتخفيف، أو صيرت ومحيت من السكر ضد الصحو ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الآية 15] مجبول فيهم السحر.

وأفاد الأستاذ: أن من غلبه التقدير كان بأمر التكليف مدعواً وبأمر التقدير مقضياً فمتى ينجح فيه النصح ومتى يكون للوعظ فيه مساغ كلا إن البصيرة له مسدودة ومثقلات الخذلان بقدمه مشدودة، فهم يحملون النصيحة على الوقيعة والحقيقة على الخديعة.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ [الآية 16] اثنى عشر بالهيئات اليمنية والأشكال السنية ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الآية 16] المتفكرين فيها المعتبرين بها مستدلين على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها.

﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾ [الآية 17] جعلناها محفوظة ﴿مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الآية 17] فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 18] لكن من/ استرقه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ [الآية 18] تبعه 103/ ب

ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 18] فيخبله أو يحرقه، والشهاب شعلة نار ساقطة لها بريق لامعة، واستراق السمع اختلاسه سرّاً شبّه به خطفتهم اليسيرة من الأحوال الكثيرة لسكان السماء لما بينهم من المناسبة المقتضية للإعلاء إلى جهة الهواء.

وعن ابن عباس: إنهم كانوا لا يحجبون عن السموات السبع فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ مُنِعوا بالشهب من كلها[1].

قال جنيد: قلوب العباد محفوظة من نزعات الشيطان بالتأييد الإلٰهي فمنها ما كانت محفوظة بالمعرفة ومنها ما كانت محفوظة بالنجاء والاستقامة ومنها ما كانت محفوظة بلا حول ولا قوة إلا بالله. وقال بعضهم: زين السموات بالكواكب والبروج وجعل فيها علامات لمن يهتدي بها في ظلمات البر والبحر وزين القلوب باطّلاعه عليها وأنواع الأنوار ليهتدي بتلك الأنوار إلى مقامات المعرفة وأن يهتدي بها مَن كان بصيراً مفتوحاً عين فؤاده إلى النظر إليه نظر العيان والمشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أن النجوم للشياطين رجوم إذا راموا أن يسترقوا السمع المعلوم والمفارق في القلوب والعقول نجوم ثم هي أيضاً للشياطين رجوم فلو دنا إبليس وجنوده من قلب ولي من أولياء الله وحزبه أحرقته بل محقته نجوم عقله وأقمار علمه وشموس توحيده، وكما أن نجوم السماء زينة للناظرين إذا لاحظوها فقلوب العارفين زينة للملائكة إذا نظروا إليها.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الآية 19] بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 19] جبالاً ثوابت مثبتة ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ [الآية 19] أي في سهلها وجبلها ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الآية 19] مما له وزن في أبواب النعمة وأسباب المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين أرض العبادة وقلوب العارفين أرض

(1) أورده القرطبي في تفسيره (10/ 10)، والبغوي في تفسيره (4/ 372)، وأبو السعود في تفسيره (5/ 71).

المعرفة وأرواح المشتاقين أرض المحبة والخوف والرجاء لها رواسي. ويقال: من الرواسي التي أنبتها فيها الأولياء الذين هم أوتادها بهم البلاء عن الخلق يرفع وهم الغياث / فإذا وقع للناس منهم قالبهم الفزع. ويقال: من 104/ أ الرواسي العلماء الذين بهم قوام الشريعة فالذين هم علماء الأصول فيهم قوام أصل الدين وبإلفتها نظام أحكام الشرع المبين. وقال بعضهم:

وا حسرتا من فراق قوم هم المصابيح والعيون والمزن

والمدن والرواسي والخير والأمر والسكون. وكما أثبت في الأرض متون النبات من الزروع والأشجار أنبت في القلوب صنوفاً من الأثمار والأنوار والأنهار فمن ذلك نور اليقين ونور العرفان ونور الحضور ونور الشهود ونور التوحيد إلى غير ذلك من الأنوار أي التي من جملة أسرار الأبرار.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الآية 20] من المطاعم والملابس تعيشون بها وتتنعمون منها ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الآية 20] أي عطف على معايش، يراد به العيال والخدم والمماليك والحشم ومما ير ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنّاً كاذباً منهم فإن الله يرزقهم وإياهم وكذلك الآية وتحصيلها مع ما قبلها هو الاستدلال على غاية قدرته ونهاية حكمته والتفرد في ألوهيته بجعل الأرض ممدودة بمقدار معين وشكل مبين مختلفة الأجزاء في وضع البناء ومحدثة فيها أنواع النبات وأصناف النماء متفاوتة في الخلقة والطبيعة مع تجويز العقل خلاف هذه الهيئة ليتأملوا في ذلك ويوحِّدوه ويعبدوه لما هنالك. واستنبطوا منه أن القادر على ما ذكر ابتداء قادر على ما يريده من البعث وغيره، انتهى.

وأفاد الأستاذ: أن سبب عيش كل أحد مختلف، فعيش المريدين بيمين إقباله، وعيش العارفين بلطف جماله، وعيش الموحِّدين بكشف جلاله، كل مربوط بحاله، وكل يصيب من إفضاله، والحق منزه عن التجمُّل بأفعاله.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الآية 21] أي وإن من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وإظهاره أضعاف ما وجد منه من آثاره، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ [الآية 21] من بحر القدرة ونهر الإرادة ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الآية 21] عيّنته الحكمة وبيّنته المشيئة، فإن تخصيص بعضها بالإيجاد فيما بين العباد والبلاد بخصوص بعض الأوقات على بعض / الصفات والحالات لا بد له 104/ ب
من تخصيص حكيم ومقدِّر عليهم كما قال في كلامه القديم: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:الآية 96].

قال السلمي: كان جنيد إذا قرأ هذه الآية وعنده المريدون يقول: فأين تذهبون. وقال رجل لأبي حفص: أوصني، قال: يا أخي احفظ باباً واحداً تنفتح لك الأبواب، والزم سيداً واحداً تخضع لك الرقاب.

وأفاد الأستاذ: أن خزائنه في الحقيقة مقدوراته وهو سبحانه قادر على كل ما هو موهوم لمحدثاته. ويقال: خزائنه في الأرض قلوب العارفين بالله الفارغين عما سواه وفي الخزانة جواهر من كل صنف باهر فحقائق العقل جواهر وضعها في قلوب أقوام ولطائف العلم جواهر وبدائع المعرفة جواهر فأسرار العارفين مواضع سره والنفوس خزائن توفيقه والقلوب خزائن تحقيقه واللسان خزائن ذكره، والجنات خزائن شكره، والأركان خزائن بره. ويقال: مَن عرف أن خزائن الأشياء عند رب السماء تقاصرت خطاه عن التردد إلى منازل الخلق في طلب الرفق وعن الطواف في الآفاق من جهة الرزق وينقطع آماله عن غير الله وينفرد قلبه لمولاه ويتجرّد عن التعلق بما سواه، ثم من عرف القسمة طرب واستراح عن كد الطلب فإن المعلوم لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص في المقدر. ويقال: أراح قلوب الفقراء عن تحمل المنَّة عن الأغنياء في الإعطاء وأراح الأغنياء عن مطالبة الفقراء ما منهم شيئاً من العطاء فليس للفقير صرف القلب عن الرب إلى أحد ولا اعتقاد منه، لا حد للغني تقليد منه لأحد إذ الملك كله لله والأمر بيد الله ولا قادر على الإبداع إلا الله.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الآية 22] حوامل لسحائب الأمطار شبه الريح الذي جاءت مبشرة بخبر خير سار لخاطر من إنشاء سحاب ماطر بالحال كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم الحائل. وقرأ حمزة بإفراد الريح على تأويل الجنس ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 22] من السحاب أو من جهة السماء ﴿مَآءً﴾ [الآية 22] أي طهوراً

مباركاً ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الآية 22] جعلناه سقياً لكم أجمعين ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
105/ أ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الآية 22] متمكنين/ من إخراجه، نفى عنهم ما أثبته لنفسه كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها إلى الأرض وإبقائه فيها، وما أنتم عليه بقادرين لكونكم عن رزقكم عاجزين، فما نافية ويحتمل أن تكون موصولة أو موصوفة معطوفة على ما، فخازنين بمعنى حافظين في الغدران والآبار والعيون من الأرضين.

وقال الأستاذ: كما أن الرياح في الآفاق مقدورات للمطر كذلك الآمال في القلوب من مبشرات الخواطر. ويقال: إذا هبت رياح التوحيد على الأسرار كشفت عن آثار السرير غيار الأغيار فلا للخلاف فيها أثر ولا عن العلائق لها خبر. ويقال: إذا هبت رياح العناية على أحوال عبد عادت مساوئه مناقب ومثالبه محاسن. قلت: كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفُرقان:الآية 70] من يكون عكسه في الحالات فكل محاسنه عيوب، كما قيل:

مَن لم يكن للوصال أهلاً فكل طاعاته ذنوب[1]

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الآية 22] كذلك يجعل الحق سبحانه لأوليائه ألطافاً معلومة معروفة لأوقات معهودة، ويجعل من شراب القلوب لكل قدراً معلوماً ووصفاً مفهوماً من شراب يسكر ومن شراب يحضر ومن شراب يصحي ومن شراب يمحو أو يفني كما قيل:

فصحوك في لفظي هو الصحو كله وسكرك من لحظي يبيح لك السكرا[2]

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ [الآية 23] بإيجاد الحياة بما فيهم الحياة الكاملة في بعض الأجسام القابلة ﴿وَنُمِيتُ﴾ [الآية 23] بإزالتها من أجزاءها الشاملة، وقد أوَّل الحياة بما يعم الحيوان والبيان ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الآية 23] الباقون إذا مات الخلائق أجمعون.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 166) وهناك اختلاف بلفظة واحدة: فكل إحسانه.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 78)، وعنده: يبيح لك الشربا.

قال الواسطي: نحيي من نشأ بنا ونُميت مَن نشأ عنَّا.

وقال الخراز: الحي من العباد من بالحق حياته والميت منهم من ببقائه حركاته وسكناته. وقيل: يحيي القلوب بمشاهدة الأنوار ويُميت النفوس بالحجب والأستار.

وقال الأستاذ: نحيي القلوب بالمشاهدة ونُميت النفوس بالمجاهدة. ويقال: يحيى المريدين بِذِكْرِهِ ويميت الغافلين بهجره، / أو يُحيي قوماً بموافقة 105/ ب
الأمر في الطاعات ويُميت قوماً بمتابعة النفس في الشهوات، أو يحيي قوماً بأن يلاطفهم بلطف كماله ويُميت قوماً بأن يحجبهم عن نيل أفضاله.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] من استقدم ولادة ووفاة من استأخر وجوداً وشهوداً، ومن خرج من أصلاب الرجال ومن تأخر عن هذا الحال، أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة من العباد أو تأخر حاله في العلياء من العباد لا يخفى علينا شيء من حقائق أعمالكم ولا كيفية من دقائق أحوالكم. قيل: إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف سيد الأنبياء، فتقدَّم بعض الملأ ينظر إليها وتأخر آخر لئلا يطلع عليها، فنزلت. قال ابن عطاء: من القلوب قلوبٌ همتها مرتفعة عن الأدناس والنظر إلى الأكوان فضلاً عن الناس، ومنها ما هي مربوطة مقترنة بالانحباس لا ينفك عنها طرفة عين من الأنفاس. قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24]، وقال بعضهم: عرفنا الراغبين فينا والمعرضين عنا.

وقال الأستاذ: العارفون مستقدمون بهممهم والقائدون مستقدمون بقدمهم والتائبون مستقدمون بندمهم وأقوام مستأخرون بقدمهم وهم العصاة، وآخرون مستأخرون بهممهم وهم الراضون بخسائس الحالات.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 25] أي يجمعهم ويبشِّرهم للحساب والثواب والعقاب ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ [الآية 25] باهر الحكمة في خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 25] أي خلقهم لأجله.

وأفاد الأستاذ: أنه / سبحانه يبعث كلاً في العقبى على الوصف الذي 106/ أ

خرج عليه من الدنيا فمن منفرد القلب بربّه على نعت الجمعية السرية، ومن مقطوع في أودية التفرقة البشرية، ثم يحاسبهم على ما يستوجبونه من أحوال العبودية أو على ما يقتضيه من نعوت الربوبية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الآية 26] أي أصله المتفرع عليه نسله وفضله وهو آدم عليه السلام أو عبّر عنه به كأنه جملة الأنام ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الآية 26] طين يابس يصلصل أو يصوِّت إذا نُقِر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ [الآية 26] كائن من طين أسود معين ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [الآية 26] مصور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لئلا تعجبهم حالتهم ويقال لهم القيامة في التربية لا لتربة والنسبة تربة لكن الصفة قربة.

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ [الآية 27] أي أبا الجن أو إبليس أو أُريد به الجنس وانتصابه بفعل تفسيره ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 27] قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الآية 27] من نار الحر التام النافذ في المسام وهو باعتبار العنصر الغالب كغلبة التراب الإنساني في الغالب، ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال القدرة المتعلقة بالخلق في ابتداء الإنشاء فهو للإشارة إلى المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر من قبول لمواد الجمع وإعادة الإحياء.

وأفاد الأستاذ: أن النار إذا انطفأت صارت رماداً لا يجيء منه شيئاً أبداً والطين إذا انكسر عاد إلى ما كان عليه أولاً، كذلك العدوي انطفىء ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة لم يتخير بعده، وآدم عليه السلام لما عثر خيره ما العناء به كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه:الآية 122].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الآيتان 28،29] عدّلت خلقته وهيّأته لنفخ الروح في هيكله وهيبته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الآية 29] بمقتضى أمري فاجتمع في آدم جميع ما يوجد في العالم من الخلق والأمر مع زيادة خصوص من الإضافة التشريفية المشيرة إلى إرادة الحالة التكثيفية كما يقتضينا نسبة العبودية إلى الربوبية ﴿فَقَعُوا لَهُۥ﴾ [الآية 29] أمر من وقع يقع، أي فاسقطوا لأجله من حيث إنه نسخة جامعة لمظهر كماله من

ظهور جماله وجلاله ﴿سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 29] لله شكراً له فيما أبداه فصار آدم قبلة للملائكة في تلك الساعة كالكعبة فلا سجود إلا لله ولا معبود سواه.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ [الآية 30] أي جميعهم ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 30] وهم مجتمعون، فأكد بالكل للإحاطة وبأجمعون للدلالة على وقوع السجدة دفعة واحدة ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 31] لكنه ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية 31] حيث لم يكن في علم الله من الشاهدين.

قال أبو عثمان: فتح الله أعين الملائكة بخصائص آدم عليه السلام وأعمى عين إبليس عن مشاهدة ذلك المقام فرجعت / الملائكة إلى حال 106/ب
الاعتذار وقام إبليس في منهج الاحتجاج ومقام الاستكبار.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لاحظوه بعين الخلقة فاستصغروا قدره وحاله فقضوا العجب من أمره لهم بالسجود له فكشف لهم شظية مما اختصه به فسجدوا له لما أُمروا واللعين حجب عن حاله وماله فادعى الخيرية وبقي في ظلمة الحيرة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ [الآية 32] أي أي غرض لك معي أن لا تكون ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ [الآيتان 32،33] أي لا يصح من مقامي بل ينافي مرامي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ﴾ [الآية 33] جسماني كثيف وأنا ملك روحاني لطيف ﴿خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الآية 33] وهو أخسّ العناصر وأدناها وخلقتني من نار وهي أشد منها وأعلاها، استنقص آدم باعتبار النوع والأصل ولم يرَ ما أودعه ربّه من أسرار القرب والوصل فنظر إلى الصدق وغفل عما فيه من رد الشرف.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الآية 34] من الجنة العالية أو الصورة الملكية ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الآية 34] مطرود من رحمة مَن هو كريم رحيم.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ [الآية 35] الطرد من الرحمة والبُعد عن الحضرة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية 35] وهو وقت جزاء المقرّبين والمُبعدين.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ [الآية 36] أي إذا لعنتني فأخِّرني في حياتي وأمهلني في عقوبتي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 36] أراد أن يجد وسعة في الإغواء وفسحة في الفناء إذ لا موت بعد وقت البعث، فأُصيب إلى الأول دون الثاني.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الآيتان 37،38] المسمى فيه أجلك عند الله سبحانه وتعالى وهو النفخة الأولى، وهذه المخاطبة إن لم تكن بواسطة إنما هي على سبيل الإهانة، فقد قال بعض أهل المعرفة لو كتب له السعادة لقال: أنظر إليّ، بدل: أنظرني.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سأله ومعلوم له حاله ولو ساعدته المعرفة لقال: لا تقل لي ما لك وما منعك بل مَن منعك حتى أقول: أنت عزيزي حيث استبقيتني وبهواك أغريتني ولو رحمتني لهديتني وفي كنف عصمتك
107/أ آويتني ولكن الحرمان / أدركه حتى قال: لم أكن لأسجد لبشر، ولما أبعده الحق سبحانه عن معرفته وأفرده بلعنته استظهره إلى يوم البعث فأجابه، وظنَّ اللعين أنه حصل في الخير مقصوداً مديداً، أو لم يعلم أنه ازداد بذلك عذاباً شديداً وكان ذلك في الحقيقة مكراً مكيداً وإن كانت إجابة السؤال في صورة الحال لشبه العطاء وبراً أكيداً. وبعض أهل الرجاء يقول: إن الحق سبحانه في حين ما لعن عدوه ولم يرده في دعائه في الإمهال ولم يمنعه من الاستنظار فالمؤمن إذا أمره ربّه بالاستغفار ورسوله بالافتقار أوْلى أن لا يقنط من رحمته وهذا وإن كان شيئاً في صورة المعنى فالذي ذكرناه أليق وأوْلى بالمعنى لأن إنظار اللعين زيادة شقاء لا تحقيق عطاء.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الآية 39] قيل: الباء سببية، والأصح أنها قسمية وما مصدرية، والمعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية 39] المعاصي ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 39] أي في أرض الدنيا التي هي دار الغرور ومنبع الشرور أو في متعلقات الأمور السفلية والشهوات البهيمية المانعة من الدرجات العلوية والمقامات العلية البهية ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 39] أي لأتسبب في إغوائهم فإنه لو قدر على إغواء غيره لاستبقى على هداية نفسه ورعاية أمره.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] الذين أخلصتهم لطاعتك

وطهّرتهم من شوائب معصيتك فلا يعمل فيهم كيدي بناء على عصمتك.

قال أبو حفص: المخلص من لا يخالف سيده ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص هو بصيغة الأعمال عن الغير وعن الآفاق المانعة عن صلاح الأحوال. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث جاء: الذين أخلصوا نفوسهم من السمعة والرياء وابتغوا في طاعتهم وصول الرضاء وحصول البقاء واللقاء.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية 41] التخليص ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ [الآية 41] طريق حق عليَّ أن أراعيه ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 41] لا انحراف عنه لمن كان راعيه أو هذا الإخلاص طريق عليَّ يؤدي إلى الوصول إليَّ. وقرأ يعقوب: عليّ من علو الشرف والرفعة.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 42] تسلُّط وطغيان ولا إغواء
107/ ب وبرهان، والمقصود تقرير عصمتهم / وهدايتهم وانقطاع مخالب الشيطان عن طمع غوايتهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الآية 42] أي الذين اختاروا الغواية وتركوا الهداية واشتروا العقوبة بالمغفرة.

وأفاد الأستاذ: أن السلطان الحجة وهي لله على خلقه وليس للعدو حجة في أمره كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:الآية 149]. والسلطان التسلُّط والمخلوق لا يتعدى مقدوره محل قدرته فلا تسلُّط في الحقيقة لمخلوق على مخلوق بالتأثير فيه وفي حالته، وإذا سمي الله واحداً بالعبودية فهو من جملة الخواص فإذا أضافه إلى نفسه فهو خاص الخاص فهؤلاء خواص عباده الذين محاهم عن شواهدهم واختطفهم عنهم وصانهم عن أسباب تفرقتهم وجردهم عن حولهم وقوتهم وكان النائب عنهم في جميع تصرفاتهم ومجموع حالاتهم يحفظ عليهم آداب الشرع الشريف ويلبسهم صدار الاختيار في أوان أداء التكليف ويأخذهم عنهم باستهلاكهم في شهوده واستغراقهم في وجوده فأي سبيل للشيطان إليهم، وأي يد للعدو عليهم، ومن أشهده الحق حقائق التوحيد ورأى العالم مصرفاً في قبضة التقدير على نعت

التقرير لم يكن نهباً للأغيار، قال قائلهم:

ليس في الدار غيره دياراً

وقد قالوا في معناه:

جحودي لك تقديس وعقلي فيك تهويس
فمن آدم لولاك ومن في البين إبليس[1]

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ [الآية 43] أي لموعد الغاوين أو المتبعين أو لموعدك وإياهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 43] تأكيداً وحال بمعنى مجتمعين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الآية 44] يدخلونها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها لتفاوت مراتبهم في متابعتهم وهي جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية وهي أسقمها، كذا في «الدر المنثور»[2]. ولعل تخصيص العدد لأن أهلها سبع فرق ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 44] من الأتباع ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الآية 44] نصيب معلوم فأعلاها لعصاة الموحدِّين وأسفلها للمنافقين وما بينهما لليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين. وقرأ أبو بكر بضم الراء.

108/ أ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 45] من الكفر/ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 45] لكل واحد جنة وعين، أو لكل منهم عدة منهما. قال الواسطي: من اتقى للعوض جعل ثوابه عليه ما يرجوه ويأمله ومن اتقى لا لعوض فالحق عوض له من كل ثواب وبدله.

وأفاد الأستاذ: أن المتقي من وقاه الله بفضله لا مَن اتقى بتكلُّفه في فعله إلا بعد أن وقاه الله سبحانه بفضله فهم اليوم في جنات بعضها أرفع من بعض في الدرجات كما أنهم غداً في جنات بعضها فوق بعض في الدرجات فدرجة قوم حلاوة الخدمة ولذاذة الطاعة ولقوم البسط والراحة ولآخرين الرجاء والرغبة ولآخرين الإنس والقربة ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة:الآية 60] ولذا لِكل قوم مذهبهم.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 88).
(2) شعب الإيمان للبيهقي (1/ 347)، تفسير الطبري (17/ 107) والدر المنثور (5/ 81).

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الآية 46] سالمين أو مسلّماً عليكم من ربّ العالمين أو الملائكة المقرّبين ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 46] من الزوال وتحويل الحال.

وأفاد الأستاذ: أن معناه يقال لهم ادخلوها وأجمل ذلك ولم يقل من الذين يقول لهم ادخلوها فقوم يقول لهم الملَك ادخلوها، وقوم يقول لهم الملِك ادخلوها، ويقال: إذا وافوا الجنة وقد قطعوا المسافة البعيدة وقاسوا الأمور الشديدة فمن حقهم أن يدخلوا الجنة خاصة وعلموا أن الجنة لهم مباحة ولعلهم يقفون حتى يقال لهم ادخلوها ويقال: يحتمل أنهم لا يدخلونها بقول الملك حتى يقول لهم الحق ادخلوها، كما قيل:

ولا ألبس النعمى وغيرك ملبس ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب[1]

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ [الآية 47] حقد وغش كان لهم في الدنيا من جهة الدين أو الأخرى. وعن علي رضي الله عنه: أرجوا أنا عثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم[2] أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القربة ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ [الآية 47] حال كونهم كالإخوان المتحابين مجتمعين موصوفين بأنهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 47] قال أبو حفص: كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واجتمعت على محبته واتفقت على مودّته وأنست بذكره واطمأنت بشكره إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخواناً على سرر متقابلين.

﴿لَا يَمَسُّهُمۡ/ فِيهَا نَصَبٞ﴾ [الآية 48] لا يصيبهم فيها تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الآية 48] فهم دائمون في طرب لا يلحقهم ذل الزوال وتغير الحال بل هم بدوام عن الوصال على وجه الكمال. 108/ ب

﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 49] للمسيئين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 49] للمطيعين.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 91).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ بلفظ مختلف ـ في المستدرك (3/ 424) رقم (5613).

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الآية 50] للمجرمين مع ما لهم من الحجاب المقيم.

قال ابن عطاء: أقرّ عباده بين الحقوق والرجاء ليصح لهم سبيل الاستقامة في إقامة الإيمان والطاعة فمن غلب عليه خوفه أقنطه وأبطله.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١﴾ [الآية 51] أي أخبرهم عن خبرهم المشتمل على وعدهم ووعيدهم في عاقبة أمرهم.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الآية 52] أي نسلّم عليك سلاماً، أو سلَّمنا سلاماً، قال: أي سلام كما في آية أخرى، وقدَّم لهم الطعام فلما رأى امتناعهم من تناول المرام أضمر في نفسه خيفة من هيبة ذلك المقام ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الآية 52] خائفون، والوجل اضطراب النفس لتوقُّع ما يُكره في المستقبل.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [الآية 53] من التبشير، وقرأ حمزة نبشرك من البشارة ﴿بِغُلَـٰمٍ﴾ [الآية 53] وهو إسحاق لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ﴾ [هُود:الآية 71]، ﴿عَلِيمٍ﴾ [الآية 53] أي إذا بلغ، والمعنى أنه يعيش إلى حد العلم فكانت البشارة بالولد وبقائه إلى مرتبة العلم والحلم.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [الآية 54] يعجب من أن يولد له مع بلوغ الكبر على أنه وقت العبر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الآية 54] أي فبأي أعجوبة تبشروني فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة غريبة وحالة عجيبة. وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة على إدغام نون الجمع في نون الوقاية. ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين واستدلالاً بإبقاء نون الوقاية على الياء.

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 55] بالأمر الثابت لا محالة في وقوعه أو باليقين الذي لا لبس في حصوله أو بطريق هو حق من قول الله وأمره ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ [الآية 55] أي الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر أن يخلق بشراً من غير أب وأم فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر.

ولما كان استعجاب إبراهيم باعتبار العادة دون القدرة ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] المخطئون طريق المعرفة وكمال/ 109/أ
العلم والقدرة. وقرأ أبو عمرو والكسائي: يقنط بالكسرة.

قال الجوزجاني: أيام الكبر أيام القنوط من الدنيا والإقبال على الأخرى وما عند المولى، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لم يقبل بشرى الولد من الملائكة عند الكبر إلى أن ذكروا له أن البشرى من الله تعالى فزال عنه القنوط لعلمه بقدرة الله على الأشياء.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] ما شأنكم الذي أُرسلتم لأجله سوى البشارة لأنه رآهم على هيئة مخالفة لسمة الطائفة المبشرة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] يعني إلى إهلاك الكافرين من قوم لوط.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الآية 59] إلا آل لوط من بناته ومَن آمن بنبوَّته ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 59] بما تعترضهم به المجرمين. وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [الآية 60] استثناء من آل لوط ﴿قَدَّرْنَآ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو بكر بالتخفيف، والمعنى قضينا وقلنا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 60] الباقين مع المجرمين المعذّبين، وأصل التقدير جعل الشيء على مقدار غيره وإسناد الملائكة للتقدير إلى أنفسهم مع أنه فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص به ولما وقع لهم من الإذن والأمر فيه.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الآيتان 62،61] وإنما نكرهم لأنه لم يجدهم على صورة البشر وتفرّس فيهم على الجملة أنهم جاؤوا لأمر متضمن للبشر.

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] يشكّون من العذاب، والمعنى ما جئناك بما ينكرون لأجله ظنّاً أنّا نضرك بل جئناك بما يسرك ويتشفى لك من عدوك ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 64] باليقين الصدق ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية 64] أي بالحكم الحق.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 65] وقرأ الحرميان بهمز وصل أي اذهب بهم ﴿بِقِطْعٍ مِنَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 65] في طائفة منه ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الآية 65] أي كن على آثارهم تزودهم وتُسرع بهم وتطّلع على أحوالهم وأخبارهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [الآية 65] لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم. وقيل: نهوا عن الالتفات بالمرة ليوطنوا أنفسهم عن الهجرة ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الآية 65] أي إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه من الشام أو مصر فإنَّا منجوك
109/ب وأهلك إلا امرأتك فإنما نعذبها لمشاركتها مع قومك/ في الكفر والمعصية.

قال الأستاذ: وكانت تدل قومها على أضيافه فاستوجبت العقوبة.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 66] أي وقدرنا موجباً إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 66] مبهم تفسيره ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الآية 66] والمعنى أنهم مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى أحد منهم حال كونهم داخلين في الصبح وجمعه للحمل على المعنى فأدابر هؤلاء بمعنى مدبريهم وفي الإيهام أولاً والتعيين آخر تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه.

وقال الأستاذ: أي علمناه وعرَّفناه أنهم مهلكون وبالعقوبة مستأصلون.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 67] قرية قوم لوط وهي سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 67] بأضيافه طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] أي فلا تتعرضوا لهم فتفضحوني بفضيحة ضيفي فإن من أُسيء إلى ضيفه فقد أُسيء إليه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 69] بِمخالفة أمره ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الآية 69] لا تخجلوني في خلاف حكمه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 70] أي قومه ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 70] عن أن تحمي أحداً منهم أو تمنع بيننا وبينهم.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ [الآية 71] يعني نساء قومه فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم فتزوجوهن ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 71] قضاء الحاجة فلم ينجح فيهم ولم يتأثر لهم وعظه فأخبروه أنهم ملائكة أو شكوا لعقوبتهم.

وظاهر القرآن أن قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72] من همة كلام الملائكة خطاباً للوط عليه السلام لكن الجمهور على أن الخطاب لنبينا ﷺ من الله تعالى على أنها جملة تسمية معترضة بين أجزاء القصة. فقد روى البيهقي وابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس أنه قال: ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد قال ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72]. وقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً مثله[1]، والتقدير ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الآية 72] تسمى وهو لغة في العمر يختص به القسم إيثاراً للأحقية فيه لكثرة دورانه على ألسنتهم وجوابه ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ [الآية 72] أي في سكرة غفلتهم وغمرة غوايتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 72] يتحيّرون فلا يسمعون نصحك ولا يعقلون وعن سكرهم لا يقلعون.

قال الثوري: لعمرك أي بالحياة التي خصصت بها من بين الخلق فحيوا بالأرواح وحييت بي / فبقاؤك متصل ببقائي لأنك باق بي. وقال بعضهم: 110/أ
لعمارة سكرك بمشاهدتنا وقطع نظرك عن جميع مكوناتنا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الآية 73] أي صيحة جبريل أو غيره من الملائكة أو صيحة هائلة ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الآية 73] حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس أي فبينما هم في حيرة سكرتهم وغفلة زعمهم لا يرتقبون عقوبة ولا يخافون مساءة أخذتهم العقوبة فباتوا في حيرة وسرور وأصبحوا في محنة وثبور فانهدمت صفوفهم وخرّت عليهم سقوفهم كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ [الآية 74] عالي المدينة ﴿سَافِلَهَا﴾ [الآية 74] بأن صارت منقلبة بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية 74] من طين متحجر معرب (سنك كل) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الآية 75] المتفرسين المتفكرين بنظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته على حسب خبرهم. والمعنى أن في ذلك لعبرة واضحة لمن اعتبر ودلالة لائحة لمن استبصر، وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى»[2]

---

(1) الدر المنثور (5/ 90).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 312) رقم (3254)، وفي المعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497).

رواه البخاري في تاريخه.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير: المتفرسين والفراسة خاطر يحصل من غير أن يعارضه ما يخالفه من غير ظهور برهان عليه فيخرج من القلب عين ما يقع لصاحب الفراسة اشتقاقاً من فريسة الأسد إذا افترسه بفمه، والحق سبحانه يُطلع أوليائه على ما خفي على غيرهم، وصاحب الفراسة لا يكون من شرطه التفرُّس في جميع الأشياء وفي جميع الأوقات بل يجوز أن ينسد عليهم عيون الفراسة في بعض أوقات المكروه كالأنبياء عليهم السلام وأن نبينا ﷺ كان يقول لعائشة رضي الله عنها في زمان الإفك: «إن كنت فعلت فتوبي إلى الله»[1]، وكإبراهيم ولوط عليهما السلام لم يعرف الرسل. قلت: وكيعقوب عليه السلام لم يشم ريح يوسف من يد كنعان وشمّها من مصر وبينهما مسافة بعيدة من المكان ﴿وَإِنَّهَا﴾ [الحجر:الآية 76] المدينة ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:الآية 76] سابق يسلكه المارون عليها ويرون آثارها مما نسب إليها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] لأنهم في علم الله من المتقين.

110/ ب ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الآية 78] / الأيكة الغيضة وهي بقعة كثيرة الأشجار الملتفة كان قوم شعيب يسكنونها فبعثه الله إليهم فظلموا أنفسهم بتكذيبه بالظلة كما في سورة الشعراء، والمعنى ما كانوا إلا ظالمين بالكفر والمعصية ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 79] أي انتصرنا منهم بالعقوبة وأتمها بسدوم أو الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثاً إليها فكان ذكر أحدهما منبهاً عن الآخر منهما، ولذا قال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 79] لبسبيل واضح ودليل لائح من قصده بيّنته أمه عينه.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ [الآية 80] وهو وادٍ بين المدينة والشام كان يسكنه قوم ثمود ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 80] أي صالحاً ومن كذّب واحداً من النبيِّين فكأنما كذبهم أجمعين.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 81] التي كانت معجزة كناقة صالح وغيرها ﴿فَكَانُوا۟

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 102).

عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 81] مغترين بطول مدتهم وتأخير عقوبتهم.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الآية 82] من الأسراب، وكانوا عند أنفسهم وفي زعمهم ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 82] من العذاب لفرط غفلتهم أو لظنّهم أن الجبال تحميهم منك كما غرتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الآيتان 83،84] من البيوت الوثيقة واستكثار العدة حيث جاءتهم الصيحة بغتة فلم يغني حين حلّ عليهم حيلتهم حيلة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 85].

قال الأستاذ: دل على أن اكتساب العباد مخلوقة لله لأنها مما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 85] خلقاً مكتسباً بالصدق الذي لا يلائم استمرار الفساد ودوام شر العباد في البلاد فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك هؤلاء بأنواع البلاء وإزاحة فسادهم بما جرى به القضاء أن يقع في الحالة الماضية ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ [الآية 85] أي ساعة القيامة ﴿لَآتِيَةٌ﴾ [الآية 85] فينتقم الله فيها لك ممن كذّبك ليزيد ثوابك ويعظم جنابك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الآية 85] فأعْرِض عنهم إعراضاً جميلاً لتنال بهم أجراً جزيلاً. قال علي: ليريه الله وجه الصفح هو الرضا بلا عقاب.

وأفاد الأستاذ: أن الصفح الجميل الذي لا تذكير للذلة فيه كما قيل:

تعالوا نصطلح ويكون منا   مراجعة بلا عدّ الذنوب(1)

أو هو الاعتذار عن الجرم والإقرار إن الذنب كان منك لا من / العاصي فيك كما قال قائلهم: فتذنبون فنأتيكم فنعتذر. 111/أ

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [الآية 86] الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 86] بحالك وحالهم.

(1) ربما يكون هذا البيت لعلي بن الجهم، انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم (1/ 105) ومحاضرات الأدباء (1/ 110).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ [الآية 87] سبع آيات وهي الفاتحة فإنها سبع آيات بالاتفاق غير أن منهم من عدّ البسملة آية دون أنعمت عليهم، ومنهم من عكس القضية ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الآية 87] ومن بيانية والمثاني من التثنية لأنها تكرر قراءتها في كل صلاة أو لأنها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة لما حوّلت القبلة، أو لأن نصفها يضاف إلى الحق ونصفها يضاف إلى الخلق كما ورد في حديث ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الآية 87] من عطف الكل على البعض فيكون تعميماً بعد تخصيص، أو من إطلاق الكل على البعض تفخيماً له وتعظيماً فيكون من عطف إحدى صفتي الشيء على الأخرى، ويدل عليه ما رواه البخاري وغيره مرفوعاً: الفاتحة أعظم سورة من القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم[1].

وأفاد الأستاذ: أن أكثر المفسرين على أنه سورة الفاتحة.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الآية 88] لا تطمح ببصرك طموح اختيار بل انظر نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 88] أصنافاً من كفار وفجّار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته من الحالات والمقامات فإنه كمال مطلوب بالذات مفضي إلى دوام اللذات. وعن الصديق رضي الله عنه حين أوتي القرآن ورأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً[2]. وروي أنه ﷺ وافى بأذراعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها ولأنفقناها في سبيل الله، فقال ﷺ: «لقد أُعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع»[3] يعني قراءتها مع التأمُّل في مبانيها والتأمُّل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها، بل لا مناسبة من الأحوال الباقية والأموال

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4474)، والحاكم في المستدرك (1/ 744) رقم (2048)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 317)، وابن حبان في الصحيح (3/ 56) رقم (777).

(2) أورده الرازي في تفسيره (9/ 334) والزمخشري في كشافه (3/ 324) وانظر تخريج الأحاديث والآثار (2/ 217).

(3) انظر تفسير الرازي (9/ 334)، وتفسير النيسابوري (4/ 497)، والكشاف (3/ 324) وتفسير البيضاوي (1/ 381).

الفانية، كما قيل:

/ رضينا قسمة الجبّار فينا لنا علم وللأعداء مال 111/ ب

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال[1]

وقال بعضهم: لا تنظروا إلى زينة أرباب الدنيا فإن بريق أموالهم تذهب بحلاوة إيمانكم للغفلة عن المولى.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: غار الحق على حبيبه أن يستحسن من الكون شيئاً فإن ذلك منفعة لا حاصل له في الحقيقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه غار على عينه أن يستعملها في النظر إلى غيره. ويقال: إذا لم يسلم له إشباع نظر ظاهره إلى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه إلى غير المولى. ويقال: أمر بعض بصره عما متع به الكفار في الدنيا فتأدب عليه السلام فلم ينظر ليلة المعراج إلى شيء مما أُري في أمر الأخرى وأثنى عليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النّجم:الآية 17]. وكان يقول لكل شيء رآه: التحيات لله، أي المُلك لله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 88] إنهم لم يؤمنوا.

وقال الأستاذ: أدّبه به حين لم يتغير بصفة أحد وهذا حال أهل التمكين ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 88] ألِن جنابك لهم وارفق بهم وتواضع في حقهم، وكان من غاية حسن خلقه ونهاية تواضعه أنه لو استعان به وليدة إلى مولاها في الشفاعة لمضى معها وتولى خدمة الوفد بنفسه تواضعاً لهم مع رفعة قدره وكمال أنسه.

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أُنذركم ببيان وبرهان إن عذاب الله نازل بكم إن لم تطيعوني بإيمان وعرفان.

---

(1) نسبت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر دواوين الشعر العربي (1/ 196)، والبعض نسبه إلى بعض الأكابر، انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (1/ 197)، ومسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ (581).

وأفاد الأستاذ: أنه لما لم يكن بنفسه وكان قائماً بحقه سلم له آت أن يقول إني أنا لاستهلاكك فينا سلمنا أن تقول إني أنا لما كنت بنا ولنا.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ [الآية 90] أي مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم، والمراد يعني بهم أهل الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الآية 91] أجزاءً وأبعاضاً في الدين اليقين فقالوا عناداً: بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما في التفسير والتأويل أو المشركين حيث قسّموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين.

112/ أ وقال الأستاذ: / قل إني أنا لكم منذر بعذاب كالعذاب الذي عذّبنا به المقتسمين وهم الذين تقاسموا بالله لنبيننه في قصة صالح عليه السلام. قلت: فيكون حينئذ قول الذين جعلوا القرآن عضين مبتدأ خبره ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الآيتان 92،93] من الكفر والمعاصي.

قال السلمي: وقيل يسألهم عن كل حركة وسكون في ماذا كانت حركاتهم ولماذا كانت سكناتهم.

وقال الواسطي: يطالب الأنبياء والأولياء بمثاقيل الذر ولسموّ رتبتهم ولا يطالب العامة بذلك ليعدمهم عن مصادر السر وحطّ همّتهم.

وأفاد الأستاذ: أن القوّام يسألهم عن نصيح أعمالهم والخواص يسألهم عن تصحيح أحوالهم. ويقال: يسأل قوماً عن حركات ظواهرهم ويسأل آخرين عن خطرات سرائرهم، ويسأل الصدّيقين عن تصحيح المعاني تشريفاً لهم، ويسأل المدعين عن تصحيح الدعاوي تعنيفاً عليهم منهم إليه.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الآية 94] أي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع أو فافرق بين الحق والباطل وميّز بين الحق والباطل ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 94] فلا تلتفت إلى ما يصدر عنهم ولا تنال بهم من وعدهم ووعيدهم.

وقال الأستاذ: أي كن لنا وقل بنا وإذا كنت بنا لنا فلا تحتفل بغيرنا وافرح بما خاطبناك وأفصح عما خصصناك وأعلن محبتنا إياك.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الآية 95] بك أو بكلامنا فتقمعهم بقهرنا وإهلاكنا ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الآية 96] عاقبة أمرهم في الدنيا والأخرى.

وقال الأستاذ: دفعنا عنك غاوية شرّهم ودرأنا عنك سوء مكرهم ونصرناك بموجب عنايتنا بشأنك فلا عليك فيما يقولون أو يفعلون أو يقرِّرون أو يعقلون فمحل العقبى إلا لك الظفر في الدنيا والعذر بالأخرى بعناية المولى.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 97] فينا أو فيك أو في كلامنا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 98] فنزِّهه عمَّا يقولون من الباطل حامداً له على أنْ هداك للحق ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية 98] سكناً لربّ العالمين أو مِنَ المضلين، وقيل من الخاضعين لقضائه المنقادين في بلائه.

112/ب وقال الأستاذ: /إن ضاق قلبك بسماع ما يقولون فيك من ذمّك فارتع بلسانك في رياض تسبيحنا والثناء علينا يكن ذلك سبباً لزوال ضيق قلبك وسلوة لك بما تذكر من جلال قدرنا وتقدُّسنا في استحقاق عزّنا.

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الآية 99] أي الموت بإجماع المفسِّرين، وسُمِي به لتيقُّن كل حي مخلوق لحاقه به أو لأن عين اليقين لم تتصور إلا بمعاينة الموت المبين. والمعنى فاعبده ما دامت فيك من الحياة بقية ولا تخلّ بالعبادة لحظة خفية. وليس المعنى أن العبادة معبّأة بوصول اليقين ومقام المشاهدة كما يتوهمه بعض الزنادقة والملاحدة.

قال ابن عطاء: لم يرض من نبيه ﷺ لمحة عين إلا في عبادته. وقيل: واعبده انقطاعاً إليه واعتماداً عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله ﷺ وتولى إضلال من أضلّه وهداية مَن هداه.

وأفاد الأستاذ: أن معناه قف على بساط العبودية معتنقاً للخدمة إلى أن تجلس على بساط القربة وتطالب بآداب الوصلة. ويقال: التزم شرائط العبودية إلى أن ترقى بل تلقى بصفات الحرية. ويقال: إن أشرف خصالك قيامك بحق العبودية لأنه عين الإباء عبدها فإنه أشرف أسمائنا، ويقال: كن عبدنا تكن عندنا.

سورة النَّحل

[مدنية، وقيل: مكيَّة]
وهي مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن ألف الوصل في بسم الله لم يكن لها في التحقيق أصل اجتلبت للحاجة إليها للتوصل بها إلى المنطق بالساكن فإذا وقع المعنى عنها أسقطت في الأدراج ولكن كان لها بقاء في الخط كذا من لا أصل له كلما ازداد صحبة استأخر رتبة، وأنشدوا:

أدرجت في أثناء نسيانكم حتى كأني ألف الوصل[1]

ويقال: سبب للألف في قولهم قتلوا وفعلوا، وأي موجب لحذف الألف من السموات طاحت العلل في الفرق وليس إلا الاتفاق في الوضع
113/أ كذلك الإشارة في أرباب الرد والقبول من المريد، قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ/ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود:الآية 107].

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1] كأن يستعجلون ما أوعدهم الرسول ﷺ من قيام الساعة أو تمام النصرة والغلبة ويقولون: لو صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتدفع عنا فنزلت إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 1] والمعنى أن الأمر الموعود به لتحقق وقوعه به كأنه أجابه فلا تستعجلوا بمجيئه فإنه يأتي في محله حينئذ لا خير لكم منه ولا مفر لكم عنه وهو سبحانه منزَّه عن أن يكون له شريك فيدفع مراده.

(1) نسب هذا البيت لأبي الفتح البستي. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 38).

وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على وفق قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1] والباقون بالغيبة على تلوين الخطاب والأقرب أن التقليب معتبر في الفعلين تخويفاً للنقلين لما روي أنه لما نزلت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية 1].

وأفاد الأستاذ: إن صيغة أتى للماضي والمراد منه الاستقبال ولكنه لسرعة ما يكون وكانوا يستبعدونه من أمر الساعة قال تعالى: ﴿أَتَىٰ﴾ [الآية 1] والمعنى سيأتي، ويريد بالأمر القيامة والكائنات كلها والحادثات بأسرها من جملة أمره، أي حاصل بأمر تكوينه وهو أمر من أموره لأنه حاصل بتقديره وتيسيره وقضائه وتدبيره مما يحصل من خير وشر ونفع وضر وحلو ومر فذلك من جملة أمره ينزل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يُنزِلُ﴾ [الآية 2] من أنزل والمعنى يُرسل ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [الآية 2] بالقرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهالة والضلالة أو يقوم في القلب مقام الروح في الغالب كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشّورى:الآية 52] الآية من أمره أي من أجله أو بأمره ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [الآية 2] أن يتخذهم رسلاً إلى بلاده ويقولون ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ [الآية 2] أي أعْلِمُوا ﴿أَنَّهُۥ﴾ [الآية 2] أي الشأن ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية 2] إشراك غيري ومخالفة أمري، وفي الآية دلالة على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله هو التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمالات القوة العلمية، / وأن النبوَّة عطية وهبية لا قضية كسبية. 113/ ب

قال ابن عطاء: الحدث من العباد من يكلمه الملك في سره ويطلعه على حقائق الغيوب ويفتح لروحه طريقاً إلى الإشراف على الموت، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [الآية 2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يُنزل الملائكة بالروح من أمره على الأنبياء والرسالة للتشريف وعلى أرباب التوحيد وهم المحدثون بالتفريق فالتفريق للأولياء من حيث الإلهام والخواطر وإنزال الملائكة على قلوبهم غير مسدودة

ولكنهم لا يؤمرون أن يتكلموا بذلك ولا يحملون رسالة إلى الخلق. وأراد بالروح الوحي والقرآن وفي الجملة الروح ما هو سبب الحياة، إما حياة القلب وإما حياة البدن.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] أي أوجدهما على أوضاع مختلفة وأشكال مؤتلفة قدّرها بقدرته وخصّصها بحكمته سبحانه ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 3] منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما ومما لا يقدر على خلقهما.

وأفاد الأستاذ: أنه خلقهما بقوله الحق وبحكمه الحق وخلقهما لأمر الحق من تكليف الخلق وما يعقب التكليف من الحشر والنشر والثواب والعقاب تقديساً وتنزيهاً أن يكون له شريك أو معه مليك.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 4] جماداً لا حسّ لها ولا حركة بها ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ [الآية 4] أي جنس الإنسان ﴿خَصِيمٌ﴾ [الآية 4] يجادل في الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ [الآية 4] للحجة الداحضة بقوله: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:الآية 78].

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى لإظهار حكمته تفرق إلى الغفلات بكمال قدرته حيث أخبر أنه قدر على تصوير الإنسان على ما فيه من التركيب العجيب والتأليف الغريب من نطفة مماثلة الأجزاء مشاكلة في وقت الإنشاء مختلفة للأعضاء في وقت الإظهار والإبداء والخروج من الخفاء ثم ما ركب فيه من التمييز والعقل ويسّر عليه النطق والعقل والتدبير والاستيلاء على الحيوانات بطريق التسخير كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ [الآية 5] أي الإبل والبقر والغنم واقتضائها بمضمر يفسره ﴿خَلَقَهَا﴾ [الآية 5]، وقوله
114/أ ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 5] يحتمل أن يتعلق بخلقها وما بعد تفصيل/ لمنافعها وأن يكون خبراً مقدماً أي ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ [الآية 5] ما يدفئ به فيقي البرد ما يصنع من صوفها ووبرها وشعرها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ [الآية 5] أخر من نسلها ودرها وظهرها وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 5] أي وتأكلون ما يؤكل منها من لحومها وشحومها

وألبانها، وللمحافظة على رؤوس الآي قدَّم منها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه منَّ عليهم بما أخبرهم وذكّرهم من خلق الحيوانات من النعم وما يسّر لهم من صنوف النعم ثم ما لهم فيها من الحمالة والانتفاع بها في جميع أحوالها من الحمل عليها عند قطع المسافات والتوسل بظهرها ونسلها ودرّها إلى الطلبات.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [الآية 6] زينة حال ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ [الآية 6] تردونها من مراعها بالعشي إلى مأواها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [الآية 6] تخرجونها بالغدو إلى مراعيها فإن الأفنية في الوقتين تتزين بها ويجلّ أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال أظهر فيها فإنها تقبل مالئة بطونها حافلة ضروعها وتأوي إلى حظائرها حاضرة لأهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [الآية 7] أحمالكم إن لم تكن جمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ [الآية 7] على ظهوركم ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [الآية 7] أو بكلفة ومشقة تقطع الأنفاس ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 7] حيث رَحِمَكُم بخلقها لانتفاعكم وسخّرها لكم وتيسير أمرها عليكم.

وأفاد الأستاذ: أن الغني له جماله بماله والفقير له استقلاله بحاله، فشتان ما هما، فالأغنياء يتجملون بأنعامهم حيث يريحون وحين يسرحون، والفقراء يستقلون بمولاهم حين يمسون وحين يصبحون وهو لا يحمّل أثقالهم جمالهم وهو لا يجمّل الحق عن قلوبهم أثقالهم ثم أقوام استعملهم فأحوالهم مقاساة الشدائد فيصلون سيرهم سيراً هم، وأقوام هم في حمل مولاهم مروحون عن كداء التدبير في تمشية الأمور مستريحون بشهود التقدير راضون باختيار الحق من العسير واليسير.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ [الآية 8] عطف على الأنعام وخلق الأجناس الثلاثة ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [الآية 8] ولتتزينوا بها، والمراد بالعلة إظهار الحكمة فإن أفعال الله تعالى ليست معلّلة عن التغني في الأسباب ﴿وَيَخْلُقُ/ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ 114/ ب

[الآية 8] بالعلوم العادية من الحيوانات البرية والبحرية، وفيه إشعار بأن له ما علم لنا به من البرية، وجوز أن يكون المراد بهذا الإخبار ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر عن قلب بشر من الأخيار والأشرار.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الجنة كما يجدون في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأرباب الحقائق اليوم يجدون ما لا يخطر لهم قط ببال ولا قُرئ في كتاب ولا سمعوا من أستاذ، والتكليف كالإحاطة بما أخبر الحق أنه لا يعلم تفصيله محال، وكيف يعلم ما أخبر الحق سبحانه أنه لا يعلم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 9] بيان الطريق المقتصد المستقيم الموصل إلى الدين القويم رحمة وفضلاً من الرحيم الكريم.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الجنة كما يجدون في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأرباب الحقائق اليوم يجدون. والمراد بالسبيل الجنس ولذا أضيف إليه القصد. وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [الآية 9] عادل مائل عن القصد أو عن الحق أو عن الله سبحانه، وفيه إيماء إلى أن ما وعد طريق الهداية كلها سبيل الغواية كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:الآية 32]، وكقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:الآية 153] الآية.

﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ [الآية 9] هدايتكم أجمعين ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 9] إلى قصد السبيل، ومن السبيل ما هو جائر والله مسبِّب الجائر والسبيل القصد هو السكون على أنوار اليقين وسبيل الجائر سبيل التوهم والدعاوي.

وقال الأستاذ: قوم هداهم السبيل وعرّفهم الدليل وصرف قلوبهم عن خواطر الشك وعصمهم عن الجحد والشرك وأطلع في قلوبهم شمس العرفان وأفردهم بنور البيان وآخرون أضلّهم وأغواهم وعن شهود الحجج أعماهم وفي سابق حكمه من غير سبب أذلّهم وأقمعهم ولو شاء لعرّفهم وهداهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ [الآية 10] أي بعضه ما

تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ [الآية 10] أي ويحصل من بعضه شجر ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [الآية 10] تزرعون الدواب.

﴿يُنْبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ [الآية 11] وقرأ أبو بكر بالنون للتعظيم أو لملاحظة أسباب / التوحيد نظراً إلى تفريد صنعة ربّ الأرباب ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ 115/ أ
وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾ [الآية 11] أي أشجارها وأزهارها وأثمارها ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 11] أي وبعض كلها إذا لم ينبت في الأرض كل ما يمكن وجوده من ثمارها وهو تعميم للثمر بعد تخصيصها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾ [الآية 11] أي أية آية ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 11] فيها على وجود الصانع وحكمته وكرمه وجوده وقدرته، فإن مَن تأمّل الجنة تقع في الأرض ويصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق شجرها وينفتق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو أو يخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والأثمار على أشكال مختلفة وأنواع مؤتلفة مع اتحاد المراد علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدّس عن منازعة الأضداد والأنداد، ولعل فضل الآية بالتفكُّر إشعاراً بهذا الإيجاد والإمداد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل المطر وجعل به السقيا والنبات وأجرى العادة بأن يديم به الحياة وبه تنبت الأشجار ويخرج الثمار ويجري الأنهار ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 11]، ثم قال بعده: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 12]، ثم قال بعده: ﴿لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية 13] وعلى هذا الترتيب يحصل المعرفة، فأولاً التفكُّر ثم العلم ثم التذكُّر باستدامة العلم ينكر أو لا فيضع النظر موضعه فإذا لم يقع في نظره خلل وجب له العلم لا محالة ولا فرق بين العلم والعقل في الحقيقة ثم بعده يستديم النظر واستدامة النظر هو التذكُّر، ويقال: إنما قال ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 12] على الجمع لأنه يحصل له كثير من العلوم حتى يصير عارفاً إذ كل جزء من العلم يحصل بآية ودليل آخر، فالعالم متى يكون عارفاً بربّه آيات ودليل لأن دليل هذه المسألة خلاف دليل تلك المسألة، فبدليل واحد يعلم بوجود النظر عليه وبأدلة كثيرة يصير عارفاً بربّه، وبدليل واحد يعلم أنه يجب عليه تذكر علومه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾ [الآية 12] بأن هيّأها لمنافعكم بقضائه وقدره ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 12] حال كونها مسخرات له سبحانه خلقها ودبّرها كيف أراد بها. وقرأ حفص: والنجوم مسخرات على الابتداء
115/ب والخبر. ورفع ابن / عامر الشمس والقمر أيضاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 12] جمع الآية هنا وذكر العقل لأنها تدل أنواعاً من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة من العقائد السقيمة غير محوجة إلى استبقاء فكر كأحوال النبات، ومن الدلالات الخفية المحتاجة إلى إثارة الفكر وإعادة النظر ليحصل بمجموعها في مواضع موضوعها نتيجة الاستدلال بمصنوعها على كمال صانعها.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 13] عطف على الليل، أي وسخر لكم فيها من حيوان ونبات ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ [الآية 13] أصنافه وأشكاله وخواصه وأحواله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية 13] يتعظون بما يشاهدون من الآيات ويرون اختلاف النبات في الطباع والهيئات الدالة على أن صانعها حكيم عظيم في ما خلقه من الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أن الليل والنهار ظرف الأفعال والناس مختلفون في الأفعال من جهة الأحوال، فالموفق يجري وقته في طاعة الله، والمخذول يجري وقته في متابعة هواه، والعابد يكون في مرض يقيمه يديمه، والعارف في ذكر يحصله أو وارد يغلب على قلبه فيؤنسه، وأما أرباب التوحيد فهم مختطفون عن الإحساس بالأوقات لغلبة ما يرد عليهم من الحالات كما قيل:

لســـت أدري أَطَــالَ لــيــلــي أم لا[1]

وفي الآية إشارة إلى شمس التوحيد وقمر المعرفة ونجوم العلوم ثم لأقوام خلق لهم في الأرض الرياض والحياض والدور والقصور والمساكن

(1) وعجزه: «كيف يدري بذاك من يتقلّى». نسب إلى أبي نواس. انظر الكشكول (1/ 207) وإلى خالد الكاتب، انظر محاضرات الأدباء (1/ 366)، وإلى بعض العارفين، انظر زهر الأكم (1/ 216).

والمواطن وفنون النعم وصنوف القسم وآخرون لا يقع لهم طير على وكر ولا لهم في الأرض شبر، فهم لا ديار تملكهم ولا علاقة تمسكهم أولئك سادات الخلق وصفائن الحق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 14] لتتمكنوا من الانتفاع به في الركوب والغوص والاصطياد ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [الآية 14] هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم في اللطافة وتمسك بظاهره مالك والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحماً حنث بأكل لحم السمك، وأجاب عنه الجمهور بأن مبنى الأيمان على العرف المشهور ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ [الآية 14] كاللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ [الآية 14] / أي تلبس نسائكم فأسند إليهم لأنهن من 116/ أ
جملتهم ولأنهن يتزيّن بها من جهتهم ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ [الآية 14] السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [الآية 14] جواري في البحر تشقّه بوسط صدرها من المخر وهو شقّ الماء ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 14] أي سعة رزقه بركوبها للتجارة أو زيادة ثوابه بدخولها للجهاد والحج والعمرة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 14] أي تعرفون نعم الله منها ومن غيرها فتقومون بحقها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق صنوفاً من البحر ففرّق قوماً في بحار الشغل وآخرين في بحار الحزن وآخرين في بحار اللّهو والسهو فالسلامة عن بحر الشغل ركوب سفينة التوكل، والنجاة من بحر الغم ركوب سفينة الرِّضا، والخلاص من بحر اللَّهو والسهو ركوب سفينة الذكر. وأنشد بعضهم:

الناس بحر عميق والبعد منه سفينة
وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة[1]

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 15] أي وجعل فيها جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية 15] كراهة أن تميد بكم وتضطربُ لكم فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة المانعة عن مباشرة أمر المعاش والمعاد ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(1) نسب إلى منصور الفقيه المصري، انظر بهجة المجالس (1/ 145)، والمنتحل (1/ 53)، ومعجم الأدباء (2/ 471).

[الآية 15] إلى مقاصدكم في معيشتكم أو إلى معرفة الله في إيصال نعمتكم.

﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ﴾ [الآية 16] يستدل بها السائلة من الإمارات القابلة كجبل وسهل ونهر وبحر ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ [الآية 16] أي الجنس الشامل للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿هُمۡ﴾ [الآية 16] العرب أو الخلق كلهم ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 16] بالليل والنهار وفي البراري والبحار.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في الظاهر للجبال وفي الإشارة للأولياء الذين هم غياث الخلق في شدة الحال بهم يرحمهم ربّهم، وبهم يغيثهم(1)، فمنهم أبدال ومنهم أوتاد ومنهم القطب. وفي الخبر: «الشيخ في قومه كالنبي في أمّته»(2)، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال:الآية 33]، وقال: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَـٰتٌ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ [الفتح:الآية 25]. ثم قال: الأولياء والأعيان طرق إلى الله بهم يهتدي السالكون، والكواكب نجوم السماء ومنها رجوم الشياطين، والأولياء نجوم في الأرض وكذا العلماء وهم أئمة التوحيد والدين وهم رجوم الكفار والملحدين. ويقال: فرق بين
116/ب نجوم يهتدى بها لفجاج الدنيا / وبين نجوم يهتدى بهم إلى قرب المولى.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ [الآية 17] إنكار بعد إقامة أدلته على غاية قدرته ونهاية حكمته لأن يساوي ما لا يقدر على شيء في استحقاق مشاركته ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 17] فتعرفوا فساد ما يقولون من إشراك ما لا يخلقون.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 18] من أنواع النفع وأصناف الدفع ﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [الآية 18] لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها في مددها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ [الآية 18] لتقصيركم في أداء شكرها ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 18] لا يعاجلكم بالعقوبة على كفرها.

---

(1) انظر جامع الأحاديث (13/ 455) رقم (13515)، وتذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 189) رقم (189)، والمقاصد الحسنة (1/ 412) رقم (609).

(2) المقاصد الحسنة (1/ 412) رقم (609).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [الآية 19] من أعمالكم وأحوالكم فيه وعد للمطيعين ووعيد للمسيئين.

وقال الأستاذ: أي ما تسرُّون من الإخلاص وملاحظة الأشخاص فلا يخفى عليه الحسبان، وما تعلنون من الوفاق والشقاق والإحسان والعصيان، فالآية توجب تخويف أرباب الزلات وتشريف أصحاب الطاعات.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] أي الآلهة الذين تعبدونهم مما سواه، وقرأ عاصم بالغيبة ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 20] أي لا يقدرون على خلق شيء من البرية والعجز ينافي صفات الألوهية ونعوت الربوبية ﴿وَهُمۡ﴾ [الآية 20] بأنفسهم ﴿يُخۡلَقُونَ﴾ [الآية 20] بِخَلْقِهِ سبحانه إيَّاهم.

﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ [الآية 21] وهم أموات حالاً ومآلاً ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ [الآية 21] بل غالبهم جمادات والإلٰه يجب أن يكون حيّاً بالذات لا يعتريه الممات ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية 21] لا يدرون أي وقت بعثهم أو وقت بعث أتباعهم، فدل هذا على جهلهم بحالهم ومآلهم والإلٰه لا يكون إلا عالماً بالماضي والحال والاستقبال إلى أزل الآزال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن الأصنام لا يصح منها الخلق لكونها مخلوقة فدلّ أنَّ مَن وجد منه سمة الخلق لا يصح منه الخلق والخلق هو الإيجاد ففي الآية دليل على خلق أعمال العباد. ثم قال: فكل مَن علق قلبه بشيء وتوهم فيه خيراً أو شراً ونفعاً أو ضرّاً فقد أشرك بالله بظنّه وإنما التوحيد تجريد القلب عن حسبان نفي وإثبات من غير الربّ.

﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [الآية 22] فذلكة القضية ونتيجة الحجج البينة ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 22] / بعد وضوح الأدلة الظاهرة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ﴾ [الآية 22] 117/أ
غير عارفة بالعرف والفكرة استدلوا على وقوعها بالفكرة ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الآية 22] من أن يقبلوا كلام أهل البصيرة وإن تقلدوا أرباب الخيرة لا جرم حقاً أو لا بد من وقوعه صدقاً إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما يفعلون وما يدرون إنه لا يحب المستكبرين مطلقاً فضلاً عن مَن استكبر عن

توحيد ربّه أو اتباع رسوله.

وأفاد الأستاذ: أنه لا قسم لذاته سبحانه جوازاً ووجوداً ولا شبيه له ولا شريك فمن لم يتحقق بهذه الجملة قطعاً بشهادة البراهين له تفصيلاً فهو في درك الشرك واقع وعن حقائق التوحيد بمعزل. قال تعالى في صفة الكفار: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 22] أي هم في أسر الشرك وعطاء الكفر ثم ليس فيهم اتصاف الطلب ولا مطالبة العرفان وإلا فالعلة لمن أراد المعرفة متاحة وأدلة الحق لائحة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 23] فيفضحهم ويبيِّن نفاقهم ويُعلن للمؤمنين كفرهم وشقاقهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [الآية 23] دليل الخطاب أنه يحب المتواضعين المتخاشعين وكفاهم فضلاً ببشارة الحق بمحبته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [الآية 24] أي ما يدَّعي إنزاله من ربّ العالمين.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ [الآية 25] قالوا ما قالوا إضلالاً لغيرهم فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 25] فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في ضلالهم ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [الآية 25] أي وبعض أوزار ضلال من تسببوا بإضلالهم من غير ما يحملوا أثقال جميع ما كسبوا من ضلالتهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 25] حال من المعقول، أي يضلون مَن لا يعلم أنهم ضلال. وأسباب وبال وفائدة الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا أو يميِّزوا بين ما ينفعهم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الآية 25] بِئس شيئاً يزرونه فعلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لحقهم سوء تكذيبهم فأصروا على الإعراض عن النظر فقست قلوبهم ولم ينجح قولهم في الإقرار بالحق فلبسوا على من ساء لهم وقالوا: هذا الذي جاء به محمد أكاذيب العجم فضلوا وأضلوا ولما سمعوا في الدنيا لغير المولى وضيّعوا / أعمالهم، حملوا في العقبى على أوزار 117/ب
أنفسهم أوزار غيرهم وأثقالهم أولئك الذين خسروا في الدنيا والأخرى.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 26] بأن فعلوا حيلاً ليمكر بها رسل

ربهم ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 26] أي أمره وعذابه ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [الآية 26] ما بنوا عليه من جهة أساسهم واستنكارهم وعمدهم التي عليها محل اعتمادهم فقطعت أطنابهم وحركت أوتادهم ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [الآية 26] وصار سبب إهلاكهم ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 26] لا يحتبسون ولا يتوقعون. قيل: وهو على سبيل التمثيل.

وأفاد الأستاذ: أنهم اتصفوا بالمكر فحاق بهم سوء مكرهم ووقعوا فيما حفروه لغيرهم واغتروا بطول آمالهم فأخذهم العذاب من مأمنهم واشتغلوا بلهوهم فنقض عليهم بغتة أطيب يومهم. قال: والذي وصف نفسه سبحانه في كتابه من الإتيان فبمعنى العقوبة وذلك على عادة العرب في التوسع في العبارة، وإنما ينكشف القمر ليلة بدره ويعامل الماكرين بما يليق بمكره. وفي معناه أنشدوا:

فأمَّنته فأتاح لي من مأمني   مكراً كذا من يأمن الأياما[1]

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [الآية 27] يذلهم ويعذِّبهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [الآية 27] أضافهم إلى نفسه حكاية لإضافتهم زيادة لتوبيخهم وخجالتهم، والمعنى أين آلهتكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [الآية 27] تنادون المؤمنين في شأنهم. وقرأ نافع بكسر النون فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة ربّهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا عاجل بلائهم وبين أيديهم أجله وحسرة المفلس تتضاعف إذا حوسب وشوهد حاصله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 27] من الأنبياء والأولياء الذين كانوا يدعونهم إلى توحيد ربهم فيشاقونهم ويتكبّرون عليهم ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 27] أي الفضيحة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 27] المذلة والعقوبة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 27] وفائدة قولهم هذا إظهار الشماتة وزيادة الإهانة ونتيجة حكايته هي الملاطفة بمن سمع روايته.

وقال الأستاذ: يسمع يومئذ قولهم ويبين للكافة صدقهم، ويقع الندم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 138).

على جاحدهم، وأما اليوم فعليهم الصبر والتحمُّل على البلاء وعن قريب ينكشف الغطاء، ولقد أنشد بعضهم:

118/أ / خليلي لو دارت على رأسي الرحى   مِنَ الذلِّ لَمْ أجزع ولم أتكلَّم
وأطرقت حتى قيل لا يعرف الجفا   ولكن أفصحت يوم التكلُّم(1)

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 28] وقرأ حمزة بالتأنيث لجماعة الملائكة وموضع الوصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الآية 28] بارتكاب الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية 28] استسلموا وانقادوا لحكم المولى حين عاينوا الموت وشاهدوا مقدمة عقوبة العقبى وتعللوا بقولهم ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ﴾ [الآية 28] ظنّاً منهم أن كِذْبهم ينفعهم وجهلاً بأن الله يعلم عملهم ولذا يجيبهم الملائكة بقولهم: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 28] فهو يجازيكم عليه وفق ما تحاسبون من حيث لا تحتبسون.

﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] كل صنف باباً من أبوابها المعدة لهُ في دخوله أو وصوله. وقيل: المراد من الأبواب أجناس العذاب الفاشية من أصناف الحجاب ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 29] أي منزلهم ومأواهم جهنم المعدّة للكافرين والمنكرين.

وأفاد الأستاذ: أنهم جحدوا وأنكروا ما عملوا من مخالفة ربّهم وكذلك الذين دنسوا نفوسهم بإعراضهم عن الطاعات إذا نزل بهم الوفاة أخذوا في الجزع والتضرُّع ثم لم تطب نفوسهم بأن يقروا بتفاصيل أعمالهم عند أمثالهم فيما يتعلق بإرضاء خصومهم وما خانوهم في معاملاتهم، ثم الله يؤاخذهم بالكبير والصغير والنقير والقطمير ثم يبقون أبداً في وبال ما اكتسبوه لأن شؤم ذلك يلحقهم حتى يكون في آخر أحوالهم غلبة شبهة عليهم فيخرجون من توحيد ربهم، والمتكبِّر مَن جحد الحق وعاند الصدق.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ [الآية 30] يعني المؤمنين ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 139).

[الآية 30] أنزل خيراً من حيث يتعلق به خير الدنيا والآخرة كما يشير إليه قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ [الآية 30] مكافأة من حسن حالة وجمال راحة وتوفيق طاعة وتحقيق قناعة ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ [الآية 30] لمن اتقى إذ ثوابها أنقى وأبقى ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 30] دار العقبى.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ [الآية 31] بدل أو عطف بيان أو خبر مبتدأ محذوف هو أو هي أي بساتين إقامة حول قصور بلا فقر/ وآفة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الآية 31] ويخلدون 118/ ب
فيها ولا يتحولون عنها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الآية 31] من تحت القصور والأشجار أو من تحت تصرف سكّان الدار ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ [الآية 31] جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، وفي تقديم لظرف إشارة إلى أن الإنسان لا يجد جميع مرامه إلا في الجنة وكذا ورد: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 31] مثل هذا الجزاء ﴿يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 31] بالشرك والمعصية والغفلة وخطور السوء بحسب مراتبهم في مقام الصفاء وحلل الضياء.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنة التي للذين أحسنوا في الدنيا هي جبران الطاعات في عاجلهم من حلاوة الطاعات لصفاء الأوقات ويصح أن تكون تلك الحسنة زيادة التوفيق لهم في الأعمال وزيادة التحقيق لهم في الأحوال، ويصح أن يقال: تلك الحسنة أنه يوفّقهم للاستقامة على ما هم عليه من إقامة الطاعة. ويصح أن يقال: تلك الحسنة أن يبلّغهم منازل الأكابر السادة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ [السّجدة:الآية 24]، ويصح أن تكون تلك الحسنة ما يتعدى منهم إلى غيرهم من بركات إرشادهم للمريدين وما يجري على من اتبعهم مما أخذوه وتعلّموه منهم. قال ﷺ: «لأن يهتدي بهداك رجل خير لك من حمر النعم»[2]، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ [الآية 30] لأن في الدنيا مشاهدة

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3701)، وأبو داود في السنن (3/ 361) رقم (3663)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 167) رقم (5877)، وأبو يعلى في المسند (13/ 440) رقم (7527).

وفي الآخرة معاينة لهم ما يشاؤون كما أن الإرادات والهمم تختلف في الدنيا فكذلك في الأخرى، وفي الخبر: «من كان بحالة يلقى الله بها» فمن مريد يكتفي من الجنة بوجود الجنة ومن مريد لا يكتفي من الجنة دون شهود ربّ العزّة[1]. ويقال: إذا شاؤوا أن يعودوا إلى مألوفاتهم من قصورهم وما وجدوا من صحبة الحور العين وسائر أحوالهم وأمورهم فمسلم لهم ذلك، ومن شاء أن تدوم رؤيته ويتأيد سماعه وخطابه فلهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهما مما لم يخطر ببال أحد.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية 32] طاهرين من دنس الظلم ووسخ المعصية أو فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه
119/أ نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس وحضرة / الأنس والمرتبة العلية.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من طاب وقته لأنه غفر ذنوبه وستر عيوبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه سلم عليه محبوبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه لم يفته مطلوبه، ومنهم من يطيب وقته لأنه يعود إلى لقاء ربّه ويصل إلى حصول مأربه، ومنهم من يطيب قلبه لأنه أمن من زوال حاله وحظي بسلامة مآله، ومنهم من يطيب قلبه لأنه وصل إلى إفضاله وآخر لأنه وصل إلى لطف جماله وآخر لأنه قد خص بكشف جلاله. ويقال: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 32] طيبة أنفسهم طاهرة من التدنُّس بوسخ المخالفات وطاهرة قلوبهم عن العلاقات وأسرارهم عن الالتفات إلى أحد من المخلوقات.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الآية 32] من عندنا أو من عند ربكم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية 32] أي بسلام آمنين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 32] من أعمال المحسنين، فالجنة معدّة لكم على وفق أعمالكم وبحسب مراتب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن منهم مَن يلاطفه بذلك الملك، ومنهم مَن يكاشفه بذلك الملك.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 33] ما ينتظر الكفار والفجار من غاية الإهمال ونهاية

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 58).

الاغترار ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 33] لقبض أرواحهم، وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [الآية 33] بظهور القيامة والحساب أو بحصول الحجاب وبنزول العذاب في الدنيا أو العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 33] أي مثل فعلهم ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 33] فأصابهم ما أصابهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 33] بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 33] بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إلى هلاكهم.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 34] جزاء سيئات أعمالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 34] وأحاط بهم جزاء استهزائهم وسوء أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن القوم لم ينتظروا مجيء الملائكة لأنهم لم يعترفوا ولم يعتقدوا كونهم ولكن ما كانت عاقبتهم تؤول إلى ذلك وعلم الله ذلك منهم هنالك أخبر أنهم ينتظرون وهم كانوا يستعجلون معتقدين أن الرسل غير صادقين ولما سلكوا مسلك أمثالهم من المستقدمين عوملوا بمثل ما لقي سلفهم ومان كان ذلك من الله ظلماً عليهم لأنه تصرف في ملكه/ من غير 119/ ب
حكم حاكم عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 35] أي توحيدنا ﴿مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية 35] قالوا ذلك منعاً لبعثة الرسل من جانب الحق لتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب ولم يرتفع ما لم يشأ ولم يقع بل يمتنع. والحاصل أن مقولهم كلمة حق أُريد به الباطل بدليل قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ [الأنعام:الآية 107] ولإجماع السلف على ما ورد في الحديث: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[1] لكن ليس للمكلف أن يتعلق بالقضاء والقدر إذ أنها إرادة أوامر معولهم هذا كقولهم: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس:الآية 47]، ولا خلاف أن الله لو شاء أطعمهم ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 35] فأشركوا بالله واعتقدوا أجله وكذّبوا

(1) أخرجه أبو داود في السنن (4/ 479) رقم (5077)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 6) رقم (9840)، ومالك في الموطأ (1/ 161) رقم (8).

رسله ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 35] ما عليهم إلا التبليغ الموضِّح للحق فإن الله سبحانه هو الهادي المطلق فيهدي ببعثة الرسل فيهدي مَن شاء هدايته ويزيد في ضلال من أراد ضلالته، كما قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 26] فهو كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السليم ويضرّ الطبع السقيم، وقد كان النيل ما للمحبوبين فرد ما للمحجوبين.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [الآية 36] أي نبيّاً منهم آمراً لهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الآية 36] بعبادة الله واجتناب ما سواه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] وفّقهم للإيمان وأرشدهم للفرقان ومنهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الآية 36] إذ لم يوفّقهم ولم يرد هدايتهم إلى مقام الإحسان ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 36] أي بالأقدام أو الأفهام ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 36] للأنبياء عليهم السلام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يخلِّ زماناً من شريعة ولم يفرد شرعاً من حجة ولكن فرقهم في سابق حكمه ففريقاً قرّبهم وهداهم وفريقاً حجبهم وأعماهم.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ [الآية 37] إلى إرشاد كل منهم وهدايته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [الآية 37] أي من تعلق علمه بضلالته. وقرأ غير الكوفيين لا
120/أ يهدي على البت للمفعول وهو أبلغ، والمعنى فإن الله يرد ضلالته لا يفضل أحد/ هدايته ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 37] من ينصرهم لا منهم ولا من غيرهم بدفع العذاب عنهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألزم رسوله الوقوف على حد العبودية فإن عرف حقائق الربوبية فقال: إنك وإن كنت بأمرنا لك حريصاً على هدايتهم فإن من ضمنت له الضلالة لا يجري عليه غير ما قسمته له لا محالة.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية 38] مبالغة في كفرانهم وطغيانهم ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [الآية 38] فلا حساب ولا عذاب ولا ثواب، قال تعالى في الجواب: ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 38] يبعثهم وينجز لهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ [الآية 38] وجوب

وقوعه لامتناع الخلف في وعده ولأن البعث مقتضى حكمته في حكمه حق هذا الوعد ﴿حَقًّا﴾ [الآية 38] ووقع صدقاً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 38] لجهلهم بأحكام ربّهم ولقصور نظرهم في عاقبة أمرهم ولغفلتهم عن حكمة بعثهم المبينة لقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الآية 39] من الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 39] في إيمانهم فإن السبب الداعي إلى بعث الخلق هو مقتضى حكمة الحق من التمييز بين المحق والمبطل والباطل والصواب بالعقاب والثواب.

قال في الجاهلية بعض العقلاء: إن لله داراً للجزاء فإنّا نشاهد في هذه الدار أن كل مَن أحسن في عمله من أعمال الإبرار من كفالة يتيم وإطعام فقير وإغاثة ملهوف وإعانة ضعيف لا تظهر مجازاته من ربّه بل نراه في سوء حاله بخلاف مَن عمل عمل الفجّار من ضرب وغبن وقتل فإنه يطول عمره ويكثر ماله ويسع جاهه ويقلّ آفاته وبلاؤه، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:الآية 21].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] هو بيان إمكانه وبرهان لوقوع شأنه وتوضيحه أن تكوين الله بمحض قدرته وتعلق مشيئته من غير توقف مدد ولا عدد وإلا لزم التسلسل في خلق خليقته فكما أمكن له تكوين الأشياء بلا سبق مادة أمكن له تكوينها وقت الإعادة. ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفاً على نقول أو جواباً لأمر كن.

وأفاد الأستاذ: أن بالسمع علم تعلق قوله بما يفعله وحمله قوم على أن معناه أنه لا يتغير عليه/ فعل شيء أراده لمعنى الآية على القولين جميعاً إن الذي 120/ ب
لا يحتاج في فعله إلى مادة يخلق منها لا يفتقر إلى مدة يوقع الفعل فيها والآية تدل على أن قوله ليس بمخلوق إذ لو كان مخلوقاً لكان مقولاً له كن، فذلك القول يجيب أن مقولاته بقول آخر وهذا يؤدي إلى أن يتسلسل ولو تسلسل ما تحصل.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 41] أي في سبيل رضاه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾

[الآية 41] من جهة كفار قريش وغيرهم وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، وفي معناه من هاجر أهل البدعة وبلاد الظلمة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية 41] أي نؤدينه حسنة كالحبشة والمدينة ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 41] أي أعظم درجة وأكثر بركة مما يعجل لهم في الدنيا من الغنيمة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] ما أعدّ لهم من أجرهم لزادوا في اجتهادهم وصبرهم وشكروا على أمرهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 42] أي هم الصابرون على البلاء ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 42] في العطاء وسائر القضاء.

وأفاد الأستاذ: أن من هاجر عن أوطان السوء في الله ومرضاته أبدله الله جوار أوليائه بما يكون له في جوارهم معونة على الزيادة في صفاء أوقاته ومن هجر أوطان الغفلة مكّنه الله من مشاهدة الوصلة، ومن فارق مجالسة المخلوق في جواره وانقطع بقلبه إلى الله باستدامة ذِكْره فكما في الخبر: «أنا جليس من ذكرني»[1]، وبداية هؤلاء القوم نهاية أهل الجنة ففي الخبر: «الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة»[2]. ويقال: القلب مظلوم من جهة النفس لما تدعوه إليه من شهواتها فإذا هجرها أورث الله للقلب أوطان النفس حتى تنقاد لما يطالبه القلب من الطاعة فبعض ما يكون أوطان الذلة بدواعي الشهوة يصير وطن الطاعة بسهولة آدابها، ثم الصبر الوقوف تحت جريان القضاء، والتوكل الثقة بالله بحسن الرجاء.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 43] رد لقولهم: أبعث الله بشراً رسولاً، ومن العجب أنهم رضوا أن يكون الإله حجراً ولم يرضوا أن يكون الرسول بشراً، والمعنى أن السنّة الإلٰهية جرت بأن لا يبعث للدعوة العامة
121/أ إلا بشراً يوحى إليه على ألسنة الملائكة لحكمة / تقتضي ذلك، فإن شككتم فيما هنالك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الآية 43] أي الرهبان والأحبار أو علماء الأخبار

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 451) رقم (680)، وعبد الرزاق في المصنف (1/ 108) رقم (1224).
(2) أورده القشيري في تفسيره (4/ 5).

ليعلموكم بآثار الأنبياء الأخيار ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 43] وتقرُّون بأنكم تجهلون ولا تعاندون فيما تقولون. وفي الآية دلالة على جواب المراجعة إلى العلماء في مسائل الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن أهل الذكر هم العلماء والعلماء مختلفون في الأنباء، فالعلماء بالأحكام إليهم الرجوع في الاستفتاء للعوام فمن أشكل عليه شيء من أحكام الأمر والنهي فرجوعهم إلى العلماء بأحكام الله، ومن اشتبه عليه شيء من سلوك الله فرجوعهم إلى العلماء بالله. فالفقيه يرفع في أحكام الشرع عن الله والعارف ينطلق في أدب الطلب وأحكام الإرادة وشرائط الصحبة مع الله.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [الآية 44] أي أرسلناهم بالمعجزات اللائحة والكتب الواضحة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [الآية 44] أي الذكر العظيم وهو القرآن الكريم والفرقان الحكيم ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 44] ما تشابه عليهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 44] ويتعاملون في مبانيه ويثبطون حقائق معانيه.

قال ابن عطاء: قطع عقول الخلق عن فهم كتابه والإشراف عليه والاطلاع على سرّه إلا عقل نبيه ﷺ فإنه قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 44]، وإن كان فيه أحكام الخلق فالخطاب معك فأنت صاحب البيان لهم بما أُنزل إليك من الحق فإنهم في مقامات الوحشة، وأنت في محل الحضرة ومحل الإيمان ومقر الأمان ومقام الإحسان وكمال العرفان فبيان الكتاب ما تبينه وآداب الشريعة ما ترسمه لأنك الأمين في جميع الأحوال ولا يؤتمن على أسرار الحق إلا الأمناء من أهل الكمال لقول بعضهم: «صدور الأحرار قبور الأسرار»(1).

وأفاد الأستاذ: أن البيان إليك والاعتماد عليك فإنك الأمين على وحينا والواسطة بيننا.

(1) ليس بحديث ولكنه كلام صحيح. انظر المقاصد الحسنة (1/ 387) رقم (559)، وكشف الخفا (1/ 451) رقم (1471).

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 45] المكرات السيئات واحتالوا لهلاك الأنبياء وفساد المؤمنين والمؤمنات ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 45] كما خسف بقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 45] بغتة من جهة
121/ب / السماء كما فعل بقوم لوط أو من الجهتين كما وقع لقوم نوح.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ [الآية 46] بانقلابهم ﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ [الآية 46] في حال تزودهم وتصرفهم في مسائرهم ومتاجرهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 46] دافعين العذاب عن أنفسهم.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] أي على مخافة أن يهلك قوماً قبلهم فيخوفوا على أنفسهم فيأتيهم العذاب وهم متخوِّفون. والمعنى أنه يستوي عندنا عذابهم في كونه بغتة أو جهرة كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:الآية 47]، أو على تنقص بأن ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا بكمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن سهام تقدير الحق عرضها أحوال الخلق ولا تطيش تلك السهام فإذا صادف الغرض أو أصابه حرق بلا التئام، وبين كل نفيس للعبد مخاوف يجب على العبد فيه صبره وشكره ولا ينبغي أن يأمن في ذلك من الله مكره فأكثر الأسنة تعمل في الوطنين نفوسهم وقلوبهم على ما وعدهم الحق من عوائد المنة، وأنشدوا:

يا راقد الليل مسروراً بأوله إنَّ الحوادث قد يَطْرِقْن أسحاراً[1]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 48] استفهام تقرير أي قد رأوا مثل هذه الصنائع من آثار التقدير فما لهم لم يتفكروا في صنعته ليظهر لهم كمال قدرته

---

(1) نسب هذا البيت إلى أبي عبد الحميد المكفوف. انظر الحيوان (2/ 102). وقال البعض: غير معروف، انظر الزهرة (1/ 231)، ونسب إلى طرفة انظر المنتحل (1/ 46) ونسب إلى ابن السكيت، انظر البصائر والذخائر (1/ 10)، ونسب إلى عدي بن زيد، انظر نهاية الأرب (1/ 269) والتمثيل والمحاضرة (1/ 14).

فيخافوا من مخالفته الموجبة لعقوبته. وقرأ حمزة والكسائي: ألم تروا، بالخطاب، ثم ما موصولة مبهمة بناؤها قوله: ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [الآية 48] وقرأ أبو عمرو بالتأنيث، والمعنى أو لم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال في الكائنات مغيبة ومتمايلة ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [الآية 48] عن جانبي كل واحد منها وتوحد اليمين وجمع الشمال لاعتبار اختلاف ما في المبنى والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [الآية 48] أي منقادين له ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [الآية 48] ذليلون صاغرون، والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها من جانب إلى جانب منها / منقادة إلى قدرها من تفيؤها أو واقفة على 122/أ
الأرض منتصفة بها على هيئة من يسجد عليها، والأجرام في أنفسها أيضاً مستسلمة لأفعال الله، قيل: ما خلق الله شيئاً من الجماد والحيوانات ينازع صانعه وخالقه إلا الإنسان فإنه ادعى لنفسه ما ليس له من قدرة وعلم، ذكره السلمي. ولذا كان ظلوماً جهولاً.

وأفاد الأستاذ: أن كل مخلوق من عين أو أثر ومن حجر أو مدر فمن حيث البرهان لله ساجد ومن حيث البيان على الوحدانية شاهد.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 49] أي ينقاد لإرادته وتأثيره طبعاً ولتكليفه وأمره طوعاً ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 49] بيان لما في الأرض ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 49] بيان لما في السماء على النشر المعكوس وما يعم العقلاء وغيرهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 49] عن عبادته ولا يستخسرون، يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [الآية 50] أي وهو من فوقهم، تعبير كقوله: وهو القاهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الآية 50] من طاعته، وفيه إيماء إلى أن الملائكة يكلفون واقفون بين الأمن والمخافة.

وأفاد الأستاذ: أن المراد من السجود هنا سجود شهادة لا سجود عبادة فإذا امتنع قوم من إقامة الشهادة في المقالة فقد شهد كل جزء منهم من حيث البرهان والدلالة، والملائكة مع جلالة مقام قربهم يخافون ربهم أن ينزل

عليهم عذاباً من تخوفهم. ويقال: خير الدنيا والأخرى للعبد خوفه من المولى يمنعه من الزلة ويحمله على الطاعة.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية 51] تأكيد لواحد في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 51] وإيماء إلى أن المقصود إثبات الواحد دون الإلٰهية إذ ليس في الله شك للبرية ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [الآية 51] لأن غيري لا يتصور منه الرهبة ولا الرغبة.

قال أبو عثمان: نهاك ربك أن تتخذ إلٰهين أو تدّعي معه شريكاً فاتخذت آلهة وادّعيت شركاء متعددة بأن عبدت نفسك وهواك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق في طمع عطائك فكيف يصح لك التوحيد مع ذلك وأين تصل إلى محل توحيد ربّك.

122/ ب وأفاد الأستاذ: إن الحاجة إلى إثبات / صانع واحد داعية وما زاد على الواحد فالأعداد فيه متساوية.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 52] ملكاً وملكاً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ [الآية 52] الطاعة والانقياد ﴿وَاصِبًا﴾ [الآية 52] لازماً ولازباً للعباد لما تقرّر من أنه الإلٰه ولا يرجى ولا يخاف سواه، أي وله الجزاء دائماً سرمداً بثواب من آمن وعقاب من كفر أبداً ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [الآية 52] ولا ضار سواه كما لا نافع إلا إيَّاه.

﴿وَمَا بِكُم﴾ [الآية 53] من نعمة فمن الله، أي وأي شيء اتصل بكم ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾ [الآية 53] دنيوية أو أخروية ظاهرية أو باطنية فهو ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 53] وما شرطية من بيانية ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [الآية 53] فما يتضرعون إليه في دفع المضرة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ [الآية 54] وهم كفاركم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 54] بعبادة غيرهم.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ [الآية 55] بعبادة غيره ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ [الآية 55] من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا كفران النعمة بشركهم أو إنكار كونها من ربهم ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾

[الآية 55] أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 55] أغلظ وعيد. قال أبو حفص: جميع النعم عليك من ربك وشكرك لغيره ورجوعك في النوائب كلها إليه وعبادتك لغيره فما هذا.

وأفاد الأستاذ: أن النعمة ما يقرب العبد من الحق فأما ما يوجب النسيان والطغيان والغفلة والعصيان وأولى أن يكون محنة ويقال: ما للعبد فيه نفع أو يحصل به للشر دفع فهو على أصح القولين نعمة سواء كان دينياً أو دنيوياً والعبد مأمور بالشكر عليه مزجور عن كفرانه وأكثر الناس يرون الإحسان من الخلق، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:الآية 13]. وفائدة الآية قطع الأسرار عن الأغيار في حالة اليسر والعسر والثقة بأن الخير والشر والنفع والضر كلاهما من الله سبحانه، ثم إذا أظل للعبد هواجم الاضطرار التجأ إلى الله في استدفاع ما مسَّه من البلاء بالجوار فإذا منَّ الله عليه وجاء بكشفه عنه صار كأنه لم يمسّه سوء ولا أصابه همّ، كما قيل:

كأن الفتى لم يعرَ يوماً إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكاً إذا ما تموَّلا(1)

123/أ / ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] لآلهتهم التي لا علم لها ولا يتوقع نفع وضر من جهتها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ [الآية 56] حصة من الحرث والأنعام كما جعلوا نصيباً منها لخالق الأنام ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [الآية 56] من كونها آلهة يستحق التقرُّب إليها ويتعاقبون على عبادتها وصرف أرزاقنا إلى سدنتها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [الآية 57] فإن خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الآية 57] تنزيه له من مقالتهم أو تعجيب من جرأتهم ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 57] من البنين جملة حالية من خبر ومبتدأ معترضة بيانية.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية 58] أُخْبِرَ بولادتها ﴿ظَلَّ﴾ [الآية 58] صار ﴿وَجْهُهُۥ﴾ [الآية 58] أو دوام النهار كله ﴿مُسْوَدًّا﴾ [الآية 58] من الكآبة والاغتمام

(1) نسب إلى جابر بن الثعلب الطائي، انظر الحماسة البصرية (1/ 48) وديوان الحماسة (1/ 110)، وسمط اللآلىء (1/ 241).

والحياء من الخاص والعام ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 58] مملوء غيظاً من المرأة لتلد له الغلام.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية 59] يستخفي من أهله ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 59] من حزن المبشّر به عرفاً وعادة أو المخبر به لغة ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ [الآية 59] أي حال كونه محدثاً في نفسه متفكِّراً في أمره من أنه هل يتركه غير مدفون ويحفظه حياً ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ [الآية 59] أي مذلة وإهانة ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [الآية 59] أم يقتله ويخفيه أم يدفنه فيه حياً إلى أن يموت، وتذكير الضمير للفظ ما ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 59] بئس حكمهم هذا حيث يجعلون لله ما يكرهون.

وأفاد الأستاذ: أن فرط جهلهم حملهم على وصف معبودهم الأحد الصمد بالولد ثم الله زاد في خذلانهم حتى قالوا الملائكة بنات الله وكانوا يكرهون البنات فرضوا لله ما لم يرضوا لأنفسهم ويلتحق بهؤلاء في استحقاق الذمّ كل من آثر حظ نفسه على حق مولاه فإذا فعل ما له فيه نصيب وعرض كان مذموم الوصف ملوماً على ما اختاره من الفعل ثم إنه عابهم على قبيح ما كانوا يفعلونه ويتصفون به من كراهة أن يولد لهم الإناث فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [الآية 58] الآية استولى عليهم رؤية الخلق وملكتهم الحيرة فأنفوا من البنات لئلا يلحقهم أنفة في تزويجهن وتمكين البعل فيهن وهذه نتائج الإقامة
في أوطان / التفرقة والغيبة عن شهود الحقيقة ثم قال: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ [الآية 59] إلى 123/ ب
آخره، وتلك الجفوة في أفعالهم حصلت من قساوة قلوبهم في أحوالهم ولا عقوبة أشد، فما كان تتعجل لهم من فرط غيظهم وفقد رضاهم وشدة ضيقهم على من لا ذنب له من أولادهم فهذه صفة أهل النار في دركات جهنم عن تكدُّر الوقت واستيلاء الوحشة ونعوذ بالله من سوء الخاتمة.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 60] أي الصفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالغنى والمنافية لمقام الاستغناء والكبرياء ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 60] وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والنزاهة عن صفات الخلق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 60] المنفرد بجلال القدرة وكمال الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن من عرفه بنعوت الإلٰهية تمَّت سعادته الدنيوية والأخروية وتعجلت في الحقيقة راحته فإن سرّه يتنزل على الدوام في رياض معرفته وروحه أبداً في الطرب من هيجان وجد حضرته، والذي وُسِمَ بالشرك ففي عقوبة معجّلة وهموم محصّلة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ [الآية 61] لو يعاقبهم بكفرهم وتعذيبهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 61] وأضمرها من غير ذكرها لما يدل عليها ما قبله من الناس أو ما بعده ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 61] أي متحركة قط لشؤم أفعالهم. وعن ابن مسعود: كاد العجل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة. وفيه إيماء إلى أنه لا يخلو نفس من نوع ظلم يستحق به المؤاخذة. وقيل: لو هلك الآباء لم يكن الأبناء ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 61] لانتهاء أعمارهم أو لابتداء دمار ديارهم كي يتوالد بنو آدم ويتم بهم نظام العالم ويرزقون العافية ببركة أهل الطاعة فالمراد بالناس غالبهم لعصمة الأنبياء وحفظ الأولياء مع أنه سبحانه لو واخذهم لأخذهم وهو عادل بهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية 61] قارب مجيئه ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 61].

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لو عاملهم بما استحقوا عاجلاً لخلا البسيطة منهم آجلاً ولكن الحكم سبق بإمهالهم دون إهمالهم وسيلقون غب أعمالهم / 124/أ
في مآلهم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [الآية 62] لأنفسهم من البنات وإثبات الشريك في الرياسة ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 62] مع ذلك وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 62] عند الله تعالى كقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:الآية 50]، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [الآية 62] مقدمون إليها ودائمون فيها. وقرأ نافع بكسر الراء في ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [الآية 62] في العقبى وأنهم مفرطون في المعاصي مصرُّون عليها في الدنيا ولعلها خير. هذه الجملة لمراعاة الفاصلة.

وقال الأستاذ: لما لان لهم العيش ظنوا أنهم ينجون وبما يؤملونه

يحظون فحسنت في أعينهم نتائج صفاتهم ويوم يكشف لهم الغطاء يعضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخيبة فلا يسكن عنهم أنَّة ولا يُسمع منهم دعوة ولا ينغلق لأحدهم رحمة.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 63] رسلاً ليُصلحوا أحوالهم ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 63] فحاصروا على كفرنا وكذبوا جاحدين برسلنا ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 63] في الدنيا أو العقبى على أن الآية حكاية حال ماضية أو آتية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 63] يوم القيامة. ومن أشد العذاب وجود الحجاب ومقارنة الفريق السوء في البعد عن باب ذلك الجناب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل هذه الآية على جهة التسلية للنبي ﷺ وذلك أنه أخبر أن من تقدَّمه من الأمم كانوا في سلوك الضلالة والانخراط في سلك الجهالة كمن مني بهم من قربه ولم يعجز الله أحداً منهم، والشيطان كما سوّل لهم لأمته وكما كان ولياً لهم فهو لهؤلاء وليهم فأما المؤمنون فالله واقيهم.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [الآية 64] أي للمنزل إليهم ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الآية 64] من التوحيد وأحوال المعاد ومواضع القدر وأحكام أفعال العباد ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 64] وللهداية إلى طريق الرشاد وللرحمة في توفيق أخذ الزاد للمؤمنين المنتفعين دون المحرومين من المجرمين، فالبيان عام كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة:الآية 185] والهداية خاصة لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 2]، والرحمة أخص لقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
124/ ب مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف:الآية 56]/.

وقال الأستاذ: إن أتت الواسطة بيننا وبين أوليائنا ولك البرهان الأعلى والنور الأوفى تبلِّغ عنَّا وتؤدي منَّا فأنت رحمة من خزائننا أرسلناك إلى أوليائنا فمن يتبعك بإنبات أنواع النبات فيها بعد يبسها.

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 65] بإنبات أنواع النبات فيها بعد يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الآية 65] علامة على صانعها ودلالة على خالق ما فيها ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 65] سماع نذير فيها أو قبول لها فضلاً

عن قوم بأعينهم يبصرونها ويشاهدون ما عليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحيا بماء التوفيق قلوب العابدين فجنحت إلى جانب الوفاق واجتنبت طريق الشقاق وأحيا بماء التحقيق أرواح العارفين فاعتكفت على بساط الوصال في دار القرار وأحيا بماء التجريد أسرار الموحدين فتجرَّدت عن رقّ آثار الأغيار وانفردت بحقائق اتصال أنوار الأسرار.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 66] في خلقها وشهود وجودها ﴿لَعِبْرَةً﴾ [الآية 66] دلالة يعتبر بها من حال الجهالة إلى مقام المعرفة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ [الآية 66] وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بفتح النون وهو استئناف بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [الآية 66] وقال في سورة المؤمنين: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون:الآية 21] رعاية للنبي وعناية للمعنى فإنَّ الأنعام اسم جمع ليس له مفرد من لفظ كما صرَّح سيبويه به ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ [الآية 66] فعن ابن عباس: إن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً ومن الأولى تبعيضية والثانية ابتدائية ﴿خَالِصًا﴾ [الآية 66] صافياً من لون الدم ورائحة الفرث ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 66] سهل المرور في حلقهم من جملة دفعهم في رزقهم.

قال أبو بكر الوراق: العبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لأصحابها وتمردك على ربّك في مخالفة أمره.

وأفاد الأستاذ: أن أوجه العبرة في الأنعام تسخيرها وتكثير ما فيها من الانتفاع بلحمها وشحمها وشعرها ودرّها وأصلها ونسلها ثم عجيب ما أظهر من/ قدرته أخرج اللبن على لطافة طعمه وصفاء لونه وكثرة نفعه فالذي يقدر 125/أ على حفظ اللبن بين الفرث والدم يقدر أن يحفظ المعرفة الموجبة للعزَّة بين وجوه وحشة الزلّة المقتضية للذلّة.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ [الآية 67] نوع ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [الآية 67] عصيراً يصير خمراً ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 67] كالتمر والزبيب والدبس والخل وسائر ما يكون مستحسناً والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على الكراهة وإلا فجامعة بين العتاب والمنَّة. وقيل: المراد بالسكر النبيذ.

وأفاد الأستاذ: أن الورق الحسن ما كان حلالاً ولا يقتضي وبالاً أو هو ما أتاك الله من حيث لا محتسب أو هو ما لا ينسب لله مكتسبه أو هو الذي لا منّة لمخلوق به عليك ولا تبعة لله متوجهة إليك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات وبالتأمل في الآيات البينات.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [الآية 68] ألهمها وقذف في قلبها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾ [الآية 68] أي اتخذي، أو بأن اتخذي، فإن مفسرة أو مصدرية ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الآية 68] مساكن ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية 68] من كرم أو سقف، ومن تبعيضية في المواضع الثلاثة لأنها لا تبنى في جميعها، وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتاً تنبيهاً ببناء العمارة لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة معجز عنها أحداث الهندسة إلا بالآيات عديدة وانتظار دقيقة. وقرأ ابن عامر وأبو بكر: يعرشون بضم الواو وورش وأبو عمرو وحفص بيوتاً بضم الياء.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 69] أي من جميع أصناف ثمرات تشتهينها حلوها ومرها وسائر ما تبغينها ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ [الآية 69] الطرق التي ألهمك في علمك لإخراج عسلك ﴿ذُلُلًا﴾ [الآية 69] جمع ذلولة مراعاة للمعنى كما أن إفراد الخطاب محافظة على المبنى أي حال كونك مذلّلة منقادة لما أمرك ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ [الآية 69] التفات منها إلى الناس لبيان الإنعام عليهم من خلق النحل وإلهامها لأجلهم ﴿شَرَابٌ﴾ [الآية 69] لأنه مما يُشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 69]
125/ب أبيض وأصفر وأسود وأحمر بسبب تفاوت سرّ النحل أو اختلاف الفصل/ فيه ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 69] إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في المعاجين الطبية، والأظهر أن تنكيره للتعظيم لا للتبعيض المنافي للمرتبة المدحية. وقيل: الضمير للقرآن من مبانيهِ ومعانيهِ أو لما بين الله من أحوال النحل فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 69] فإن من تذير اختصاص النحل بتلك العلوم الغريبة والأفعال العجيبة علم الله أنه لا بد من قادر حكيم يلهمها ويحملها على عملها.

قال ابن عطاء: ألهمها ودلّها على موضعها وعملها كيف تضع ما في

بطنها حيث لا تضع إلا على حجر نظيف أو خشب لطيف لا يخلطه طين ولا تراب، ثم قال: ﴿كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 69] مما عليه رزقك بلا حساب، ثم أمرها بالتواضع في كل باب فقال: ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [الآية 69] منقادة لربّ الأرباب مسبِّب الأسباب ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [الآية 69] جعل ما يخرج من النحل شيئين لا يصفيهما إلا النار فإذا صفتهما صارا عسلاً وشمعاً، فالعسل هو غذاء الخلق وشفاء من الحق، والشمع موضوع للحرق، كذلك إذا أخلص العبد عمله خلص له ونفعه ما خالطه برياء وشرك فلا يصلح إلا ليحرقه.

وقال أبو بكر الوراق: النحلة لما اتبعت أمر ربّها وسلكت سبيلها جعل الله شفاء للناس لعابها كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على الحق جعل رؤيته ومجالسته وكلامه شفاء للخلق فمن جالسه سعد ومن نظر إليه اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ وتبصّر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرف الخلق أن التفصيل ليس من جهة القياس والاستحقاق فإن النحل لم يكن له خصوصية في القامة والصورة والرتبة جعل ما وراءه عسلاً هو شفاء للناس والإنسان في كمال صورته وتمام عقله وفطنته وما اختص به االأنبياء والأولياء من الرتبة جعل ما وراءهم بحيث لا يخفى من الوحشة، فأي فضيلة للنحل وأي ذنب للإنسان في هذه الدار ليس ذلك إلا صدق الاختيار. ويقال: إن الله سبحانه أجرى بسنَّته أن يخفي/ كل شيء عزيز 126/أ
خطير في شيء حقير جعل الإبريسم[1] في الدود هو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطير وأصغرها وجعل الدر في الصدف وهو أوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة والفيروزج[2] ونحوها في الحجر كذلك أودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وهم أضعف الناس وأقلهم إذ فيهم من يعصي وفيهم من يخطىء.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 70] بأحوال مؤتلفة ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [الآية 70] بآجال

(1) ضرب من الأصباغ. انظر لسان العرب (2/ 345) وتاج العروس (1/ 1479).
(2) أرقى أنواع الحرير.

مختلفة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الآية 70] يعاد إلى أخسّه من الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل وضعف القوة البدنية ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الآية 70] لسوء الفهم ونسيان العلم.

قال عكرمة: حافِظ القرآن محفوظ من هذه البلية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 70] بمقادير أعمارهم ومراتب أعمالهم ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 70] على تغيير أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الإنسان في أحسن تركيب وأزين ترتيب في الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة من النور والضياء والفهم والذكاء وذوقه من العقل والتفكير والعلم والتبصير وفنون المناقب التي خصّه بها من الرأي والتدبير ثم في آخر عمره جعله إلى أرذل العمر مردوداً وأراه كل يوم ألماً جديداً، ويقال: أرذل العمر في التحقيق هو أن يرد إلى الخذلان بعد التوفيق فيكون في أول أحوال عمره مطيعاً ثم يصير في آخره عاصياً أو هو أن يرغب في عنفوان شبابه في الإرادة فيسلك طريق الله مدة ثم يقع له فَتْرَة فينفسخ عقد إرادته ويرجع إلى الدنيا بهمَّته. وعند القوم إن هذا في السلوك ردّة أو هو ميل المرءِ إلى محبة الرياسة أو اجتماع المظالم.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [الآية 71] كما في بسط الخلق وحسن الخلق وحصول الرفق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم عزيز ومنكم حقير ومنكم مالك يتولى رزقه ورزق غيره ومنكم مملوك حاله بخلاف أمره ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ [الآية 71] فليس الذين فضلوا في رزقهم بمعطي رزق أنفسهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الآية 71] أي مماليكهم وخدمهم فإن ما يردون
عليهم/ بعض رزقهم الذي جعل الله في أيديهم ﴿فَهُمْ﴾ [الآية 71] أي الموالي 126/ب
ومماليكهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الآية 71] مستقرون في رزق الله إياهم ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 71] حيث يتخذون غيره ربّاً يعبدون أو يعتقدون سواه منعماً يشكرون له ويحمدون. وقرأ أبو بكر بالخطاب لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾ [الآية 71].

قال إبراهيم الخواص: منهم من جعل رزقه في الطلب والسجدة، ومنهم من جعل رزقه في الكسب والصنعة، ومنهم من جعل رزقه في القناعة، ومنهم من جعل رزقه في التوكل طلباً للراحة، ومنهم من جعل رزقه في الكفاية، ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة كما قال سيد المرسلين: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقين»[1].

وأفاد الأستاذ: أن أرزاق المخلوقات مختلفة، فمن مضيّق عليه رزقه ومن موسّع عليه رزقه، ومن أرزاق هي أرزاق النفوس وأرزاق هي أرزاق القلوب وأرزاق هي أرزاق الأرواح وأرزاق هي أرزاق الأسرار، فأرزاق النفوس لقوم توفيق الطاعات ولآخرين خذلان السيئات، وأرزاق القلوب لقوم حضور القلب باستدامة ذكر الربّ ولآخرين اشتغال أرواحهم في أحوالهم بالعلاقة بينهم وبين أشكالهم فيكون ولاءهم ومحبتهم لأمثالهم وأرزاق الأسرار لا تكون إلا بمشاهدة الحق ومطالعة الأنوار، فأما مَن لم يكن من هذه الجملة فليس من أصحاب الأسرار بل هو محجوب تحت أستار أغيار الأغيار.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 72] أي من جنسكم نساء قابلة لأن تتزوجوهن وتسكنوا إليهن وجعل بينكم مودّة ورحمة لتأنسوا بها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [الآية 72] أي بنات خادمات أو أولاد البنين والبنات فيكون في بنين تغليب الذكور على الإناث فالاكتفاء بهم لأنهم زينة الحياة الدنيا وأصحاب الإناث.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد الخلق إلى الخلق وشغل الخلق بالخلق لأن الجنس أولى بالجنس كاجتماع الجن بالجن والتئام الإنس بالإنس لزيادة الأنس. ولما أراد الحق فينا جنس الخلق هيّأ سبب التناسل من النسل لاستبقاء مثل الأصل ثم منَّ علينا بخلق البنين وابتلى قوماً بالبنات ﴿وَرَزَقَكُم

(1) أخرجه ابن راهويه في المسند (2/ 463) رقم (1035)، ومالك في الموطأ (2/ 188) رقم (5).

127/ أ ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [الآية 72] الحلالات / أو المستلذات، ومن للتبعيض فإن ما في الدنيا أنموذج من العقبى. وقيل: الرزق الطيب ما فتح لك من غيره للاستشراف والطلب.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق الطيب لقوم ما يستطيبه نفسه ولآخرين ما يستطيبه سرّه فمنهم من يستطيب مأكولاً ومشروباً ومنهم من يستطيب خلوة وصفوة إلى غيره من الأرزاق المختلفة والأوقاف المؤتلفة ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 72] وهو حسبان شيء من الأغيار وتعلق القلب بهم في استبقائهم واستدفاع محظور واستجلاب محبوب في هذه الدار ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [الآية 72] حيث أضافوا نعمه إلى غيره مع رجائهم منه خيره.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 73] من المطر والنبات وغيرهما من الطيبات ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الآية 73] أي يملكوا حالاً من الحالات ولا يملكوا من الصفات.

وأفاد الأستاذ: أن تعليق القلب بشيء من الشخص أو السبب معناه لعبادة غير الرب من حيث إنه تضييع وقت فيما لا يعنيه وفيه استجلب من الله في التحقيق معتقه.

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [الآية 74] لا تجعلوا له مثلاً تشركون به أو تقيسون عليه، فإن ضرب ﴿ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [الآية 74] هو تشبيه الأموال بالأحوال إن الله يعلم فساد ما يعدون بما يعتمدون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك وخدمه أدخل في التعظيم من عبادة الملك نفسه وأنتم لا تعلمون ذلك بجهلكم بما هنالك ولو علمتم لما جرأتم أوانه سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ [الآية 74] كيف يضرب الأمثال ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 74] حقيقة الأحوال، وهو المناسب لما بعده من المقال ويؤيده ما أفاد الأستاذ بقوله: كيف يضرب الأمثال لمن لا يساويه شيء في الذات والصفات وكمال الأفعال ومن نظر إلى الحق من حيث الخلق وقع في ظلمات تيه المسببية بعيداً عن مقام التحقيق والتنبيه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [الآية 75] يكون تصرفه

فيه مستحسناً ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 75] خيراً كثيراً ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ [الآية 75] أي لا يستوي/ الأحرار والعبيد نفعاً وضرّاً 127/ ب
مثل ما يشركه به سبحانه بالمملوك العاجز عن التصرف في شأنه ومثل ذاته بالحر المالك المتصرف بماله، والتسوية بينهما مع تشاركهما في المخلوقية والجنسية على امتناع التسوية بين الأصناف التي هي أعجز البرية وبين الله الجامع للصفات الألوهية والنعوت الربوبية، أو هو تمثيل للكافر المطلق والمؤمن الموفق، وقيد العبد بالمملوك احتراس عن الحر فإنه أيضاً عَبَدَ الله وسلب القدرة احتراز عن المكاتب والمأذون وجعله قسماً للمالك دال على أن المملوك لا يملك خلاف المالك.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أخبر الله تعالى عن العبد وصفته فقال: لا يقدر على شيء فمن رجع إلى شيء من علمه وعمله وحاله وقاله فإنه المتبري من العبودية وهو منازعة الربوبية فإن العبودية هو أن يتجلى عن سوى معبوده ويرى الأشياء بوجوده ويرى نفسه له في شهوده ومشاهدة كرمه وجُودِهِ.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبّه الكافر في كفران سيده نعمة، والعبد المملوك الذي لا ملك له والمؤمن المخلص فيما حققه بمن رزقه ثم بالخيرات وفقه ثم وعده الثواب وحسن المآب على ما أنفقه ثم نفى عنه المساواة فليس كل مَن كان بنفسه ملاحظاً لأبناء جنسه متمادياً في حسبان غلطه كما كان قائماً بربّه مصطلماً عن مشاهدته النائب عنه غيره.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] كل الحمد له لا يستحقه سواه لأنه مولى النِّعم كلها ومقدِّر أسبابها بأسرها ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 75] فيعبدون سواه ويضيفون نعمه إلى غيره مع أنهم يأكلون من رزقه ويرجون خيره.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [الآية 76] ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم عنه ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [الآية 76] من تدبير عمله لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [الآية 76] ثقيل وعيّال على ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ [الآية 76] حيث ما يرسله مولاه في أمر ينفعه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 76] من كفاية مهمة ﴿هَلْ يَسْتَوِى﴾ [الآية 76] أي في الفضل ﴿هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [الآية 76]

128/أ أي ومَن هو فهيم منطيق عليم ذو كفاية ورشد/ ورعاية ينفع نفسه وينصح غيره يحثّه على العدل الشامل الجامع الفضائل ومكارم الشمائل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 76] في دين قويم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بسعي أقرب، وهذا تمثيل آخر ضربه الله لنفسه والأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها كما وقعت في الأوهام أو للمؤمن والكافر وبرهان ملة الإسلام وبطلان عبادة الأصنام.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 77] أعلم ما غاب فيهما عن العباد تختص به سبحانه لا يعلمه غيره كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام:الآية 59]، ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 77] أي ما أمر قيام القيامة في السهولة والسرعة ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [الآية 77] كرجع طرف النظر ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [الآية 77] في تصور أهل الفكر وأو بمعنى بل، وقيل للتخيير في تخييل التمثيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية 77] فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة ولو كان إحياؤهم متدرجة.

قال النهر جودي: الحق سبحانه ستر غيبه من خلقه وستر أولياءه إلا عن الصدِّيقين من عباده فالإشراف على الغيب عزيز والإشراق على الأولياء أعز.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه استأثر الغائبات فسترها على المخلوقات فيخرج قوماً في صدر الولاية ثم ينقله إلى صفة العداوة ويقيم قوماً برقم العداوة ثم يردهم إلى وصف الولاية فالعواقب مستورة والخواتم مبهمة والخلق في عقله مما يراد منهم أي غفلة.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [الآية 78] وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة فيها أو إتباع لما قبلها وهمزة بكسرها وكسر ما بعدها والهاء مزيدة أو لغة ﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 78] جهالاً ومقالاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ [الآية 78] أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركات في الكليات ومباينات في الجزئيات لتتمكنوا من حصول العلوم البديهية الوهبية ووصول المعالم النظرية والكسبية ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 78] كي تفرقوا بعض نعمه وتقوموا بحق شكره من

اجتناب زجره واكتساب أمره.

128/ب قال الواسطي: لا تفهمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في وقت/ يلي.

وقال أبو عثمان المغربي: جعل لكم السمع لتسمعوا به خطاب الأمر والنهي والأبصار لتبصروا به عجائب القدرة والأفئدة لتعرفوا بها آثار موارد الحقيقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 78] تبصرون دوام نعمي فترجعوا إلى بابي وعتبتي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلقهم من غير أن شاورهم وأنبتهم على الوصف الذي أراده دون أن خيّرهم ولم يعلموا بماذا سبق حكمهم بالسعادة خلقهم أو للشقاوة عن العدم أخرجهم، ويقال: أخرجهم من بطون أمهاتهم فلا صلاح أنفسهم علموه ولا صفة ربهم عرفوه، ثم بحكم الإلهام هداهم حتى قبل الصبي ثدي أمه وإن لم يسبق له تعريف، كذلك اهتدى المؤمن إلى ربّه بحكم الإلهام والإكرام وإن لم يكن قد تقدمه لا تفريق ولا تخويف ولا تكليف ولا تعنيف، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 78] لتسمعوا خطابي ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الآية 78] لتعتبروا بأفعالي ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الآية 78] لتعرفوا حق إكرامي فتشكروا عظيم إنعامي.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 79] وقرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب أي ألم ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ [الآية 79] اسم جنس بمعنى الطيور حال كونهن ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ [الآية 79] مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 79] أي الهواء والخلاء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 79] فإن ثقل جسدها يقتضي نزولها وسقوطها ولا علّاقة فوقها تمنعها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 79] أي تسخير الطير للطيران ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ [الآية 79] بأن خلقها خلقة يمكن الطيران معها وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف مقتضى طبعها ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 79] خصّ بهم لأنهم هم المنتفعون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [الآية 80] موضعاً تسكنون فيه وقت

الحضر كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [الآية 80] أي سكناً وقت السفر وهي القباب المتخذة من الأدم وكذا الخيام المتخذة من الوبر والشعر فإنها من حيث إنها ثابتة على جلودها يصدق عليها أنها منها ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ [الآية 80] تجدونها خفيفة تخفّف عليكم باعتبار حملها ونقلها
129/ أ ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ [الآية 80] وقت/ رحلتكم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [الآية 80] أي وكذلك يخف عليكم باعتبار وضعها أو ضربها وقت الحضر أو حال النزول في السفر. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين.

وقال الأستاذ: للنفوس وطن وللقلوب وطن والناس على نفسهن مستوطن ومسافر، فكما أن الناس بنفوسهم مختلفون فكذلك بقلوبهم منقلبون فالمريد والطالب مسافر بقلبه لأنه متلوّن فيرتقي من درجة إلى درجة، والعارف مقيم مستوطن لأنه واصل متمكّن والطريق إلى الله منازل ومراحل ولا يقطع تلك المنازل بالنفوس وإنما يقطع بالقلوب فالمريد سالك مسافر والعارف واصل مجاور ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ [الآية 80] الصوف للضأن والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها في الأنعام ﴿أَثَٰثًا﴾ [الآية 80] ما يُلبس ويُفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾ [الآية 80] ما يتّجر ويدّخر ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 80] وقت مماتكم أو انتهاء قضاء حاجاتكم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ [الآية 81] من الشجر والحجر والأبنية والغمامة ﴿ظِلَٰلًا﴾ [الآية 81] تتقون بها حر الشمس وسمومها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ﴾ [الآية 81] أي من الكهوف والبيوت المنحوتة ﴿أَكْنَٰنًا﴾ [الآية 81] جمع كن أي مواضع تسكنون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ [الآية 81] ثياباً من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [الآية 81] أي والقر، وحفص بما ذكر اكتفاء بأحد الضدّين عن الآخر والإيماء إلى أن وقاية الحر لهم كانت أم عندهم ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾ [الآية 81] ما يلبس من الدروع والجوشن ﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [الآية 81] وبلات حربكم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 81] كإتمام النعمة السابقة ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 81] في الأزمنة اللاحقة ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] تنقادون لأمره وتقومون لحق شكره. قال بعضهم: تمام النعمة الانقطاع عن النعمة

بالسكون إلى المنعم.

وقال حمدون: تمام النعمة في الدنيا المعرفة وفي الآخرة الرؤية.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية 82] أي أعرضوا عنك ولم يقبلوا منك فلا يضرّك في أمر الدين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 82] وقد بلّغت الرسالة وكشفت الغمة ونصحت الأمة.

وقال الأستاذ: أي فما عليك إذا بلّغت الرسالة إذ ما جعلنا إليك حكم الهداية والضلالة.

/ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 83] حيث يتقلبون فيها ويغترفون منها أو 129/ب
يعترفون بها ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [الآية 83] حيث لا يشكرونها ويعرضون عن أداء حقوقها بل يكفرون بعبادة غير منفعها، ومن جملتها نعمة نبوّة محمد ﷺ ومعجزاته عرفوها ومن غاية العناد أنكروها ومعنى ثم استبعاد النكرة بعد المعرفة ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 83] لأن بعضهم قد يؤمنون فهم شاكرون.

وأفاد الأستاذ: أنهم يعرفون في حال توبتهم قبح ما كانوا عليه في حال زلتهم ثم إذا أنقضوا توبتهم صاروا كأنهم لم يعرفوا نعمتهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 84] وهو نبيّهم يشهد لهم وعليهم بإيمانهم وكفرانهم ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 84] في الاعتذار عنهم إذ لا عذر لهم في العقبى ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 84] لا يسترضون إذا فاتهم مقام العتبى والرضى في الدنيا.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 85] جزاء الظلمة الظلمة الواقعة في الحجاب ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي العقاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 85] يمهلون وراء الباب.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ [الآية 86] أي مما ادعوها شركاً من أصنامهم أو ممن أشركوهم في الكفر بالحمل عليه من شياطينهم ورؤسائهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾ [الآية 86] نعبدهم أو نطيعهم

من غيرك وهو اعتراف بأنهم مخطئون في ذلك أو التماس كأن يشطر عذابهم هناك ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 86] أي فأجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء لله أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم إياه.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ [الآية 87] أي أظهروا كلهم ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [الآية 87] الاستسلام لحكمه في العقبى بعد استكبارهم عنه في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية 87] أي بطل وضاع منهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 87] من آلهتهم ينصرون أو يشفعون حيث كذبوهم وتبرؤوا منهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 88] بالمنع عن الإيمان والحمل على الكفران ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 88] على وفق ضلالهم وإضلالهم ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [الآية 88] من أعمالهم وأحوالهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 89] يعني تبياناً،
130/ أ فإن نبي كل أمة بُعِث / منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 89] على أمتك من الأعداء والأولياء، وقيل على هؤلاء الأنبياء فإنه مزك لهم كما أن أمته مزك لأممهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 89] أي القرآن الجامع للأبواب ﴿تِبْيَٰنًا﴾ [الآية 89] بياناً وبرهاناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 89] ما يحتاج إليه في الحال والمآل بحسب ما يليق به من التفصيل والإجمال المبين بالسنَّة أو قياس الأئمة ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 89] للناس من الكافرين والمؤمنين كافة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 89] للمتقين عامة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 89] أي المنقادين من المحسنين خاصة وإنما حرمان المحروم من تفريطه في الطاعة، وفي الآية إشارة إلى ما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه من قوله:

جميع العلم في العلم لكن   تقاصر عنه أفهام الرجال[1]

وأفاد الأستاذ: أن فيه للمؤمنين شفاء وهو لهم ضياء وعلى الكافرين بلاء وهو لهم سبب محنة وشقاء.

---

(1) انفرد في ذكره الملا علي رحمه الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [الآية 90] أي بمطلق العدالة من التوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد بنعت التنزيه المتوسط بين التعطيل والتشبيه، وكالقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر وصرف القدر وعملا به كالتقييد بأداء الواجبات وسنن المكملات المتوسط بين البطالة ومبالغة الرهبة وخلقاً كالجرد المتوسط بين التقدير والتدبير وكذا في سائر الأخلاق والأحوال من الأكل والشرب واللباس المختلفة بحسب الكمية والكيفية الواقعة بين الناس في العادة المؤتلفة ولذا قالوا: الإرادة هي ترك العادة ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [الآية 90] أي إحسان الطاعة، وأكملها ما بيَّنه ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1]، أو الإحسان إلى أفراد الحيوان وأصناف الإحسان ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية 90] أي وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه على سبيل الندب أو الواجب ولو كانوا كالعقارب وهو تخصيص بعد تعميم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية 90] ما يفحش فعله كالكبائر ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 90] ما أنكرته الشريعة ولو من الصغائر ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ [الآية 90] وهو شامل لأنواع الظلم المتعدي إلى الغير، فالآية كما قال ابن مسعود هي أجمع آية للخير والشر[2] وقد صارت سبب/ إسلام عثمان بن مظعون أخوال برضاعة النبي ﷺ 130/ب
﴿يَعِظُكُمْ﴾ [الآية 90] ينصحكم بالأمر والنهي والتمييز بين الخير والشر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 90] تتدبرون فتتعظون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر عبده بالعدل فيما بينه وبين ربّه بإيثار حقه على حظه وتقديم رضاه على هواه والتفرُّد بملازمة جميع الأمور والتجرُّد عن جميع الزواجر وبالعدل فيما بينه وبين نفسه وهو منعها مما فيه هلاكها كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النّازعات:الآية 40] فكمال عدله من نفسه كي عروق طمعه وبالعدل بينه وبين الخلق وهو بدل النصيحة وترك الخيانة ونصب العوام منه بدل النداء وكف الأذى وصفة الخواص بدل الإنصاف وترك

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 134) رقم (8659)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 473) رقم (2440).

الانتصاف وإسداء الأنعام وترك الانتقام وكف الأذى والصبر على تحمُّل ما يصيبه منهم من البلوى، وأما الإحسان في الفعل فالحسن من أفعالنا ما أمر الله به وأذن لنا فيه بخدع فاعله. ويقال: الإحسان أن تقضي ما عليك من حق وتترك كل ما لك عند أحد.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 91] أي بقبول عهده من عهدة القيام بأمره ونهيه ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [الآية 91] الله بالأيمان في سماع وعده ووعيده أو بعهده إياكم في الميثاق باستدامة الإيمان ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [الآية 91] أي أيمان البيعة أو الأيمان المتفارقة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [الآية 91] توثيقها بذكر الله عليها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [الآية 91] شاهداً بتلك المقالة أو الحالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 91] ما توفون وما تنقضون. قيل: من تحمل العهد بنفسه وصوله نقضه في أول قدمه ومن تحمله بربه حفظ عليه في ميثاقه وعهده.

وقال الواسطي: قد تقدمت العهود في الميثاق الأول فمن أقام على وفاء ميثاقه فتح له طريق حقائقه ومن خاف أغلق دونه مسالك رشده.

وقال الأستاذ: لكل قوم منهم عهد مخصوصٌ عاهدوا الله عليه فهم
131/أ الطالبون بالوفاء بعهده، فنزاهة عهده أن لا يرجع إلى الدنيا فإذا رجع/إلى ما تركه منها فقد نقض عهده ولم يوف بوعده، والعابد عاهده في تركه، والمراد عاهده في ترك العادة وإيثاره بكل وجه في العبادة والعارف عهده التجرُّد له وإنكار ما سواه، والمحب عهده القول بترك نفسه معه، والموحِّد عهده الأسمى عنه وإفراده إياه وغيبته عما سواه، والعبد منهي عن نقض عهده مأموراً بالوفاء به.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [الآية 92] أي مغزولها ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [الآية 92] بعد إبرام وإحكام في غزلها ﴿أَنكَٰثًا﴾ [الآية 92] طاقات، نكثت فتلها بقطعها أو حلها وكانت ريطنة القرشية تفعل هذه القضية فإنها كانت خرقاء وتسمى حمقاء ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 92] أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم دخلاً ومسدة فيما بينكم ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [الآية 92] بأن يكون جماعة أكثر عدداً وأوفر عدداً من جماعة،

والمعنى لا تقدروا في بيعتكم بقوم لقلتهم وكثرتكم.

وأفاد الأستاذ: أن من نقض عهده أفسد بآخر أمره أوله وهدم بفعله ما أسّسه، وقطع بيده ما غرسه، وكان كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [الآية 92] من بعد ما أبرمت فتلها. وإن السالك إذا وقعت له فترة والمريد إذا حصلت له في الطريق وقفة، والعارف إذا حصلت له حجة، والمحب إذا استقبله فرقة، فهذه محن قطيعة ومصائب فجيعة، وكما قيل:

فلأبكين على الهلال تأسُّفاً ... خوف الكسوف عليه قبل تمامه[1]

فهؤلاء كسفت شمسهم وانطفأ بهم في ليلة مظلمة سراجهم وانتثرت من سماء صفاتهم نجومهم وأصاب أزهار أنسهم وربيع وصلهم إعصار فيه بلاء شديد وعذاب أليم أكيد، فإن الحق سبحانه إذا أراد بقوم بلية فكما قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:الآية 110] كما لم يؤمنوا به أول مرة وآثار سخطة الملوك موجعة وقضية إعراض السلطان موحشة، وكما قيل:

والصبر يحسن في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم[2]

هنالك تُسكب العبرات وتُشق الجيوب وتُلطم الخدود وتُعطل العشار وتخرب المنازل وتُسد الأبواب وتُغلق مسوح المصيبة من جدران المعاني، وينوح/ نائحهم في جميع المباني ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [الآية 92] أي 131/ ب
يمتحنكم للقيام بالأمر بحبل الوفاء أو بنقض العهد وإظهارالجفاء.

وأفاد الأستاذ: أن كل أحد وقوع بلائه على ما يليق بحاله، فمن كان بلاؤه بحديث دنياه أو بنفاية عن هواه أو بحرمانه كلف ما به في عقباه فاسم البلاء في صفته مجاز في الحقيقة، ثم هذا بلاء العام، وأما بلاء الكرام فغير هذا المرام، كما قيل:

من لم يبت والبين يقرع قلبه ... لم يدر كيف تفتت الأكباد[3]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 195).
(2) نسب إلى العتبي. انظر الوساطة بين المتنبي وخصومه (1/ 77) ونور القبس (1/ 71).
(3) نسب إلى عمر بن أحمد بن بديل اليامي. انظر ربيع الأبرار (1/ 209) والورقة (1/ 32).

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 92] إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفق أحوالكم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 93] أي متحدة وعلى الإسلام متفقة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 93] ضلالته بالخذلان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 93] هدايته بتوفيق الإيمان ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 93] سؤال توبيخ ومجارات للأنام لا سؤال التفريق والاستعلام.

وقال الأستاذ: ليس واقعة القوم بخسران أصابهم في أموالهم أو من جهة تقصير في أعمالهم أو لما ضيّعوا من أحوالهم، هذا لعمري وجوه وأسباب ولكن سر القصة في هذا الباب كما قيل:

أنا صبٌّ مَنْ هَوَيتُ ولكن ما احتيالي بسوء رأي الموالي[1]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 93] فلو شاء الله سعادتهم لرحمهم وعن المعاصي عصمهم ولدوام ذكره بدل الغفلة ألهمهم ولكن سبقت القسمة فمن ذلك حصلت الغيبة والقسوة. وما أحسن ما قالوا:

شكا إليك ما وجد من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد[2]

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 94] تصريح بما علم ضمناً وتأكيد لتقبيح المنهي عنه أولاً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ [الآية 94] عن محجة الإسلام ولو كانت واحدة ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [الآية 94] أي تحقُّقها بالحجة الواضحة ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 94] العذاب في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 94] بإعراضكم عن المولى أو منعكم غيركم عن القيام بحق الوفاء ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 94] في العاقبة.

وقال الأستاذ: ليكن لتصديقكم بأيمانكم عن تحقيقكم ببرهانكم لأنكم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 196).
(2) نسب لأبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي في مدح عبد الله بن النجم. انظر رسائل الثعالبي (1/ 67).

إذا وقفتم/ على حد التجويز دون القطع واليقين أفضى بكم ترددكم إلى أوطان 132/ أ
شرككم إذ الشك في الله والشرك بالله قرينان في الحكم.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ [الآية 95] أي لا تستبدلوا ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 95] وبيعة رسوله ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ [الآية 95] عرضاً يسيراً وعرضاً حقيراً. سئل جنيد: مَن أحسن الخلق، قال: مَن جعل دينه سبباً وطريقاً للانبساط إلى الخلق في الارتفاق منهم ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 95] من النصرة والغنيمة في الدنيا والمثوبة والنعمة في العقبى ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 95] مما تختارونه من الأدنى ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 95] تميزون بين الأدنى والأعلى.

وقال الأستاذ: لا تختاروا على القيام بحق الله والوفاء بعهد الله عوضاً يسيراً مما تنفقون به من حلالكم وحرامكم فإن ما أعدَّ الله لكم في جناتكم بشرط موافاتكم على إيمانكم يرقى ويربى على ما تتعجلون به من حظوظكم في حسبانكم.

﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ [الآية 96] من أعراض الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ [الآية 96] ينقضي ويفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 96] من خزائن رحمته وما أعدّه الله للمؤمنين من جنّته ﴿بَاقٖۗ﴾ [الآية 96] لا ينفذ إلى الأبد.

وقال الأستاذ: أي الذي عندكم بعرض حادث أو وارث والذي عند الله من ثوابكم في مآبكم نعم مجموعة لا مقطوعة ولا ممنوعة. ويقال: ما عندكم أو منكم أو بكم فأفعال معلولة وأحوال مدخولة وما عند الله فثواب مقيم ونعيم عظيم. ويقال: ما منكم من معارفكم ومحابكم آثار متفاوتة وأصناف متناوبة أعمالها غير باقية وإن كانت أحكامها غير باطلة والذي يتصف الحق من رحمته بكم ومحبته لكم وثنائه عليكم فصفات أزلية ونعوت سرمدية. ويقال: ما عندكم من اشتياقكم إلى لقائنا فبعرض الزوال وقبول الانقضاء وما وصفنا به نفسنا كما ورد به الأثر: «طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»[1]، فذلك إقبال لا يتناهى وإفضال لا يفنى.

---

(1) جامع الأحاديث القدسية ـ قسم الضعيف (1/ 67) رقم (1140)، وتخريج أحاديث الإحياء (6/ 218) رقم (2569) وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ [الآية 96] وبالنون لابن كثير وعاصم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم﴾ [الآية 96] على الفاقة ولحوق سائر المشقة والكلفة ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 96] بجزاء أحسن من أعمالهم لحصول آمالهم في الجنة ودرجات القربة.

وأفاد الأستاذ: أن جزاء الصبر الفوز بالطلبة والفوز بالبغية، والهمم في الطلبات مختلفة. ويقال: مَن صبر على مقاساة مشقة/ في الله فثوابه وعوضه 132/ب
عظيم من قِبَل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر:الآية 10] ومَن صبر عن اتّباع شهوة لأجل الله وارتكاب هفوة في مخافة الله فجزاؤه كما قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفُرقان:الآية 75] ومن صبر تحت جريان حكم الله محققاً بأنه يمري من الله فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 153].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 97] موافقاً لقواعد الشريعة العليا ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 97] بالمولى أو الاعتداد بأعمال الكفر في العقبى لاستحقاق الثواب وإنما التوقع عليها تخفيف العقاب إن لم يجتازوا عليها في الدنيا بطول الأعمار وكثرة الأولاد وزيادة الجاه والأسباب ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [الآية 97] يعيش في الدنيا معيشة حسنة فإنه إن كان موسراً تطاف النعمة وإن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة والفراغ للعبادة وتوقع التوبة العظيمة في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسراً فظاهر النقمة وإن كان موسراً لم يدع خصوصه وخوف فوته أن يتهنى بعيشه وقال بعمل هو أن يتبرع عن العبد تدبيره ورد إلى تدبير الحسن في حقه بحسب تقديره.

وقال الحريري: هو العيش مع الله والفهم عن الله. وقيل: القناعة، وقيل: عيش الفقراء الراضين، ذكره السلمي ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 97]من الطاعة واختيار القناعة.

وأفاد الأستاذ: أن الصالح ما يصلح للقبول وهو ما كان على وجه أمر به الرسول، فالعمل الصالح لا يكون من غير إيمان فقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 97] معناه عمل صالحاً في الحال وهو مؤمن في المآل لأن صفاء الحال لا

يبتغى إلا مع وفاء المآل فإن الأمور بخواتيمها في الاستقبال، ويقال: هو مؤمن في المآل أي مصدق بأن نجاته من فضل الله لا بعمله الصالح. ويقال: هو مؤمن أي مصدق بأن عمله الصالح بتوفيق الله وإحسانه وإبداعه. ثم قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [الآية 97] الفاء للتعقيب فهذا في الدنيا معجل، وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 97] الواو للعطف فهو في الآخرة مؤجل، ثم من ملك الحياة الطيبة لا يعرف ذلك / بالنطق وإنما يعرف ذلك بالذوق، فقوم قالوا إنه حلاوة الطاعة، وقوم قالوا 133/ أ
إن ذلك القناعة، وقوم قالوا هو الرضا، وآخرون قالوا لذاذة النجوى. ويقال: الحياة الطيبة هي الحضور في الحضرة، وفي معناه قالوا:

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتمّ السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودّي أنكم غُيّبٌ ونحن حضور[1]

ويقال: الحياة الطيبة للأولياء أن لا يترك لهم مسؤولاً إلا حققه ومأمولاً إلا صدّقه، وأما الخواص فالحياة الطيبة أن لا يكون لهم حاجة ولا سؤال ولا أرب ولا مطلب وكم بين مَن له مراد فيرتفع وبين مَن لا إرادة له فلا يريد شيئاً، الأولون قائلون بشرط العبودية والآخرون معتقون بشرط الحرية.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 98] أردت قراءته وصدّقت تلاوته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 98] أي استحباباً وقيل وجوباً ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [الآية 98] أي من تلقين وسوسته وتزيين خطوبه وتحسين متابعته فإنه بمنزلة الكلب على بابه، المنع عما وراء حجابه، وللدفع عن قراءة كتابه ولا يتصور الخلاص عنه إلا بالالتجاء إلى جنابه.

وأفاد الأستاذ: أن شيطان كل واحد ما يشغله عن ربّه فمن سلط عليه نفسه حتى شغله عن ربّه ولو كان بشهود طاعته واستجلاء عبادة أو ملاحظة حال ومرتبة فذلك شيطانه فالواجب عليه أن يستعيذ بالله من شر نفسه وشر كل ذي شر من خلقه.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 99] تسلُّط أو برهان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 145) و(4/ 200) و(7/ 423).

[الآية 99] بطريق العرفان ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 99] في كل آن وزمان فإنهم لا يطيعون الوسوسة إلا فيما يحتقرون على طريق النقلة وسبيل الندرة ولذا أمروا بالاستعاذة للإيمان فإنه ليس له الاستقلال في السلطنة.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [الآية 100] أي يجيبونه ويطيعونه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ [الآية 100] بسببه ﴿مُشْرِكُونَ﴾ [الآية 100] بربّه، قيل: مَن اتبع هواه فقد تولّاه الشيطان وأغواه.

قال النصرأبادي: من صحَّح نِسْبَته مع الحق لا يؤثر عليه بعد ذلك منازعة للخلق لا من جهة الطبع الإنساني ولا من الوسواس الشيطاني.

133/ب وقال الأستاذ: أنّى يكون للشيطان سلطان والعبد / يعلم أن الحق منفرد بالإبداع متوحِّد بالاختراع، إنما سلطانه على الذين هم في غطاء غفلتهم وستر حسبانهم ومظنتهم فأما أصحاب التوحيد فإنهم يرون الحادثات بالله ظهورها ومن الله ابتداؤها وإلى الله مآلها وانتهاؤها.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [الآية 101] بناء على نسخها وفق الحكمة ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [الآية 101] من المصالح المختلفة باختلاف أحوال الأمة، ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 101] ـ أي الكفرة ـ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [الآية 101] أي على ربك حيث تأمر بشيء ثم يبدو لك خلافه فتنهى عنه فإن الله سبحانه منزَّه عن البدء بأن يتغير علمه في الانتهاء ما لم يتبين له في الابتداء، وهذا من عندهم للبناء على معتقدهم أن القرآن لم ينزل من السماء، وهو جواب إنما، والجملة فيما بينهما اعتراضية أو حالية ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 101] حكمة الأحكام وأنه نازل من عند الملك العلَّام.

وقال الأستاذ: ما ازدادوا في طول مدتهم إلا شكّاً على شكّهم وجهلاً على جهلهم لم يصدقوهم في أصل دينه فجروا على منهاجهم في تكذيبه فما زادهم سورة ولا آية إلا ازدادوا شكاً ومرية.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مَلّ الوصال وقال كان وكانا.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 102] يعني جبريل الأمين النازل من حظيرة الأنس ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 102] متلبساً بالحكمة المناسبة للجن والإنس ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ [الآية 102] أي الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 102] على الإيمان بأنه كلامه بالبرهان فإنه إذا سمعوا الناسخ في معرض البيان لما فيه من غاية المصلحة التي هي غاية الحكمة رسخت عقائدهم وازدادت فوائدهم ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ [الآية 102] للمسلمين، أي وليهدي هداية ويبشر بشارة للمنقاد لحكمه المبين.

قال الواسطي: الأرواح ليس لها نوم ولا موت بل هي جوهرة لطيفة للطفها تسمى روحاً وللطف جبريل عليه السلام يسمى روحاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم لفرط جهلهم بربّهم وبعد رتبتهم عن تحصيلهم آجالهم على ذكر الملك ولو كانوا مستغرقين في شهود الملك لما ردوا في حين التعريف إليهم بذكر الملك.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [الآية 103] يعنون جبراً ويساراً / كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل جهرة وكان ﷺ إذا 134/أ
مر بهما استمع لقراءتهما ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 103] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء أي لغة الذي يميلون بقولهم إلى الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ [الآية 103] غير بين اللّسان ﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية 103] القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 103] ذو فصاحة وبيان.

وقال الأستاذ: لم يستوحش الرسول ﷺ من تكذيبهم وخفاء حاله عليهم بعد علمه بأن الحق يعلم صدقه ويعلم محله وقدره، وأي ضرر يلحق مَن كان مع السلطان مجالسته إذا خفي على الأخسّية من الرعية حالته، ثم إنه أقام الحجة في الرد عليهم حيث قال ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [الآية 103] وهذا من فرط جهلهم أنهم توهموا أن هذا القرآن الذي عجز كافة الخلق عن معارضته في فصاحته وبلاغته منقول وحاصل من قبل مَن هو أعجمي القالة ألْكَنُ النُّطق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 104] ويظنون أنها من عند مَن

سواه ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 104] إلى سبيل رضاه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 104] وحجاب مقيم.

وأفاد الأستاذ: أن من سبق بالشقاوة قسمته لم يتعلق من الحق سبحانه به رحمته ومن لم يهده الله في عاجله إلى معرفته لا يهديه الله في آجله إلى جنته.

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 105] لأنهم لا يخافون عتاباً على كذبهم ولا يرجون ثواباً على صدقهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 105] أي الكافرون ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 105] حقاً على الحقيقة والمفترون في الشريعة والطريقة.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من لطائف المعاريض لما وصفوه عليه السلام بالافتراء في الإنباء أناب الحق سبحانه عنه في الجواب فقال: لست أنت المفتري إنما المفتري من كذّب معبوده وجهل توحيده.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ [الآية 106] لسبب إكراه وقع في شأنه ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [الآية 106] وتكلَّم بكلمة الكفر من طرف لسانه ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الآية 106] أي والحال أنه لم تتغير عقيدته من عرفانه فلا عتب عليه من ربّه ولا لأحد تعرُّضه لسببه ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ [الآية 106]
134/ب طاب به نفسه واعتقده / قلبه ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية 106] ذلّاً أعظم من جرم من كفر بمولاه. روي أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه ياسراً وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قبلها وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقُتِلت وقتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مُكرهاً فقيل: يا رسول الله إن عماراً كفر، فقال: كلا إن عماراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال: «ما لك! إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»[1] وهو دليل على جواز التكلُّم بالكفر عند الإكراه

(1) تفسير البغوي (5/ 46) وتفسير الرازي (9/ 470) والكشاف (3/ 403).

وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت أيضاً، فخلّاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا صدع قلب عبده بقلبه وإخلاصه في عقده ثم لحقته ضرورة في حاله خفف عنه حكمه ودفع عنه عناه فإذا تلفّظ بكلمة الكفر مُكرهاً وهو بالتوحيد متحقِّق صدراً عُذِرَ فيما بينه وبين الله، وكذلك الذين عقدوا بقلبهم وتجردوا لسلوك طريق ربّهم ثم اعترضت أسباب وانتقت لهم أعذار فبقدر ما يوجبه الحال لو كان لهم ببعض الأسباب اشتغال أو إلى شيء من المعلوم رجوع وإقبال لم يقدح ذلك في صحة إرادتهم ولا يعد ذلك منهم فسخاً لعهدهم في طريقتهم ولكن من رجع باختياره ورضاه ووضع قدماً ورفعه في طريق الله بحكم هواه فقد نقض عهد إرادته لله وفسخ عقد قصده إلى الله وهو مستوجب للحجبة إلى أن تتداركه الرحمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 107] إشارة إلى الكفر بعد الإيمان والكفر بعد الفرقان ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [الآية 107] بسبب أنهم آثروها عليها واستبدلوا ما / بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 107] في علمه 135/أ سبحانه إلى ما يوجب اليقين ويقتضي ثباتهم على الدين.

وأفاد الأستاذ: أن السالك إذا آثروا الحظوظ على الحقوق بقي عن الله ولم يبارك له فيما آثره على حق مولاه، ولقد قالوا:

قد تركناك والذي تريد فعسى أن تملّهم فتعودا[2]

---

(1) تفسير الرازي (9/ 472) والكشاف (3/ 403) وتفسير أبي السعود (5/ 143).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 48).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 108] أي ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ﴾ [الآية 108] فأنبت عن مشاهدة الحق والتأمُّل في آياته من الخلق ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الآية 108] الكاملون في الغفلة حيث اعتقلتهم الحالة الراهنة عن نذير العاقبة.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 109] أي لا بد ولا محالة ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 109] الكاملون في الخسارة والواقعون في الحسرة والندامة.

وأفاد الأستاذ: أن مَن تمادى في فترته ولم يترك حاله بملازمة حسرته ازدادت قسوته بعد الصفوة ولم يستمتع بما هو فيه من الاستلذاذ في أيام الفترة كما قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ [الآية 109] فهؤلاء في الحاضرة قبل الآخرة هم المحجوبون وبذلّ البُعد موسومون.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [الآية 110] أي بالولاية والنصرة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [الآية 110] أي عذبوا كعمار وأصحابه وقرأ ابن عامر بصيغة المعلوم أي بعد ما عذّبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبراً حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ [الآية 110] بأمره ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ [الآية 110] على حكمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ [الآية 110] بعد الهجرة والمجاهدة والصبر على المشقة ﴿لَغَفُورٞ﴾ [الآية 110] لما صدر عنهم من المعصية ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 110] بقبول التوبة وتوفيق العصمة.

قال سهل: هجروا قرناء السوء بعد أن طهر الفتنة منهم في الصحبة ثم جاهدوا أنفسهم على ملازمة أهل الطاعة وصبروا معهم على تلك الحالة.

وأفاد الأستاذ: أن من صبر حين عزم الأمر المحقق فلم يجنح إلى جانب الرخص وأخذ في الأمر بالأشق أكرم الله حقه وقرّب مكانه بأن يعمه الحق في محل السيادة ويلقيه في كل حال بالزيادة وربحت صفقته حين خسر أشكاله فيقدم على الجملة وإن قل احتياله.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [الآية 111] تسعى في خلاصها / لا 135/ ب

يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية 111] تُعطى جزاء عملها وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 111] بزيادة عذاب أو نقصان ثواب. قال بعضهم: ذهب وقت الخلق اشتغالاً بنفوسهم في الدنيا تجادل عن نفسها وفي الآخرة تجادل عنها فمتى تتفرغ لعبادة ربّها، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن غداً كلٌّ مشغول بنفسه ليس له فراغ لغيره وعزيز عبد لا يشتغل بنفسه، قال ﷺ: «مَن كان بحالة لقي الله بها»[1] إنما يكون الفارغ غداً مَن كان اليوم فارغاً وإنما يجادل عن نفسه مَن كان له اهتمام نفسه والمؤمن مَن لا نفس له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:الآية 111] فأنفسهم اشتراها الحق منهم ثم أودعها عندهم فليس لهم فيها حق وإنما يراعون فيها أمر الحق.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [الآية 112] جعلها مثلاً كمكة أو لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعمة فأبطرتهم وأوقعتهم في النقمة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [الآية 112] لا يزعج أهلها مخافة وحركة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ [الآية 112] أقواتها في أوقاتها ﴿رَغَدًا﴾ [الآية 112] واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 112] من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 112] بترك الاعتداد بها والقيام بأداء شكرها ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [الآية 112] فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف مما عمّهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 112].

وأفاد الأستاذ: أن فراغ القلب عن الأشغال نعمة عظيمة فإذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوي وانجرّ في قياد الشهوة شوّش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء وقته فإن طوارق النفوس توجب غروب شوارق القلوب، وفي الخبر: «إذا أقبل الليل من ها هنا أدبر النهار من ها هنا»[2]، فكذلك القلب إذا انقطع عنه معهود ما كان الحق أتاحه له

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 58)، (4/ 142) و(5/ 59).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (1954)، ومسلم في الصحيح (1100/ 51).

أصابه عطش شديد ولهب عظيم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 113] ما أصابهم من الجدب الشديد ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية 113] حال التباسهم بالظلم الموجب للوعيد.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الآية 114] خالصاً أو ظاهراً أو
136/أ مستلذاً ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 114] / تطيعون.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال الطيب ما يتناوله العبد على شريطة الإذن يشاهد الذكر على قضية الأدب في ترك الشره وحقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بالاستغراق في شهود المنعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الآية 115].

وأفاد الأستاذ: أن تناول المحرمات إنما يباح عند هجوم الضرورات فإن ألجأته الضرورة فيقدر ما يسد الرمق في تلك الحالة كذلك عند استهلاك العبد بغلبات الحقيقة فبقدر ما يؤدي الغرض لا بد من رجوعه إلى حال الصحو ثم لا يمكن من التقريح في أوطان التفرقة والتمييز بعد مضي أوقات الصحو لأداء الشرع، وكما قيل:

إن يك منه لي غيبة بعد غيبة فإن إليه بالوجوب إيابي[1]

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 116] نصب بلا بعد تقولوا ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [الآية 116] بدل منه، وهذا كما قالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام:الآية 139] الآية، ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 116] تعليل لما يتضمن من أغراضهم الفاسدة، وقيل: اللام للعاقبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الآية 116] أي لا يفوزون بالمطلب فإن الصدق أنجى في تحصيل الأرب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 216).

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [الآية 117] ما يغترون لأجله منفعة قليلة تتقطع في مدة قريبة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 117] في الآخرة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 118] في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ [الأنعام:الآية 146] الآية ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 118] بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 118] حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على أن التحريم للمضرة يكون للعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنَّ مَن تقدّمنا تعبدوا بأشياء كما تعبدنا فمنهم من أتى بما أمر به ومنهم من تخلّف عنه وكل عومل له بما استوجبه، من مطيع قلبه قرّبه ومن عاصٍ رده فحجبه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الآية 119] بسببها ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ﴾ [الآية 119] ما أفسدوا وتداركوا ما فوّتوا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ [الآية 119] بعد/ التوبة المقرونة بإصلاح الحالة ﴿لَغَفُورٞ﴾ [الآية 119] لتلك 136/ ب
الملة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 119] بالإثابة على الإنابة.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا ندموا على قبيح ما قدموا وأسفوا على كثير ما أسلفوا فيما أسرفوا ومحوا بصوب عبرتهم آثار عثرتهم نظر الله إليهم بالرحمة وعمّهم بأنواع المغفرة.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ [الآية 120] لأنه كان وحده مؤمناً وغيره كافراً ولكماله واستجماع حاله من شمائل وفضائل لأفكار لا توجد معرفة إلا في جماعة كما قيل: ليس من الله بمستنكر لأن يجمع العالم في واحد ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ [الآية 120] مطيعاً لأمره قائماً بحكمه مداوماً على ذِكْرِهِ ﴿حَنِيفٗا﴾ [الآية 120] ملاعن غير دينه ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 120] بربّه لكمال تبريه من الشرك حلية وخفية.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [الآية 121] قال الواسطي: قابلاً لقضائه وقسمته قبول رضا لا قبول كراهة ﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾ [الآية 121] للنبوّة ﴿وَهَدَىٰهُ﴾ [الآية 121] للدعوة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 121] إلى حصول الجنة ووصول القُرْبة.

وأفاد الأستاذ: إن الشاكر في الحقيقة من يدعي عجزه عن شكره إذا شكره من أجل نعمة لأنه هو الذي خلقه ووفّقه به، واجتباه اختاره وعظم شأنه حتى كان بالكلية له سبحانه وتحقق بأنه عبده وإن رقّاه إلى محل الأكابر من خلقه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية 122] رزقه أولاداً طيبة وعمراً طويلاً في السعة والطاعة وحبّبه إلى جميع البرية حتى جميعهم يبنون عليه وينسبون ملتهم إليه، أو النبوَّة أو الرسالة أو مرتبة الخلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 122] لمن أشرف أهل الجنة كما سأله بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف:الآية 101]. وقيل: آتيناه في الدنيا المعرفة حتى يصلح في الآخرة لبساط المجاورة.

وقال الأستاذ: أي آتيناه في الدنيا حسنة حتى كان لنا بالكلية ولم يكن فيه لغيرنا بقية.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 123] أي بعده ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية 123] في توحيد الحق ودعوة الخلق على وفق الرفق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 123] بل كان قدوة الموحدين وعهدة المحتفين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة.

قال الدينوري: أمر النبي ﷺ باتباع الخليل لئلا يأنف أحد عن الاتباع بعد ظهور الدليل، وملَّة إبراهيم كان حسن الخلق والسخاء والإيثار والوفاء فزاد ﷺ حتى جاد بالكونين عوضاً عن المكوِّن / الكريم فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم:الآية 4]. 137/ أ

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ [الآية 124] تعظيمه والتحلي للعبادة فيه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [الآية 124] على نبيهم ﴿فِيهِ﴾ [الآية 124] في قبوله. والمراد بهم اليهود أَمَرَهُم موسى عليه السلام أن يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا: نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض، فألزمهم الله السبت باختيارهم وشدّد الأمر عليهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 124] بمجازاة كل فريق بما يستحقون.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيهم أنهم حادوا عن موجب الأمر ومالوا

إلى جوانب هواهم ثم إنهم لم يراعوه حق رعايته فصار سبب عصيانهم، أو جعل العمل في السبت محرّماً عليهم. واختلافهم فيه أن قوماً حرّموا وقوماً أحلُّوا بمعصية منهم.

﴿ٱدۡعُ﴾ [الآية 125] أي الأنام ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [الآية 125] أي الإسلام ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الآية 125] بالمقالة المحكمة وهو الحجة الواضحة للحجة المزينة للشبهة ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [الآية 125] المخاطبة المقلقة والنصيحة النافعة، فالأولى لدعوة الخاصة والثانية للعامة ﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾ [الآية 125] أي أهل المعاندة ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الآية 125] بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والطريق الأشهر فإن ذلك أنفع لتسكين لهبهم وتليين شبقهم. قيل: قدم الحكمة لأنها إصابة المقالة باللسان وإصابة الفكر بالجنان، وإصابة الحركة بالأركان. والمعنى إن تكلم تكلم لحكمة وإن تفكر ففكر لحكمة وإن تحرك تحرك لحكمة وأحسن المجادلة ما ليس له حظ النفس في تلك الحالة.

وأفاد الأستاذ: أن الدعاء إلى الله هو الحث على طاعته والزجر عن مخالفته والدعاء بالحكمة أن لا يخالف بفعله ما يأمر غيره به والموعظة الحسنة ما يكون صادراً عن علمه وحلمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الآية 125] إلى طريقه ودليله، والمعنى أن تبليغ الدعوة وإلزام الحجة عليك، وأما حصول الهداية والضلالة والمجازاة فليس إليك بل هو أعلم منك بالفريقين.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ [الآية 126] أمر بالمخالفة وترك المخالفة ومراعاة العدالة ولو مع مَن / يناصبه من أرباب الضلالة والجهالة من 137/ ب
حيث إن الدعوة تتضمن رفض العادة. وقيل: إنه عليه السلام لما رأى حمزة وما به من المثلة فقال: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ مكانك بسبعين منهم» فنزلت فكفّر عن يمينه[1] ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ﴾ [الآية 126] أي لِلْصبر ﴿خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 218) رقم (4894)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 143) رقم (2937)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 120) رقم (9703).

[الآية 126] من الانتقام للمنتقمين.

ثم خصّ الأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه بربّه فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الآية 127] إلا بمعونته وتثبيته ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 127] على الكافرين في عقوبتهم، أو على المؤمنين في بليتهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ﴾ [الآية 127] أي ضيق صدر وقلق قلب ﴿مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [الآية 127] وقرأ ابن كثير بكسر الصاد، ومال أبو سعيد الخراز عن موضع الإباحة بالقصاص على وجه المماثلة ونهي النفس عن هواها من بلوغ مناها وعرف أن الفضل والنصر في احتمال مؤن الصبر بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 126] فمال النبي ﷺ من العدل إلى موضع الفضل فعرض عليه ذلك وقيل له: إن العبر على الخلق نافلة وعليك فريضة، ثم أعلمه أن ذلك لا يتم له مع الخلق إلا حين نسبته بالخلق، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الآية 127].

وأفاد الأستاذ: أن أُجْرِي عليكم ظلم من غيركم فأردتم الانتقام والمكافأة فلا تجاوزوا أحداً لإذن بما هو في حكم الشرع مبين لكم ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ [الآية 126] وتركتم الانتصاف لأجل مولاكم فهو خير لمن فعل ذلك منكم. والأسباب التي تحمل المرء على ترك الانتصاف مختلفة فمنهم مَن يترك ذلك طمعاً في أن يرضي الله خصومه، ومنهم من يترك ذلك لأنه يكتفي بعلم الله بما يجري عليه، ومنهم من يترك ذلك لكرم نفسه وتجوّزه عن الخطر ولاستجلابه العفو عند الظفر، ومنهم من لا يرى لنفسه حقاً ولا يعتقد لأحد حقاً لهو في عقد إرادته القول بترك نفسه فعنده مباح ملكه وهدر دمه، ومنهم من ينظر إلى خصمه بعين التسليط عليه جزاء له على ما عمله من مخالفته، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:الآية 30] فاشتغاله
138/أ باستغفاره عن جرمه يمنعه عن اتصافه من / خصمه. ثم قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 127] تكليف ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الآية 127] تعريف، واصبر أمر بالعبودية، وما صبرك إلا بالله خبر عن حق الربوبية ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 127] بمطالعة تقديرنا فما لا تجعله عندنا خطراً لا ينبغي أن يوجب فيك أثراً فإن أسقطنا قدره استصغرنا أمره، فإذا عرفت انفرادنا بإيجادهم فلا يضيق قلبك بشدة عداوتهم

وعنادهم فإنَّا إذا ضمنا كفايتك لا نشمتهم بك ولا نجعل لهم سبيلاً إليك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [الآية 128] أي خافوا الله بتعظيم أمره ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [الآية 128] بالشفقة على خلقه.

وقال الأستاذ: إن الله معهم بالنصرة والمعية الخاصة مع الذين اتقوا رؤية النصر من غيرهم وهم أصحاب التبري من الحول والقوة، والمحسن الذي يعبده كأنه يراه وهو حال المشاهدة.

سورة [الإسراء] أو بني إسرائيل

[مكيّة]

وهي مائة وعشرون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله كلمة ما سمعها عابد إلا شكر عصمته وما سمعها تائب إلا وجد رحمته، كلمة ما حقّقها عارف إلا تفطّر قلبه بنسيم قربته، كلمة ما شهدها واحد إلا قطر دمعه لخوف فرقته.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الآية 1] سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه عن التعطيل والتشبيه وانتصابه بمضمر ترك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن عجز إسرائه، وأسري وسري بمعنى لكن أسري في مبالغة التقدير أسري. وقوله: ﴿لَيْلًا﴾ [الآية 1] نصب على الظرفية وتنكير للدلالة على تقليل المدة الإسرائية وفيه نوع من الإرادة التجريدية أو التأكيدية لأن الإسراء مختص بالأزمنة الليلية ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية 1] بعينه لما روي أنه عليه السلام قال: «بينا أنا في المسجد الحرام عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم»[2] وسماه المسجد الحرام في الحجر لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به، والقول الأول أولى يطابق المبتدأ المنتهي وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الآية 1] حيث لا حرم لذلك المسجد أصلاً أشار إليه صاحب البردة بقوله:

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح بنحوه (3207)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 270) رقم (599)، وابن حبان في الصحيح (1/ 236) رقم (48).

سريت من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر في داجٍ في الظلم[1]

المراد أن ما روي أنه كان نائماً في بيت أم هاني ما بعد صلاة العشاء فأُسري به، وقد جمعت بين القولين/ في رسالتي «المعراج العلوي في المعراج النبوي» مع فوائد متعلقة بها لا يستغني الطالب عن تحقيقها، والمراد به بيت المقدس وكونه أقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد مبارك ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الآية 1] ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومعبد الأنبياء من لدن موسى ومحفوف بالأنهار والأشجار المنتجة للأزهار والأثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الآية 1] كمشاهدة بيت المقدس ومكاشفة الأنبياء وذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ثم الانتهاء إلى عجائب ملكوت السماء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 1] لأقواله ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الآية 1] بأفعاله فيكرِّمه ويقرِّبه على وفق حاله. 138/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن موسى عليه السلام حين أكرمه بإسماعه من غير واسطة كلامه فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعرَاف:الآية 143]، وأخبر عن نبيّنا ﷺ فقال: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الآية 1] وليس من جاء بنفسه كمن أسرى به ربه، هذا متحمِّل وهذا محمول، هذا بنعت الفرق وهذا بوصف الجمع، هذا مريد وهذا مراد. ويقال: جعل المعراج بالليل عند غفلة الرقباء وغيبة الحسّاد ومن غير ميعاد ومن غير تقديم استعداد. ويقال: أرسله الحق سبحانه ليتعلم أهل الأرض منه آداب المجاهدة ثم رقاه إلى السماء ليتعلم الملائكة منه آداب المشاهدة. قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النّجْم:الآية 17] وما التفت يميناً ولا شمالاً وما طمع في مقام الإكرام حالاً ومآلاً تحرّر عن كل طلب وأرب إلا حب الربّ. وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الآية 1] كأنه تعريف بالآيات ثم تفريق الصفات ثم كشف الذات. ويقال: أراه تلك الليلة من آياته ما عرف به أنه ليس كمثله شيء سبحانه في جلاله وجماله وعزِّه وكبريائه ومجده وسنائه، ثم أراد من آياته ما عرف به أيضاً أنه ليس أحد من الخلائق مثله في نبوّته ورسالته وعلوّ حالته وجلال رتبته.

(1) البوصيري، انظر دواوين الشعر العربي (9/ 74).

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ [الآيــة 2] أي قائلاً لا تتخذوا. وقرأ أبو عمر بالغيبة أي لئلا يتخذوا ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الآية 2] ربّاً يوكّل الأمر إليه غيري.

139/أ وقال الأستاذ: أرسل الله إلى موسى عليه السلام كما أرسل/ إلى نبينا ﷺ ولكن البدر في سمائه بضيائه وعلائه والشمس في طلوعها وإشراقها ما أقربه البدر إذا طلعت من خفائه.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الآية 3] نصب على اختصاص ليعم القراءتين وفيه تذكير فإنعام الله عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق وحملهم على نوح في سفينة الغرق ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 3] أي نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الآية 3] فيه إيماء إلى أن أنجاه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به.

وأفاد الأستاذ: إن الشكور الذي يكون شكره على توفيق الله له بشكره لا يتقاصر عن شكره لنعمه ويقال: الشكور الذي يشكر ما له ينفقه في سبيل الله ولا يدّخره ويشكر بنفسه يستعملها في طاعته فلا يبقي شيئاً من الخدمة يؤخره ويشكر بقلبه لربّه بذكره لا يأتي عليه ساعة إلا بذكره انتهى. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:الآية 13].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 4] أوحينا إليهم وحياً مقضياً ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 4] هو التوراة النازل عليهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 4] أولهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا، وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى، والجملة جواب قسم تقديراً ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الآية 4] بالاستكبار عن طاعة الله أو بالتجبر على خلق الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في تعريفهم ما سيكون في المستأنف منهم وما يستقبلهم ليزدادوا يقيناً إذا لقوا ما أخبروا به وليكون أبلغ في لزوم الحجة عليهم وليتحرزوا عن مخالفة الأمر بحمدهم وليعلموا أن ما سبق به القضاء فلا محالة يحصل ولا مخلص منه وإن جدّ العبد في التباعد عنه.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ [الآية 5] وعد عقاب أولاهما وقيل: الوعد هنا بمعنى

الوعيد إما مجازاً أو تمكناً ﴿بَعَثْنَا﴾ [الآية 5] سلّطنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ [الآية 5] أي منقادين لقضائنا وهم بخت نصّر عامل بابل وجنوده ﴿أُوْلِي بَأْسٍ﴾ [الآية 5] ذوي بطش ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُواْ﴾ [الآية 5] ترددوا لطلبكم وتفحصوا في أثركم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الآية 5] وسطها للقتل وغارت أهل الدار فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وما حوله من العمارة ﴿وَكَانَ وَعْدًا﴾ [الآية 5] عقابهم ﴿مَّفْعُولًا﴾ [الآية 5] لا بد أن يفعل.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه / يعد أقواماً لأحوال مخصوصة حتى إذا 139/ب
كان وقت إرادته فيهم كان هؤلاء موجودين عندهم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ [الآية 6] الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6] على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن أسقيديار لما ورث المُلك من جده شفقة عليهم فرد أسراهم إلى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر أو بأن سلّط داوود على جالوت فقتله ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الآية 6] مما كنتم، والنفير من ينفر مع الرجل من قومه. وقيل: جمع نفر بمعنى الخدم والحشم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على أنه سبحانه مقدر أعمال العباد ومدبر أمور البلاد بأن انعطافهم على أعدائهم من جملة أكسابهم وقد أخبر الحق سبحانه أنه هو الذي تولاه بقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ [الآية 7] في عملكم أو إلى غيركم ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 7] لأن منفعتها عائدة إليها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الآية 7] إساءتها مختصة بها لا يتجاوز غيرها ووبالها واقع عليها وقيل اللام للمشاكلة.

قال أبو يزيد: من عمل لنفسه أي لحظة لا يعمل لله أي خالصاً لوجهه ومن عمل لله أي وابتغى رضاه لا يعمل لنفسه أي لمناه واتّباع هواه.

وقال الأستاذ: إن أحسنتم فثوابكم اكتسبتم، وإن أسأتم فعذابكم اجتلبتم، والحق أعزّ من أن يعود من أفعال عباده إليه زين أو شين.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 7] وعد عقوبة المرة الأخيرة ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الآية 7] بعثناهم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر: ليسوا على الإفراد على أن الضمير فيه للوعد والبعث أو لله وهو الأظهر لقراءة الكسائي بالنون ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ [الآية 7] ليهلكوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ [الآية 7] ما استولوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ [الآية 7] أي إهلاكاً كثيراً وذلك بأن سلّط الله عليهم الفرس مرة أخرى. وقيل: ودخل صاحب الجيش يذبح قرابينهم فوجد فيه دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يُقبل منا، فقال: لم تصدقوني، فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهد الدم. ثم قال: إن
140/أ لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا: إنه دم / يحيى عليه السلام، فقال: لمثل هذا ينتقم منكم ربكم. ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك بما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الآية 8] بعد المرة الآخرة وإن عدتم نوبة ثانية إلى معصيتكم عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم فعادوا بتكذيب محمد ﷺ وقصد قتله فعاد الله بتسليط نبيه عليهم فقتل منهم بني قريظة وأجلى بني النضير وضرب الجزية على البقية. ثم هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين منهم ومن غيرهم حصيراً حبيساً ومصيراً لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد.

قال ابن عطاء: عسى ربكم أن يتعطف عليكم فيخرجكم من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة فمن طلب الرحمة من غير الله فهو مخطىء يستحق النقمة. وقيل: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى المغفرة.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ [الآية 8] إلى الفرار عنا ﴿عُدْنَا﴾ [الآية 8] إلى أخذ الطريق عليكم لتعودوا إلينا.

وقال أبو عثمان: إن عدتم إلينا بعد المخالفة عدنا إليكم بالرحمة.

وأفاد الأستاذ: إن عسى كلمة ترجية وإطماع وقفهم على حد الرجاء والأمل والخوف والوجل فقال: عسى، وإن لم يصرح بفقرائهم ورحمتهم لكن في الآية للرجاء موجب قوي وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف:الآية 129] أي

عسى من رباكم وبلطفه عزاكم أن يرحمكم في دنياكم وأخراكم، وإن عدتم عدنا أي إن عدتم إلى الزلة عدنا إلى العقوبة وإن عدتم إلى التوبة عدنا في إدامة المثوبة. ويقال: وإن عدتم إلى الاستخارة عدنا إلى الإجارة. قيل: إن عدتم إلى الجفاء عدنا إلى الوفاء. ويقال: إن عدتم إلى ما يليق بكم عدنا إلى ما يليق بكرمنا.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الآية 9] يدل على الطريقة التي هي أقوم الطرق لكونها الجامعة بين الشريعة والحقيقة ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 9] أي الطاعات المفروضة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الآية 9] أي عظيماً وثواباً كثيراً جسيماً. وقرأ حمزة والكسائي بشر من البشارة.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] عطف على معمول يبشر بمعنى يخبر أو / تقديره أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب 140/ ب
أنفسهم وعقاب أعدائهم.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن يهدي إلى الصواب والسعادة ولكن الخلل من جهة المستدل لا سيما إذا كان من أهل العناد إذ الدليل قد يكون ظاهراً وإذا كان المستدل معرضاً أو بآداب النظر فمن لم يهتد لتقصيره لا لقصور في دليله وتأثيره فالقرآن نور من استصحاب تخلص من ظلمات جهله وخرج من غمار شكّه ومن رمدة عيون نظره التبس عليه رشده. ويقال: الحول ضوءه أشد من العمى لأن العمي يعلم أنه لا يصبر فيتبع فائدة والأحول يتوسم الشيء شيئين فهو من تخلية وحسبانه بما روي: من كان سليم الحاسة كذلك المبتدع إذا سلك طريق الجدل ولم يضع النظر موضعه بقي في ظلمة جهله ويصول بباطل دعواه على خصمه بمجرد عقله.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 11] يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله بمثل دعائه بالخير في اعتدال حاله أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو ليس إلا شراً ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الآية 11] يسارع إلى كل ما يخطر بباله ولا ينظر في عاقبة أمره ومآله ولا يدري حسن حاله وسوء وباله، أو المعنى منهم من

يعجل بالخير ومنهم من يعجل بالشر فكل منهم من يفوض الأمر. قال سهل: أسلم الدعوات الذكر والثناء وترك الاختيار في السؤال والدعاء لأن في الذكر كفاية له وربما يدعو الإنسان ويسلك هلاكه.

وأفاد الأستاذ: أن الأدب في الدعاء أن لا يسأل إلا عند الحاجة ثم ينظر فإن كان شر يستغني عنه لا يتعرض له ولا يرغب فيه، فإن في الخبر: «مِن حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(1). ثم من آداب الداعي أنه إذا سأل من الله حاجة ويرى في الإجابة مهلة أن لا يتهم الحق سبحانه البتة ويجب أن يعلم أن الخير له في أن لا يجيبه والاستعجال فيما يختاره العبد غير محمود له وشر من ذلك الاستثقال في الخلق لما يبدو من الغيب مما اختاره الحق، وأولى الأشياء السكوت في حاله والرضا بحكمه فإن لم يساعده الصبر وسأل
141/أ قالوا: حبب ترك الاستعجال والثقة بأن المقسوم لا تفاوت فيه وأن /اختيار الحق للعبد خير له من اختياره لنفسه. قلت: وإذا التزم أن لا يدعو إلا بالدعاء المأثور تخلص عن الأمر المحذور.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الآية 12] علامتين دالتين على جمال قدرتنا وثناء حكمتنا كما بيّنه سبحانه بقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:الآية 73]، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 12] الإضافة بيانية والمعنى خلقناها ممحوة ناقصة الإضاءة ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الآية 12] مضيئة كاملة الإنارة لما سبق فيها من الحكمة المشتملة على الرحمة ولما صرح هنا بقوله: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 12] لتطلبوا في بياض النهار استعانة أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ [الآية 12] باختلافهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الآية 12] جنس حسابكم ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 12] تحتاجون إليه في أمر الدين والدنيا ﴿فَصَّلْنَٰهُ

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1315) رقم (3976)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 558) رقم (2317)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 254) رقم (4986)، وابن حبان في الصحيح (1/ 466) رقم (229).

تَفۡصِيلٗا﴾ [الآية 12] بيَّناه تبييناً جميلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الليل والنهار علامة على كمال قدرته ودلالة على وجود وحدانيته في تعاقبهما وتقاربهما وزيادتهما ونقصانهما ثم جعلهما وقتاً صالحاً لإقامة العبودية والاستقامة على معرفة جلال الألوهية فالمعارف شرطها الدوام والاتصال والوظائف حقها التوقيت والاختصاص ثم جعل كل واحد بدلاً من صاحبه حتى لو وقع في بعض العبادات تقصير وحصل لأداء بعضها تأخير تدارك بالقضاء في الوقت الآتي تأخيره وتلا في تقصيره. ويقال: من وجوه الآيات في الليل والنهار إفراد النهار بالضياء من غير سبب وتخصيص الليل بالظلام لغير أمر مكتسب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الآية 12] وهو اختلاف أحوال القمر في إشراقه ومحاقه وأنه لا يبقى في ليلتين على حالة واحدة بل هو في كل ليلة على منزل آخر بنقصان أو بزيادة، وأما الشمس فحالها على دوام أحوالها والناس كذلك أوصافهم فأرباب التمكين الدوام شرطهم وأصحاب التلوين التنقل حقهم. قال قائلهم:

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً ... تتحيَّر الألباب دون نزوله(1)

/ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الآية 13] عمله وما قدّر له من سعادته أو 141/ب
شقاوته ﴿فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الآية 13] لزوم الطوق في رقبته وذمته ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا﴾ [الآية 13] مكتوباً هو صحيفة آثار أعماله أو نفسه المنتقشة بأسرار أحواله فإن الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً يفيد تكرُّر أحوالها ملكات جلية ﴿يَلۡقَىٰهُ﴾ [الآية 13] وقرأ ابن عامر بصيغة المفعول من لقيته كذا والمعنى يجده ﴿مَنشُورًا﴾ [الآية 13] لكشف الغطاء عما فيه مسطوراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألزم كل واحد ما يجد من عهدته خلاصاً ولا ينال من لدنه مناصاً وهو بحكم السعادة لقوم وبحكم الشقاوة لقوم،

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 31) و(4/ 239).

والذين هم أهل السعادة أسرج لهم مراكب التوفيق فيسير بهم إلى ساحة النجاة والوصلة والقربة، والذين هم أهل الشقاوة ربط بهم مثقلة الخذلان والفرقة والحرقة فيفقدهم عن النهوض إلى نهج الخلاص ويقعون في وهدة الهلاك من غير المناص.

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الآية 14] أي يقال له بيان القال أو لسان الحال ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الآية 14] الذي أرسلته إلى ربك مع مَن كان معك ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ﴾ [الآية 14] الباء زائدة، والمعنى كفيت غيرك ﴿ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الآية 14] أي حاسباً لدلالة أعمالك وكافياً لدلالة أحوالك. روي عن عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض قبل أن تُعرضوا»(1).

وقال يحيى بن معاذ: اقرأ كتابك فإنك كنت المملي في بابك. وقيل: محاسبة الأبرار في الدنيا ومحاسبة الفجار في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن من ساعدته السعادة الأزلية وعاونته العناية الأولية حفظه عند معاملاته على وفق كتابه عما يكون وبالاً عليه يوم حسابه ومن أبلاه بحكم رده أعمله ثم تركه وعمله وأمله فإذا استوفى أجله عرف ما ضيّعه وأهمله فإذا حكمه في حال نفسه فلا محالة حكم باستحقاقه لعذابه لما تحقق من قبيح أعماله في بابه، فكم من حسرة يتجرعها وكم من خيبة يلقاها
142/أ وينتعلها وكم من عويل يظهره فلا يرحم وكم تأويل يدعوه فلا / يسمع ولا يلزم. ويقال: من حاسبه بكتابه فكتابه يلازمه ومن حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه سبحانه العفو والرحمة فالواجب على العبد أن يتمهل في دعائه فيقول: اللهم حاسبني بكتابك على ما قلت غافر الذنب قابل التوب ولا تعاملني بمقتضى كتابي ففيه بواري وهلاكي وما يوجب سوء مآلي.

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 15] لا ينجي اهتداؤه غيره ﴿وَمَن ضَلَّ

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 638) رقم (2459)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 96) رقم (34459).

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الآية 15] لا يؤذي ضلاله سواه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 15] لا تحمل نفس حاملة وزر نفس أخرى لا في الدنيا ولا في الأخرى. فيه رد على ما كان عليه الجاهلية الأولى.

وأفاد الأستاذ: أن قضايا أعمال الخلق مقصورة عليهم إن كانت طاعة فضياؤها لأصحابها وإن كانت ذلّة فبلاؤها لأربابها والحق غني مقدّس واحدي منزَّه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الآية 15] يمهد الحجة ويبيِّن الشريعة فيلزمهم الحجة فلا يدخل أحد في السعير إلا بعد إرسال الرسول منعوت بالتدبير البشير كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك:الآية 8] فعلى هذا من نشأ في شاهق جبل أو حال كونه سائق جمل ولم يسمع برسول الحق في هذا الباب ولا سمع نداءه سبحانه بذكر الكتاب فهو معذور مدفوع عنه العقاب، وكذا المجنون في جميع عمره والطفل الصغير يجهل أمره.

وذهب الأشعري إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة يأمرهم الله بدخول النار فمن أطاع نجا ودخل الجنة وانكشف علم الله فيه سابق السعادة ومن عصى دخل دار العقوبة وانكشف كونه من أهل الشقاوة. ونسب هذا القول إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة وهو مختار بعض الأئمة، ويدل عليه كثير من الأحاديث الواردة في السنَّة والتحقيق أن أطفال المؤمنين في الجنة بلا شبهة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور:الآية 21]، وأما أطفال الكفار فبعد البعثة خدم أهل الجنة ببركة نبي الرحمة، وأما أطفالهم قبلها فالله عالم
بحالهم وما كانوا يختارون من أعمالهم. / وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث 143/ب
المختلفة الواردة في حقهم فظاهر الآية يدل على أن لا وجوب قبل الشرع ولا دليل إلا السمع وبعضهم فسّر الرسول بالدليل الهادي إلى المنقول والمعقول وذهب جماعة إلى أن هذه الآية في حكم الدنيا.

والمعنى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد إرسال الرسول إليهم وإبلاغ الحجة وإلزامها عليهم ويؤيده ارتباط ما قبله بما بعده وهو قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الآية 16] أي إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنقاذ قضائنا السابق ﴿أَمَرْنَا

﴿مُتْرَفِيهَا﴾ [الآية 16] منعيميها بطاعة واجبة عليهم على لسان رسول إليهم ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الآية 16] أي خرجوا عن الطاعة وتمردوا في المعصية. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما: أن معناه أمرنا بالفسق فيحتاج إلى أن يؤول. ويقال: المراد بالأمر الأمر القدري يعني سخرهم الله إلى فعل فواحش المعصية فاستحقوا العقوبة لأن الله لا يأمر بالفحشاء، وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ومجلسهم يجمعهم ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على مخالفة الطاعة ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الآية 16] أي كلمة العذاب السابقة بحلول العقاب في العاقبة اللاحقة ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الآية 16] أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارها.

وقال أبو عثمان: إذا أخرج الله إنكار المعاصي عن القلوب يخاف على الخلق إذ ذاك الهلاك من قبل الحق.

وقال الأستاذ: إذا كثر أهل الفساد وغلبوا أو قلّ أهل الصلاح وفقدوا فعند ذلك يعمّ الله الخلق ببلائه على وفق قضائه فلا يكون للناس ملجأ من أولياء يتكلم في بابهم ولا فيهم من يبتهل إلى الله فيسمع دعاءهم فعند ذلك تشتد المحن إلى أن ينظر الله إلى الخلق نظر الرحمة فيبدل الحال بالرحمة والمنن.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الآية 17] وكثيراً أهلكنا ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ [الآية 17] ببيان وتمييز لكم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الآية 17] كعاد وثمود ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدرك سرائرها وظواهرها فيعاقب عليها بأسرها على وفق إصرارها.

144/أ وأفاد الأستاذ: أن في الآية تسلية للمظلومين/ إذا استبطأوا هلاك الظلمة فيهم وتمنوا فقراء باديهم عنهم، فإذا الفكر فيمن مضى منهم كيف بنوا مشيداً وأملوا بعيداً فبادوا جميعاً يعلم أن الآخرين عن قريب سينخرطون في مسلكهم ويمتحنون بمثل شأنهم فإذا أظلّهم سحاب الوحشة فأووا إلى ظلّ شهود التقدير فتزول عنهم الوحشة وتطيب لهم الحياة وتحصل البهجة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الآية 18] أي وهو معرض عن أمور الآجلة ﴿عَجَّلْنَا

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الآية 18] لأنه لا يجد كل متمنٍّ جميع ما يتمناه ولا كل أحد جميع ما يهواه، وفي تعليق أمر التعجيل بالمشيئة إشارة إلى أن همّ المعيشة قضية زائدة لا يحتاج إليها ولا يعول في شيء عليها بإمداد وتفرقة الخواطر لديها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا﴾ [الآية 18] يدخلها ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الآية 18] مطروداً من رحمة الله مبعوداً. والآية في أرباب الرياء والسمعة وأصحاب الجاه والرشوة.

وأفاد الأستاذ: أن من رضي بالخسيس من عاجل الدنيا بقي عن النفيس من أجل الأخرى، ثم لا يخطيء إلا بقدر ما قسم له في القضية الأولى ثم أنس ما يكون به قلباً وأشد ما يكون إليه سكوناً نختطف من نعمة بغتة ولا يخطيء مما جمعه من كرائمه ومتعه من أقاربه إلا حسرة، فلقد قيل:

يا غافلاً أسمعه الصوت إن لم تبادر فهو الفوت
مَن لم يزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت[1]

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الآية 19] أي حقها من السعي الخالص لها بالإئتمار بما أمر والإنزجار عن ما زُجر لا التقرب بما يخترعون من رأيهم ويسلكون فيها على وفق أهوائهم وهو مؤمن وفي إيمانه موفق وفي إيقانه محسن ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 19] وعملهم مبروراً وجزاؤهم موفوراً.

وأفاد الأستاذ: أن علامة من أراد الآخرة على الحقيقة أن يسعى لها فإرادة الآخرة إذا نجزت من عملها كانت أمنية لا رادة فهو مؤمن أي في المآل كما أنه مؤمن في الحال، أو هو مؤمن أن نجاته بفضله سبحانه لا بسعيه وتحسين شأنه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الآية 19] / أي 143/ ب
مقبولاً ومع القبول يكون بالتضعيف موفوراً فكما أن صدقة العبد إذا قبلها يربِّيها ويكبِّرها فكذلك طاعة العبد إذا شكرها يهنيها ويكبرها.

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر الأغاني (4/ 57) في تفسير القشيري نعمته عاجلاً.

﴿كُلًّا﴾ [الآية 20] كل واحد من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ [الآية 20] بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل الأنفة مدة السالفة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 20] بدل من ﴿كُلًّا﴾ وبيان ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الآية 20] متعلق بنمد أي من معاطاة لا من متمني العبد وهواه ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الآية 20] ممنوعاً حيث لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضيلاً واستدراجاً.

قال ابن عطاء: قوم أقامهم الحق بخدمته وقوم اختصهم بمحبته ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الآية 20] أي عطيته.

وقال الأستاذ: نجازي كلّاً بعمله ونعطي كلّاً بقدره فلقوم منهم نجاة ولقوم درجات ولقوم سلامة ولقوم كرامة ولقوم مثوبة ولقوم قربة. قلت: فلقوم حسرات ولقوم دركات ولقوم ندامة ولقوم ملامة ولقوم حرقة ولقوم فرقة ولقوم عذاب ولقوم حجاب.

﴿ٱنظُرْ﴾ [الآية 21] بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 21] من جهة الاختيار أو الاختبار في الرزق والخلق والخلُق والرفق وحسن النطق وصوت الخلق ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية 21] للأولياء ﴿وَأَكْبَرُ﴾ [الآية 21] دركات للأعداء ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الآية 21] وأكثر تفصيلاً، فإن تفاوت الآخرة بالجنة ودرجاتها في المحنة وبالنار ودركاتها في المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن العباد فضّل بعضهم على بعض لكن في زكاء أعمالهم والعارفون فضِّل بعضهم على بعض لكن في صفاء أحوالهم، فذكاء الأعمال بالاختصاص وصفاء الأحوال بالاستخلاص، فقوم تفاضلوا بصدق العزم وقوم تفاضلوا بعلو الهمم، والتفضيل في الآخرة أكبر وعلوّ المراتب فيها أكثر كما أخبر عنه سيد البشر ﷺ فقال: «إنكم لترون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء»[1]، وإن أبا بكر وعمر منهم وإنهما

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 370) رقم (3427)، وفي المعجم الصغير (1/ 220) رقم (353)، وأبو يعلى في المسند (2/ 369) رقم (1130) وأحمد في المسند (3/ 26) رقم (11222).

رضي الله عنهما من أهل الحضرة تفاضلهم بلطائفهم من الأنس بنسيم القربة بما لا بيان له بصفة ولا عبارة ولا برمز يدركه ولا إشارة، منهم مَن يشهده / 144/ أ
ويراه في الأسبوع مرة، ومنهم من لا يغيب عن الحضرة لحظة ثم يجتمعون في الرؤية ويتفاوتون في القسمة وليس كل مَن يراه يراه بالعين التي يراه الغير. وأنشد بعضهم:

لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة رُكَّعاً وسجودا[1]

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الآية 22] فتصير جائياً على نفسك الملامة والمذمة من المؤمنين والملائكة والفضيحة من الله سبحانه وترك النصرة. ومفهومه أن الموحِّد لا يكون إلا ممدوحاً منصوراً.

وأفاد الأستاذ: أن من أشرك بالله أصبح مذموماً من قِبَل الله ومخذولاً من قِبَل مَن عَبَده مما سواه.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية 23] أمر أمراً مقطوعاً وحَكَم حكماً مقضياً مرضياً بأن لا تعبدوا إلا إيَّاه لأن العبادة وهي غاية المسكنة والمذلّة لا تحق إلا لمن له نهاية العظمة والمعزة ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الآية 23] أي وبأن تحسنوا بهما وتبرُّوا إليهما، وهذا في غاية من التأكد حيث قرن حقهما بأمن التوحيد كما قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:الآية 14] أي لنعمة الإيجاد والتنزيه ونسبة السببية الموجبة للشكر عليك وفي الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر عباده بإفراده في العبادة وذلك بالإخلاص فيما يستعمله من العبودية وأن يكون مغلوباً باستيلاء سلطان الحقيقة عليه بما تختطفه عن شهود عبوديته وأمر بالإحسان إلى الوالدين

---

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر العقد الفريد (1/ 121) والكشكول (1/ 197).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 339) رقم (1955)، والطبراني في المعجم الكبير (2/ 356) رقم (2501)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 516) رقم (9119)، وأبو يعلى في المسند (2/ 365) رقم (1122).

ومراعاة حقهما والوقوف عند إشارتهما والقيام بخدمتهما وملاءمة ما كان عائداً إلى رضاهما فيما لا يكون مأثماً، وحسن العشرة ونهاية الحرمة لهما وأن لا ينتدب بشواهد الكسل لأوامرهما بل بذلّ المسكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما، هذا في حال حياتهما، وأما بعد وفاتهما فيصدق الدعاء لهما وأداء الصدقة عنهما وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلا والإحسان إلى مَن كان من أهل ودّهما ومعارفهما. ويقال: أمر الحق العبد بمراعاة حق الوالدين وهو من جنس العبد فمن عجز عن خدمة جنسه فأنّى يقوم بحق ربّه.

144/ب ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الآية 23] إن الشرطية / زيدت معها ما لتأكيد القضية وأحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة. والمعنى أن يكونا في كنفك وكفالتك ويصلا حال الكبر في أيام قوتك ودولتك ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الآية 23] فلا تتضجر مما يستقذر عنهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وفتحه على قراءة ابن كثير وابن عامر على التخفيف والنهي عن ذلك الذي هو أدنى في الأذى يدل على المنع من غيره بالأولى. أمر بالإحسان إليهما ثم نهى عن الإساءة إليهما تأكيداً للقيام بحقهما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الآية 23] ولا تزجرهما عما لا يعجبك من أحوالهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الآية 23] واطلب في رضاهما أجراً عظيماً.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الآية 24] تذلّل لهما وتواضع فيهما من فرط رحمتك عليهما لافتقادهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [الآية 24] أي وادعُ ربك وربّهما أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تعتكف برحمتك الفانية وإن كانا من الفئة العاصية لأن من الرحمة أن يهديهما قبل أن يفنيهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الآية 24] أي رحمة مثل رحمتهما عليّ وقربتهما في حال صغري وإشارة إرشادهما إلى وفاء بوعدك للراحمين كما ورد: «الرحماء يرحمهم الرحمٰن»[1]. روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبوي

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما ورد بصيغ أخر.

بلغا عندي من الكبر أنّي لي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما، قال: لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما[1].

وفي تفسير السلمي قيل: لا تخالفهما فيما يريدان وإن كان على خلاف هواك بعد أن لا يكون في ذلك خلاف شريعة هناك وسبيل فتضلّ عن برّهما، فقال: أن لا تقوم على كسل إلى خدمتهما.

وأفاد الأستاذ: إن في الآية إشارة إلى المداراة وحسن العشرة وسرعة الإجابة والمبادرة إلى الخدمة والصبر على أمرهما وترك التبرُّم وأن لا يدخر ميسوراً عنهما.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الآية 25] تأكيد لقصد البر إليهما واعتقاد ما يجب من التوقير لهما وتهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً بهما ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ [الآية 25] قاصدين الصلاح ومريدين الفلاح ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ [الآية 25] أي للراجعين/ إلى حكم الله وقضائه في إرضائهما ﴿غَفُورًا﴾ 145/ أ
[الآية 25] لما فرط عنه في حقهما.

وقال الأستاذ: إذا علم الله الصدق من قلب عبده أمده بحسن الإنجاد وأكرمه بجميل الإمداد ويسر عليه العسير من الأمور وحفظ عنه الشرور من الأمور وعطف عليه قلوب الجمهور.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الآية 26] أي صاحب القرابة ما يجب له من حسن العشرة والبر والصلة والنفقة والكسوة حال الفقر والفاقة ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ [الآية 26] أي سائر الفقراء وأصحاب المسكنة بما يوجب المرحمة والشفقة ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الآية 26] أي القريب بما أمكنه من الضيافة ولا تقتر تقتيراً ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الآية 26] بصرف المال في غير مرضاة الرب فرضاً وتقديراً بل اختر طريق العدل مرة وسبيل الفضل كرة وابتغِ بين ذلك سبيلاً يمكن سلوكه دواماً كما قال تعالى:

---

(1) الكشاف (3/ 433).

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ۝٦٧﴾ [الفُرقان:الآية 67] وهذا كله باعتبار ما يتعلق بغير ما عرف بيانه من الشريعة لما في الحديث: «إن الاقتصاد نصف المعيشة»[1] وإلا فقد قال بعض السلف: لا سرف في خير ولا خير في سرف.

وأفاد الأستاذ: إن إيتاء الحق يكون من المال ومن النفس ومن القول ومن الفعل. أقول: وكذا من الحال ومن نزل عن اقتضاء حقه وبذل لكل أحد ما طلب به من أمره فهو القاسم بقضية ما ألزمه الحق سبحانه بحكمه والتبذير مجاوزة الحد في التقدير وما كان لحظ النفس وإن كان بسمة فهو تبذير وما كان لله وإن كان ألوفاً فهو بخطر تقتير وتقصير.

﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الآية 27] أي أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف نوع من المضرة أو أصدقاؤهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في السرف بالصرف في المعصية، أو قرناؤهم في دار العقوبة. روي أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتقامرون عليها ويبذرون أموالهم في الربا والسمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربة والطاعة ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ [الآية 27] أي مبالغاً في كفران النعمة وصرفها فيما يوجب النقمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما كانوا إخوان الشياطين لأنهم أنفقوا على
هواهم فجروا في طريقهم على دواعي الشيطان وبنوا على وساوسهم/ فيما 145/ب
يفضي إلى العصيان.

﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ [الآية 28] وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد عليهم حال احتياجهم أو حين سؤالهم أو رؤية أحوالهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ [الآية 28] لانتظار رزق من كرم ربك تتوقع حصوله فتعطيهم وتُحسن إليهم ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الآية 28] أي وعداً جميلاً وأجراً جزيلاً أو الدعاء لهم بالميسور بمعنى اليسر بعد العسر نحو: الله أغناكم ورزقنا وإياكم.

---

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (3/ 49) رقم (5433).

وقال الأستاذ: أي إن لم يساعدك الإمكان فيما طالبوك من الإحسان فاصرفهم عنك بوعد جميل إن لم تسعفهم يتقدم جزيل كان وعد الكرام أهنأ من نقد اللئام.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الآية 29] تمثيلاً لمنع الشحيح وإسراف المبذر ونهى عنهما وأمر بالاقتصاد والتبسُّط بالتوسط بينهما المعبر عنه بالكرم ﴿فَتَقْعُدَ﴾ [الآية 29] فتصير ﴿مَلُومًا﴾ [الآية 29] بسوء التدبير ﴿مَّحْسُورًا﴾ [الآية 29] نادماً من حصول التقتير ووصول التدبير.

وقال الأستاذ: لا تمسك عن الإعطاء فتكدى ولا تسرف في البذل وكثرة ما تسدي واسلك بين الأمرين طريقاً وسطياً إن ربك الرزاق لمن يشاء ويقدر مرة ويضيقه كرة بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يصيبك من الإضاقة إلا للمصلحة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 30] أي جميعهم صغيراً وكبيراً ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 30] يعلم سرهم وعلنهم فيرى من مصالحهم ما يخفى عليهم ولا يظهر سره لديهم فيوسع على من يرى مصلحته في التوسعة له وتحقيقه ويضيق على مَن يعلم مصلحته في تضييقه كرة أو تارة وتارة بحسب اقتضاء الحكمة في مقام العبد من تصديقه. وفي الحديث القدسي والكلام الأنسي: «إنه من عبادي مَن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد عليه دينه وأن من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وضيّقت عليه يقينه»[1]، وفي الآية إشارة أيضاً إلى التخلُّق بأخلاق الله تعالى بالعطاء تارة وبالمنع أخرى على حسب ما يظهر كل منهما بالوقت أحرى كما في الحديث: «من أعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه»[2]، وإيماء إلى/ أن التقلُّب بين مظهر الجمال يوماً وبين مظهر 146/أ
الجلال يوماً كما يستفاد بطريق الاستئناس من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان:الآية 140]، وكما قيل:

(1) جمع الجوامع (1/ 608) رقم (328) قال: لا يصح.
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 188) رقم (412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 670) رقم (2521)، وأبو يعلى في المسند (3/ 60) رقم (1485).

يوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر[1]

وكما يشير إليه قوله عليه السلام: «أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر»[2].

أو المعنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 30] من الكفار والفجار ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 30] على مَن يشاء من الأبرار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 30] بما يمنعهم عن بابه وينفعهم في موقف حسابه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا بسط لا يبقي فاقة وإذا قبض استنفذ كل طاقة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الآية 31] مخافة الفاقة، وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم من سوء أخلاقهم فنهاهم عنه وتكفّل لهم بأرزاقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية 31] وفي تقديمهم تنبيه نبيه لهم في قبح أمرهم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الآية 31] ونبأ عظيماً يستدعي فساداً كثيراً. وقرأ ابن كثير بالكسر والمد، وقرأ ابن ذكوان بفتحتين مقصوراً.

وأفاد الأستاذ: أن من عرف أن الرازق هو الله المتعال خفّ عن قلبه همّ العيال ومن خفي عليه أن الحق قسم أرزاقهم قبل الخلق فطرح في متاهات مغاليط التعبير ونعني بالقلب والبدن في أمر التدبير ثم لا يكون غير ما سبق به التقدير.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الآية 32] بالعزم وإتيان المقدمات كالنظرة والقبلة فضلاً أن تباشروه بالفعلة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الآية 32] ظاهرة القباحة وزائدة الفضاحة ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الآية 32] وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب ووسيلة النزاع.

وأفاد الأستاذ: أن الآية ترجح الزنا على غيره من الفواحش الظاهرة لأن فيه تضييع خدمة الحق وهتك حرمة الخلق ثم ما فيه من الإخلال بالنسب

(1) هذا قول لأبي سفيان وقد مرّ تخريجه
(2) انفرد به الملا علي رحمه الله تعالى.

وإفساد ذات البين بمقتضى الأنفة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 33] إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل مؤمن بعدوان(1).

وقال الأستاذ: لا يجوز قتل نفس الغير بغير الحق ولا للمرء أن يقتل نفسه أيضاً بالوجه المطلق وكما أن قتل النفس بالحديد وما يقوم مقامه من الآلات محرَّم فكذلك ارتكاب ما يؤدي إلى هلاك المرء / محترم، ومَن انهمك 146/ ب
في مخالفة ربّه سعى في هلاك نفسه ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الآية 33] غير مستوجب للقتل بمقتضى الشرع الجامع بين النفل والفعل ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الآية 33] للوارث الذي يلي أمره بعد فراغ عمره تسلُّطاً وبرهاناً بالمؤاخذة على طريقة العدل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ [الآية 33] مريد القتل ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾ [الآية 33] بأن يقتل من لا يستحق القتل، فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك العاجل أو الآجل، أو الولي بالمثلة، وقتل غير القاتل. وقرأ حمزة والكسائي: فلا تسرف على خطاب أحدهما أنه أي المقتول ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الآية 33] بثبوت القصاص لقتله في الدنيا وبحصول الثواب وأجره في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله سلطاناً أما في الظاهر فالمطالبة إما بالقصاص وإما بالدية، وأما في المعنى والإشارة فبالنصرة من قبل الحضرة ومنصور الحق لا ينفل سنانه ولا يطيش سهامه ولا ينخفض سنامه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الآية 34] لأن قربه مما يقرِّب إلى الجحيم فضلاً عن أن يتصرفوا فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] بالطريقة التي هي أحسن وهي الطريق القويم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 34] غايته لجواز التصرف الذي دل عليه لاستثناء مما يفيد صلاحه ورشده.

وقال الأستاذ: لما لم يكن لليتيم من يهتم بأمره ويراعي شأنه أمر الله

(1) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي (4/ 43) رقم (1677)، ونصب الراية (3/ 713).

سبحانه الأجنبي الذي ليس بينه وبين اليتيم سبب ولا نسب أن يتولى أمره ويقوم في حسابه ويقف على بابه فالصبي قاعد بصفة الفراغ والهوينا والولي ساع بمقاساة العناء فأمر الحق سبحانه للولي بالعدل أحظى للصبي في مقام الفضل من شفقة أبيه عليه في حال حياته قبل الفصل ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الآية 34] أي بما عاهدكم الله من أمره أو بما عاهدتموه وغيره ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الآية 34] مطلوباً، يُطلب من المعاهد عدم تضييعه والوفاء بحقه وإن صاحبه كان مسؤولاً عن عهده والقيام بوعده.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [الآية 35] بالكيل القويم ولا تبخسوا فيه شيئاً للطمع المستقيم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الآية 35] بالميزان السوي ولا تتبعوا الطبع الرديء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية 35] أي تأميلاً ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الآية 35] أي عاقبة ومآلاً وإن كان خلافه يوهم أن يزيد مآلاً وحالاً.

147/ أ وقال الأستاذ: كما تُدين تُدان وكما / تُعامِل تُجازى، وكما تُكِيل يُكال عليك، وكما تكون يكونون معك. ويقال: مَن أوفى وفوا له ومن خان خانوا معه. قلت: وقد ورد: كما تكونوا يولّ عليكم[1].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 36] لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليداً أو ظنّاً مأخوذ من قولهم: قفوت أثر فلان إذا أقفيته، ومنه القفا لأنه مفاخرة كأنه يتبعه.

وقال الأستاذ: جانب مجاوزات الظنون والحسبان وما لم يطلعك الحق عليه فلا تتكلف للوقوف عليه من غير برهان إذا أشكل عليك شيء من حكم الوقت فارجع إلى الله فإن لاح لقلبك وجه من التحقيق تكن مع ما رأيت فإن بقي الحال على حد الالتباس فكِل علمه إلى الله وقف حيث ما وقفت. ويقال: الفرق بين مَن قام بالعلم وبين من أقام بالحق وأن العلماء يعرفون

---

(1) كشف الخفا (1/ 147) رقم (147)، معجم الشيوخ لابن جميع (1/ 210) رقم (102)، تذكرة الموضوعات (1/ 182).

الشيء أولاً ثم يعملون بعلمهم وأصحاب الحقائق يجري بحكم التصرف عليهم شيء لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف عليهم وجهه على وجه التكميل فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر به لقلوبهم برهان ما قالوا ودليل ما نطقوا به من شواهد العلم أو تحقيق ذلك بجريان الحال في تأني الوقت من الاستقبال والله أعلم بأحوال أرباب الكمال.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الآية 36] أي كل هذه الأعضاء بأجزائها مجرى الفضلاء لما كانت مسؤولة عن حالها شاهدة على صاحبها مع أن أُولاء قد يطلق على غير الفضلاء كقوله:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام(1)

وفي الآية دلالة على أن العبد قد يؤاخذ بعزمه على المعصية.

وقال أبو سعيد الخراز: من استقرّت المعرفة في قلبه لا يبصر في الدارين سوى ربّه ولا يسمع إلا منه ولا يشتغل إلا به.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأعضاء للحق عند العبد أمانة، وقد تقدم في بابها ما أوضحته براهين الشريعة للديانة فمن استعمل هذه الجوارح في الطاعة وصانها عن استعمالها في المخالفة فقد سلم الأمانة / على وصف السلامة واستحق المدح 147/ ب
والكرامة، ومن دنسها بالمخالفة ظهرت عليه الخيانة واستوجب الملامة.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية 37] أي مرِحاً بكسر الراء كما قرىء بها، والمصدر آكد من صريح النعت في مقام الحمل كرجل عدل ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 37] لن تشقّها بشدة وطأتك بها على خيال أن لك طولاً ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الآية 37] لا تتطاول برقبتك على ظن أن لك على غيرك فضلاً يوجب فصلاً. وفي الآية إشارة إلى أن الاحتيال حماقة مجرّدة لا تعود على

(1) نسب إلى جرير. انظر المثل السائر (2/ 113)، وتزيين الأسواق في أخبار العشاق (1/ 191).

صاحبها بفائدة وقد ورد في الحديث المرفوع: «مَن تواضع لله رفعه الله ومن تكبَّر وَضَعَهُ الله»[1]. وقال بعضهم: أسوء خصلة في الإنسان التكبُّر والتجبُّر وأحسن خلّة فيه التواضع والتكسُّر. فمن تكبَّر فقد أخبر عن رذالة نفسه ومَن تواضع فقد أظهر كرم طبعه، كذا في تفسير السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الخيلاء والتبختر والمدح والتكبُّر كل ذلك نتائج الغيبة من الذكر والحجبة عن شهود نعمة الحق والغفلة عن الشكر «فإن الله إذا تجلى بشيء خشع له»، بذلك ورد الخبر. وأما في حال حضور القلب واستيلاء الذكر وسلطان شهود الرب فالقلب مطرق لازب وحكم الهيبة غالب ونعت المدح وصفة الزهو وأسباب التفرقة كلها ساقط ذاهب.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] ما ذكر من الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 22] التي على ما عن ابن عباس أنها في ألواح موسى مسطورة ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ [الآية 38] يعني المنهي عنه منها ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الآية 38] وقرأ الحرميان وأبو عمر سيئة منصوبة مفردة من غير إضافة على أنها خبر كان وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وما بعدها بدل منها. والمراد بالمكروه المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع بأن الحوادث كلها واقعة بأمره سبحانه على ما أراد.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا سعدت الأقدام بحضور ساحات الشهود وعطرت الأسرار بنسيم التقريب من عالم جود واجب الوجود تجرّدت الأوقات عن
148/ أ الحجبة واستولى سلطان الحقيقة وحصل/ النفي عن هذه الأوصاف الذميمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 39] إشارة إلى ما ذكر من الأحكام المتقدمة ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 39] التي هي معرفة الحق لذاته وواجبات صفاته ومعرفة العمل بحق القيام بوظائف عباداته ومراتب طاعاته.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 172) رقم (8307)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 276) رقم (8140)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 120) رقم (34663).

وأفاد الأستاذ: أن هذا له عليه السلام تشريف بالوحي والإعلام ولأوليائه تعريف بحكم الإلهام ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 39] كرّره للتنبيه على أن التوحيد رأس الحكمة وملاك المعرفة وأن توحيد الإلٰه وتفريده عمّا سواه مبدأ الأمر ومنتهاه، فإن من لا قصد له بَطُلَ عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه ورتبه عليه أولاً ما هو عائده الشرك في الدنيا وآخر ما هو نتيجته في الأخرى بقوله: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الآية 39] أي حال كونك تلوم نفسك ومطروداً من رحمة ربك.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الآية 40] خطاباً لمن أطلق بنات الله على الملائكة المقرّبين، والهمزة للإنكار على القائلين. والمعنى أفخصكم ربكم بما فضلتم من أولادكم وهم بنوكم ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ [الآية 40] بناتاً مكروهة عندكم هذا ليس على وفق عقولكم في عادتكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الآية 40] وتفترون بهتاناً جسيماً حيث تنسبون إليه ما هو منزَّه عمَّا تصفون وتجعلون له ما تكرهون وتشهدون على الملائكة ما لا تعلمون.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الآية 41] كرّرنا تحرير هذا المعنى في وجوه من تقرير المبنى ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية 41] في مواضع منه مثنى مثنى ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الآية 41] ليتذكروا مرة بعد أخرى وليظهر لهم وجه الأخرى. وقرأ حمزة والكسائي من الذكر الذي هو بمعنى التذكُّر أو ليذكروا ما ذكرنا لهم حجة في المدعي وليزدادوا به خطأ وخطراً ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 41] أي تنفُّراً عن الحق وعدم طمأنينة إلى الصدق.

وعن سفيان الثوري كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً. فالقرآن كالنيل ماءً للمحبوبين ودماً للمحجوبين، وكما في الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك»[1]، وفي لفظ آخر: «القرآن شافع مشفع

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 3) رقم (2709)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 284) رقم (3424)، والدارمي في السنن (1/ 174) رقم (653)، وأحمد في المسند (5/ 342) رقم (22953).

148/ب ما حل مصدق»[1]، وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا/ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 26]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82].

قال الأستاذ: أي أتبعنا دليلاً بعد دليل وبياناً بعد بيان وأقمنا برهاناً بعد برهان وأزحنا كل علّة وأوضحنا كل حجة فما ازدادوا في تمرُّدهم إلَّا عتواً وفي طغيانهم إلَّا غلُّواً وعن قبول الحق إلا نُبوّاً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية 42] أي مشاركاً لوجوده أو في أثر كرمه وجوده ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 42] أي المشركون. وقرأ ابن كثير وحفص بالغيبة على أن الكلام للنبي ﷺ من أوله إلى آخره، ووافقهما نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر في الثانية على أن الآية الأولى مما أمر ﷺ أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزَّه الله به سبحانه نفسه عن مقالهم تعريفاً للمؤمنين ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الآية 42] جواب عن قولهم وجزاء للو، والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلاً بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض في العرف والعادة كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:الآية 91] وما كان معه من إلٰه إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعليّ بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون، أو لابتغوا بالتقرُّب إليه والطاعة لعلمهم بعجزهم وقدرته سبحانه المعروفة بالعزَّة والغلبة كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الآية 57].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الآية 43] تنزَّه شأنه ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ [الآية 43] برهانه ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية 43] أي أنتم أو هم ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الآية 43] تعالياً متباعداً عما يقولون كثيراً، فإن واجب وجوده وبقاؤه لذاته وسائر الكائنات من إيثار فيض جوده وأسرار صفاته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنه لو قدّر تعدُّد الصانع لجرى بينهم التضاد والتمانع كما هو من الملوك واقع وتبين عند ذلك في صفتهم العجز

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 132) رقم (8655)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 351) رقم (2010)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 130) رقم (30052).

الذي هو من لوازم الحدوث بلا مانع ولا دافع وأنه سبحانه منزَّه عن الشريك والظهير والمعين والنظير.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الآية 44] وقرىء البصري وحفص وحمزة والكسائي بالتأنيث ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الآية 44] أي وما فيهن معهن لقوله ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ/ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الآية 44] أي تسبيحاً مقروناً بمدحه. والمعنى تنزّهه عمَّا هو من 149/ أ
لوازم الحدوث والإمكان ويشهد له تجلِّي مَن فيه الإحسان وعليٍّ مراتب الشأن والبرهان ببيان المقال ولسان الحال في جميع الأحوال كما يفهمه أرباب الإشارة وأصحاب الكمال ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الآية 44] أيها المشركون به في ذاته وأيها الغافلون عن مشاهدة أفعال ومطالعة صفاته، وإلا ففي كل شيء له شاهد دليل على أنه واحد ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الآية 44] حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على ما صدر منكم من الشرك والغفلة، غفوراً لمن تاب منكم عن المعصية وآب من تيه حيرة كثرة التفرقة إلى مرتبة جمع الوحدة.

وقال أبو عثمان المغربي: المكنونات كلها تسبحنّ الله تعالى باختلاف اللغات ولكن لا يسمع تسبيحها ولا يفقه عنها إلا العلماء الربانيون الذين فتحت أسماع قلوبهم، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن الأحياء من أهل السموات والأرض يسبِّحون الله تسبيح القالة وغير الأحياء يسبِّح من حيث البرهان والدلالة، فما من جرم من الأعيان والآثار إلا وهو دليل على الصانع وحكمته وجلال الهيبة.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا﴾ [الآيـــة 45] يحجبهم عن فهم ما تقرؤه لديهم ﴿مَّسۡتُورٗا﴾ [الآية 45] ذا ستر وغطاء نازلاً إليهم واقعاً عليهم بحيث لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون ما بيَّنا لهم من الدلالة لكونهم مطبوعين على الضلالة كما قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الآية 46] تكنّها وتسترها وتحول دونها عن إدراك المعرفة وقبولها ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ [الآية 46] كراهة أن يفهموا مبانيه ويعلموا معانيه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ [الآية 46] ثقلاً أن يسمعوا ما فيه ليميزوا بين موافقه ومنافيه.

وقال الأستاذ: أي ندخلك في إيواء حفظنا وضربنا عليك سرادقات عصمتنا ومنعنا الأيادي الخاطئة عنك بلطفنا. وفي الآية إشارة بأنه خالق ضلالتهم وأنه المثبت على قلوبهم ما استكنّ فيها من فرط غوايتهم ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ [الآية 46] منفرداً عن ذكر غيره على ما تصوروا من وجود
ما سواه قصوراً ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ/ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الآية 46] هرباً من إسماع التوحيد ونفراً 149/ب
من الاقتصار على التقرير في مقام التمجيد والتحميد.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يعرفون الربوبية فإذا سمعوا توحيد الإلٰه تعجبوا وأنكروا إذ لا يتحمد في قلوبهم إلا حديث من له شكل ومِثل فجحدوا وكفروا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 47] أي لأجله وبسببه من المهن وبما أنزل عليك ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الآية 47] أي متناجون فيما بينهم إذا كانوا بين يديك، والمعنى نحن أعلم بعرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك ومضمرون لمقصودهم عليك ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 47] وهم الضالون المضلُّون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 47] ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 47] سخروا به لزوال عقله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لبسوا على رسول الله ﷺ أحوالهم وأظهروا الوفاق من أنفسهم ففضحهم الله وكشف أسرارهم وبيَّن مقابحهم وهتك أستارهم وإن ما ينطوي عليه السرائر فلا بد من أن يظهر لأهل البصيرة ذلك منهم على الأسرة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الآية 48] مثَّلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون باختلاف الأقوال ﴿فَضَلُّوا۟﴾ [الآية 48] عن الحق في جميع الأحوال ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية 48] إلى الخروج عن الضلال والوصول إلى أرباب الهداية والكمال. وقيل: المسحور هو الذي له سحر وهو الرياء أي إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم.

وذهب إليه الأستاذ حيث أفاد بقوله: عابوه بما ليس بنقيصة في نفسه حيث قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 47] إذا سخروا رأيه، وأي

نقيصة كانت له بأن كان عليه السلام من جملة البشر، والحق سبحانه متولي نصرته ولم يكن تخصيصه عليه السلام ببنيته ولا بصورته أو بنسبته وصنعته وإنما شرفه بأنه من جملة من تعلق به لطف القدم سبحانه ورحمته.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ [الآية 49] حطاماً وفتاتاً ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ [الآية 49] استبعدوا ما بين غضاضة الحي وطراوته ويبوسة الرميم وجمادته من توهم منافاته ومباعدته لقلة نظرهم في آثار قدرته وأسرار حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقروا بأن الله خلقهم / ثم أنكروا قدرته على 150/ أ إعادتهم بعد أن أعدمهم، وكما جاز أن يوجدهم أولاً وهم في كتم العدم لا عين ولا أثر لهم جاز كذلك ثانياً لكونهم متناول القدرة ومتعلق الإعادة فما كان من حقهم جحدوا الإعادة ولكن إذا رمدت عيون القلب لم يستبصر صاحبه قدرة الرب.

﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] أي أو نحوهما مما لا يفنيه الموت حيث ما خلق فيه الحياة ﴿أَوۡ خَلۡقًا﴾ [الآية 51] أي مخلوقاً آخر غيرهما ﴿مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ [الآية 51] مما يعظم عن قبول الحياة عندكم وأن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم بعد إفنائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض من نحو الحياة والممات وسائر الأقسام، فكيف إذا كنتم عظاماً مدفونة يابسة وقد كانت بالحياة قبل ذلك موصوفة بأنها غضّة طرية والعقل حاكم بأن الشيء قبل عهد فيه ما لم يعهد من قبل ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ﴾ [الآية 51] بعدما يبيدنا، وفي عين هذه المناظرة وجود المناقضة وحصول المعارضة ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [الآية 51] وكنتم تراباً وهو أبعد شيء من الحياة بالمرة ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ [الآية 51] يحرِّكونها نحوك تعجُّباً من قولك واستهزاء بك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾ [الآية 51] أي وجوده فنصدقك حين نشاهده ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الآية 51] ويقع نفع تصديقكم حينئذ بعيداً فإن كل ما هو آت قريب وما يمكن إتيانه ليس بقريب.

وأجاب الأستاذ: أنه سبحانه لا يتقاصر عليه مقدور لأنه موصوف بقدرة

أزلية وقدرته عامة التعلق بالمشيئة فلا المشقة تجري في صفته ولا الرفاهية لِلخلق الأول والإعادة سيان عليه، لا من هذا ولا من ذاك عائداً إليه لأن قدمه يمنع تأثير ما يحدث لديه.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الآية 52] إلى بعثه ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الآية 52] حامدين لنعمته مثنين على كمال قدرته. وقد ورد أنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويشربون شراب المعرفة من كؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ولا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 52] ما مكثتم في قبوركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 52] زماناً يسيراً قبل حضوركم أو في
150/ب حياتكم/ قبل مماتكم لما ترون من إطالة مدة القيامة واستمرار حالة الإقامة. وفي تفسير السلمي قيل: مَن أسمعه الحق الدعوة وفّقه للجواب ومَن لم يُسمعه الدعوة كيف يجيبه على وجه الصواب.

قال جنيد: يقولون حال بعثهم: الحمد لله الذي جعلنا من أهل دعوته.

وقال الأستاذ: إن يدعوكم تستجيبون وأنتم حامدون له والحمد بمعنى الشكر وإنما يشكر العبد على النعمة فالآية تدل على أنهم في قبورهم في نعمة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى﴾ [الآية 53] أي الكلمة ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 53] مما يجري على لسانهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 53] يهيج المرىء والمخاشنة بهم مما تفضي إلى عنادهم وازدياد فسادهم وغفلتهم عن ذكر ربهم وعن ضروريات معاشهم ومعادهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الآية 53] ظاهر العداوة بتبعيدهم عنا وتقصيرهم فينا.

وأفاد الأستاذ: أن الأحسن من القول ما يكون ذكر الله والثناء عليه وترك ما سواه. ويقال: أحسن الكلمة ما يترتب عليها العقوبة أو أحسن قول المذنبين الإقرار بالخطيئة، وأحسن قول العارفين الإقرار بالعجز عن المعرفة.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الآية 54] قيل: هذا تفسير للتي هي أحسن وما بينهما جملة معترضة، أي قولوا لهم نحو هذه الكلمة

ولا تشهدوا لأحد منهم من أهل العقوبة لخفاء أمر العاقبة اللاحقة المترتبة على القضية السابقة.

قال القاسم: سبق علمه في الخلق الرحمة والعقوبة فهو يرجع لمنتهاه بما قد أجراه في مبتداه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ [الآية 54] موكولاً إليك أمرهم بل جعلناك لهم عليها دليلاً «فدارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهِمْ»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سدّ على كل أحد طريق معرفته لنفسه ليلطف كل قلبه بربّه وأنسه فجعل العواقب مشتبهة في بابها حيث قال: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ [الآية 54] ثم قدَّم حديث الرحمة على حديث العقوبة فقال: ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ [الآية 54] وفي ذلك ترجيح لأمل أهل التقوى أن يقوى ثم العبد عالم بظاهر حاله والربّ عالم بحاله ومآله فوجه المبالغة هذا في أعلم والله أعلم.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ/ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 55] واختلاف أحوالهم ومراتب 151/أ
أعمالهم وآمالهم ومآلهم فيصطفي منهم لنبوَّته ورسالته ويجتبي منهم لولايته ورعايته ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ [الآية 55] بمزيد العلم اللدني لا بمزية المال الدني وبالفضائل القدسية والشمائل الأنسية والتبري عن العلائق النفسانية والتنزُّه عن العوائق الجسمانية ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ﴾ [الآية 55] من جملتهم ﴿زَبُورٗا﴾ [الآية 55] أفاد بقراءته سروراً واستفاد من إضاءته نوراً فشرّفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أعطي من الملك وفصل الخطاب في هذا الباب، وفيه إيماء إلى أن نبينا ﷺ سيد الأنبياء فإن كتابه المجيد وخطابه الحميد أبلغ الأنباء. وقرىء حمزة بضم الزاي وهما لغتان في معنى المفعول كالقبول والحصول.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ [الآية 56] أنها آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 56] من غيره كالملائكة والمسيح ونحوه ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾ [الآية 56] لا يستطيعون ﴿كَشۡفَ

(1) كشف الخفا (1/ 399) رقم (1279)، قال: ليس بحديث وإنما هو شعر. وتمامه: «وأرضهم ما دمت في أرضهم».
ونسب إلى أبي نصر محمد بن محمد بن أحمد. انظر الوافي بالوفيات (١/ ٥٩).

﴿ٱلضُّرِّ﴾ [الآية 56] كالمرض والقحط والفقر ﴿عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الآية 56] كذلك منكم إلى غيركم بل كما قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:الآية 16] ولا يملكون موتاً وحياة ولا نشوراً.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الآية 57] هؤلاء الآلهة التي يدعونهم ويعبدونهم من كمال الغفلة هم بأنفسهم يطلبون إلى الله القربة بالطاعة والعبادة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الآية 57] بدل من واو يبتغون فأي موصولة أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم إلى الربّ فكيف بغير الأقرب ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الآية 57] حجابه وعقوبته كآحاد الأمة وأفراد البرية فكيف تزعمون أنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الآية 57] حقيقاً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة.

وفي «تفسير السلمي»: يرجون رحمته في الدنيا بتواتر النعمة ودوام العاقبة وفي الآخرة بترك العقوبة ودخول الجنة وحصول القربة.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في المثل: تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون، أي فإنه لا يتعلق بمثله إلا المجنون. ويقال: الفقير إذا تعلق بالفقير كالضرير إذا قاد الضرير سقطا جميعاً في المسير. وفي المثل: لاذ ضعيف بحرملة والغريق يتعلق بكل حشيش.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 58] بالموت
151/ب واستئصال / الجملة ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 58] بالقتل وأنواع البلية ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 58] في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ [الآية 58] مكتوباً وعلى وفق ما قضاه معذوراً.

وأفاد الأستاذ: أن العذاب على أقسام: ألم يرد على النفوس والظواهر وهي تتصاغر بالإضافة إلى ما يرد على القلوب والسرائر وعذاب القلوب لأصحاب العلاقة أشد من الشدة التي تصيب أصحاب القلة والفاقة، ثم إن الحق سبحانه أجرى السنَّة بأن مَن وصل منه إلى غيره راحة انعكست الراحة إلى موصولها وبخلافه مَن أصاب مِن قبله وحشة عادت الوحشة إلى محصلها، فمن

سام الناس ظلماً وطغياناً وعنفاً وعدواناً فبقدر ظلمه يعذِّبه الله سبحانه في الوقت على حكم المقت بتنغيص العيش واستيلاء الغضب من كل أحد عليه وفق غضب الربّ. وترجم ظنونهم وتقسم أفكارهم وآمالهم في أحوالهم وأشغالهم ولو ذاقوا من راحة الفرقة وحلاوة الخلوة عن الأمور المشغلة شظية ليعلموا ما طعم الحياة الطيبة ولكن حرموا المنعم وما علموا ما منُّوا به من النعم.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 59] الباء مزيدة، والمعنى ما صرفنا عن إرسال الآيات المقترحة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الآية 59] كعاد وثمود وسائر الأمم المهلكة واستوجبوا العقوبة على ما مضت به السنَّة ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الآية 59] باقتراحهم الآية المعجزة ﴿مُبۡصِرَةً﴾ [الآية 59] مبيّنة ظاهرة ﴿فَظَلَمُواْ﴾ [الآية 59] أنفسهم ﴿بِهَاۚ﴾ [الآية 59] بسبب عقرها وكفروا بها ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 59] آيات القرآن البينات أو المعجزات وخوارق العادات ﴿إِلَّا تَخۡوِيفًا﴾ [الآية 59] بالعقوبة في الدنيا أو العقبى لمن لم يؤمن بها ويكفر بعد مشاهدتها.

قال المحاسبي: الآيات التي يظهرها الله تعالى رحمة على السابقين وتنبيه للمقتصدين وتخويف للظالمين.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه أجرى السنَّة بأنه إذا أظهر آية اقترحها الأمم المكذبة ثم لم يؤمنوا إذ لم يعجل لهم العقوبة وكان من المعلوم والمحكوم له أن لا يحتاج القوم الذين كانوا في وقت الرسول وزمن النزول لأجل من في أصلابهم من الذين علم أنهم يؤمنون برسولهم وكتابهم فكذلك أخّر عنهم العذاب الذي تعجّلوه لما خوّفوا به. /وفي قوله: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا﴾ [الآية 59] قرن التخفيف بالتخويف وذلك من مقتضى رحمته بخليقته ثم إنه علم أنه لا يفوته شيء بتأخيره العقوبة عنهم وأخذ العذاب بحلمه ثم لا محالة يفعل بمقتضى حكمه وعلمه. 152/أ

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ﴾ [الآية 60] بالوحي إليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ﴾ [الآية 60] علماً وقدرة وحكماً ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾ [الآية 60] فهم في قبضة قدرته وحيرة علمه وحكمته

ومشيئته في عقوبته ورحمته ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ [الآية 60] ليلة المعراج ووقت الإيناس ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 60] منحة للمؤمنين ومحنة للكافرين ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية 60] أي وكذا ما جعلنا الشجرة ووجودها ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الآية 60] وهي شجرة الزقوم المذكورة ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية 60] إلا فتنة لهم حيث أمن بها بعضهم واستبعد وجودها أكثرهم بقولهم: إن الجحيم تحرق الحجارة بزعمه ثم يقول نبت الشجر في قعره، ولم يعلموا أن من قدر أن يحيي وبر السمندل[1][2] من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الإجمار قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها النار. ثم المراد بلعنها لعن طاعميها أو بعدها لوقوعها في قعرها ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ [الآية 60] بأنواع التخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ [الآية 60] تخويفهم ﴿إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ [الآية 60] عتواً ونبوّاً متجاوزاً عن الحد كثيراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قرن الامتحان بالتخويف للتبيان في التكليف لتمييز المصدق والموافق من المكذب والمنافق والموحد من الجاحد فعند الإمتحان يُكرم المرء أو يهان، فالذين يتداركهم الحماية وقفوا وثبتوا وصدقوا فيما قيل لهم وحققوا، وأما الذين خامر الشرك في قلوبهم وضمائرهم ولم تباشر خلاصة التوحيد أسرار سرائرهم فما ازدادوا بما امتحنوا من أصناف الامتحان إلا تحيُّرا وتردّداً وضلالاً وتبلُّداً وتحجُّباً وتبعُّداً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية 61] بجعله قبلة للعالم لكونه علَّمه الأسماء وكرَّمه في عالم الأرض وفي السماء امتحاناً للفضلاء والسقماء ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الآية 61] كلهم أجمعون بمعنى مجتمعين ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 61] أبى واستكبر وكان من الكافرين حيث عارض الأمر وصريح النقل بما تخايل له من قبيح العقل وتوهّم أنَّ إباءه يقتضي يقيناً ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الآية 61]
خلقته من طين ظلماني/ وخلقتني من نار جوهرها يضيء نوراً مبيناً. وفي هذا 152/ ب
الاستكبار إيماء إلى علة الإنكار.

---

(1) طائر لا يحترق. انظر تاج العروس (1/ 7190) ولسان العرب (11/ 348).
(2) الكشاف 3/ 460).

قال أبو عثمان: الكبر وتعظيم النفس الدنية أول كل معصية ومبدأ كل بلية.

وأفاد الأستاذ: أنه امتنع الشقي فقال: لا أسجد لغيرك يوجِّه سجدته لك وكان ذلك منه حسداً وجهلاً ولو كان بالله عارفاً لكان لأمره مؤثراً ولِحَظ نفسه تاركاً أصلاً وما ادعى له فضلاً.

﴿قَالَ﴾ [الآية 62] زيادة على الضلال في مقام الإضلال ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الآية 62] الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب، وهذا مفعول أول والذي صفته، والمفعول الثاني محذوف وهو مكرّماً عليَّ دلالة صلته عليه. والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرَّمته عليَّ لأمري للسجود له بما أكرمته عليَّ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 62] جملة مستأنفة واللام موطئة القسم وجوابه ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الآية 62] لأستأصلنهم بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 62] لا أقدر على أن أقاومهم لقبولهم طريق الاهتداء.

وأفاد الأستاذ: أنه لو علقت به ذرة من المعرفة والتوحيد في مقام الوصال لم يخطب على نفسه بالإضلال ولا بشهود الإغواء من نفسه لزعم الكمال، لكنه أقامه الحق ذلك المقام فأنطقه بما هو لقلوب أهل التحقيق مهيج لتدقيق المقال، فسبحان مَن أقام العباد فيما أراد.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ [الآية 63] امض لما قصدته فابعد عن بابنا لما أردته ملوماً مدحوراً ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ [الآية 63] جزاؤك وجزاؤهم تجزون فيها ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الآية 63] مكملاً مكثوراً.

وأفاد الأستاذ: أن هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد الشديد وفيه بيان أن الأمر لا يفوته وتأخير عقوبة قوم لا يعجزه فإن ذلك إمهال لا إهمال ومكر واستدراج وإذلال لا إنعام وإكرام وإدلال.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ [الآية 64] استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ [الآية 64] أن تستفزه ﴿بِصَوْتِكَ﴾ [الآية 64] بدعائك إلى الفساد لأوليائك ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الآية 64] وصِحْ عليهم بركبانك ومشاتك. وقرأ حفص بكسر الجيم وهما لغتان في جمع راجل، والمراد من الخيل الخيّالة ومنه قوله عليه السلام: «يا خيل الله

اركبي»(1) ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ [الآية 64] بحملهم على كسبها وجمعها من
153/أ الحرام/ وتضييعها فيما لا ينبغي من المرام ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الآية 64] بحثّهم على التوصل إلى الولد بالسبب المحرَّم وتعليمهم الحِرَف الدنية والأفعال المنافية للأحوال الأخروية ﴿وَعِدْهُمْ﴾ [الآية 64] المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة وأن لا بعث ولا حساب ولا عقاب والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الآمال ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 64] وهو تزيين الخطأ بما يُوهم أنه صواب ويجعل صاحبه معجباً ومقدوراً.

وقال الأستاذ: أي افعل ما أمكنك فلا تأثير في أحد لفعلك إذ المنشىء المبدع هو الله المريد وهذا غاية التهديد ونهاية الوعيد الشديد.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ [الآية 65] يعني المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الآية 65] على إغرائهم قدرة من التسليط والتمكين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الآية 65] لمن يفوِّض أمره إليه من المتوكلين ويستعيذ به من الشياطين.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان هو الحجة والبرهان فالآية لعموم الإنسان إذ المخلوق له الحاجة والحق سبحانه له الحجة. ويقال: ليس لإبليس على أحد تسلُّط بالتلبيس إذ المقدور بالقدرة الحادثة لا يخرج عن محل القدرة والحادثات كلها تحدث لقدرة الله سبحانه فليس لإبليس ولا لغيره من المخلوقين تسلُّط من حيث التأثير في أحد، فعلى هذا الآية أيضاً على عمومها. ويقال: أراد بقوله ﴿عِبَادِى﴾ الخواص من المؤمنين الذين هم أهل الحفظ والعصمة والرعاية من قبل الله فإن وساوس الشيطان لا تضرهم إلا التجائهم إلى الله ودوام استجارتهم بالله، فإن الشياطين إذا قربوا من قلوب أهل المعرفة احترقوا بضياء معارفهم قلت ويؤيده حديث: «تقول النار: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي»(2). ويقال: إن فرار الشيطان من المؤمن أشد من فرار

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 362) رقم (10590)، وأبو داود في السنن (2/ 330) رقم (54).
(2) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (6/ 100).

المؤمن من الشيطان، وإنما يكون عبده من لا يكون في أسر غيره فأما من استعبده هواه واسترقه دنياه واستمكن منه الأطماع واستذلّه كل خسيسة ونقيصة فلا يكون من جملتهم خصيصته. وفي الخبر: «تعس عبد الدينار والدرهم وعبد الخميصة»[1]. ويقال: عباده هم المتقون بظلّ عنايته/ لتبرئهم عن حولهم 153/ ب
وقوتهم وانفرادهم بالله بحسن التوكل والتفويض في جميع قضيتهم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 66] الربح وأنواع الأمتعة التي لا توجد عندكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الآية 66] وبما تحتاجون إليه عليماً وعما تقصرون في طاعته حليماً وبإمداده لكم بعد إيجاه كريماً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف بجميع مخلوقاته إلى العباد فما من حادث من أعين وأثر ورسم وطلل وغير وغير إلا وهو شاهد على وحدانيته دال على ربوبيته.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 67] خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية 67] ذهب عن خواطركم وسرائركم كل مَن تدعونه في حوادثكم بظواهركم وضمائركم إلا الله علماً بأنه لا يكشف الضر سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ [الآية 67] من الغرق وخلصكم من الغرق وأوصلكم إلى قفر البحر ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ [الآية 67] أي ساحله الذي بأهله أبر ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ [الآية 67] عن التوحيد وارتكبتم الأمر المنكر ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الآية 67] موصوفاً بكفران النعمة ونسيان المحنة.

قال ابن عطاء: ليس بخالص لله تعالى من لا يكون مع الله في حالة النعمة والرخاء كحالة الشدة والبلاء ومن يلتجىء إلى غيره في أحوال الشدائد والكرب فهو من عبيد السوء الذي لا يقوّمه إلا الأدب أو يستحق من الرب كمال الغضب.

وأفاد الأستاذ: أن حيلة الإنسان على أنه إذا أصابته شدّة أو مسته محنة

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2886)، وابن حبان في الصحيح (8/ 12) رقم (3218)، وابن ماجه في السنن (2/ 1385) رقم (4135).

فزع إلى الله في استدفاع البلية وقد يعتقدون أنهم لا يعودون بعدها إلى ما ليس فيه رضا الله سبحانه فإذا أزال الله تلك النقمة وكشف الله تلك المحنة عادوا إلى ما عنه تابوا وكأنهم لم يكونوا في حين مسهم. وفي معناه أنشدوا:

فكم قد جهلتم ثم عدنا بحلمنا أحبابنا كم تجهلون ونحلم[1]

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ [الآية 68] من الاستدراج والمكر بعدما نجوا ثم من البحر ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ [الآية 68] بأن يقلبه الله وأنتم عليه ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الآية 68] ويجاء بحصب أن يرمي بالحصباء بإشارتنا إليه ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الآية 68] يحفظكم من/ ذلك لديه فإنه لا راد لفعله ولا معقب لحكمه. 154/أ

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 69] في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 69] بخلق دواعي تلجئكم إلى أن تفرحوا فتركبوه طلباً للمقصود الأمري ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الآية 69] مما لا يمر بشيء إلا قصفته وكسرته وقصمته ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 69] أي الله كما هو الحقيقة أو القاصف ويؤيده قراءة يعقوب بالتأنيث على إسناده إلى الضمير الريح بالنسبة المجازية السببية ويعزي المعنى الأول قراءة ابن كثير وأبو عمرو بالنون في الأفعال الأربعة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾ [الآية 69] بما فعلنا ﴿تَبِيعًا﴾ [الآية 69] مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف اختيار.

قال ابن عطاء: ابتدأهم بالبر قبل الطاعة وبالإباحة قبل الدعوة وبالعطاء قبل المسألة كقاسم الكل ليكونوا لمن له الكل وبيده كفاية الكل.

وأفاد الأستاذ: إن الخوف ترقُّب العقوبات مع مجاري الأنفاس والساعات كذا قاله الشيوخ والسادات من أهل السعادات، وأَعْرَفهم بالله أخوفهم من الله، وصنوف المحنة في الدنيا كثيرة وأنواع النعمة يسيرة وكم من مسرور أول ليله أصبح بشدائد ورزايا ومحن وبلايا في قضايا وكم من مهموم يتقلّب على فراشه أصبح وقد فجأته البشرى لكمال النعمة. وفي معناه قالوا:

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 288).

مَن خاف البيان لا يأخذه السبات، ووصفوا أهل المعرفة قالوا في صفتهم المعروفة:

مستوفزون على رجل كأنهم فقد يريدون أن يمضوا فيرتحلوا[1]

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] بحسن الصورة واعتدال القامة والأمزجة المعتدلة والتمييز بالعقل إلى طريق العدل والإفهام بالنطق على سبيل الفضل والعبارة والإشارة والاهتداء إلى أسباب المعاش وزاد المعاد والتمكن من الصناعات وغير ذلك من الصفات مما يقف الحصر دون إحصائه ويتحيّر العقل في تصور انتهائه، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس من أن كل حيوان يتناول طعامه بفمه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده.

وفي «تفسير السلمي» قيل: كرمناهم بالرسل وتبيين السبل. وقيل: بالفهم/ عن الله والاستغناء عما سواه. 154/ ب

وقال الواسطي: أفرد آدم بالاصطفاء بقوله ثم اجتباه وأفرد بني آدم بالتكريم مما يدخل فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر، ثم اصطفى من ولده بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فَاطِر:الآية 32]، وقال أيضاً: ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] بأن سخرنا الكون وما فيه لهم لئلا يكونوا في تسخر شيء عندهم ويتقرعوا إلى عبادة ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إنما قال ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 70] ولم يقل المؤمنين ولا العابدين ولا المجتهدين مع أنه قال في صفة الكفار ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحَجّ:الآية 18] تقديساً لتكريمه من أن يكون مقابلاً للعقل أو معلّلاً بوفاق أمر أو مسبباً لاستحقاق بوجه وذلك التكريم أنهم متى شاؤوا من الأوقات وقفوا معه على بساط المناجاة ومن ذلك التكريم أنك على أي وصف كنت من الطهارة وغيرها إذا أردت أن تخاطبه خاطبته وإذا أردت أن تسأل منه شيئاً سألته ومن ذلك التكريم أنه إذا تاب ثم نقض توبته تقبله ومن ذلك أنه زين

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 289) و(7/ 473).

ظاهرهم بتوفيق المجاهدة وحسن باطنهم بتحقيق المشاهدة ومن ذلك أنه أعطاهم قبول سؤالهم وغفر لهم قبل استغفارهم وحسن حالهم كذا في الأثر: «أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني»[1]. ومن جملته أنه قال لهم: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة:الآية 152] ومن ذلك لقوم توفيق صدق القدم ولآخرين تحقيق علو الهمم.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ [الآية 70] على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 70] على السفن دفعاً لهم عن المحن والحزن ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 70] المستلذات والحلالات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الآية 70] بالاستيلاد والغلبة أو بالشرف والكرامة، والمستثنى خواص الملائكة فإنهم أفضل من العامة أو جميعهم من حيثية الجنسية التي لا يقيد شمول الأفراد بالإحاطة إلا مستقراً فيه مع أن المسألة خلافية فكون أولتها ظنية لا قطعية.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في قوله حملناهم في البر ما أوصل إليهم
155/أ جهراً والإشارة لحديث البحر ما أفردهم به من لطائف الأحوال سراً، / ويقال: لما حمل بنو آدم الأمانة قال تعالى: حملناهم حملاً هو جراء حمل وحمل هو فعل مَن لم يكن وحمل هو فضل من لم يزل هو الرزق الطيب ما كان على ذكر الرب ومن لم يكن غائباً بقلبه ولا غافلاً عن ربه استطاب كل رزق في يده فأشرى على لقاء المحبوب أرى والأري على الغيبة من المحبوب شري، كما نقل عن ابن أدهم أنه أنشد:

وما بي إلا جوعة قد سددتها   وكل طعام بين جنبي واحد

وفي هذا تقريض للجماعة الذين تركوا القناعة وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، ويقال: فضلهم بأن لاحظوا نفوسهم بعين الاستقدار وأعمالهم بعين الاستصغار.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الآية 71] بمن اهتموا به من رسول أو نبي

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 443) رقم (3535)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 424) رقم (11382)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (14/ 154) رقم (4443).

أو اقتدوا بمقدم من عالم أو ولي. وقيل: بكتابهم أو دينهم الذي اختاروه بِعقائدهم وأفعالهم.

قال ابن عطاء: يصل كل مريد إلى مراده وكل محب إلى محبوبه وكل مدعٍ إلى دعواه وكل منتم إلى من انتماه.

وأفاد الأستاذ: أن إمام كل أحد من يقتدي به وليس كل من يقتدي به المربي يهتدي به فإن من إمام به يهتدى ومن إمام به يرتدي ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ [الآية 71] من المدعويّن ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ [الآية 71] كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الآية 71] ويعرفون ثوابهم ومآبهم ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الآية 71] لا ينقصون من أجورهم أدنى شيء مما يقتضي حسابهم ولعله ترك مقابلهم للاكتفاء بذكرهم عن غيرهم ولما يفهم من أن حال ضدهم بضدهم فهم لا يقرؤون كتابهم ولا يجدون في كتابهم ثوابهم فإن أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حميماً حين يلمع في نظر غرورهم سرابهم فهم متعطشون ولم يذوقوا إلا ماء شرابهم ولا يبعد أنه اكتفى لذكر قرينهم بقوله سبحانه في حقهم: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 72] الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ [الآية 72] عمى القلب عن معرفة الرب ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الآية 72] أي كذلك أو بل أشد فيما هنالك لقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 72] منه في الدنيا لزوال الاستعداد وقبل ظهور المعاد. ومما يدل على أن الثاني للتفضيل من عمى بقلبه كالأبله إن أبا عمرو لم يمله فإن أفعل التفضيل/ تامة بمن، فكانت ألفه في حكم المتوسط كما في أعمالكم بخلاف 155/ ب
النعت فإن ألفه واقعة في الطرف لفظاً وحكماً فكانت معرضة للإمالة من حيث تصير باقي التثنية، وقد أمالها حمزة والكسائي وأبو بكر من غير فرق بينهما وورش بين بين فيهما. قيل: مَن كان في هذه أعمى عن مشاهدة العدل فهو في الآخرة أعمى عن مطالعة الفاضل.

وأفاد الأستاذ: أن مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن مشاهدته ببصائره فهو في الآخرة أعمى عن معاينته بأبصاره وأضل سبيلاً لأن لهم اليوم فرقة وغداً تضاف إلى فرقتهم حرقة.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الآية 73] نزلت في قريش قالوا: لا نمكنك من الحجر وتقبيلك وإسلامك حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك، ثم إن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة في استنزالهم واستزلالهم ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 73] من أحكامهم ﴿لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ﴾ [الآية 73] أي غير ما أوحينا إليك من أمرهم ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ [الآية 73] أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياً برياً من ولايتي فتكون ذليلاً جليلاً ولا في أمرك جميلاً، ومن المعلوم أن الشرطية الفرضية غير لازمة الوقوع في القضية لا سيما بالنسبة إلى المحفوظ بالعصمة الأبدية بحكم القضايا الأزلية.

وقال الأستاذ: ضربنا عليك سرادقات العصمة وآويناك في كنف الرعاية وحفظناك عن خطى اتباع هواك في القضية فالزلة منك محال ومعدوم والافتراء في نعتك غير موهوم ولو جنحت لحظة إلى جانب المخالفة لتضاعف عليك شدائد البلية لكمال قدرك وعلو أمرك فإن من كان أعلى درجة ذنبه لو حصل يكون في التأثير أشد مرتبة.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ [الآية 74] ولولا نسبتنا إيّاك ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 74] لقاربت أن تميل أدنى ميل إلى اتباع مرادهم ﴿شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الآية 74] من الميل أو قرب النيل وفي هذا منّة عظيمة ونعمة جسيمة بالنسبة إليه ﷺ. والمعنى
156/أ إنك كنت في معرض الركون/ إليهم وفي صدد الوقوف عليهم لقوة خداعهم وشدة احتيالهم ولكن أدركتك عصمتنا وساعدتك رعايتنا وحمايتنا فمنعت أن تقرب من الركون الذي هو أدنى الميل فضلاً عن أن تركن إليه بالميل الواجب للويل وهو تصريح في أنه عليه السلام ما همَّ بإجابتهم مع مبالغتهم في دعوتهم وتلويح بأن العصمة توفيق من اللهلعباده في حالتهم.

قال ابن عطاء: إن الله تعالى عاتب الأنبياء بعد مباشرة ما يسمى زله وفعله وعاتب نبينا ﷺ قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاءً ويحفظنا بشرائط المحبة فكمال قربه بربه فقال: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ [الآية 74].

وقال الأستاذ: لو وكلناك ونفسك ورفعنا عنك ظل العصمة لألممت

بشيء مما لا يجوز من المخالفة ولكنَّا أفردناك من الحفظ ما لا يتقاصر عنك آثاره ولا يعزب عن ساحتك أنواره، انتهى. ويؤيده ما ورد في الدعاء: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعروة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك»[1]. وهذه التحلية على تقديرها في الجملة وإلا لو كانت بالكلية لما بقي من الوجود أثر ولا من الشهود خبر.

﴿إِذًا﴾ [الآية 75] أي لو قاربت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الآية 75] أي عذاب الدنيا وعذاب الأخرى مثلي ما يعذب به في الدار من غيرك بمثل هذا الفعل وقربه لأن خطأ الخطير أخطر كما إن غضب الأمير على الوزير أكبر وأكثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الآية 75] ناصراً نصير بحالك يدفع العذاب عنك ولا تقدر أن تمتنع عنه بقوتك وحولك وغيرهم لبعد هذه القوة والنصرة غاية البعد عن الإذاقة.

وأفاد الأستاذ: أن هبوط الأكابر ومنزلتهم على حسب صعودهم ورفعتهم ومحن الأجلة إذا حلت جلت، وأنشد:

أنت عيني وليس من حق عيني   غمض أجفانها على الأقذاء[2]

﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ [الآية 76] أي أهل مكة قاربوا ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ [الآية 76] ليزعجوك بمعاداتهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 76] أي أرض مكة في مماكراتهم عند مجاوراتهم ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الآية 76] إخراجاً ظاهرياً حقيقياً وإلا فقد أخرجوه إخراجاً نسبياً مجازياً كما قال/ تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [محمد:الآية 13]، ﴿وَإِذًا﴾ [الآية 76] أي ولو خرجت ولو باختيارك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ [الآية 76] وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص خلافك وهما لغتان أي لا يبغون بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 76] فالاستثناء 156/ ب

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 475) رقم (759).
(2) نسب هذا البيت لابن الرومي. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 24)، والتذكرة الحمدونية (2/ 37)، والزهرة (1/ 33).

مفرع أو إلا قليلاً منهم فإنهم يؤمنون ويبقون في حال يكون جميلاً وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته، وفيه تنبيه نبيه على أنَّ مَن حفر[1] بئراً لأخيه سقط في حفرته.

وأفاد الأستاذ: من أنه يتمتع بحياته بعد مضي أكابره وأغرقه غلط في حسبانه ومظنته فإن الحسود لا يسود وأن الأرض كلها ملك لنا وتقلب أوليائنا لترددهم في البلاد وتطوافهم في أقطار العباد تزدد على بساطنا وتقلب في ديارنا فالبقاع لهم سواسية:

فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون[2]

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الآية 77] أي سنَّ الله ذلك سنَّة وهو أن يهلك أمة سعوا في خروج رسولهم من بين أظهرهم لغلوهم في كفرهم، فالسنَّة لله وإضافتها للرسل لأنها من أجلهم، وإذا أردت دليلاً فقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الآية 77] أي تغييراً وتبديلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أمضى سنَّته مع الأولياء بالإنعام ومع الأعداء بالإرغام فلا لهذه تبديل ولا لهذه تحويل.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الآية 78] أي وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 78] أي ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الآخرة ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الآية 78] أي صلاة الصبح سميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى الصلاة ركوعاً وسجوداً ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الآية 78] يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار نزولاً وصعوداً أو شواهد القدرة من تبدُّل الظلمة بالضياء وبالنوم الذي هو آخر الموت بالانتباه المشابه للبعث بالإحياء.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة بالأبدان مؤقتة والمواصلات بالسر والجنان سرمدة، والمنتظر للصلاة في الصلاة والصلاة قرع باب الرزق محل المناجاة إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ

---

(1) في المخطوطة: وقع، وهو تحريف.
(2) هذا البيت منسوب لمعقل بن عيسى. انظر الزهرة (1/ 75) والأغاني (10/ 105).

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:الآية 132]، والصلاة اعتكاف القلب في مشاهدة القدر والقضاء، ويقال: هي الوقوف[1] / على بساط النجوى وفرق أوقات الصلاة ليكون 157/ أ للعبد عود إلى بساط الانبساط في اليوم والليلة مرات وإلى محراب المجاهدات كرّات. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الآية 78] أي قراءته ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الآية 78] يشهده ملائكة الليل والنهار على لسان العلم، وأما على لسان القوم فقرآن الصبح الذي هو وقت انتباه العبد من نوم الغفلة ونشاطه من كسل النفس فلها هذه المزية.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ [الآية 79] وبعض الليل فاترك هجوده بالقرآن وتلاوته وبسبب قيام الليل وعبادته ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الآية 79] فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة عليك أو فضيلة منفية لك لاختصاص وجوبه بك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 79] أي فيقيمك ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الآية 79] يحمد القائم فيه يوم الدين على لسان الأولين والآخرين وهو الشفاعة العظمى والمرتبة العليا.

وأفاد الأستاذ: أن المقام المحمود هو المجالسة في حال الشهود، ويقال: الليل للمطيع والعاصي كل بحسب حاله، هذا في استكثار حسن أعماله وهذا في اعتذاره من قبيح أفعاله.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ [الآية 80] أي في القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الآية 80] إدخالاً مرضياً بالسلامة ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ [الآية 80] منه عند البعث ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الآية 80] إخراجاً ملقياً بالكرامة. وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من المكان والزمان وإخراجه منه على منوال ذلك الشأن فيشمل إدخاله المدينة وإخراجه من مكة وإدخاله النار وإخراجه منها سالماً إلى الدار وإدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه على وجه الجمالة ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الآية 80] حجة وبرهاناً ينصرني على مَن خالفني ويعين مَن وافقني ليكون على ديني نصيراً.

---

(1) في المخطوطة: الباط، والمثبت من تفسير القشيري (4/ 297).

وقال جعفر الصادق: أي أدخلني في ميدان معرفتك وأخرجني من ميدان معرفتك إلى مشاهدة ذاتك.

وأفاد الأستاذ: أن إدخال الصدق وإخراجه أن يكون دخوله وخروجه في الأشياء بالله لا بغيره. ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الآية 80] حتى لا ألاحظ دخولي ولا خروجي إلا بل أكون لعقلك بصيراً.

157/ب ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 81] نور الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الآية 81] / وذهب شرك الظلام ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الآية 81] مضمحلاً في نفسه هالكاً من أهله كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص:الآية 88]. وكما قال لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[1]. وذهب ما سواه وكان كذلك قبل الآن وهو كما قيل: «كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما عليه كان»[2].

وأفاد الأستاذ: أن الحق ما كان لله والباطل ما كان لغير الله. ويقال: الحق من الخواطر ما دعا إلى الله، والباطل ما دعا إلى ما سواه.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 82] أي ما هو في تقويم دينهم وتتميم نعيمهم وإحياء أرواحهم كالدواء الشافي للمرضى في اصطلاح نفوسهم وأشباحهم ومن البيان فإن كله كذلك في هذا الشأن ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82] هذه الجملة في مقابلة ما سبق، فكأنه قال: وما هو شقاء ونقمة للمنكرين، فهذا كالنيل ماء للمحبوبين ودماً للمحجوبين. وفي الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك»[3]، وفي رواية: «القرآن شافع مشفع أو ماحل مصدق»[4].

وأفاد الأستاذ: أن القرآن شفاء من داء الشك للمؤمنين ومن داء الجهل للعالمين ومن داء الفكرة للعارفين ومن لواعق الشوق للمحبين ومن داء الفتور

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6147)، ومسلم في الصحيح (2256/ 2).
(2) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (10/ 370) رقم (29850).
(3) سبق تخريجه. (4) سبق تخريجه.

للمريدين والقاصدين، وأنشدوا:

وكُتْبُك حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم[1]

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 82] فالخطاب واحد والكتاب واحد ولكنه لقوم رحمة وشفاء ولقوم سخطة وشقاء، قوم كحل بصائرهم بنور التوحيد والشهود فهو لهم شفاء وقوم أغشى على بصائرهم بستر الجحود فهم لهم شقاء.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الآية 83] بالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ [الآية 83] عن ذكر ربه واشتغل عن شكره بغيره ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الآية 83] بعُدَ بنفسه عن الله وحكمه كأنه مستغن مستبد بأمره. وقرأ ابن ذكوان: ناء بقلبه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 83] من مرض وفقر ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الآية 83] شديد اليأس من رحمة ربه.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة، والنعمة العظمى هي الهداية والإيمان والمعرفة والولاية والعبد لا ينفك عن رؤية نفسه، وهذا / هو 158/أ الإعراض عن منعمه بأن يستحلي طاعته ويتلذذ بها ويسكن إليها ويتحصن من النار بسببها.

وقال الأستاذ: إذا أزلنا عنه موجبات الخوف في المآل وأرضينا له جعل الإمهال وهيّأنا له أسباب الرفاهية من سعة الجاه وكثرة المال اعترته مغاليط النسيان واستهوته دعاوي العصيان فأعرض عن شكر الخذلان وتباعد عن بساط الوفاق. ويقال: إعراضه في هذا الفصل نسيانه رؤية الفضل وتوهمه أن ما أوتي من النعم باستحقاق لطاعة أخلصها أو لبلاء وشدة قاساها وهذا شرك في التحقيق والله ولي التوفيق.

﴿قُلْ كُلٌّ﴾ [الآية 84] كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الآية 84] طريقته التي تشاكل حقيقته التي تقتضي هدايته أو غوايته أو جوهر روحه التابع لمزاج شبحه ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الآية 84] وكذا بمن هو أدرى سبيلاً وأغوى دليلاً.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 10) و(4/ 301).

قال ابن عطاء: كما قال ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»[1].

وقال أبو بكر: كل نفس يتبع أثر قلبه وهمته بأمر ربه.

وقال جعفر: كل مكنون يظهر ما أودع فيه من الخير والشر، كذا في «تفسير السلمي». وقول الصادق موافق لقولهم: كل إناء يترشح بما فيه.

ثم رأيت الأستاذ قد أفاد بقوله كل يرشح بمودع باطنه فالأسرة تدل على السريرة وما تجنه الضمائر يلوح على السرائر فمن صفا عن الكدورة جوهرة لا يفوح منه إلا شر مناقبه ومن طبع عن الكدورة طينته فلا يعبق بمن يحوم حوله إلا ريح مثالبه. ويقال: حركات الظواهر تدل وتخبر عن الواطنات في السرائر. ويقال: حب الغبيرا لا تنبت غصن العود في الصحراء. ويقال: مَن عجن بماء الشقاوة طينته وطبع على الفكرة حيلته لا يسمح بالتوحيد قريحته ولا ينطلق بالتفريد عبادته.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الآية 85] الذي يحيى بها بدن الإنسان ويديره في هذا الشأن ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الآية 85] من المبدعات الكائنة بكن من غير مادة ومدة وتولد من أصل وعدة بخلاف جسده حيث خلق من نطفة ومضغة وعلقة كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:الآية 54]، ووجد بأمره وحدث بحكمه/ فيفيد عدم مذمه مما استأثره الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش: 158/ب
سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فيها فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي[2]، فبيَّن لهم الصفتين وأبهم أمر الروح وهو سهم في التوراة. وقيل: الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك، وقيل القرآن، ومن أمر ربي معناه ومن وحيه ويلائمه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 85] تستعيدونه بتوسط حواسهم فإن اكتساب العقل للمعارف النظريات إنما هو من الضروريات

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7551)، ومسلم في الصحيح (2649/ 9).
(2) تفسير الطبري (17/ 543)، تفسير القرطبي (10/ 325).

المستفادة من إحساس الجزئيات وكذا قيل: مَن فَقَدَ حسّاً فقد فَقَدَ عِلْماً. ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحسن والأشياء من أحواله وصفاته المعرفة لذاته، وفيه إشارة إلى أن الروح مما لم يكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتمس به ذكر بعض صفاته. روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب، فقال: بل نحن وأنتم، فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان:الآية 27]، وما قالوه لسوء فهمهم وقلة علمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها يسير ولو بالإضافة إلى الإنسان كثير.

وفي «تفسير السلمي»: سئل أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هي؟ قال: نعم ولولا ذاك ما أقرّت بالربوبية حين قالت: بلى، والروح هي التي أوقعت على البدن اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجة وعرف العدل والفضل. وقال ابن عطاء: إن الله تعالى ستر أمر الروح على جميع خلقه وستر كيفية صفات نفسه وستر ما يبدو منه وستر ما يقابل به الخلق عند معاينته إلا أن العلماء اتفقوا على أنها جسم لطيف وجوهر شريف وأن الأرواح خُلِقت قبل الأشباح.

159/أ / وأفاد الأستاذ: أنهم أرادوا أن يغالطوه في جواب ما سألوه فأمره أن ينطق بلفظ يفصح عن أقسام الروح لأن ما ينطبق عليه لفظ ﴿ٱلرُّوحُ﴾ [الآية 85] يدخل تحت قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الآية 85]. وفي الجملة الروح مخلوقة والحق أجرى العادة بأن يخلق الحياة لعبده ما دام الروح في جسده والروح لطيفة تقرر للكافة بطهارتها ولطافتها وهي مخلوقة قبل الأجساد بألوف من السنين وقبل أن أدركها التكليف كأن للأرواح صفاء التسبيح وضياء المواصلات ويمن التفريق وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن أحداً لم يشاهد الروح ببصره.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 86] أي إن شئنا ذهبنا

بالقرآن المزبور ومحوناه عن المصاحف والصدور ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [الآية 86] من يتوكل علينا ويتكفل لك عنا برد المحفوظ المنظور.

﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 87] فإنها إن زلتك غلفها تسترد ذلك أو لكن رحمة من ربك تركه غير مذهوب به ليكون امتناناً ببقائه بعد المنة في إنزاله ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرًا﴾ [الآية 87] حيث جعل في إبقائه خيراً كثيراً وفيه تنبيه نبيه على أنَّ الحافظ للقرآن في قلوب القراء كما أوقع به الإيمان سبحانه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:الآية 9].

وأفاد الأستاذ: إنَّ سنَّة الحق سبحانه مع أحبابه وخواص عباده أن يديم لهم شهود افتقارهم إليه ليكونوا في جميع الأحوال منقادين لديه مطيعين لجريان حكمه ولا يتحرك بينهم عرق بخلاف أمره، وعلى هذه الجملة خاطب حبيبه بقوله: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 86]، ومن كان استقلاله بالله يقدم مراد سيده في العزل والولاية على مراد نفسه. ثم قال: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 87] والمقصود من هذا إدامة تفرُّد سرّه به سبحانه دون غيره.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الآية 88] ومنهم الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ﴾ [الآية 88] من عندهم ﴿بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [الآية 88] في بلاغة المبنى وجزالة المعنى ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الآية 88] لا يقدرون على إتيان شبهه ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرًا﴾ [الآية 88] متظاهرين ومنقادين على الإتيان به.

159/ب وفيه إيماء إلى أن ما أفاد الأستاذ/ من أن سائر الأنبياء معجزاتهم باقية حكماً ومعجزة نبينا باقية عيناً وإن هذا القرآن المجيد ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:الآية 42].

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ [الآية 89] كرّرنا بالوجه الأكمل ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [الآية 89] من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعه في أنفس مَن انتفع بقراءته ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الآية 89] إلا جحوداً لوحدته ورحمته وكفراناً بنعمته ومنّته.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس أحظى عند الأحباب من كتاب الأحباب فهو

شفاء لهم من داء الضناء وضياء لأسرارهم عند اشتداد البلاء.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 90] أي كفار قومك تعنتاً واقتراحاً بعدما ألزمهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من أنواع المعجزة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ [الآية 90] وبالتخفيف الكوفي أي تشقق ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 90] بعض أرض مكة ﴿يَنبُوعًا﴾ [الآية 90] عيناً يدوم ماؤها كثيراً.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الآيتان 91، 92] بفتح السين هنا نافع وابن عامر وعاصم أي قطعاً وزناً ومعنى ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الآية 92] بما تدّعيه من معانيه وشاهداً على صحة ما فيه من مبانيه.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الآية 93] من ذهب كما قرىء به ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 93] في معارجها بحيث نشاهدك من مدارجها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الآية 93] وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الآية 93] فنصدقه ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الآية 93] تعجباً من اقتراحاتهم وتقبيح ضلالاتهم. وقرأ ابن كثير وابن عامر: قال ـ أي الرسول ـ: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الآية 93] واحداً من البشر رسولاً أي كسائر الرسل حيث لم يكن أمر الآيات إليهم بل كانوا يأتون بما يظهره الله عليهم مما يلائم حال قومهم لديهم. وهذا جواب إجمالي وجاء تفصيله في آيات أخر كقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ [الأنعام:الآية 7] كتاباً ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ [الحجر:الآية 14] باباً.

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا الآيات بعد إزالة العلة فركضوا في مضمار سوء الأدب فحرموا رموز الوصلة والقربة ولو أجيبوا إلى ما طولبوا ما ازدادوا إلا الجحد / والفكرة كما قيل: 160/ أ

إن الكريم إذا حباك بودّه ستر القبيح وأظهر الإحسانا
وكذا الملول لو أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26).

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الآية 93] أي له الربوبية، وهل يقتضي صفة البشرية إلا العبودية، فمن أين الإتيان بما سألتم من قبلي ولا كان مثل هذا لأحد من قبلي.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 94] ويتركوا متابعة الهدى وسلوك طريق الردى ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الآية 94] والعجب أنهم أنكروا كون الرسول بشراً وجوّزوا كون الإله حجراً.

وأفاد الأستاذ: أنهم تعجبوا مما ليس بمحل الأعجوبة لهم ولكن حملهم عليه فرط جهلهم ثم اقترن بذلك فرط حسدهم فاقتصروا على تكذيبهم وجحدهم، انتهى.

والله سبحانه من كرمه وحلمه بهم أزال صورة سيمتهم في مقالهم إصلاحاً لحالهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ [الآية 95] أي ماشين ظاهرين كما أنكم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ [الآية 95] ساكنين فيها مستقرين بها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الآية 95] من جنسهم لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي والتلقن من علمه، وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه في دوران الفلك فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس بحسب تخلية القلب عن غير حب الرب وتجلية الروح بأنواع عن تخلية الفتوح، وهذا لا يحصل إلا لِخواص البشر الخالين عن غبار الكدر فيصلح أن يكون واسطة رابطة بين الخلق والحق فتدبر فإن الجنسية علة الضم وميل الجنس إلى الجنس أتم والله سبحانه أعلم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 96] على أني رسول الله إليكم وبلّغتكم ما أنزل عليكم وأنكم عاندتم فيما لديكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية 96] يعلم سرائرهم وظواهرهم وفيه غاية وعيد ونهاية تهديد.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الآية 97] أي من عنده ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الآية 97] أي بإضلاله أو خذلانه أو اختيار غوايته ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 97] أي من غيره ممن يقدر على هدايته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه من أراد بالسعادة في آزاله استخلصه من آباده

بأفضاله ومن علمه /في الآزال بالشقاء وسمه في أبده بسمة الأعداء، فلا 160/ب
لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 97] أي نجمعهم بعد بعثهم من قبورهم إلى موقف نشورهم ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الآية 97] يُسحبون عليها أو يمشون بها، ويؤيد الأول قوله: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ [غافر: الآيتان 71، 72]، ويقوي الثاني ما روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»(1)، ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الآية 97] حقيقة ظاهراً وباطناً في أول حسابهم أو وقت عذابهم أو كفاية أنهم لا يبصرون ما يقر به أعينهم ولا يسمعون ما تتلذّذ به مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر المطلق وتصاموا على استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق فجوزوا إجزاء الوفق ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الآية 97] فسكنت لهبها عنهم بأن أكلت جلودهم وأحرقت لحومهم ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الآية 97] توقُّداً بهم بتبدُّل جلودهم ولحومهم لتكذيبهم بإعادتهم بعد إفنائهم وبإمدادهم بعد إنجادهم كما أشير إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 98] أي ما تقدم من عذابهم ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ [الآية 98] حطاماً ورفاتاً ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الآية 98] وبهذا يزول الإشكال المشهور وهو أن الظاهر العدل في حق الكافر أنه إذا عبد غير الله مثلاً سبعين سنة أن لا يعذب أزيد من القدر المذكور ساعة ولا قدر سنة ووجهه أنهم لما كانوا متفوهين أن الإعادة لا تكون آية فجوَّزوا بدوام الإعادة سرمداً.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما أصروا على تكذيبهم جازاهم الله بإدامة تعذيبهم ولو ساعدهم التوفيق لوجد منهم التحقيق ولكن عدموا التأييد فحرموا التوحيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ﴾ [الآية 99] أو لم يعلموا ﴿ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ﴾ [الآية 99] أي نفسهما ﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الآية 99] أي ابتداءً أو إعادة

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 290) رقم (729).

فإنهم ليسوا أشد خلقاً منهما في البناء ولا الإعادة عليه أصعب من الابتداء بل هما في مرتبة السواء وإن كانت الإعادة أهون في العادة كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:الآية 57] أي
161/أ أكثر عظمة في صدورهم/ ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 99] لا شك في حلول أجلهم على وفق جعله لهم من غير تقديم وتأخير في زمانهم. والمراد بالأجل القيامة الصغرى أو الساعة الكبرى ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 99] مع وضوح الحق لهم ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ [الآية 99] جحوداً لربّهم.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ [الآية 100] خزائن رزقه ومكامن كرمه ونعمه ﴿إِذًا﴾ [الآية 100] أي حينئذ ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الآية 100] لبخلتم مخافة نفاذ الأنفاذ وغفلة عن قضية ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الآية 100] بخيلاً غاية البخل فإنه لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره شيء فإنما يؤثره لعوض أو عرض في فعله فهو إذن بخيل بالإضافة إلى جود الله وكرمه وفضله، وفي الحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً، ولن يشبع عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[1]. وفيه تنبيه على أن الإنسان خُلِق في أصله معيوباً بأنواع سوء خلقه من فتور وكفور وعجول وهلوع وظلوم وجهول ونحو ذلك. وإنما يحسن الله أخلاق من شاء من عباده بالتخلق بأخلاق ربهم والتحلي بحلية اكتساب ما أمرهم واجتناب ما زجرهم، فلو خلي الإنسان لمحة بطبعه رجع إلى أصله في عيوبه.

وقال حمدون: أخبر الحق عن حقيقته طباع الخلق فقال: لو ملكتم ما أملكه من فنون الرحمة وخزائن الخير والنعمة لقلب عليكم سوء طبائعكم في الشح والبخل المركب فيكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كان البخل غريزة والشح سجية فمساعدة المكنة

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (4/ 569) رقم (2337)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 269) رقم (10274)، وابن حبان في الصحيح (8/ 30) رقم (3237)، وأحمد في المسند (4/ 368) رقم (19299).

واقتدار المعروف لا يغير الخلقة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 101] هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ [الآية 101] أي سلهم من حال دينهم ومن آيات نبيهم، ولعل مبنى هذا المعنى على قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يُونس:الآية 94]، ولذا قال النبي الأكمل: «لا أشك ولا أسأل»[1].

قال جعفر الصادق: من الآيات التي خصه الله بها الاصطفاء بالرسالة وإلقاء المحبة والكلام والثبات في محل الخطاب ومقام المرام والحفظ في اليم / واليد البيضاء وإعطاء ألواح التوراة، كذا في «تفسير السلمي». 161/ ب

وأفاد الأستاذ: إن كثرة ذكره سبحانه لموسى عليه السلام في كتابه من أمارة إكرامه ومحبته له مقدورة من أحب شيئاً أكثر ذكره، انتهى. والأظهر أن موجب كثرة ذكره وجود كثرة أتباعه وأصحابه ومداولة أحكام ما يستفاد من كتابه فاحتاجوا إلى بيان كثرة معجزات نبينا ﷺ في تبيان أخبارهم ليكون حجة واضحة وبيّنة لائحة على رهبانهم وأحبارهم أصالة وعلى كفار مكة وسائر المشركين تبعية.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الآية 101] أي مجذوعاً ممكوراً.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الآية 102] يا فرعون، وقرأ الكسائي بصيغة المتكلّم ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 102] الآيات الظواهر البواهر ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الآية 102] بينات واضحات وظاهرات لائحات ينظرن صدق المعجزات بظواهر أنوارها ووضوح أسرارها ولكنك ركنت إلى الغفلة وملت إلى الظلمة وتجاحدت وتعاندت لكونك معجباً مغروراً ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الآية 102] مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر داعياً وقت هلاكك ثبوراً وشتان

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211).

بين الظنين فإن ظن فرعون كذب بحت وصرف وبهتان وظن موسى يحوم حول اليقين وتحقق الإمكان.

﴿فَأَرَادَ﴾ [الآية 103] فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ [الآية 103] يستخف موسى وقومه وينفيهم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 103] أرض مصر بإخراجهم أو الأرض مطلقاً بقتلهم واستئصالهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الآية 103] فعكسنا عليه أمره وقلبنا عليه مكره فاستفززناه بالإغراق وقومه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون أراد إهلاك بني إسرائيل واستئصالهم وأراد الحق نصرتهم وبقاءهم وإقبالهم فكان ما أراد الحق لا ما كاد اللعين المحقق.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 104] بعد إغراق فرعون وقومه ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 104] التي أراد أن يستفزكم منها بالطول والعرض ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 104] أي الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة، يعني قيام القيامة لجميع الأمة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الآية 104] جماعات ملتفة من قبائل متفرقة،
162/ أ والمعنى نأتي بكم / جميعكم فنحكم بينكم ونميِّز سعدائكم من أشقيائكم ونبيِّن حقيقة أنبيائكم وحقيقة أصفيائكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما ورّثهم منازل أعدائهم ومكّنهم من ذخائرهم ومساكنهم استوصى بهم شكر نعمتهم وعرّفهم أنهم لو سلكوا في العصيان مسلك من تقدمهم ذاقوا من العقوبة مثل عقوبتهم.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 105] أي القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الآية 105] أي الفرقان، والمعنى ما أنزلنا القرآن إلا متلبساً بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا متلبساً بالحق المشتمل عليه لإكماله.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن حق ونزوله حق ومنزله حق والمنزل عليه حق والقرآن بحق نزل ومِن حق نزل وعلى حق نزل. قلت: وقد جاء الحق وزهق الباطل، وقل الحق من ربكم تحقق، من شاء فليؤمن بقبوله ومن شاء فليكفر بعدوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ [الآية 105] للمطيع بالثواب وقرب الجنات

﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 105] مخوّفاً للعاصي من العقاب والحجاب عن الباب فما عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب على ما جرى به القلم في صفات الكتاب.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الآية 106] أي في أزمنة منّجمة أنزلناه ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 106] بحكم الاستئناس وأمر الأساس بالقياس ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الآية 106] على مهل وتؤدة ولبث فإنه أهون لحفظ أهل العلم وأعون على تدارك إدراك أهل الفهم ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الآية 106] يناسب كونه لكل حادثة من الحوادث لتفسيرات أو تأويلات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فرق تنزيل القرآن إليه ليهون حفظه عليه وليكثر تردُّد قلبه لديه وليكون نزوله في كل واقعة وحادثة دليلاً على أنه ليس مما أعانه عليه غيره ولأنه يقول من تلقاء نفسه.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الآية 107] أي بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الآية 107] بالعصيان، فإنهما سببان حيث لم يزده إيمانكم به كمالاً ولا امتناعكم عنه يورثه نقصاناً وزوالاً، لا بل آمنتم به أمِنْتُم ودخلتم دار الأمان وإن أبيتم هلكتم ووصلتم دار الخسران، فنفعه عائد إليكم وضرره راجع عليكم وذاتنا وصفاتنا على وجه الكمال منزَّهة عن تصور النقصان وتوسم الزوال كما يعرفه أولوا / العلم والفهم بالأحوال 162/ ب
كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الآية 107] قبل نزوله ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 107] القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الآية 107] يسقطون على وجوههم حال كونهم ساجدين تعظيماً لأمره.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الآية 108] أو شكراً لإنجاز وعده كائناً مأتياً محصولاً موصولاً.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الآية 109] حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ [الآية 109] سماع القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ [الآية 109] لما يفيدهم من مدد الرحمٰن. ولعل تكرار الحزور للإشارة بما أثر فيهم من مواعظ القرآن وزواجر الفرقان للمبالغة في بيان واقعة كل مِن الحالة، فتارة في مقام الرجاء والبسط والانبساط، وتارة في مقام الخوف والقبض عن قرب البساط. فهم دائماً بين حال الفناء والبقاء وسرمداً

بين حصول الإيجاد ووصول الأمداد في دار المعاش والمعاد كما تقتضيه صفات الجمال والجلال من نعوت الجمال.

وقال الأستاذ: إن آمنتم حصل النفع لكم وإن جحدتم ففي من آمن من أوليائنا خلف عنكم والضرر عائد عليكم، فإن من أضاء عليه شموس إقبالنا أشرق الكون بنور معارفهم لنا وإذا يتلى عليهم آياتنا سجدوا بدل جحودكم واستجابوا بدل تمرُّدكم وقابلوا بالتصديق ما نقول لهم ويخرُّون للأذقان يبكون لِمَا ظهر لهم من طريق التحقيق وسبيل التوفيق، فإن السماع مؤثر في قلوب قوم محيِّرٌ لأسرار آخرين، فتأثير السماع في قلوب العلماء بالتبصر، وتأثير السماع في أسرار الموحِّدين بالتحيُّر. تبصُّر العلماء بصحة الاستدلال، وتحيُّر الموحِّدين في شهود الجمال والجلال. وبكاء كل أحد لما يناسبه من الحال، فالتائب يبكي لخوف عقوبته ولما أسلفه من زلته وحوبته، والمطيع يبكي لتقصيره في طاعته ولئلا يفوته ما يأمله من منته، وقوم يبكون تحسُّراً على ما يفوتهم من الحق بالنسبة إليهم والبكاء عند الأكابر معلول، وهو في الجملة يدل على ضعف حال الرجل المجهول بالنسبة إلى الأقوياء من الرجال الفحول. وفي معناه أنشدوا:

خُلِقْنَا رِجالاً لِلتجلُّد والأسى وتلك الغواني للبكاء والمآتم[1]

163/أ / ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الآية 110] نزل حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمٰن، فقالوا: إنه ينهانا عن أن نعبد إلٰهين وهو يدعو اثنين. فالمراد ردهم بكون التسوية بين اللفظين فإنهما مطلقان على ذات واحد وإن اختلف اعتبار إطلاقهما بالنعت المتعدد والتوحيد إنما هو للذات الواجب الوجود الذي هو المعبود والمقصود والمشهود، كما أشار إليه بقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 110] أي الصفات العليا. والحاصل أن توهم الإثنينية إنما نشأ من العلة الأصولية.

(1) نسب هذا البيت لأبي تمام. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 277) والرسالة الموضحة (1/ 51).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه من عظيم نِعَمه وامتنانه على أوليائه نزههم بأسرارهم في رياض ذِكْره لتعدد أسمائه فينتقلون من روضة إلى روضة ومن مأنس إلى مأنس لتزول الوحشة. ويقال: الأغنياء ترددهم في بساتينهم وتنزههم في منابت رياحينهم والفقراء تنزههم لترويحهم في مشاهد تسبيحهم يستروحون إلى ما يلوح لأسرارهم من كشوفات جلاله وجماله ما يكون مداداً لاستفاضة أنوارهم ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الآية 110] أي بقراءة صلاتك بالمرة ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الآية 110] بالمبالغة ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 110] أي اطلب بين ما ذُكِرَ من الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ [الآية 110] طريقة متوسطة معتدلة فإن الاقتصاد محمود في جميع المواد. ولعل المراد بها صلاة التهجد لما روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي. وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان وأرضي الرحمان. فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً[1] وعمر أن يخفض قليلاً. وقيل معناه: لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلاً بالإخفات نهاراً والجهر ليلاً، وَعَدَّ الفجر من الليل لكمال قربه قيلاً.

وقال الأستاذ: لا تجهر جهراً يسمعه الأعداء ولا تُخافت بها بحيث لا يسمعه الأولياء وابتغ بينهما سبيلاً يكون نجواك من الأحباب مسموعاً/ ومن 163/ ب
الأجانب ممنوعاً. وقيل: المراد بالصلاة الدعاء ففيه الإيماء إلى أنه لا يقتصر على ما في القلب من النداء والثناء.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الآية 111] أي الذي يتنزَّه أن يتخذ ولداً فضلاً أن يكون أحد له ولداً ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية 111] أي في ملك الألوهية وملك الربوبية أزلاً وأبداً ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الآية 111] لكون عزّه سرمداً. والمعنى ليس له ولي يواليه ويصافيه من أجل مذلة ومنقصة تنافيه

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (2/ 496) برقم (4210)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (1/ 280) رقم (252). وانظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 294) رقم (732).

ليدفعها بموالاته أو يراعيه خوفاً من معاداته بل له أولياء يتعزّزون بولايته ويدفعون المذلة بعنايته فإنه لا يذل مَن والاه ولا يُعزّ مَن عاداه ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الآية 111] أي عَظِّمه تعظيماً بليغاً وتكريماً كثيراً تنبيهاً بأن العبد وإن بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حق القيام بوظيفة المعرفة والعبادة اللائقة للحميد المجيد، لأن معنى الله أكبر هو أنه أكبر من أحد يعرفه حق المعرفة وأن يعبده حق العبادة، كما قال أهل الكمال: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك[1].

وفي هذا المقام قال عليه السلام: «لا أحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»[2]. ولعل هذا وجه ابتداء أمّ العبادات بعد تصحيح النيات وتخليص الطويات تبكير التحريم المتضمِّن لهذا التعظيم، ومن هنا قال الإمام الأعظم إنه يجوز بدله كل ما دل على تعظيمه بالوجه الأتم، يعني غير مشوب بالدعاء ليكون الإخلاص ثابتاً في الابتداء وببركته ينسب تلك الحال إلى وقت الانتهاء. وروي أنه عليه السلام كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب[3] علّمه هذه الآية، ويسميها آية العزَّة.

وقال ابن عطاء: عظِّم منه وإحسانه في قلبك لعلمك بتقصيرك في شكر ربك، انتهى. فنحمده شاكرين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن مرام حضورنا صابرين[4].

---

(1) روح المعاني (17/ 202) وتفسير أبي السعود (3/ 161).
(2) أخرجه مسلم في الصحيح (486/ 222)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 524) رقم (3493)، وابن ماجه في السنن (1/ 373) رقم (1179)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 98) رقم (158).
(3) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (2/ 423). وانظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (2/ 296) رقم (733).
(4) يوجد كلام مبهم جزء منه على الهامش.

سورة الكهف

[مكيّة]

إلا قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الآية 28]

وآياتها مائة وعشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي يجب به الابتداء وينبغي به الانتهاء لاشتماله على العلم/ الذي هو 164/أ
الأعظم، والصفتين الموجبتين لدوام الدعاء وتمام الثناء، ولتضمنها شهود وجوده وظهور كرمه وجوده.

وقال الأستاذ: ما استثلفت القلوب إلا بسماع بسم الله وما استنارت الأرواح إلا بوجود جمال الله، وما طربت الأرواح إلا بشهود جمال الله. سماع بسم الله راحة الأرواح وضياؤها شقاء الأشباح وتلاوتها قوت العارفين وغذاؤهم لأنه به يزول كدّهم وعناؤهم وبه استقلالهم وبقاؤهم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الآية 1] أي وجعله أهلاً لهذا الخطاب، وفي ترتُّب استحقاق الحمد وثنائه على إنزاله في إتيانه إيماء إلى أنه أعظم نعمائه وأفضل آلائه لأنه الهادي إلى كمال العباد والداعي إلى ما ينتظم به أمر المعاش والمعاد ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الآية 1] شيئاً من اختلال المبنى أو اعتلال المعنى أو من انحراف وانصراف من دعوة الخلق إلى جناب الحق.

﴿قَيِّمًا﴾ [الآية 2] بل جعله قيماً بمصالح العباد على وفق المراد، هذا وفي «تفسير السلمي» قيل: العبد هو الذي لا يرعى غير سيده، وقيل: العبد هو التخلُّق بأخلاق سيده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سمّاه عبده لما كان فانياً من حظوظه خالصاً لله لقيامه بحقوقه.

وأنزل هذا الكتاب ﴿قَيِّمًا﴾ [الآية 2] ولم يجعل له عوجاً، صانه عن التفاوض والتناقض فهو كتاب عزيز من ربّ عزيز منزل على عبد عزيز أي مُرسل إلى قوم أعزاء ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الآية 2] ليخوِّف الله أو عبده أو الكتاب أرباب الكفر وأصحاب الحجاب بنوع فظيع من العذاب وصنف فظيع من العقاب ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الآية 2] صادراً من عنده وارداً من حكمه بما سبق له من قضائه وقدره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المُزمّل: الآيتان 12،13]. وقرأ أبو بكر بإسكان الدال من شمه من الضمة للدلالة على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين على غير حدة وكسر الهاء لاتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن البأس الشديد معجلةُ الفراق ومؤجلةُ الاحتراق. ويقال: هو البقاء عن الله والابتلاء بغير الله ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] المصدِّقين الموقنين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 2] أي الواقعة على وفق الشرع المبين ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 2] أي بأن لهم ثواباً مستحسناً في الجنة/ 164/ب
ودار الكرامة ومحل الإقامة ومكان النعمة والبقاء والفوز بالرؤية واللقاء حال كونهم ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾ [الآية 3] لابثين في مقام الأجر وخالدين في مرام علو القدر ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 3] لا انقطاع فيه سرمداً. ثم قيل: العمل الصالح ما أُريد به وجه الله وابتغي فيه رضاه، والأجر الحسن أن لا يحجب عن لقاء مولاه، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أنه هو الذي لم يستعجل صاحبه عليه خطأ في الدنيا من وصول عوض أو حصول عرض أو قبول طائفة وانقياد رئاسة وما في هذا المعنى.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أي بخصوصهم في ضمن عمومهم، وفي تكرير الإنذار واختصاصه بهم استعظام لكفرهم.

﴿مَّا لَهُم بِهِ﴾ [الآية 5] أي بالولد أو باتخاذه أو بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا

لِآبَآئِهِمْ﴾ [الآية 5] لأنه صدر عن جهل كاسد أو تقليد فاسد حيث كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر فيه أنه لا خصوصية للأثر بالولد لشموله الحجر والمدر والشجر والثمر. والمعنى ليس لهم بالله شيء من معرفة ذاته وصفاته إذ لو عرفوه حق معرفته لعظَّموه حق عظمته ولم يجوِّزوا نسبة الاتحاد إليه ولم يفتروا إثبات الشريك والصاحبة والولد وسائر الحوادث عليه.

وأفاد الأستاذ: إن قالتهم القبيحة الدنيئة نتيجة جهلهم بالوحدانية ولقد توارثوا ذلك الجهل من أسلافهم تقليد الذرية، والحية لا تلد إلا الحية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الآية 5] عظمت مقالتهم هذه في الكفر والجهالة والشرك والضلالة، وكلمة نصب على التمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية 5] صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الآية 5] ما يقولون إلا افتراء عليه لغاية جهلهم بما لديه.

قال ابن عطاء: أكبر الدعاوي من ادعى في الله أو أشار إلى الله أو تكلم عن الله أو خروج عن حجاب البساط ودخل في ميدان الانبساط. قال الله عزَّ وعلا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الآية 5]، كذا في «تفسير السلمي».

ولعل وجهه أنه سبحانه كما قيل في حقه عزَّ شأنه ما خطر ببالك فالله وراء ذلك كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طٰه:الآية 110]، وكذا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:الآية 91]. ويدل عليه قوله ﷺ: 165/ أ
«تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الخالق فتهلكوا»[1]. وفي رواية: «فإنكم لا تقدِّرون قدره»[2] أي لا يعرفون حق معرفته ولا يعظِّمون حق عَظَمَتِهِ. وقد قال الإمام حجة الإسلام: السالك يصل إلى مقام المرام بحيث إذا عبر عنه بأي لسان وأي بيان يقع في طغيان وعصيان.

وقال الأستاذ: كبرت في الإثم كما خسئت في الجسم ومن نطق بها لم

---

(1) جامع الحديث (11/ 325) رقم (10901)، وكنز العمال (3/ 106) رقم (5705).
(2) المقاصد الحسنة (1/ 261) رقم (342)، وكشف الخفاء (1/ 311).

يحصل له به إذن في المعنى لحقه هذا الوصف في المعنى ومن تكلّم في هذا الشأن قبل أوانه فقد دخل في غمار هولها من جهة بيانه مثل تحقق شأنه.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الآية 6] قاتلها وقاطعها ومانعها عن حظك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [الآية 6] إذا ولوا عن اتِّباع طريقك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 6] أي القرآن الحادث نزله بك ﴿أَسَفًا﴾ [الآية 6] للتأسُّف عليهم والتحسُّر بما لديهم. قال بعضهم: لا تشغل سرك بمخالفاتهم فما عليك إلا البلاغ برسالاتهم والهدى منا لمن نشاء والبُعد عنا لمن نشاء.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام من غاية شفقته ونهاية رحمته دَاخَلَه فرط الحزن من امتناعهم عن طريقته فهوَّن الله عليه حاله في هذا الباب بما أشبه ظاهرة العتاب كأنه قال: ولا كل هذا يا خير البشر فليس من امتناعهم في عزّنا أثر ولا في دينك من ذلك ضرر. ويقال: أشهده جريان تقديره وعرفه أن مَن امتنع فلمنعه سبحانه إياه وإن كان كفرهم في الشرع منهياً عنه فهو في الحقيقة مراد للحق لكونه على وفق ما قضاه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] من الحيوانات والنباتات والجمادات ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ [الآية 7] لأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 7] وأقصر أملاً وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يدفع به شدائد أيامه وصرفه على ما ينبغي في فوائد مرامه.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 8] من الزينة المحال إليها ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الآية 8] تراباً مستوياً جهاتها، فإن الجرز هي الأرض التي قطع نباتها.

165/ ب وأفاد الأستاذ: أن ما على الأرض زينة لها تدرك بالأبصار/ وممن على الأرض من هو رتبة لها يعرف بالأسرار وإن قيمة الأوطان بقطانها وزينة المساكن في سكّانها. ويقال: العباد هم زينة الدنيا وأهل المعرفة هم زينة العقبى ثم أحسنهم عملاً أصدقهم نية وأخلصهم طوية. ويقال: أحسن أعمال المرء ولو كان من الأبرار نظره إلى أعماله بعين الاستحقار والاستصغار ثم كون ما على الأرض زينة لها في الحال سلب قدرة ما أخبر أنه يؤول إليه في المآل فلم يغن

عنه من ضيائها لما أخبر أنه سيعقبها من قيامها.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الآية 9] بل أظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الآية 9] من أرباب الكهف ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الآية 9] في إيتاء حياتهم مدة مديدة وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأصناف الفانية للحصر بالطول والعرض على كيفيات متفاوتة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة، ثم ردها إليها بصفة عائدة ليس بعجيب من آثار رحمته ولا غريب من أسرار قدرته وأنوار حكمته، ثم الكهف الغار الواسع والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم فيكون بدل اشتمال في تحقيق المبنى وكالعطف التفسيري في تدقيق المعنى. وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة فألجأهم المطر إلى كهف فانحطت صخرة إليهم وسدت الباب عليهم... الحديث بطوله، وفي الصحيح تفصيله[1].

قال الجنيد: لا يعجب منهم فشأنك أعجب وأغرب في المعنى حيث أُسري بك في ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبلغ بك سدرة المنتهى وكنت في القرب كقاب قوسين أو أدنى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزال موضع الأعجوبة من أوصافهم بما أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 9] وقلب العادة من قبل الله غير مستنكر ولا مستبعد من بعد تعلق الإرادة.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الآية 10] هرباً من الفتنة وهم فتية من أشراف الروم وأصحاب الفتوة وأرباب المروءة أرادهم دقيانوس على الشرك والكفر فأبوا إلا الإيمان والشكر وهربوا إلى الغار وتركوا الأغيار وطلبوا تيسير الأمور في التخليص عن الأشرار/ ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الآية 10] توجب لنا 166/أ
مغفرة ونعمة وأمناً من عدو يريد بنا نقمة ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 10] أي سهِّل لنا بعض الأمر الذي نحن عليه ومتوجهون إليه من مغارة الكفار وعزلة الأخيار،

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2333)، ومسلم في الصحيح (2743/ 100).

واختيار طريق الأخيار ﴿رَشَدًا﴾ [الآية 10] نصيراً بسببه راشدين مرشدين.

قال سهل: ارزقنا في جميع أحوالنا توفيق ذكرك وشكرك فإنه أجل أنواع رحمة من عندك، وسهِّل لنا سبيل التحقيق فإنه أرشد الطريق.

وقال الأستاذ: أخذوا في التبرِّي مِن حَوْلِهِم وقوّتهم ورجعوا إلى الله بصدق فاقتهم على قدر طاقتهم فاستجاب الله دعوتهم ودفع عنهم ضرورتهم وبوّأ لهم في كنف الإبواء مقيلاً حسناً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الآية 11] حجاباً يمنع سماع غيرنا والمعنى اصممناهم إصامة وأقمناهم إقامة ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الآية 11] ذوات عدد مبين ومدد معين. قيل: أحدق عنهم أسماعهم حتى لا يسمعوا إلا منا، وأخذنا عنهم أبصارهم حتى لا ينظروا إلا إلينا.

وقال الأستاذ: أخذناهم عن إحساسهم بأنفسهم واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقائق ما كاشفناهم به من شهود الأحدية وأطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الآية 12] أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ [الآية 12] ليتعلق علمنا تعليقاً حالياً مطابقاً لتعلقه ماضياً سابقاً تعلُّقاً استقبالياً ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الآية 12] المختلفين منهم ومن غيرهم في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الآية 12] خبط أمد زمان لبثهم وحفظ مدة أوان مكثهم.

وقال الأستاذ: أي رددناهم إلى حال صحوهم وأوصاف تمييزهم وأقمناهم بشواهد التفرقة بعدما محونا عن شواهدهم بما أقمناهم بوصف الجمع.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 13] على وفق الصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الآية 13] جمع فتى كصبي جمع صبية، أي جماعة في حال السّببية ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 13] في الأمور اليقينية ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الآية 13] بالتثبيت على الأحوال الدينية.

قال ابن عطاء: زدناهم نور الإيقان. وقال ابن عطاء: زدناهم بصيرة في الإيمان.

وقال سهل: سماهم/ الله فتية لأنهم آمنوا بالله بلا واسطة وقاموا إلى الله بإسقاط القلائق وترك الخلائق والعوائق. 166/ ب

وسئل محمد بن علي عن الفتوة فقال: الفتوة تصديق فيما وعدوا وعداً وهو الإيمان على الحقيقة وأن لا يخالف ظاهرك باطنك ولا باطنك ظاهرك.

وسئل أبو حفص عن الفتوة فقال: الفتوة أن ينظر إلى الخلق كلهم بعين الولاية فلا تستقبح منهم إلا ما خالف الشريعة ولا تلزم أحداً على سببية بأن تجعل له في ذلك معذرة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما كانوا مأخوذين عنهم تولى الحق سبحانه أن قص عنهم بالحق وفرق بين ما كان موصوفاً بوصف غيره له لعناية فيه وامتحانه منه وقيام غيره عنه. ويقال: لا يسمع قصة الأحباب أعلى وأحلى مما يسمع من الأحباب كما قيل:

وحدَّثتني يا سعد عنها فزِدْتَنِي جنوناً فزِدْنِي من حديثك يا سعد[1]

وقد ورد: رب زدني تحيُّراً فيك[2]. ويقال: ﴿فِتْيَةٌ﴾ لأنهم آمنوا بلا مهلة لما أتاهم دواعي الوصلة. ويقال: ﴿فِتْيَةٌ﴾ لأنهم قاموا بالله وما استقرُّوا حتى وصلوا إلى الله فلاطفهم بإحضارهم حتى كاشفهم في أسرارهم بما زاد من أنوارهم فلقاهم أولاً بالتبيين ثم رقاهم إلى ما رقّاهم من اليقين.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 14] وقويناها بالصبر على هجر وطنهم وترك أهلهم ومفارقة مالهم وتشتُّت حالهم وبالجرأة على إظهار ناموس الحق والرد على دقيانوس الباطل ﴿إِذْ قَامُوا﴾ [الآية 14] بين يديه ﴿فَقَالُوا﴾ [الآية 14] رداً لدعوى

---

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الكشكول (1/ 210)، وزهر الآداب وثمر الألباب (1/ 70)، وحماسة القرشي (1/ 16). وفي تفسير القشيري: حنيناً بدل جنوناً.

(2) هو قول لأحد الصالحين.

ربوبيته ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الآية 14] قولاً ذا شطط أي بُعد عن الحق مفرط في ظلم الخلق.

قال جعفر الصادق: قاموا إلى الحق بالحق قيام الأدب والرفق ونادوا نداء الصدق وأظهروا له صحة الافتقار ولجؤوا إليه أحسن اللجوء والانكسار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بربط قلوبهم زيادة يقينهم بربهم حتى متع نهار معارفهم واستضاء شموس تقديرهم فلم يبق للتردد مجال في
167/أ خواطرهم واتخذ في التجريد منازل أسرارهم. / ويقال: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 14] بأن أغنيناهم عن الاعتبار والتفكر بما أوليناهم من أنوار التبصُّر أو بما استقر فيها من شواهد الغيب واليقين فلم يهجس فيها خواطر الريب والتخمين فقاموا بالله ولله ومَن قام بالله فقد ما سوى الله. ويقال: مَن قام بالله لم يقصد حتى يصل إلى الله، ثم مَن أحال الشيء من الحوادث على الله فقد أشرك ومن توهم أن في الحادثات شيئاً من غير الله فقد اتخذ إلٰهاً غير الله.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 15] مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ [الآية 15] عطف بيانه وخبره قوله: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الآية 15] وهو إخبار معناه إنكار ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الآية 15] هلّا يأتون على عبادتهم ببرهان ظاهر في صحة حالتهم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 15] بنسبة الشريك إليه أو دعوى الألوهية لديه.

قال الواسطي: هو أن يقول شيئاً ولا يعمل به أو يشير إليه ثم يرجع إلى غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه لما لم يكن حجة لهم اتضح فيما ادعوه كذبهم فمن اكتفى بنفس قالته دون ما يشهد لقالته من أولية معلول في نحلته. ويقال: من ذكر في الدين قولاً لم يرِدهُ برهان عقلي أو تبيان نقلي فهو مفترٍ ومن أظهر من نفسه حالاً لم يوجبه صدق مجاهدة أو حق منازلة فهو مفتر والذي يصدق في قوله على وفق طريقه هو الذي يسمع من الحق بسره ثم ينطق بلطفه.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الآية 16] خطاب فيما بينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾

[الآية 16] أي إذا اعتزلهم القوم ومعبودهم إلا الله ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ [الآية 16] يبسط رزقكم ويوسع عليكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 16] في أولاكم وأخراكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الآية 16] ما ترتفقون به وتنتفعون منه، وجزمهم بذلك لقوة دينهم ووقوف يقينهم. وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء.

وأفاد الأستاذ: أن العزلة عن غير الله يوجب الوصلة بالله بل لا تحصل الوصلة بالله إلا بعد العزلة عن غير الله. ويقال: لما اعتزلوا ما عبدوا من دون الله آواهم الحق إلى كنف رعايته ومهّد لهم مثوى في كهف / عنايته. ويقال: 167/ب
من تبرأ من اختياره في احتياله وصدق رجوعه إلى الله في أحواله ولم يستغرق بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه إلى كهف إقباله وكفاه جميع أشغاله وهيّأ له محلاً يتفيأ فيه من برد ظلاله بكمال إقباله.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الآية 17] أصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي، وقرأ الكوفيون بحذفها والشامي تزور كتحمر وكلها من الزور وبفتحتين بمعنى الميل أي أن تميل عن محلهم ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً أو لأن الله زوّرها عنهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ [الآية 17] جهة يمينهم ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الآية 17] تقطعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الآية 17] جهة يسارهم ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية 17] أي في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهوى أو لا يؤذيهم كرب الغار وعتوه إلينا.

وأفاد الأستاذ: أن نور الشمس يتقاصر بل يتضائل غرباً بالإضافة إلى أنوارهم لأن نور الشمس ضياء يستضيء به الخلق ونور معارفهم أنوار يعرف بها الحق، فهذا نور يظهر في الظهيرة وهذا نور يلوح في السريرة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 17] أي شأنهم وإيوائهم أو إخبار قصتهم وأنبائهم ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] المطلع على أحوالهم وأسرارهم وازورار الشمس وقوضها طاعة وعارية من آياته الظاهرة.

ومال إليه الأستاذ حيث أفاد أن في الآية دلالة على أن في القصة شيئاً

بخلاف العادة ليكون آية من جملة كرامات الأولياء وعلامة على صدق حالات الأصفياء فيحتمل أن شعاع الشمس إذا انتهى إليهم ازورّ عنهم وانقبض دونهم بخلاف ما يقول أصحاب الهيبة ليكون فعلاً ناقصاً للعادة ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية 17] بالتوفيق ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الآية 17] إلى تحقيق سويّ الطريق ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الآية 17] بخذله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الآية 17] من يلي أمره ويرشده إلى ما ينفعه ويضره.

قال ابن عطاء: ما حجب عن الله أحد إلا من أراد أن يصل إليه بحركاته وسعيه وما وصل إليه أحد إلا من أراد أن يصل إليه بصفته تعالى.

168/ أ وأفاد الأستاذ: إن الله يهدي/ قوماً بوضوح البراهين وقوماً بكشوف اليقين بمعارف الأولين قضية الاستدلال ومعارف الآخرين حقيقة الوصال فهؤلاء مع برهان وهؤلاء على بيان كأنهم أصحاب عيان ومن وسمه بسمة الحرمان فلا عرفان ولا إيمان ولا عفو ولا غفران.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ [الآية 18] جمع يقظ بفتح وكسر أي مستيقظين لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلُّبهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الآية 18] نيام جمع راقد وقعود فلهم وجود في عين الشهود.

قال أبو سعيد الخراز: هذا حال الفناء والبقاء أن يكونوا فانين بالحق باقين به لأنهم لا كالنيام ولا كاليقظى أوصافهم فانية عنهم وأوصاف الحق بادية عليهم وهو حيرة تحت كشف ووله مقابلة بعين.

وأفاد الأستاذ: أنهم مسلوبون عنهم متخطفون منهم مستهلكون فيما كوشفوا به من وجد وجود الحق وظاهرهم في رأي الخلق أنهم بأنفسهم وفي التحقيق العليم عنهم غيرهم وهم محو فيما كوشفوا من الحقائق ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ [الآية 18] في حال رقدتهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الآية 18] كي لا تأكل الأرض ما بينها من أبدانهم على طول أزمانهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذا إخبار عن حسن إيوائه لهم ولا كشفقة الأمهات بل أتم ولا كرحمة الآباء بل أعز وأدوم. ويقال: إن أهل التوحيد صفتهم كما

قاله الحق سبحانه في صفة أصحاب الكهف وأرباب التجريد: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الآية 18] فهم بشواهد الفرق في ظواهرهم لكنهم بعين الجمع بما كوشفوا به في سرائرهم يجري عليهم أحوالهم غير مكلفين بل هم مثبتون وهم خمود عما هم فيه في تصرفاتهم الخلق عنهم سواهم ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الآية 18] أي بفناء كهفهم أو عتبة بابهم منادياً بحسن أدابهم وهو كلب مروا به فتبعهم فحملوا على طرده فأنطقه الله فقال: أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم، أو كلب راعٍ مروا به فتبعهم وتبعه الكلب على إثره.

وقال أبو بكر الوراق: بمجالسة الصالحين ومجاورتهم تأثر على الخلق وإن لم يكونوا أجناساً، ألا ترى كيف ذكر أصحاب الكهف فذُكر كلبهم معهم بمجاورته إياهم.

وأفاد الأستاذ: /أنه سبحانه كما ذكرهم ذَكَر كلبهم ومن صدق في محبة 168/ب
أحد ودام عليه أحب من ينتسب وما ينتسب إليه. ويقال: كلب خطا خطوات مع أحبابه فإلى القيامة يقرأ الصبيان وغيرهم بل الحق يقول بقوله العزيز الحميد: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الآية 18] أترى أن المسلم يصحب أولياءه وأتباع حبيبه من وقت شبابه إلى زمان مشيبه يودّه يوم القيامة جائياً أنه لا يفعل ذلك أبداً.

وجاء في التفاسير أنهم قالوا للراعي الذي يتبعهم والكلب معه فقال: لما تطردونني [قالوا:] اصرف عنا هذا الكلب، فقال الراعي: لا يمكنني فأنا ربيته. ويقال: أنطق الله الكلب معهم فقال: لم تطردونني، فقالوا: لتنصرف عنا، قال: لا يمكنني أن أنصرف عنكم[1]. وفي رواية: فقال الذي أخذكم أخذني، فقالوا: وما علامة صحبته، فقال: أنتم تخافون بلاء يصيبكم في الاستقبال وأنتم بلاء في الحال ثم إن بلاؤكم الذي تخافون أن يصيبكم من الأعداء هو بلاء منكم وأنتم الأولياء[2]. ويقال: كل يعامل بما يليق به من حاله

---

(1) تفسير القشيري (4/ 340).

(2) تفسير القشيري (4/ 340).

ورتبته. الأولياء قال في صفتهم: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الآية 18]، والكلب في صفته قال: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الآية 18]. ويقال: لما لزم الكلب محله ولم يتجاوز حده فوضع يده على الوصيد بقي مع الأولياء، كذا أدب الخدمة يوجب بقاء الوصلة مع الأصفياء.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 18] فنظرت إليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الآية 18] لهربت منهم هيبة لما لديهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الآية 18] خوفاً يملأ صدرك لما ألْبَسهم الله من العظمة أو لما أوقع في مكانهم من الوحشة. وقرأ الحرميان: لملئت بتشديد اللام للمبالغة في المرام. وابن عامر والكسائي بضم عين رعباً.

قال جعفر الصادق: لو اطلعت عليهم من حيث أنت لولّيت عنهم فراراً ولو اطلعت عليهم من حيث الحق شاهدت فيهم معاني الوحدانية والربوبية.

وقال الأستاذ: لو اطلعت عليهم من حيث أنت لولّيت منهم فراراً، ولو شاهدتهم من حيث شهود وتولي الحقيقة لهم لبقيت على حالك قراراً، ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً لأنك لن تريد أن تشهد غيرنا أو لوليت منهم
169/ أ فراراً من رؤيتهم إلينا لأنك لا تطيق/ اطلاع الغير علينا.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الآية 19] كما أنمناهم أي أيقظناهم أي على غاية قدرتنا ونهاية عظمتنا ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 19] ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً على يقين ويستبصروا به أمر البعث يوم الدين ويشكروا ما أنعم الله عليهم بحفظهم من كيد المشركين ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟﴾ [الآية 19] بناء على غلبة ظنهم ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية 19] لأن النائم لا يصحى مدة نومه ولا يدري عدد يومه، ولعل المحققين منهم بسبب ما يرد عليه ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الآية 19] وقد لبثوا طويلاً من عمرهم لكنهم كانوا مأخوذين عنهم فلم يكن لهم علم بتفصيل أحوالهم، كما قال قائلهم:

لست أدري أطَالَ ليلي أم لا كيف يدري بذاك مَن يتقلى

لو تفرّغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلى[1]

ويقال: أيام الوصال قليلة عندهم وإن كانت قدر سنة وأيام الفراق طويلة عندهم ولو كانت مقدار سنة. وفي المثل: الدهور في السرور شهور والشهور في الشرور دهور. وأنشدوا:

صباحك سُكْرٌ والمساء خمار نعمت وأيام السرور قصار[2]

قال ابن عطاء: مقام الحبيب مع الحبيب وإن طال فإنه قصير عنده إذ لا يقضي من حبيبه وطراً ولو مكث معه دهراً فإن شوقه في الابتداء كذوقه في الانتهاء. أقول: ولهذا قالوا النهاية هي الرجوع إلى البداية.

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الآية 19] وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بسكون الراء وهو الفضة مضروبة أو غيرها، وحملهم له دليل على أن التزوُّد لا ينافي التوكُّل والتجرُّد فإن الدراهم سبب الراحة كالمرء للجراحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما داموا مأخوذين عنهم لم يكن لهم مطالبة بأكل وشرب فيهم ولا شيء في صفة نفس لهم فلما ردوا إلى التمييز أخذوا إلى التدبير للأكل أول ما أحسوا بحال العقل، وفي هذا دلالة على شدة ابتداء الخلق بالأكل ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الآية 19] أحل/ وأطيب أو أرخص 169/ ب
وأكثر ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ [الآية 19] أي بمرزوق من الورق حال المبادلة ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ [الآية 19] وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يخسر أو في المخافتة حتى لا يُعرف ولا يُشهر ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الآية 19] أي لا يفعلوا ما يؤوي إلى شعور أحد أبداً.

وأفاد الأستاذ: إنهم تواصوا فيما بينهم بحسُن الخلق وجميل الرفق، أي

---

(1) نسب إلى ابن سهل اللغوي. انظر معجم الأدباء (1/ 362)، ونسب إلى أبي نواس، انظر الكشكول (1/ 207)و وإلى خالد الكاتب، انظر ديوان المعاني (1/ 145) ومحاضرات الأدباء (1/ 366) وإلى غيرهم أيضاً.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 436).

ليتلطف بمن يشتري منه شيئاً من الرزق. ويقال: أوصوا إلى مَن يشتري لهم الطعام بأن يأتيهم بألطف شيء وأطيبه مما يوجد في ذلك المقام لأنه أتم لنظام المرام فإن مَن كان من أهل المعرفة لا يوافقه الخشن من الملبوس والكسوة ولا النازل في الطعم من المأكول والمشروب وسائر النعمة. ويقال: أهل المجاهدات وأصحاب الرياضات طعامهم الخشن ولباسهم كذلك والذي بلغ المعرفة لا يوافقه إلا كل لطيف ولا يستأنس إلا بكل مليح هنالك، انتهى. ويؤيده أنهم كانوا من أهل الجذبة والمرادون من الحضرة لا سيما وهم أهل النقمة في الابتداء فلا يوافقهم الرياضة في الانتهاء فكل يعمل على شاكلته ويأمل على قاعدة طبيعته وعادته، وأما أرباب البداية وأصحاب الرياضة فمدارهم على ترك العادة فإنه علامة الإرادة فأفرق بين المريد والمراد لتعرف مراتب الزهاد والعباد ولا تشكر على أحد من العباد.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ﴾ [الآية 20] يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الآية 20] يقتلونكم أو يضربونكم في مدينتهم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الآية 20] إن دخلتم في طريقتهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم تواصوا فيما بينهم بكتمان الأسرار من الأجانب والأغيار وأخبروا أنهم إن أطلعوا على حالهم بالغوا في إيذائهم إما بالقتل وإما بالضرب وبما أمكنهم من وجوه الفعل ولا يرضون إلا برجعتكم إلى ما منه تخلصهم فإن من احترق كدسه فما لم يحترق كدس غيره لا يطيب نفسه فإن البلية إذا عمت طابت ويقال: من خصلة الأبرار حفظ الأسرار من الأغيار، فإن صدور الأحرار قبول الأسرار. ويقال: مَن أظهر لأعدائه سره فقد جلب شره وباختياره أثر ضره وفَقَدَ ما سرّه.

170/أ / ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 21] أي وكما أنمناهم وأيقظناهم لتزداد بصيرتهم فيما هديناهم أطلعنا عليهم جمعاً ممن أردناهم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ [الآية 21] أي الذين أطلعناهم على مَن أوليناهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 21] بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 21] لأن نومهم وانتباههم كحال موتهم وبعثهم ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 21]

ساعة القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الآية 21] لا شك في إمكانها وقيامها ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الآية 21] أي أمر القيامة حين أماتهم الله ثانياً فقال بعضهم: ماتوا بالمرة، وقال آخرون: ناموا نومهم أول مرة، وهذا المعنى لا ينافي اختلافهم في المبنى حيث قالت طائفة: بنى عليهم بنياناً يسكنه الناس فيه قراراً. وقال جماعة: بنى عليهم مسجداً يصلى فيه ويجعل مزاراً كما قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الآية 21] من تفصيل أحوالهم جملة معترضة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الآية 21] ولنجعلن لهم ذلك مشهداً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل أحوالهم عبرة لمن جاء بعدهم حين كشف لأهل الوقت قصتهم فازداد يقين من كان يؤمن بالله والدار الآخرة حين شاهدوا بالمعاينة ما كان نقضاً للعادة المستمرة ثم إن الله ردهم إلى ما كانوا عليه من الحالة التي كانوا مأخوذين على التمييز متقلبين في القبضة على ما أراده الحق مستوعبين فيما كوشفوا فيه مستهلكين عنهم في وجود الحق سبحانه.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ [الآية 22] أي الخائضون في قصتهم من أهل الكتاب في عهد رسول الله ﷺ ومن المؤمنين في معرفة عدتهم حيث قال بعضهم: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] على ما قاله النصارى ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 22] ورمياً بالريب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] كما قاله بعض المؤمنين، وقد روي كذلك عن علي كرَّم الله وجهه ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 22] ممن أعلمناه بعضهم وفيه إيماء إلى الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»[1].

وقال الأستاذ: سعد كلبهم حتى كرّر الحق سبحانه ذكرهم وذكر/ 170/ب الكلب معهم على وجه التكرار كما ذكرهم ثم عد الكلب من جملتهم فقال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الآية 22] هذا بيان كرم لا مدى له ومنتهى.

(1) تفسير النيسابوري (2/ 159)، إحياء علوم الدين (6/ 455).

ثم قال: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 22] وكذا نعت أوليائه لا يعرفهم إلا خواص أصفيائه ومن كان قريباً في الحال منهم فهم في كتم الغيرة وإيواء النعمة لا يطلع الأجانب عليهم فإن الأجانب لا يعرفون الأقارب ولا يشكل أحوال الأقارب على الأقارب وقد قالت الطائفة: وشيوخهم الصوفية وأهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم، ثم قال ويقال في صفة أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الآية 22] إلى آخره. وقال في صفة هذه الأمة: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:الآية 7] إلى آخره، فشتان ما بينهما، انتهى.

ولا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع الرب في المقابلة ولو بطريق المشاكلة على أن قضية الآية الثانية لا خصوصية لها بالأمة الآتية دون الماضية وما أحسن قول بعض الصوفية: ثالث ثلاثة كفر ورابع ثلاثة إيمان.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الآية 22] فلا تجادل في شأن الفتية بيان عددهم إلا حداً ظاهراً غير متفق في حقهم وهو أن نقصّ عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم ورد عليهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 22] ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم لا سؤال مسترشد فإن فيما أوحي إليك لمندوحة عن غيره مع إنه لا علم لهم بها ولا سؤال نعت نريد تفصيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فإنه يخل بمكارم الأخلاق ومحاسنها.

وقال الأستاذ: فما لا يعرفهم من كان بمعزل عن حالهم لا يهتدي إلى أحكامهم من لا يعرف مراتب كمالهم فلم يصح استفتاؤه في بابهم من الذين غاب علمهم عنهم ومن لم يكن قلبه محلاً لمحبة الأحباب لم يكن لسانه مقراً لذكرهم في هذا الباب.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الآيتان 23،24] الاستثناء من القول لا من الفعل والمعنى لا تقولن لأجل شيء يعزم عليه إني فاعل فيما يستقبل إليه إلا بمشيئته ومقروناً بإرادته قائلاً إن شاء الله في قضيته.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كانت الحوادث صادرة عن مشيئة الله فمن عرف الله لم يجد من نفسه ما علم/ أنه لا يتم إلا بالله. ويقال: مَن عرف الله سقط 171/أ

اختياره عند مشيئته واندراج أحكامه في شهود حكم ربه لقضيته. ويقال: المؤمن يعزم على اعتناق الطاعة في مستقبله بقلبه لكنه يتبرأ عن حوله وقوته بسره، فالشريعة تستدعي منه نهوض قلبه في طاعته والحقيقة تقف بسره عند شهود وما منه لخموده تحت جريان قسمته.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ [الآية 24] أي مشيئته ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ [الآية 24] أي قضيته وتذكرته بعدما وعدته كما روي أنه لما نزل قال عليه السلام: «إن شاء الله»[1]، وقيل: اذكر ربك بالاستغفار إذا تركت الاستثناء في الأخبار أو اذكر ربك وأليم عقابه إذا تركت الاستثناء في بابه واذكره إذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي في البيان، أو اذكره إذا تركت بعض ما أمرك به ليحملك على تداركه، واذكر ربك حين تركت نفسك. ومنه قول بعض أرباب الحال: دع نفسك. ويقال: وأنشد وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. وهذا مجمل قولهم في الفناء والبقاء والمحو والصحو.

وقال الواسطي: إذا نسيت ذكري فاذكرني.

وقال الصادق: إذا نسيت الأغيار فتقرّب إلى الله بالأفكار. وقال الجنيد: حقيقة الذكر في مشاهدة المذكور.

وقال الأستاذ: اذكر ربك إذا نسيت في الحقيقة نفسك فإن ذكرك لنفسك يمنعك من استغراقك في شهود ذكرك. ويقال: اذكر ربك إذا نسيت ذكرك لربك فإن العبد إذا كان ملاحظاً لذكره كان مغير الذاكر لمذكوره. ويقال: واذكر ربك إذا نسيت منه حظك. ويقال: اذكر ربك إذا نسيت غير ربك ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ [الآية 24] ليدلني أو يرشدني ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الآية 24] أي مما لم يرشد به أحداً.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ [الآية 25] أي حال كونهم أحياء مضروباً على آذانهم ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ [الآية 25] وقرأ حمزة والكسائي بالإضافة ﴿وَٱزْدَادُوا۟﴾ [الآية 25] أي أصحاب الكهف ﴿تِسْعًا﴾ [الآية 25] أي تسع سنين على المائة، وهو

(1) تفسير القرطبي (30/ 347).

بيان لما أجمله فيما قبله أو إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا أيضاً في هذا الباب فقال بعضهم: ثلاثمائة. وقال آخرون: ثلاثمائة وتسع سنين.

171/ ب ويلائمه قوله سبحانه: / ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الآية 26] بمدة لبثهم كما قال فيما سبق: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الآية 21] ويناسبه قوله: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] أي مختص به علم ما غاب فيهما لا يعلم أحد غيره بتفاصيل أحوالهما.

وقال الأستاذ في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الآية 26] من لم يعد أيامه لاشتغاله بالله أحصى الله أنفاسه التي هي لله، قال تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجنّ:الآية 28]، ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الآية 26] ذكر بصيغة التعجب دلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك أهل الأفلاك من السامعين والمبصرين هناك إذ لا يحجبه شيء لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي، والهاء يعود إلى الله، والباء مزيدة عند سيبويه ومحله الرفع على الفاعلية. وعند الأخفش محله النصب على المفعولية والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد، والباء مزيدة إن كانت الهمزة للنقدية ومعدية إن كانت للصيرورة ﴿مَا لَهُم﴾ [الآية 26] لأهل السموات والأرض كلهم ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية 26] يتولى أمرهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾ [الآية 26] أي قضائه ﴿أَحَدًا﴾ [الآية 26] منهم. وقرأ ابن عامر بالخطاب لكل من يصلح له في هذا الباب.

﴿وَٱتْلُ﴾ [الآية 27] أي اقرأ أو اتبع ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الآية 27] أي من القرآن العظيم والفرقان الحكيم ولا تلتفت إلى قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية 27] لا أحد يقدر على تغييرها وتبديلها غير ذاته ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الآية 27] ملتجأ إن عدلت عن مرضاته.

وأفاد الأستاذ: أنه لا مغيّر لحكمه فمن أقضاه فلا قبول له ومن أقمأه فلا وصل له ومن قبله فلا رد له ومن قرّبه فلا صد له.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الآية 28] أي

احبسها لهم وثبتها معهم في مجامع أوقاتهم أدنى طرفي النهار لجمعية حالاتهم ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 28] يطلبون في طاعتهم رضاه ولا يقصدون في طلبه سواه.

قال ذا النون: أمر الله تعالى الأنبياء بمخالطة الفقراء والصبر معهم في الخلاء والملاء.

وقال ابن عطاء: خاطب الله نبيه ﷺ وعاتبه وقال: اصبر مع مَن صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه، وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة/ وعشياً فحق لمن لم يفارق حضرتنا أن نصبر عليه فلا نفارقه. 172/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الآية 28] ولم يقل قلبك لأن قلبه كان مع الحق وظاهره مع الخلق، فأمره بصحبة الفقراء جهراً بجهر واستخلص قلبه لنفسه سراً بسر. ويقال: توقت دعوتهم بالغداة والعشي من الأيام. وأما قوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 28] فلمعنى الحال وهو يشير إلى الدوام. ويقال: يريدون وجهه لا يريدون نيلهم بعطائها ولا عقابهم بكرائها كشف قناعهم وأظهر وصفهم وشهرهم بعدما كان قد سترهم وسلمت لهم هذه الإرادة لما تجردوا عن إرادة كل مخلوق ومحبة كل مخلوق بمقتضى العادة.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم وهو نهي عن الازدراء بالفقراء وطرح العين إلى طرده ذي الأغنياء ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 28] حال من الكاف.

وقال الأستاذ: لا ترفع عنهم بصرك ولا تقطع عنهم نظرك. ويقال: لما نظروا بقلوبهم إلى ربهم أمر الله رسوله بأن لا يرفع بصره عنهم، وهذا جزاؤهم بالبشارة في العاجل والإشارة فيه إلى الآجل كأنه قال جعلنا نظرك إليهم ذريعة لهم إلينا وخلفاً بما يبتغونهم اليوم من نظرهم علينا فلا تقطع اليوم عنهم نظرك فإنا لا نمنع غداً نظرهم عنا ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الآية 28] أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا وشكرنا وفكرنا كأمية بن خلف في الاستدعاء إلى طرد الفقراء الأصفياء لاستحضار صناديد قريش من الأغنياء الأغبياء. وفيه تنبيه نبيه على أن عمدة موجبة غفلة عن المعقولات وانهماكه في

المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف دينه والحسب والأحوال المرضية لا بحيلة النسب والأموال الردية ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 28] على وفق ما أراده سبحانه وقضاه ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الآية 28] تقدماً عن الحق وتعدياً على الخلق.

وقال سهل: الغفلة إبطال الوقت في البطالة.

وقال الجوزجاني: الغفلة هي طول الأمل.

وقال الأستاذ: أغفلنا قلبه عن ذكرنا حتى أشغله بالنعمة عن شهود المنعم ووجود المنة. ويقال: هم الذين طرح قلوبهم في أودية التعرفة فهم في الخواطر الردية متحيرون وعن شهود مولاهم محجوبون. ويقال: من إمارات الغفلة سوء العمل وطول/ الأمل والتفريج في أوطان الكسل. ويقال: الغفلة 172/ ب
تزجية الوقت في غير قضاء فرض أو اقتناء نفل.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 29] مبتدأ وخبر فالحق ما يكون من جهة المولى لا ما يقتضيه الهوى.

وقال الأستاذ: قل يا محمد ما يأتيكم من ربكم فهو حق وقوله صدق ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الآية 29] أي لا أبالي بإيمان مَن آمن وكفر مَن كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله وقدرته فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست إلا بمشيئته.

وأفاد الأستاذ: إن هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد أي إن آمنتم ففوائد إيمانكم عائدة إليكم وإن أبيتم فعذاب الجحود موقوف عليكم والحق سبحانه عزيز لا يعود إليه بإيمان الكافة إذا وجدوا زين ولا بكفر الجميع إن جحدوا شيء ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ [الآية 29] هيأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الآية 29] فسطاطها شبه بها ما يحيط من النار بالكفار والفجار. وقيل: سرادقها ظلمات دخانها أو جدرانها من نيرانها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ [الآية 29] من مآبهم من العطش ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الآية 29] كالنحاس المذاب أو كدردي الزيت في باب الشراب ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الآية 29] يحرقها بحرارته إذا قدم إلى وجهه قبل مذاق مرارته ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الآية 29] جنس شرابهم ﴿وَسَآءَتْ﴾ [الآية 29] النار

﴿مُرۡتَفَقًا﴾ [الآية 29] مكان عذابهم ومتكأ حال حجابهم، وهو لمقابلة قوله الآتي في حق الأبرار: ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الآية 31] وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا انتفاع في دار البوار.

وأفاد الأستاذ: إن العقوبة الكبرى لهم أن يشغلهم بآلامهم حتى لا يتفرعوا عنهم إلى التحسُّر على ما فاتهم من طاعة الحق في أيامهم ولو علموا ذلك لعله كان يرحمهم من فضله إذ الحق أكرم من أن يعذِّب أحداً يهتم لأجله. ويقال: لو علموا من الذين تقول ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الآية 29] لعله كان لهم تسلي ساعة ولكنهم لا يعرفون قدر من يقول وإلا فهذا لهم شبه تعريفة والعبارة عن هذا تدق والإشارة بهذا تحق. ويقال: قال أهل النار أحاط بهم سرادقها وأهل الجنة طاب بأهلها حدائقها والحق سبحانه منزَّه عن أن يعود إليه عائد من تعذيب هولاً ولا من تنعيم هولاً جلّت الأحدية وتقدّست الصمدية، انتهى. لكن اقتضت أنوار صفات الجمالية/ وأسرار نعوت الجلالية وآثار مظاهر الربوبية اختلاف مراتب 173/أ
أرباب العبودية كما أشار إليه في الحديث القدسي والكلام الأنسي: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»(1).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الآية 30] بل نثيبهم أحسن ما كان أملاً كما في حديث: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(2).

وقال الأستاذ: من وقع من فريقنا عليه غبرة طريقنا لم يقع عليه فترة فراقنا ومن خطى خطوة إلينا بقدمه غفرنا له ما قدّمه، من رفع إلينا يده أجزلنا منا رفده، من التجأ إلى شدة كرمنا أوليناه إلى ظلّ نعمنا، ومن شكى فينا عليلاً مهدنا له من ذوي فضلنا مقيلاً. ويقال: الإحسان في العمل أن لا ترى

(1) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (13/ 188) رقم (4157)، وابن حبان في الصحيح (2/ 50) رقم (338)، وأحمد في المسند (4/ 186) رقم (17696).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

قضاء حاجتك إلا في صرف فضله فإذا أخلصت في توسلك إليه بفضله وتوصل إلى مأمولك لديه بطوله بتبريك عن حولك وقوتك استوجبت حسن إقباله ومزيد ثوابه وجزيل نواله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 31] أي من تحت أمرهم أو من تحت قصرهم ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [الآية 31] من الأولى للابتداء والثانية لبيان البناء ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا﴾ [الآية 31] لأن الخضرة أحسن الألوان طلاوة وأكثرها طراوة وأشدها على البيض حلاوة ﴿مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الآية 31] نمارق من الديباج وما غلظ منه من غير العلاج. وجمع بين النوعين لاشتمالهما على ما تشتهيه النفس وتلذّ به العين ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ [الآية 31] على السرر كما هو هيبة أهل السرور فيما هيىء لهم في القصور.

قال ابن عطاء: الأنس في رياض القدس في مجال القربة وميادين الرحمة مشرفين على بساتين الوصلة يشاهدون مليكهم في كل حالة ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ [الآية 31] الجنة ونعيم المآب ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ [الآية 31] الجنة أو أرائكها ﴿مُرۡتَفَقٗا﴾ [الآية 31] متكأً ومنتفعاً بها.

وقال الأستاذ: أولئك أصحاب جنة الخلد وأرباب سعادة الجد وكمال الرفد يلبسون ثياباً من حلل الوصلة ويتوجون بتاج القربة ويحلون بحلي المباسطة يتكؤون على أرائك الروح يشمُّون رياحين الأنس في حظائر القدس، يقيمون في مجال الزلفة يسقون شراب / المحبة، يسقيهم ربّهم من 173/ب
غير واسطة شراباً طهوراً يطهّر قلوبهم عن محبة كل مخلوق، نِعْمَ الثواب ثوابهم ونِعْمَ المآب مآبهم ونِعْمَ الربّ ربّهم ونعمت الدار دارهم ونِعْمَ الجار جارهم ونعمت الحال حالتهم ونِعْمَ المآل مآلهم.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا﴾ [الآية 32] للكافر والمؤمن ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ [الآية 32] حال رجلين مقدرين أو موجودين مشهورين ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ [الآية 32] بساتين ﴿مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾ [الآية 32] من الكروم ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ [الآية 32] وجعلنا النخيل محيطة بهما ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا﴾ [الآية 32] وسطهما ﴿زَرۡعٗا﴾ [الآية 32] ليكون كل منهما

جامعاً للأقوات متواصل العمارات على الشكل الأليق والترتيب الأنيق.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الآية 33] أعطت ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾ [الآية 33] لم ينقص من أُكلها ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 33] مما يعهد في ثمرها بخلاف غيرها حتى يتم في عام وينقص في آخر غالباً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الآية 33] فيدوم ماؤهما وينمو بهاؤهما ويزيد صفاؤهما وضياؤهما.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الآية 34] أنواع من المال من غير ما ذكر، وسكَّن أبو عمرو الميم وفتحها عاصم ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [الآية 34] في ذلك المقام ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الآية 34] يراجعه في الكلام ويخاطبه في المرام تكبُّراً وفخراً ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الآية 34] مما يزيد جمالاً ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الآية 34] حشماً وأعواناً وأولاداً وإخواناً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ [الآية 35] أي بصاحبه مفتخراً بنعمته ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 35] ضار لها بمعصيته ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 35] تفنى هذه الجنة وتزول هذه النعمة ﴿أَبَدًا﴾ [الآية 35] لاغتراره بمهلته وتمادي جميله وطول أمله وكثرة غفلته.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الآية 36] ذكرها تأكيداً لكون جنته سالمة ونعمته دائمة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الآية 36] أي بموتي وبعثي على تقدير صحته ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ [الآية 36] أي من جنته. وقرأ الحرميان والشامي: منهما، أي من الجنتين ﴿مُنقَلَبًا﴾ [الآية 36] أي مرجعاً ومآباً لأنها فانية وتلك باقية، أو الخبرية باعتبار الكمية والكيفية بناء على حسن الظن في مرتبة الربوبية. وإنما أقسم على القضية لاعتقاده أن مولاه إنما أولاه ما أولاه لاستحقاقه إياه وهو معه أينما تلقاه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الآية 37] أي يجاوبه ويخاطبه ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية 37] لأنه أصل مادتك القريبة ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 37] / 174/أ
وهي مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الآية 37] عدّلك وكمّلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال وهذا من أعظم النعم عند أرباب الكمال، وجعل كفره بالبعث كفراً

بالله لأن منشأه أنشأك في كمال قدرته والتردُّد في تعلق إرادته والجهل والغفلة في القائل في مبدأ خلقته الدالة على إمكان إعادته.

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ [الآية 38] أصله لكن أنا كما قرىء به فنقل وأدغم، ويشير إليه رسمه بالألف وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم حتماً أو على لغة من يثبت ألف أنا مطلقاً ﴿هُوَ﴾ [الآية 38] ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبراً له خبر أنا أو ضمير ﴿ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] والله بدل ﴿رَبِّي﴾ [الآية 38] خبره، والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت، كأنه قال: أنت كافر بالله لكني مؤمن به ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الآية 38] ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾ [الآية 39] أي هل قلت عند دخولها وحال وصولها ومشاهدة حصولها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 39] كائن وما لم يشأ بائن لا قوة إلا بالله فما شاء أبقاه وما شاء أفناه. وفي الحديث: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضرّه»[(1)]، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [الآية 39] أي إن ترني ما قرأ قالون وابن كثير وأبو عمرو بإثبات الياء على وفق أصولهم وهو المفعول الأول وأنا تأكيد له.

وجواب الشرط قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ [الآية 40] أي يؤتيني كما قرأ به الحرميان والبصري، والمعنى فأتوقع وأرجو أن يعطيني ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الآية 40] في الدنيا أو العقبى أو فيهما لإيماني بالمولى ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 40] على جنتك لكفرك وغفلتك ﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 40] جمع حسبانة وهي الصاعقة ﴿فَتُصۡبِحَ﴾ [الآية 40] جنتك ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ [الآية 40] أرضاً ملساء يزلق عليها باستئصال ما فيها.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ [الآية 41] غائراً تحتها ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ﴾ [الآية 41] للماء الغائر ﴿طَلَبٗا﴾ [الآية 41] تزدرئ في رده.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الآية 42] وأهلك أمواله وتغير أحواله حيثما توقعه صاحبه وخوفه منه مجاوبه.

(1) كشف الخفا (2/ 77) رقم (77)، والمقاصد الحسنة (1/ 471)، وانظر المطالب العالية لابن حجر (10/ 349) رقم (3751).

وأفاد الأستاذ: أن في العبارة من الإشارة إلى أنه سبحانه كما أخبر أنه خلق رجلين بالوصفين المذكورين يخلق عبدين يطيب لهما الوقت ويمهد لهما بساط اللطف ويمكنهما من مكان البسط فيستقيم أحدهما في الترقي إلى النهاية من مقام البداية بحسن المنازلة وصدق/ المعاملة ويثمر له المجاهدة 174/ ب
ثمرات حسن الأخلاق فيعالجها بحسن الاستفاضة ثم يتحقق بخصائص الأحوال الصافية ثم يختطف عنها بما يكاشف من حقائق التوحيد ويصبح منشقاً عن جملته باستهلاكه في وجودها بأن له من دقائق التفريد، والثاني لا يقدر ما أُهِلّ له من حسن البداية فيرجع إلى ما لو فاته ويتنكس أمره بانحطاطه فيه وهذه عاداته فيرتد عن سلوك الطريقة ويتردى في ظلمة الغفلة فيصير وقته ليلاً مظلماً أو يتطوح في أودية التفرقة ويوسم بمكواة الطرد ويسقى شراب الإهانة وينخرط في سلك المهجورين وذلك جزاء مَن لم يرهم الحق لوصلته أهلاً ولم يجعل لبدايتهم في التحقيق والقبول أصلاً كما قيل:

تبدّلت وتبدّلنا وا حسرتا مَن ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد(1)

﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ [الآية 42] ظهر البطنية تخسُّراً وتحسُّراً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الآية 42] صرف في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ [الآية 42] ساقطة متقلبة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية 42] بأن سقطت عروشها أولاً وسقط الكروم فوقها آخراً ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الآية 42] تذكر موعظة أخيه وعلم أنه من قبل شركه وقع فيما وقع فيه فتمنى لو لم يشرك به سبحانه فلم يهلك له بستانه.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر غداً خسران من أثر حق نفسه وهواه على حق مولاه قرع باب ندمه ثم لا ينفعه لما قدمه ولو قرع في الدنيا حين وقفت له الفترة باب كرمه ورعايته لأشكاه عن ضرورته وأنجاه عن ورطته بعنايته ولكنه سبحانه ربطه بالخذلان ولبس عليه الأمر بحكم الاستدراج في هذا الشأن.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ [الآية 43] أي جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ [الآية 43] يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو رد المهلك ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] فإنه القادر على ذلك

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 375)، (4/ 353) و(6/ 293).

وحده ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الآية 43] ممتنعاً بقوته عن انتقام الله منه بقدرته.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتهر أمره بسخط السلطان عليه لم ينظر أحد من الجند والرعية إليه، كذلك مَن وسمه الحق بكي الهجران لم يرث له ملك ولا نبي ولم ينتبه لمكانه صدِّيق ولا ولي.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية 44] في ذلك المقام وتلك الحال والمرام ﴿ٱلْوَلَـٰيَةُ﴾ [الآية 44]
175/أ النصرة ﴿لِلَّهِ﴾ [الآية 44] وحده لا يقدر عليه غيره/ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 44] الثابت أمره وقدره. وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو ومعناه السلطنة والقهر والغلبة. وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة. وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة الولاية.

قال الواسطي: من تولاه بالحقيقة فهو الولي ومن والاه الله فهو الوالي. قال الله هنالك الولاية لله الحق.

وأفاد الأستاذ: أن المنفرد بنعت ملكوته لا يشركه في جلال سلطانه من الحدثان نعته فإذا بدا من سلطان الحقيقة شظية فلا دعوى ولا معنى لبشر ولا وزن فيما هنالك للحدثان ولا خطر كلا بل هو الله الواحد القهار فالقدرة لله ولذلك قال هنالك: الولاية لله بكسر الواو والنصرة من الله، ولذلك قال هنالك: الولاية لله الحق بكسر الواو.

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الآية 44] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 45] يبين لهم صفتها الغريبة وشبهتها القريبة في زهرة كمالها وسرعة زوالها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ [الآية 45] التف بسبب إنزاله ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 45] وخالط بعضه بعضاً من كثرته ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ [الآية 45] مهشوماً مكسوراً ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾ [الآية 45] تفرّقه فيصير كأن لم يكن في عالم الأشباح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 45] من الإنشاء والإفناء ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الآية 45] مبالغاً في القدرة وكاملاً في القوة.

وأفاد الأستاذ: أن من وطّن نفسه على الدنيا وبهجتها غرّته بأمانيها وخدعته بالاطلاع فيها، ثم إنها تدس الصاب في شرابها والحنظل في عسلها والسم في دسمها تعد ولا تفي بعداتها وتربي وتوفي إفنائها على خيراتها في

مبراتها نعمها مشوبة بنقمها ومأنوسها مصحوب ببؤسها وبلاؤها في ضمن عطائها والمعذور من اغتر بها والمخدوع من خُدِعَ لها.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 46] يتزيّن بها الإنسان في دنياه وتفني عنه عما قربت في إخراجه ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الآية 46] من أعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها في الجنان.

قال جعفر: هو تفريد التوحيد فإنه باق ببقاء الواحد. وقيل: هو نصيحة الخلق بأمر الحق. وقال ابن عطاء: هي الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الآية 46] فائدة ﴿وَخَيْرٌ/ أَمَلًا﴾ [الآية 46] عائدة لأن صاحبها 175/ب
ينال به في العقبى ما كان يأمل بها في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أنَّ مَن اعتضد بعباده واغترّ بأولاده ونسي مولاه في أوان أوراده خسر في حاله وندم على ما فاته في مآله. ويقال: زينة أهل الغفلة في الدنيا بالمال والبنين وزينة أهل الوصلة بالأعمال واليقين، فهؤلاء زينتهم ظواهرهم وهؤلاء زينتهم بسرائرهم. ويقال: أهل الدنيا زينتهم بكرائمها وأهل العقبى زينتهم بعظائمها، وأهل الحقيقة زينتهم بعبوديته وافتخارهم بمعرفة ربوبيته. ويقال: ما كان للنفس فيه حظ فهو من زينة الحياة الدنيا ويدخل في ذلك الجاه وقبول الخلق وكذلك يدخل في جميع المألوفات والمعهودات على اختلافها وتفاوتها. ويقال: كل ما للإنسان فيه شرب ونصيب فهو معلول إن شئت في عاجله وإن شئت في آجله والباقيات الصالحات ما كان خالصاً لله غير مشوب بقرض ولا مصحوب بعوض أو ما يلوح في السرائر من تحلية العبد بالنعوت ويفوح نشره في سماء الملكوت. ويقال: هي التي سبقت لهم من الغيب يوم القسمة من لطيف القربة وشريف الزلفة. ويقال: هي ضياء شموس التوحيد المستكن به في السرائر مما لا يعترض عليه كسوف الحجبة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الآية 47] نذهب بها فنجعلها هباءً منثوراً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتأنيث على بناء المفعول ورفع الجبال ﴿وَتَرَى

﴿ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الآية 47] بادية ظاهرة برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الآية 47] وجمعناهم إلى الموقف وتعبيره بالماضي لتحقق وقوعه في الآتي ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الآية 47] لم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 47].

قال ابن عطاء: دل الحق سبحانه بهذه الآية على إظهار جبروته وتمام قدرته وعظم عزته ليتأهب العبد لذلك الموقف وحسابه ويصلح سريرته وعلانيته لخطاب ذلك المقام وجزائه.

وأفاد الأستاذ: أن تسير جبال الأرض اليوم بموت السادة إذ هم الأوتاد للعالم في الحقيقة وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الآية 47] إشارة إلى أن القادر لا يغادر أحداً اليوم على البسيط إلا وهو يقبض ملكه وتغيير مسلكه ويقضي هلكه.

176/أ / ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الآية 48] مصطفين لا يحجب أحد أحداً، وفيه تشبيه حال الجنة المعروض على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ما يناسبهم أو يشرفهم.

كما أفاد الأستاذ من أنه ينادي المنادي على آحادهم هذا الذي أطاع الله واتقى وهذا الذي أضاع وطغى وهذا أتى ووحّده وهذا أبى وجحد، وهذا عرف وأقرّ وهذا خالف وأصر، وهذا الذي أنعمنا عليه فشكر وهذا الذي أحسَنَا إليه فكفر، وهذا الذي سقيناه شرابنا ورزقناه محابنا وشوّقناه إلى لقائنا ولقيناه خصائص رعايتنا وهذا الذي وسمناه بحجتنا وحرمناه وجود قربتنا وألبسناه قطاف فراقنا ومنعناه توفيق وفاقنا وأخجلنا من توفي وسط دارهم إذ قال لي معرضاً: من أنت يا رجل ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الآية 48] حفاة عراة أو أحياكم كما خلقناكم ابتداء ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الآية 48] وقتاً موعوداً، البعث والنشور والوقوف والحضور.

وأفاد الأستاذ: أن قوماً يقال لهم سلام عليكم كيف كنتم وكيف قطعتم طريقكم وكيف وجدتم مقيلكم وهل إلى لقائنا اشتقتم، وقوم يقال لهم ما صنعتم وما ضيعتم وما قدّمتم وما أخرتم وما أعلنتم وما أسررتم. ويقال:

يجيب بعضهم عند السؤال فيفصحون عن مكنون قلوبهم ويشرحون ما هم به من أحوالهم مع محبوبهم، وآخرون تملكهم الحيرة وتسكتهم الدهشة وتسكنهم الوحشة فلا لهم بيان ولا ينطق عنهم لسان، وآخرون كما قيل:

قالت سكينة مَن هذا فقلت لها   أنا الذي أنت من أعدائه زعموا(1)

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية 49] صحائف الأعمال في أيدي العمَّال أصحاب اليمين والشمال، أو في الميزان لتتميز أرباب الأحوال ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 49] خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ [الآية 49] من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الآية 49] أي وا هلكتنا وحسرتنا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 49] تعجباً من شأنه في استقصاء الحساب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ [الآية 49] من السيئات ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الآية 49] عدّها وحفظها وأحاط بها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الآية 49] من الخير والشر ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الآية 49] / بنقص ثواب ومزيد عقاب. 176/ ب
قال أبو حفص: أشد آية في القرآن تلي هذه الآية: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الآية 49].

وأفاد الأستاذ: أن ما يصيبهم ما كتب في الكتاب الأول وهو اللوح المحفوظ من بدو أحوالهم. ويقال: إن عامل عبداً بما في الكتاب الحق من الرحمة والشقي عبد يحاسبه بما كتب عليه من الملك من الذلة. ويقال: إذا حاسبهم في المآل يتصور لهم الحال كأنهم في الحال ما فارقوا مباشرة الأفعال فمن أنكر في هذا بقلبه باشر خوف ربه لا يعلم أنه إن رأى في عمله سيئة فهو موضع الخجل لتقصيره وإن رأى حسنة على خجلة أهل الغفلة إذا عثروا على زلاتهم. ويقال: أصحاب الطاعات إذا وجدوا ما قدموا من العبادات فينالهم السرور والبهجة وحياة القلب والراحة، وأما أصحاب المخالفات فإنما يجدون فيما قدموا مجاوزة الحد ومناقضة العهد وما في هذا الباب من فنون الذلة وسوء القصد.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [الآية 50] أي العالم بمنزلة قبلة العالم في

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 359).

وجوب التوجه إليه وثبوت الإقبال عليه ولزوم التواضع لديه ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ [الآية 50] أي كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [الآية 50] كررت هذه القصة المشتملة على القصة في مواضع من الأحوال لكونها مقدمة للأمور والمقصود بيانها في تلك المحال، وهنا لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان بالغفلات زهدتم أولاً في زخارف الدنيا بأنها سريعة الزوال وعرضة للانتقال والأعمال الصالحة خير وأبقى لمن اتقى، ثم غرهم الشيطان وأذكرهم ما بينه وبينهم من العداوة القديمة ليستقيموا على الجادة القويمة ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الآية 50] فخرج عن أمره بترك السجود لأجله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أظهر للملائكة شظية ما استخلص به آدم من علم اليقين فسجدوا لله بتيسير من الله وفضله المبين وسكر بصيرة اللعين فما شهد منه غير الطين ولو صدق في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:الآية 12] لما
177/ أ فسق عن الأمر ولكن أدركته الشقاوة الأصلية فلم تنفعه الوسيلة/ بالحيلة.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ [الآية 50] الهمزة للتعجيب والإنكار، والفاء للتعقيب في الأخبار، والمعنى أعقب ما وجد منه ما ذكر وصدر عنه ما أخبرنا تأخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الآية 50] وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ﴾ [الآية 50] حيث يمنعونكم عن عبادتي ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الآية 50] من رب العالمين إبليس وذريته.

قال الحسن: خاطبك الله تعالى بأحسن خطاب ودعاك الله إلى نفسه بألطف دعاء وإشراق آداب فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الآية 50].

وقال يحيى بن معاذ: لا يكون ولياً لله من نظر إلى شيء دون الله.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى من تفرّده بالولاية فلا يعتقد غيره ولا يسأل غيره ولا يخاف غيره ولا يرجو غيره.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية 51] ففي إحضار

إبليس وذريته خلق السموات والأرض وإحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك بطريق الأولى لعدم وجودهم هنالك كما صرح به بقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الآية 51] أعوان ودّ لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاً فإن استحقاق العبودية من توابع الربوبية والاشتراك في الخالقية يستلزم الاشتراك في العبادة، فوضع المضلين موضع الضمر ذماً لهم واستبعاداً للاعتضاد بهم.

قال أبو سعيد الخراز: لقد عجزت الخليقة أن تدرك بعض صفات ذاتها في ذاتها أو تدري كيف كيفيتها في أنفسها، قال الله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 51] فلم يُمَلِّك الله الخليقة أن تحوي علم أنفسها فكيف تدرك شيئاً من صفات مالكها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أكْذَبَ المنجمين والأطباء الذين يتكلمون في طبائع الأشياء وهيئات أفلاك السماء بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 51] وبيَّن أنَّ ما يقولون من إيجاب الطبائع لهذه الكائنات لا أصل له في تحقيق الآيات البينات. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الآية 51] يشير إلى أنه سبحانه لم يجعل للذين يضلُّون الناس عن دينهم في / القول بالطبائع حجة ولم يعطهم لتصحيح ما يقولونه برهاناً وبيِنَة. ويقال: إذا 177/ب
تقاصر علوم الخلق عن العلم بأنفسهم فكيف يحيطوا علومهم بحقائق الصمدية واستحقاقه لنعوته الأحدية إلا بمقدار ما يخصهم به من التفريق على ما يليق برتبة كل أحد مما جعله فيه أهلاً من مراتب العبودية، ويحتمل أن يقال: أخبر أن علومهم تتقاصر عن الإحاطة بجميع أوصافهم الكونية ولا حاجة لهم بذلك إذ لا يتعلق به شيء من الأمور الدينية. فالإشارة في هذا أن يصرفوا عنايتهم إلى طلب العلم بالله وبصفاته وأحكامه فإنه لا بد لهم بحكم الديانة من التحقق بها إذ الواجب على العبد معرفة معبوده بما يزيد التردد في مسائل التوحيد في باب الإسلام وما يتعلق ببابه من إثبات مسائل الصفات والأحكام.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ [الآية 52] أي الله للمشركين. وقرأ حمزة بالنون للعظمة

﴿نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الآية 52] أنهم شركاء أو شفعاء ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الآية 52] ولم يغيثوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ [الآية 52] بين المشركين وشركائهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الآية 52] مهلكاً يشتركون فيه وهو النار.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه علم أن الأصنام لا تغني ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولكن يعرفهم في الآخرة بما يصير معارفهم ضرورية حسماً لأوهام قوم حيث توهموا أن عبادتهم للأصنام نوع تقرُّب إلى الله على وجه تعظيم له كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:الآية 3] فإذا تحققوا بذلك صدقوا في الندم وكان استيلاء الحسرة عليهم في ذلك من أشد العقوبات لهم.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الآية 53] قريبة منهم ﴿فَظَنُّوٓا﴾ [الآية 53] أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الآية 53] واقعون فيها ومخالطوها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الآية 53] مكاناً ينصرفون إليه.

وقال الأستاذ: إذا صارت الأوهام منقطعة والمعارف ضرورة والنار معاينة استيقنوا أنهم يواقعونها ولا يسمع لهم معذرة ولا ينفعهم حيلة ولا تقبل فيهم شفاعة ولا يؤخذ منهم فدية واستمكنت الخيبة وتمّ اليأس والحسرة فهي العذاب الأكبر وما دونه جلل.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الآية 54] أي كرّرنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ/ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ 178/أ
[الآية 54] من كل جنس يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ [الآية 54] يتأتى منه الجدل ﴿جَدَلًا﴾ [الآية 54] خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه أوضح للكافة الحجج لكن لبس على قوم النهج فوقعوا في العوج ثم الجدال في الله محمود في أعدائه ومذموم في أحبابه، والجدال مع الله شرك لأنه صرف مخالفة ووهم أن أحداً يعارض التقدير وتجويز ذلك انسلال من الدين ومن أمارات السعادة للمؤمن فتح باب العمل عليه وإغلاق أبواب الجدل دونه.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا﴾ [الآية 55] من الإيمان بعلّام الغيوب ﴿إِذْ جَآءَهُمُ

﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 55] وهو الرسول الأمين والقرآن المبين ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 55] من الذنوب ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ [الآية 55] أي انتظار أن يجيئهم ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 55] وهي عذاب الاستئصال في الدنيا ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 55] عقاب العقبى ﴿قُبُلًا﴾ [الآية 55] بكسر ففتح. وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة والمعنى عياناً ونصبه على الحال من الفاعل أو المفعول أو منهما.

قال سهل: جاءهم النبي ولكن طريق الهداية كانت مسدودة عليهم فمنعهم عن الهدى والإيمان، والعمل الحكم الجاري عليهم في الأزل.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عذر لهم أولاً ألجأهم إلى ما تعاطوه من العصيان وترك المبادرة إلى المأمور به ولا توفيق يساعدهم فيخرجهم عن جوار الرأي إلى عزم الفعل، فهم وإن لم يكونوا بنعت الاستطاعة على ما ليس يفعلون ليسوا عاجزين عن ذلك فهم بحيث لو أن العبد أراد منهم ما أمروا به لتأتي منه ذلك ولقدر عليه ففي الحال ليس بقادر على ما ليس يفعله ولا هو عاجز عنه وهذا يسميه قوم حالة الاطلاع والتخلية واسطة بين القدرة والعجز.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية 56] للمطيعين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية 56] للعاصين فسعد قوم باتباعهم وشقي آخرون بنزاعهم ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 56] بعد ظهور المعجزات ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 56] باقتراح الآيات ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾ [الآية 56] ليزيلوا بجدالهم الباطل ﴿ٱلْحَقَّ﴾ [الآية 56] عن مقرهم الواصل كقولهم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس:الآية 15]، ﴿وَلَوْ شَآءَ/ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون:الآية 24] وأمثال ذلك ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية 56] من الكتاب 178/ ب
﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ [الآية 56] به من العقاب ﴿هُزُوًا﴾ [الآية 56] مهزوءاً به في كل باب. قال بعضهم: أحق الناس بسمة الظلم مَن يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنه ويرى موقع الشر فيتبعه ولا يختفي منه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الآية 57] فلم يتدبرها ولم يتذكرها ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الآية 57] من المعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الآية 57] أغطية كثيرة، والجملة علة لإعراضهم

ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم في عصيانهم ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الآية 57] كراهة أن يفقهوه، وتذكير الضمير وإفراده لمعنى الآيات وهو القرآن أو ما فيها من البينات ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ [الآية 57] ثقلاً وصمماً يمنعهم أن يسمعوا حق سماعه ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الآية 57] أي لا تحقيقاً ولا تقليداً لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون توفيقاً وتأييداً.

وأفاد الأستاذ: أن معناه لا أحد أظلم ممن ذكر ووعظ بما يلوح له من الآيات بما شاهده وعرفه من أمر أصلح له أو شغل كفي أو دعاء أُجيب له أو سوء أدب حصل منه فأُدِّب عليه بما يكون تيهاً له أو حصل منه طاعة فكرتي في العاجل إما بمعنى وجد ما في قلبه من بسط أو حلاوة أو أنس وإما بكفاية شغل أو إصلاح أمر، ثم إذا استقبله أمر نسي ما عومل به وأعرض عن تذكُّره ونسي ما قدّمت يداه من خيره وشره فوجد في الوقت موجبه، فمن كانت هذه صفته جعل على قلبه ستور غفلة وقسوة حتى تنقطع عنه بركات تنبيهه. ويقال: مَن أظلم ممن استقبله أمر مكافأة لما أسلفه من ترك أدبه فيتهم ربه ويشكو ما يلاقيه وينسى جرمه الذي بسببه أصابه ما أصابه، كما قيل:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا[1]

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 58] للعاصين ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الآية 58] للمطيعين أو العالمين أو غفور لأنه ذو الرحمة فرحمته الأزلية أوجبت المغفرة ﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم
1/179أ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الآية 58] بما استحقوا به العقاب/ ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الآية 58] في الدنيا ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ [الآية 58] في العقبى ﴿لَّن يَجِدُواْ﴾ [الآية 58] في دفعه ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 58] من غيره سبحانه ﴿مَوۡئِلٗا﴾ [الآية 58] ملجأ ومنجا.

قال الواسطي: وكلناهم إلى سوء تدبيرهم حين سخطوا حسن اختيارنا لهم وفق تقديرهم.

وقال الأستاذ: لو عاملهم بما استوجبوه من المعصية لعجّل لهم العقوبة

(1) نسب إلى الرياشي، انظر التذكرة الحمدونية (1/ 374). ونسب إلى الخليل أحمد الفراهيدي، انظر المنتحل (1/ 37).

لكنه يؤخرها بمقتضى حكمه ثم في العاقبة يفعل ما يفعل على قضية إرادته وحكمه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية 59] أي قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الآية 59] أي أهلها ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 59] على أنفسهم بإهمالها ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ [الآية 59] بضم الميم وفتح اللام أي لإهلاكهم. وقرأ أبو بكر بفتح الميم واللام وحفص بكسر اللام لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ [الآية 59] وقتاً معيناً وزماناً مبيناً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبر غيرهم بهم ولا يغتروا بتأخير عذابهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما لم يشكروا النعمة ولم يصبروا في المحن عجّلنا لهم العقوبة. ويقال: لما غفلوا عن شهود التقدير وحرموا روح الرضا في حالاتهم وكّلناهم في ظلمات تدبيرهم فطاحوا في أودية غفلاتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الآية 60] لخادمه أو تابعه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ [الآية 60] لا أزال أسير ولا أزول عما أنا عليه من السير والطلب لتحصيل الأدب ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 60] ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق إذ وعد لقاء الخضر فيه أو البحران موسى وخضر عليهما السلام، فإن موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الآية 60] أو أسير زماناً طويلاً، والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب وهو الدهر. قيل: وهو ثمانون سنة، وقيل سبعون. وفي الحديث: «إن موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك، فقال: لا، فأوحى الله إليه: بلى عندنا الخضر وهو مجمع البحرين»[1]. وقيل: إن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك، قال: الذي يذكرني ولا يسألني، قال: فأي عبادك أقضى، قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأي عبادك

(1) تفسير البيضاوي (1/ 507).

179/ ب أعلم، قال: الذي ينبغي علم الناس إلى علمه عسى/ أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه، قال: على الساحل عند الصخرة، قال: كيف لي به، قال: فخذ حوتاً في مكتل فحيث تقذفه فهو هنالك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الآية 61] أو محل وصلهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الآية 61] نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما يرى من حياته ووقوعه في البحر وذهابه ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ [الآية 61] الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الآية 61] مسلكاً ومهرباً.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ [الآية 62] مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الآية 62] أعطنا ما نتغذى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الآية 62] تعباً.

﴿قَالَ﴾ [الآية 63] فتاه ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الآية 63] على ساحل البحر ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الآية 63] أي ذِكْره لك بما رأيته منه ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الآية 63] بدل من الضمير وهو اعتذار عن نسيانه بوسواس الشيطان له في شأنه ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ [الآية 63] الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الآية 63] اتخاذاً عجيباً.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] أي أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الآية 64] الذي كنا نبغيه ونطلبه فإنه أمارة المطلوب ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ [الآية 64] فرجعا في الطريق الذي جاءا [منه] ﴿قَصَصًا﴾ [الآية 64] يتبّعان آثارهما اتّباعاً.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الآية 65] هو الخضر، وقيل إلياس أو غيره ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الآية 65] وحياً ونبوّة ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الآية 65] مما يختص بنا ولا يُعلم إلا من جانبنا.

وأفاد الأستاذ: أن معناه صار مرحوماً من قبل تلك الرحمة التي خصصناه بها من عندنا، أو يرحم بها على عبادنا. ثم قيل: العلم اللدني ما يحصل من طريق إلهام دون التكليف بالطلب. ويقال: هو ما لا يجد صاحبه

سبيلاً إلا في صحبته ودليلاً على صحته. وقد قيل: أقوى العلوم أبعدها من الدليل. وقال ذو النون: العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الآية 66] قال فارس: استثنى موسى على نفسه ولم يستثنِ الخضر على موسى في ذلك الوقت علم تكلف واستدلال
180/أ وعلم الخضر علم لدني من غيب إلى غيب/ بلا شك ولا ريب على شرط تعليمك لي ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الآية 66] علماً ذا رشد وهو إصابة الخبر. وقرأ عمرو بفتحتين ولا ينافي كونه صاحب الشريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن من أبواب الديانة، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أُرسل إليه فيما يبعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى موسى عليه السلام في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجمل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه ببعض ما أنعم الله به عليه.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجود من التأكيد له ثم علل ذلك واعتذر عما هنالك بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك مما تعلق به المقادير.

قال جعفر: لن تستطيع أن تصبر مع من هو دونك فكيف تصبر مع من هو فوقك.

وقال ابن عطاء: كره صحبة المخلوقين فآيسه من صحبته بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الآية 67] لعلّه يفارقه بهذه اللفظة فمن وجد الله صاحباً استوحش مما سواه غالباً.

وقال أبو عثمان المغربي: إنما أوتي الناس من قبل أنهم لا يعرفون مقامهم مع الله قال الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هُود:الآية 17] والبينة هي الكشف عن مراد الحق فيه فإذا عرف مراده فيه استراح واطمأن ومن ذلك أنه يبدي له علم مجاري أحكامه قبل أن تجري فإذا جرت الأحكام عليه يصبر لديه

كما قال الخضر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] لصبرت ولكن ستر عنك محل هذا العلم لموضع التأديب والتهذيب ولذلك قيل: من عرف علم ما يجري عليه صبر على أحكامه لعلمه بما يراد منه.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الآية 69] معك غير منكر عليك ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الآية 69] فيما يبدو لديك وهو عطف على ﴿صَابِرًا﴾ [الآية 69]، أي ستجدني إن شاء الله صابراً وغير عاصٍ لك أمراً.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ [الآية 70] أي ابتداء ﴿عَن شَيْءٍ﴾ [الآية 70] مما
180/ب أنكرته ولم تعلم ما يقتضي صحته ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ/ ذِكْرًا﴾ [الآية 70] أي حتى أبيّن لك حجته.

قال أبو عثمان المغربي: للمتبع أن يسأل المتبع ويهتدي له بالسؤال إن كان المتبع من أهل الإشراف لكنه يكتفي بإشرافه عليه وتأديبه في وقت الأدب لديه، ألا ترى كيف قال الخضر لموسى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الآية 70].

وأفاد الأستاذ: أنه ليس للمريد أن يقول لشيخه لم، ولا للتلميذ أن يقول لأستاذه ولا للعامي أن يقول للمفتي.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ [الآية 71] فذهبا على الساحل يطلبان السفينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الآية 71] الخضر بأن أخذ فأساً وقلع لوحين من ألواحها وكان في خرقها إبقاء على صاحبها لئلا يرغب الملك الطامع في السفن إليها لعيبها ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الآية 71] فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها، والمعنى لتؤدي عاقبة هذا الأمر إلى غرق أهلها لأنه علم أنه لم يكن قصده إغراق أهل السفينة بخرقها. وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الآية 71] أتيت أمراً فظيعاً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] أي أنت تنظر إلى هذا من حيث العلم وأنا أجري على هذا من حيث الحكم، كذا أفاد الأستاذ.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الآية 73] من الوصية بعدم الاعتراض والمسألة من أول الوهلة ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الآية 73] ولا تغشني عسراً في المتابعة من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على النسيان فإن ذلك يعسر على نوع الامتنان.

﴿فَانطَلَقَا﴾ [الآية 74] أي بعدما خرجا من السفينة ذهبا ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ [الآية 74] ولداً صغيراً ﴿فَقَتَلَهُ﴾ [الآية 74] من غير سبب يوجبه ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الآية 74] طاهرة من الذنوب ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الآية 74] قُتِلَت من جهتها. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: زاكية بالألف وتخفيف الياء ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الآية 74] أي منكراً عظيماً. وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بضمتين.

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الآية 75] أزيد لك في مواجهة بالعتاب على ترك محافظة الوصية في هذا الباب وإشارة بقلّة الصبر
181/أ لما تكرَّر منه/ مخالفة الأمر.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الآية 76] ولو سألت صحبتك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الآية 76] قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات إذ الثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة فلم يكن بعد ذلك المسامحة.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الآية 77] أنطاكية أو غيرها ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الآية 77] يقرب أن يسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ [الآية 77] بعمارته أو بإشارته ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ [الآية 77] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف أي لأخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 77] أي أجرة نتعشى بها.

قال الواسطي: الخضر شاهد أنوار الملك وموسى شاهد الوسائط فأخبره أن السؤال من الله فلا تعصيب عند المنع فإن المانع والمعطي واحد فلا تشهد الأسباب واشهد المسبب حتى تستريح من هواجس النفس ووساوس النعت.

وفي «تفسير السلمي» قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله»[1]، فأخبر الخضر موسى أن السؤال من الناس هو السؤال من الله فقال: لا تغضب من المنع حين أبوا أن يضيفوهما.

قال الأستاذ: فإن لم تأخذ بسببك فلو أخذت بسببنا لكان أخذه خير لك من ترك ذلك، ولئن وجب حقهم فلم خللت بحقنا هنالك. ويقال: إن سفره هذا كان سفر تأديب فردّ إلى تحمُّل المشقة وإلا فموسى عليه السلام حيث سقى لبنات شعيب عليه السلام كان ما حباه من التعب والجوع أكثر ولكنه كان ذلك الوقت محمولاً وفي هذا الوقت متحملاً.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الآية 78] أي هذا الاعتراض سبب افتراقنا أو هذا الوقت وقت المفارقة بيننا مع اشتياقنا له.

قال جنيد: إذا وردت ظلم الأطماع على القلوب حجبت النفوس عن حظوظها من بواطن الحكم ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ [الآية 78] سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الآية 78] أي بالخبر الباطن فيما لم تقدر عليه الصبر لكونه من حيث الظاهر منكراً.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الآية 79] ملكاً أو إجارة ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 79] خدمة أو تجارة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الآية 79] أجعلها معيبة بقاء لأهلها ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ [الآية 79] قدامهم أو خلفهم ﴿مَّلِكٌ﴾ [الآية 79] ظالم ﴿يَأْخُذُ كُلَّ
181/ب سَفِينَةٍ﴾ [الآية 79] أي صالحة كما قرىء / بها ﴿غَصْبًا﴾ [الآية 79] قهراً من أهلها.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الآية 80] يغشيهما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الآية 80] لعلمهما بعقوقه لهما فيلحقهما شراً يضرهما دهراً وإنما خشي ذلك لأن الله تعالى أعلمه بما هنالك.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الآية 81] قرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد أي

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 623) رقم (6303)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 667) رقم (2516)، وابن حبان في الصحيح (15/ 166) رقم (6763).

يرزقهما بدله ولداً ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الآية 81] طهارة من الأحوال الردية والأفعال الدنية ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الآية 81] وقرأ ابن عامر بضمتين أي رحمة وشفقة على والديه. قيل: ولدت لهما جارية فزّوجها نبي فولدت نبيّاً هدى الله به أمة من الأمم وانتصاب زكاة ورحماً على التمييز والعامل اسم التفضيل.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الآية 82] من ذهب وفضة. روي ذلك مرفوعاً والذم على الكنز إنما هو لمن لا يؤدي زكاته. وقيل: من كتب العلم، وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله[1] ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الآية 82] قيل كان يتيماً وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الآية 82] أي الحكم وكمال الرأي والعلم والحكم ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 82] أي مرحومين من عنده. ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنه المباشر للتعقيب، وثانياً إلى الله تعالى وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثاً إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثاني خير والثالث ممتزج، أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط.

ذكر البيضاوي: والتعليل الأول هو المعول وفق ما أفاد الأستاذ على ما سنذكره عنه، والآخر هو الظاهر إما بطريق العبارة فمن نوع التفنن، وإما بطريق الإشارة/ فمن باب التلوين والله أعلم بحقائق اليقين ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ 182/أ
[الآية 82] أي ما رأيته مني ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ [الآية 82] رأيي وإنما فعلته بأمر ربي وعلى وفق ما حكم لي. ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد مؤتلف غير أن الشرع في تفاصيله مختلف ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الآية 82] أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً وآخر

(1) تفسير الرازي (10/ 243)، والكشاف (4/ 45).

القصة أولى به تطريفاً.

ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه بعقله فلعل فيه سراً هو غير عالم بوجهه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلِّم لا سيما حال السؤال ويراعي الأدب في المقال وأن ينبِّه المعلِّم المجرم على جرمه ويعفو عنه بحلمه حتى يتحقق إكثاره ويبيِّن إصراره فيما جرى عنه بعدما ظهر إعذاره والله أعلم بحقائق القرآن ودقائق الفرقان.

هذا وقد أفاد الأستاذ أنه لما فارق الخضر موسى عليهما السلام لم يرد أن يبقى في قلب موسى شبه اعتراض عليه فأزال عن قلبه ذلك بما أوضح له من الحال وكشف السر لديه فبيَّن أن قصده من خرق السفينة سلامتها أو بقاؤها لأهلها حيث لم يطمع فيها الملك الغاصب وبقاء السفينة لأهلها وهي معيبة كان خيراً لهم من سلامتها وتصير عنهم مغصوبة، وبيَّن أن قتل الغلام فيما سبق به القلم ومضى من الله الحكم أن في بقاء الغلام فتنة للوالدين وفي إبدال الخلف عنه سعادة لهما في الكونين، وأما تسوية الجدار فلاستبقاء كنز الغلامين وترك طلب الرفق مع الخلق على وجه اكتساب الأجرة فلموجب الثقة بالله في جميل الكفاية من غير اكتساب وفق ثقة بالمقسوم على جهة الرعاية ثم بيَّن الخضر أن جميع فِعْله لم يكن من قبله بالاختيار والاستقلال ولا يكلفه من حيث النظر والاستدلال وإنما ذلك بتعريف من الله من حيث الإلهام وإجراء الحق عليه بما هو محفوظ من تعاطي غير ما كان يجريه الحق
182/ب إليه عليه السلام. ويقال: لما كانت السفينة قال: أردت أن/ أعيبها، فأخبر عن نفسه بالانفراد بالإرادة فيه مراعاة للأدب فلما انتهى إلى حديث الغلام المقتول قال: فأردنا، لما كان فيه القتل والخلق فالقتل منه كسباً والخلق من الله فضلاً، فلما انتهى إلى حديث اليتيمين قال: فأراد ربك أن يبلغا لأنه لم يكن لتكسبه فيه شيء أصلاً.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الآية 83] يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم. وقيل: المشرق والمغرب، ولذا سمي ذو القرنين. وقيل: لأنه اقترض في أيامه

قرنان من الناس. وقيل: كان لرأسه قرنان وهما صغيران. وقيل: كان لتاجه قرنان. وقيل: من كمال شجاعته كان كالكبش الشجاع لأنه ينطح أقرانه بقرنيه. واختُلِف في نبوَّته مع الإجماع على إيمانه وديانته والسائلون هم اليهود وسألوه امتحاناً، أو مشركوا مكة سألوه تعنتاً وافتتاناً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الآية 83] أي من ذي القرنين أو من الله سبحانه وهو الأنسب بما بعده من تعظيم شأنه.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال الحق سبحانه القرآن في القصص التي سألوا رسول الله ﷺ كان له معجزة حيث عرفوا من أحواله بالضرورة أنه لم يكن للكتب قارئاً ولا للأخبار عنها سائلاً ولا من أحد لها مستمعاً، ثم كانوا يعارضون ما يقوله بالكتب المنزلة فيجدونها موافقة لها فعلم مَن أنعم النظر في بابه أن ذلك بتعريف سماوي. وكان لرسول الله ﷺ ذلك زيادة رتبة وسبباً يوجب له في كل وقت سكون قلب وسلوة. ويقال: فرق ظاهر بين نبينا ﷺ حيث تولى تعليمه بنفسه يعني حيث قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء:الآية 113]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:الآية 114]. ولعل وجه الفرق بينهما والله أعلم بهما أن موسى عليه السلام كان مريداً مجذوباً ونبينا ﷺ كان مراداً محبوباً، أو لأن موسى عليه السلام كان ممن يدّعي العلم ويُظهر الحكم ونبينا ﷺ كان ممن يتواضع للحق ويعترف بالعجز عند الخلق كما يشير إليه قوله في الحديث: «لا أُحصي ثناء عليك»(1)، وقوله/ في التنزيل: ﴿وَمَا 183/أ
أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:الآية 9] ومن تواضع لله رفعه الله.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 84] بالتصرف فيها كيف يشاء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 84] أراده وأقبل عليه ﴿سَبَبًا﴾ [الآية 84] وصلة توصله إليه وتشهدُ لديه من العلم والقدرة والآلة والقوة.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبباً يكون وسيلة وصوله إليه وذريعة حصوله لديه. وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف والتاء

(1) سبق تخريجه.

المخففة في المواضع الثلاثة.

قال ابن عطاء: أي جعلنا الدنيا طوع يده فإذا أراد طُوِيت الأرض فإذا أحب انقلبت له الأعيان وإذا شاء مشى على الماء وإذا هوى طار على الهواء وكذلك مَن أخلص سريرته في حضرتنا مكّناه من مملكتنا يتقلّب فيها كيف يشاء، فمن كان للملك كان الملك له.

وأفاد الأستاذ: أن ذا القرنين مُكِّن في الأرض جهراً يعني وكثيراً من الأولياء سراً وكان تطوى له الأرض إذا قطع أجوازها وسهل عليه أن يروح مشارقها ومغاربها ويحضر أقطارها ومناكبها ومن كان في محل إمامة من الأولياء فالحق سبحانه يملِّكه من المملكة ليحصل عند همّه من ما أراده من حصول طعام وشراب أو ما جرى مجراه وكذا من قطع مسافة واستتار عن أبصار ومما في معناه من تصديق مأمول وتحقيق مسؤول وإجابة دعاء وكشف بلاءٍ وفق ذلك تمكنه من تحقيق همة له في أمرهم فوق ذلك من التمكين في أن يخلص الله بهمتهم قوماً بما شاؤوا ويمنع بهمتهم قوماً عما يشاؤون فلهم من الحق تحقيق أمل إذا تصرفوا في المملكة بإرادات في سوانح وحادثات، وفوق هذا التمكين في المملكة بإيصال قوم إلى منازل ومحال والله يحقق فيهم هممهم بكل حال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الآية 86] أي الموضع الذي تغرب عنه الشمس آخراً من معمورة الأرض ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الآية 86] ذات حمأة وهي طين أسود منتن. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: حامية أي حارة ولا منافاة بينهما لاحتمال كون العين جامعة بينهما ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الآية 86] عند تلك العين قوماً كفاراً، ولعلهم كانوا من عَبَدَة الشمس لما توهموا أن لها أنواراً.

183/ب وأفاد الأستاذ: أنه كما للشمس التي في السماء مطلعها / شروق وغروب فللشمس التي هي شموس التوحيد طلوع وغروب فطلوعها في أوقات غلبة العرفان وتحقيق الشهود والبيان على مقادير أربابها في الزيادة والنقصان وغروب هذه الشموس في ظلمات ليالي الغفلة باستتار أنوار التجلي ورد العبد

إلى أوصاف التفرقة والتفاوت التي لأصحاب القلوب فيما يجدونه من اختلاف أحوالهم توفي وتربى على تفاوت كثير من الناس في منازل قلوبهم واختلاف أوصافهم ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ [الآية 86] أي بالقتل على كفرهم وكفرانهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الآية 86] بالإرشاد إلى إيمانهم وإحسانهم ونداء الله سبحانه إياه إن كان نبياً فيوحى وإن ولياً فعلى لسان نبي.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ [الآية 87] أي استمر على ظلم نفسه بالكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الآية 87] أي أنا وأتباعي بما نقدر عليه قهراً في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 87] أي إلى حكمه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الآية 87] في العقبى، فيه إيماء إلى أن الظلم في كل عصر كان وخيماً ومشربه ذميماً وأن العدل والإيمان طريقه قويماً كما أشار إليه بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 88] وهو ما يقتضيه كمال الإنسان من مباشرة الإحسان ﴿فَلَهُۥ﴾ [الآية 88] فله الدنيا والعقبى ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 88] مثوبة فعلته الحسنى. وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاءً بالتنوين منصوباً على الحال، أي فله الحالة الحسنى مجزياً بها بالوصف الأسنى ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الآية 88] سهلاً ميسراً لا صعباً منكراً. وفي الحديث: «يسروا ولا تعسرُّوا وبشِّروا ولا تنفروا»[1]. فإما للتخير بين القتل على ضلالتهم وبين الدعوة إلى هدايتهم أو للتقسيم أي فليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان، فالأول لمن أصرّ على الطغيان والثاني لمن أظهر الإيمان.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي طريقاً يوصله إلى المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الآية 90] الغالب عليهم طول نهارهم وآخرون كانوا من أهل مغرب الشمس الغالب عليهم حال استتارهم، كذلك الناس في طلوع شموس التوحيد منهم مَن الغالب عليه طلوع شموسهم فالحضور نعتهم والشهود وصفهم والتوحيد حقهم وآخرون لهم من شموس التوحيد النصيب الأقل والقسط الأرذل.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (69)، ومسلم في الصحيح (1734/ 8).

184/ أ / ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 91] أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة البرهان أو أمره فيهم كأمره في مقاتليهم من التخيير أو التقسيم بالإلهام والتعليم ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ [الآية 91] من العُدد والعَدد ﴿خُبْرًا﴾ [الآية 91] علماً تؤلف بظواهرها وسرائرها.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب أخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الآية 93] وقرأ ابن كثير وعمرو وحفص بالفتح وهما الجبلان المبني سد بينهما في منقطع أرض الترك ويأجوج ومأجوج وراءهما ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الآية 93] لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم. وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف أي لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينون له مرامهم.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 94] أي مترجمهم، وفي مصحف ابن مسعود: قال الذين من دونهم ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الآية 94] وقرأ عاصم بالهمزة فيهما وهما قبيلتان من ولد يافث ابن نوح ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 94] أي في أرضنا بالقتل والتخريب. قيل: كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون رطباً إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الآية 94] جعلاً نُخرجه من أموالنا. وقرأ حمزة والكسائي خِراجاً ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الآية 94] يحجز دون خروجهم علينا ويسد طرق ضررهم إلينا. وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحفص بفتح السين.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ [الآية 95] وقرأ ابن كثير مكنني أي ما جعلني ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ [الآية 95] من المُلك والمال ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 95] مما تبذلون لي من الخِراج ولا حاجة لي إليه في الحال ولا في المآل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الآية 95] أي بقوة فعله من العمال أو بما أتقوى به من آلات الأعمال ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الآية 95] حاجزاً حصيناً ومانعاً مبيناً.

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الآية 96] ناولوني قطعه أو أعطوني زبره فإن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة ويؤيده قراءة أبي بكر: ردماً أئتوني بكسر التنوين بهمزة

الوصل على معنى جيئوني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الآية 96] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضمتين وأبو بكر بضم فسكون أي بين جانبي الجبلين بتنضيد ﴿قَالَ﴾ [الآية 96] للعملة ﴿ٱنفُخُواْ﴾ [الآية 96] في أكوار الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ [الآية 96] أي المنفوخ فيه/ ﴿نَارٗا﴾ [الآية 96] كالنار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ 184/ ب [الآية 96] نحاساً مُذاباً وفيه تنازع الفعلان.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ [الآية 97] بحذف التاء للتخفيف حذراً من تلاقي متقاربين. وقرأ حمزة بالإدغام ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ [الآية 97] أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وبلائمه ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الآية 97] أي خرقاً لثخنه وصلابته.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية 98] أي السد والإقدار على هذا الصد ﴿رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ [الآية 98] على عباده ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ [الآية 98] وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ [الآية 98] مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض. وقرأ الكوفيون دكّاً بالمد أي أرضاً مستوية ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الآية 98] كائناً لا محالة، وهذا آخر القصة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما كانوا يهتدون إلا إلى لسان أنفسهم وما كانوا يفقهون لغة غيرهم فقالوا بعبارتهم في شرح قصتهم بإشارتهم ورفعوا إليه في باب يأجوج ومأجوج مظلمتهم وضمنوا له خِراجاً فغواه إليه من جهتهم فأجابهم إلى سؤالهم وتحقيق بغيتهم في حسن مآلهم ولم يأخذ منهم ما ضمنوا له من العمالة لما رأى من الواجب عليه من حق الحماية ووجوب الرعاية على حسب المكنة واستعان بهم في الذي احتاج إليه من الآلة والقوة بقوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ [الآية 96] فلما فعلوا ما أمرهم به ونفخوا فيه لما أضرم عليه النار جعل بينهم السد ثم أخبر أنه إنما يبقى ذلك إلى أن يأذن الله لهم بالخروج ويندفع عن الناس عائدة شرهم إلى الوقت المضروب لهم في التقدير، فبعد ذلك يكون من شأنهم ما يريد الله بهم. وبيَّن سبحانه أن خروجهم من وراء سدهم من أشراط الساعة وأن بعدهم من قريب ينفخ في الصور لقيام القيامة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 99] أي بعض الخلق ﴿يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ [الآية 99]

ويضطربون ويختلطون إنسهم جهنّم حيارى كأنهم سكارى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 99] أي وقد نفخ فيه لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الآية 99] للحساب والجزاء من الثواب والعقاب.

﴿وَعَرَضْنَا﴾ [الآية 100] أبرزنا وأظهرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الآية 100]
185/ أ أي غريباً وعجيباً كما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟/ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفُرقان:الآية 12].

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 101] أعين بصيرتهم ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ [الآية 101] غشاوة وغفلة ﴿عَن ذِكْرِي﴾ [الآية 101] عن النظر إلى ما يذكرهم معرفة ذاتي وصفاتي من الآيات الكونية.

قال ابن عطاء: أي أعين أنفسهم في غطاء عن نظر الاعتبار وأعين قلوبهم في غطاء عن مشاهدة الأعيان في الملكوت فإذا فتح عين قلبه بالمشاهدة فتح عين رأسه بنظر الاعتبار والمراقبة المورثة للمجاهدة ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الآية 101] استماعاً لذكري وكلامي من الآيات القرآنية. وفيه إيماء إلى أنهم كانوا عارين عن الوصول إلى مقام المجتهدين في أمر الدين ليدركوا المعارف والعوارف بعقولهم الواصلة إلى زينة عين اليقين وعن الحصول في رتبة المريدين والمقلدين للمجتهدين في درك الحقائق والدقائق إلى منزلة علم اليقين. قيل: كانوا لا يستطيعون سمعاً لأن أذانهم مسدودة عن سماع الحق ومن لم يفتح له من قلبه سمع السماع كيف يسمع بظاهر سمعه وهو تبع لسمع قلبه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نظروا بأعين رؤوسهم لكنهم فقدوا نظر القلب من حيث الاعتبار والاستدلال للتحقيق ولم يكن لهم سماع الإجابة لما فقدوا من التوفيق فيتوجه عليهم التكليف ولم يساعدهم التعريف وكانوا لا يستطيعون سمعاً لأنهم فقدوا من قبله سبحانه الإسماع فلم يستطيعوا سمع القبول مع حصول الإسماع.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية 102] الاستفهام للإنكار أي أفظنوا ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ [الآية 102] كالمسيح والملائكة ﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 102] معبودين

يتبعونهم أو يشفعون لهم ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [الآية 102] ما يهيّأ للتنزيل أول ما يدخل تحت الباب، وفيه تهكُّم وتنبيه على أن ما وراءنا من العذاب والحجاب ما يستحقر دونه هذا العقاب.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ [الآية 103] وفي جمع التمييز إيماء إلى تنوُّع أعمالهم واختلاف أحوالهم.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 104] ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فإنهم خسروا الدنيا والآخرة ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الآية 104] ولا يبعد أن يكون المعنى ضاع سعيهم في تحصيل الدنيا من الجاه والمال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً في حصول مراتب الكمال ووصول مناقب/ المآل. 185/ ب

وقال أبو بكر الوراق: هو الذي بطل معروفه بالمنة وطلب الشكر على تلك الصنعة ويبطل طاعاته بالرياء والسمعة وضيعوا أحوالهم بالعجب والغرّة وأبطلوا أنفاسهم بالملاحظة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 105] المتلوة ودلائله المنصوبة على التوحيد والنبوَّة ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الآية 105] بالبعث كما هو حقه ولقاء عذابه ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الآية 105] مقداراً ولا نضيع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها غباراً.

وأفاد الأستاذ أنهم عموا عن شهود الحقيقة فبقوا في ظلمة الجحود والنكرة فتفرقت بهم الأوهام والظنون في أودية الحيرة ولم يكونوا على بصيرة ولم تستقر قلوبهم على عقيدة مقطوع بها فليس لهم في الآخرة وزن وخطر بسببها فاليوم هم كالأنعام وغداً واقفون ساقطون كتراب الأقدام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 106] أي الأمر ذلك ﴿جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الآية 106] أي بسبب ذلك.

وأفاد الأستاذ: أنهم اليوم في عقوبة الجحد وغداً في عقوبة الرد، اليوم هم في ذل الفراق وغداً في ألم الاحتراق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 107] ولو إجمالاً ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 107] أي الدالة على إيمانهم إكمالاً ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ [الآية 107] فيما سبق من حكم الله عدلاً ووعده إياهم فضلاً ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الآية 107] والفردوس أعلا درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخلة، ولعله يكون مختصاً بمن جمع بين المعرفة والعبادة.

وأفاد الأستاذ: أن لهم جنات معجلة سراً بسر وجنات مؤجلة جهراً بجهر، اليوم جنات الوصل وغداً جنات الفضل، اليوم جنات العرفان وغداً جنات الرضوان. قلت: كما قال تعالى مشيراً إلى هذا التبيان: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن:الآية 46].

قال أبو بكر الوراق: من أنزل نفسه منزل الصادقين أنزله الله تعالى منزلة المقرّبين.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 108] حال مقدّرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الآية 108] لا يطلبون تحوُّلاً عنها ولا انتقالاً منها إذ لا يجدون حالاً أطيب منها حتى تنازعهم أنفسهم إليها.

قال ابن عطاء: منعمون بنعيم الأبد يتقلبون في مجاورته ويفرحون بمرضاته فأمنوا من كل مخوف ووصلوا إلى كلّ محبوب فلا يشتهون شيئاً إلا
186/أ وجدوا إليه سبيلاً/ فكيف يطلبون عنه تحويلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفنا أن ما يخوله غداً من الإنعام يكون على وجه الدوام فيما لا ينفكون عن أفضالهم لا يخرجون عن أحوالهم فهم أبداً في الجنة ولا إخراج منها وأبداً لهم الرؤية ولا حجاب لهم عنها.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الآية 109] لمتعلقات علمه وحكمته أو لمباني كلماته ومعاني آياته ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الآية 109] أي جنسه بأسره لأن كل جسم متناهٍ في قدره ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الآية 109] فإنها غير متناهية كعلمه وأمره. وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ [الآية 109] بمثل البحر الموجود ﴿مَدَدًا﴾ [الآية 109] زيادة ومعونة في عالم الوجود إمداداً ولعل معنى

القبلية باعتبار كلمات العلمية محمولة على الحالة التصورية. والمعنى أن النفاد متصوره في هذا دون ذلك وليس المراد أنه يتصور نفاذ لما هنالك، وأما باعتبار معاني الكلمات في خواطر المخلوقات فالقبلية على بابها ولا إشكال في إيرادها.

وقد قال البيضاوي في التعليل: لكن لا على وجه التكميل فإن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفذ قبل أن ينفذ غير المتناهي لا محالة، انتهى كلامه ولكن توجيه القبلية لا يفهم منه مرامه.

وكذا فيما أفاد الأستاذ بقوله: أي لا تنفد معاني كلمات الله، أي بالنسبة إلى علم الله لأنه لا نهاية لها لأن متعلقات الصفات القديمة لا نهاية لها كمعلومات الحق سبحانه وتعالى ومقدوراته وسائر متعلقات صفات ذاته، والذي هو مخلوق لا يستوفي ما هو غير متناه وإن كثر ذلك، انتهى.

ومما يؤيد ما قرّرنا ويقوّي ما حرّرنا سبب نزول هذه الآية حيث قال اليهود في كتابكم: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة:الآية 269] وتقرأون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء:الآية 85]، فالمراد بالحكمة العلم بمعاني القرآن على قدر ما يتصور من الإنسان وهو متناه في هذا الشأن ومع وجود كثرته قليل بالنسبة إلى علمه سبحانه لأن معلوماته غير متناهية عن شأنه وعظيم برهانه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ/ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 110] لا أدَّعي الإحاطة بما هنالك ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ 186/ ب
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 110] وإنما تميَّزت عليكم بنحو ذلك.

وقال الأستاذ: معناه أخبر أنك مثلهم من حيث الصورة والجنسية ومبانيهم من حيث السيرة والخصوصية فإنه سبحانه خصّه بالنبوّة والرسالة وترك غيره في بيداء الجهالة والضلالة. ويقال: إني وأنتم في الصورة أكفاء ووجه اختصاصي عنكم إيحاء ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 110] يأمل حُسن لقائه أو يخاف سوء جزائه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية 110] يرتضيه الشرع ويقبله أبداً ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الآية 110] بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً. وعنه

عليه السلام: «اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر، قال: الرياء»[1].

وأفاد الأستاذ: إن حمل الرجاء في هذه الآية على خوف العقوبة ورجاء المثوبة حَسَن ولكن تَرْكُ هذا على ظاهره أولى لأن المؤمنين قاطبة يرجون لقاء المولى فالعارف بالله سبحانه يرجو لقاء الله والنظر إليه والعمل الصالح الذي بوجوده يصل إلى لقائه لديه إنما هو صبره على لواعج محرقات اشتياقه وزواعج احتراقه. ويقال: العمل الصالح بيننا اعتقاد جواز الرؤية وانتظار وقته للنظرة في الحضرة. ويقال: فليخلص في عمله بأن لا يلاحظ بغير الرضا عبادته ولا يستكثر من طاعته بناء على غروره وغفلته وليتبرأ من حوله وقوته. أقول: ويسأل سلامة قلبه في عاقبته بأن يموت على حُسن خاتمته.

(1) الكشاف (4/ 59)، وتفسير أبي السعود (5/ 252)، وتفسير البيضاوي (1/ 527).

سورة مريم عليها السلام

[مكيّة]

وهي ثمان وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي الذي يفتتح به كل مغلق عظيم، ويبدأ به كل أمر كريم، ويُطرد به كل شيطان رجيم، ويُبعد به كل خلق دميم وحال ذميم وصاحب لئيم.

وأفاد الأستاذ: أن بسم الله عزيز مَن عبده أَلِفَ سُهاده ومن طلبه ودع وساده، من عرفه أنكر أحبابه ومن صحبه ترك أصحابه، من ذكره نسي اسمه، من شهده فَقَدَ عقله ولبّه، اسم عزيز جُبِلَت القلوب على محبته ولكن لا كل قلب بل كل قلب ليس يوفّق على محبته فهو قلب ما اتصفت أشباح الأبرار إلا بعبادته وما اعتكفت أرواح الأحرار إلا على/ مشاهدته، عزيز مَن عرفه 187/أ
واعترف أنه وراء ما وصفه.

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [الآية 1] لعل في الكاف إشارة إلى كفاية مهمات أوليائه وكف شرّ بليّات أعدائه، وفي الهاء إيماء إلى هويته وهيبته وهدايته وتنبيه على بدايته، وفي الياء إلى يد قدرته وتصرُّفه بحوله وقوّته، وفي العين إلى كمال عنايته وتمام رعايته وحمايته، وفي الصاد إلى صدق كلماته وصد المعرضين عن فهم آياته.

وأفاد الأستاذ: تعريف الأحباب بأسرار معاني الخطاب حروف خص الحق سبحانه الأحباب بفهم معانيها فللأغيار سماعها وذكرها وللرسول ﷺ فهمها وسرّها. ويقال: أشار بالكاف إلى أنه الكافي في الإنعام والانتقام والرفع والوضع على ما سبق به القضايا والأحكام. ويقال: في الكاف تعريف

كرمه مع أوليائه وتخويف بمكره بخفي بلائه. ويقال: في الكاف إشارة إلى كتابته الرحمة على نفسه وفق مراده قيل كتابة الملائكة الزلّة على عباده، والهاء تشير إلى هدايته المؤمنين إلى عرفان وتعريف هويته باستحقاق جلال سلطانه وتعريف هيبة المؤمن ما له عليه من الحق بحكم إحسانه، والياء إشارة إلى يسر نعمه بعد عسر محنه وإلى يده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده، والعين تشير إلى علمه بأحوال عبده سرّه وجهره وقلّه وكثره وحاله وماله وقدر طاقته وحق فاقته، وفي الصاد إلى أنه الصادق في وعده.

قال إبراهيم بن شيبان: أما الكاف كاف لخلقه، والهاء هادٍ لخلقه، والياء يد الله على خلقه، والعين عالِم بإصلاح عبده، والصاد صادق في وعده.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الآية 2] خبر محذوف، أي هذا المتلوّم عليك ﴿عَبْدَهُۥ﴾ [الآية 2] مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ [الآية 2] بدل أو بيان.

قال ابن عطاء: خص زكريا بالرحمة من بين الأنبياء لأنه وهب له يحيى الذي لم يعصِ ولم يهم بمعصية فهذا هو محل اختصاصه وكرامته ورحمة زكريا إجابة دعوته ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣﴾ [الآية 3] لأن الإخفاء أشد إخباتاً وأكثر إخلاصاً مع أن الهجر والإخفاء عنده سبحانه عن السواء.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما اختار الإخفاء في مقالة لئلا يطلع أحد على سر
187/ ب حاله فأخفى نداءه عن الأجانب ممن هنالك ولو أمكنه أن يخفيه/ عن نفسه لفعل ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [الآية 4] أي أضعف دعامة بدني وعمود جسدي ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [الآية 4] أي ظهر الشيب على شعر رأسي الدال على ضعف أساسي، والمُشعر إلى حال الانتقال من داري ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [الآية 4] في جميع عمري فكيف في آخر أمري بل كلما دعوتك استجبت لي فكذا أرجوا إجابة دعائي لحسن مآلي وتحسين حالي.

قال ابن عطاء: كيف يشقى مَن إليه مرجعه وإياه دعاؤه وبه قوّته وقُوته وعليه توكُّله ومنه تأييده ونصرته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ [الآية 5] بني عمي ﴿مِن وَرَآءِى﴾ [الآية 5] بعد موتي أو لا يحسنوا خلافتي في أمتي ويبدلوا عليهم ديني وملتي لظهور فسادهم عندي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [الآية 5] لا تلد صبياً ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [الآية 5] والياً لأمري من صلبي.

وقرأ بعد الأستاذ فيما إذا أفاد بقوله: إني خفت أن تذهب النبوة من آل يعقوب إطلاق الفتوة.

وقال أبو الحارث: سؤال الأنبياء لا يكون إلا بإذن في الأنبياء من أهل بيتي تنتقل إلى بني أعمامي فهب لي ولداً يعبدك ويكون من نسلي وأهلي.

﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 6] العلم والحال لأن الأنبياء لا يورثون المال. والجملتان مرفوعتان على أنهما نعتان لقوله ولياً، وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء.

وقال ابن عطاء: أي ولداً وليّاً يرزقني النبوّة ويرث من آل يعقوب أخلاق الفتوة.

وقال ابن الحارث: سؤال الأنبياء لا يكون إلا بإذن في الإنباء ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [الآية 6] مرضياً قولاً وعملاً وحالاً ومآلاً أو راضياً منك في تدبيرك وتقديرك.

قال ابن عطاء: قام مقام معتذر لما وجد في نفسه من فترة العبادة لكبر السن فسأل الله من يعينه على عبادة ربه وينوب عنه فيما عجز عنه من حقه فقال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [الآية 6].

وأفاد الأستاذ: أنه لم يرد الولد لشهوة الدنيا وأخذ الحظ منها وإنما طلب الولد ليقوم لحق المولى. وفي قوله: ﴿يَرِثُنِى﴾ [الآية 6] دليل على أنه كما سأل الولد سأل بقاء ولده فقال: ولداً يكون وارثاً لي، أي يبقى بعدي ويرث من آل يعقوب النبوّة وتبليغ الرسالة.

188/أ / ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الآية 7] جواب لندائه ووعد

بإجابة دعائه وتولى تسميته تشريفاً مع الإيماء إلى إبقائه حتى يقوم بأمر الدين وإحيائه ويحيي نسب آبائه بحسب أبنائه ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [الآية 7] مشاركاً في اسمه ومساوياً في رسمه إذ لم يصدر عنه ارتكاب ذنب ولم يقع في همه.

وفي «تفسير السلمي» قال جنيد: سمي يحيى لأنه يحيي من يحيي بالطاعة والموافقة ولا يموت إلا بالمعصية والمخالفة وكان هذا صفته ونعته ولم يجر عليه وسم الخلاف ولا النسيان بحال بل كان محمود السيرة دائماً في أقوال وأفعال وأحوال وكذا قال ﷺ: «ما من أحد إلا أخطأ أو همَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا فإنه ما أخطأ ولا همَّ»[1].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ [الآية 8] من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [الآية 8] يبوسة وقساوة في المفاصل المانعة من الولادة، ولعل استعجابه من حيث العرف والعادة وإلا فالمؤثر كمال القدرة والإرادة.

وأفاد الأستاذ: أنه أراد به من الذي يكون منه هذا الولد لي أهذه المرأة وهي عاقر أو امرأة أخرى أتزوجها أو مملوكة أستفرشها، فالسؤال إنما كان عن تعيين مَن يكون الولد منها. وقيل: إن بين السؤال وبين الإجابة مدة طويلة فكأنه سأل الولد في ابتداء شيبه واستجيبت دعوته بعدما تناهى في كبره.

﴿قَالَ﴾ [الآية 9] الله أو الملك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 9] الأمر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 9] أو التقدير مثل ذلك ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ [الآية 9]، ويؤيده أنه قرىء ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 9] أي عليَّ سهل لديّ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 9] بل كنت معدوماً صرفاً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ [الآية 10] علامة أعلم بها وقت وقوع ما

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (12/ 216) رقم (12933)، وأبو يعلى في المسند (4/ 418) رقم (2544)، وأحمد في المسند (1/ 291)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 345) رقم (31907).

بشرتني به ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 10] أي لا تطيق كلامهم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [الآية 10] بأيامها إلا رمزاً ﴿سَوِيًّا﴾ [الآية 10] أي حال كونك سوي اللِّسان من غير حدوث النقصان، ولعل أراد به التجرُّد للذكر والتفرُّد للشكر في هذا الإنعام والإحسان.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [الآية 11] من الغرفة أو المصلى ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ [الآية 11] أومأ ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ [الآية 11] / أي صلُّوا أو بأن نزِّهوا ربكم ﴿بُكْرَةً 188/ ب
وَعَشِيًّا﴾ [الآية 11] طرفي النهار.

وأفاد الأستاذ: أنه عرَّفهم عن طريق الإشارة أن آلة الكلام التي كانت يخاطبهم بها ليست الآن منطلقة.

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ [الآية 12] أي قلنا له ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 12] التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية 12] بجد واجتهاد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [الآية 12] يعني فهْمَ التوراة أو الحكمة أو النبوة أو الحكم بالصواب في القول أو إحكام الأمر في الفعل.

قال ابن عطاء: الحكم المعرفة، وقال بعضهم: الحكم إصابة الحق في الأقوال والأفعال والأحوال.

وقال يوسف بن الحسين: أوتي يحيى حكماً على الغيب وفراسة صداقة لا يخالطها ريب.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [الآية 13] أي آتيناه رحمة منا عليه أو تعطُّفاً في قلبه على والديه وعلى مَن انقاد إليه ﴿وَزَكَوٰةً﴾ [الآية 13] طهارة من وقوع المعصية لديه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [الآية 13] مطيعاً وعن المخالفة نقياً مُعرِضاً عن ما سوانا مقبلاً علينا.

وقال الأستاذ: أي آتيناه رحمة من عندنا وطهارة وتوفيقاً لمجلوبات التقوى وتحقيقاً لموهوباتها فإن التقوى على قسمين: مجموع مجلوب يتوصل إليه العبد بتكلُّفه وموضوع من الله سبحانه موهوب منه يصل العبد إليه ببذله وفضله سبحانه.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [الآية 14] أي باراً بوالديه ليس عقوقاً لهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ [الآية 14] متكبِّراً متجبِّراً على الخلق ﴿عَصِيًّا﴾ [الآية 14] عاصياً للحق.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] من الله ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ [الآية 15] من أن يناله الشيطان بما ينال به أفراد الإنسان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ [الآية 15] وقت نزعه وشدة أمره وحين دفنه ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [الآية 15] من قبره في مواقف الأهوال وشدائد الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه له أمان يوم ولادته في البداية ويوم وفاته في النهاية ويوم أن يصونه عن الدفع والعوج في العقيدة بما يشهد على الدوام من حقية الإلٰهية وكذا له منه سبحانه الأمان في القيامة فهو في الدنيا معصوم عن الزلة محفوظ عن الآفة وفي الآخرة مصون عن البلاء والمحنة.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 16] في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ [الآية 16] قصتها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ [الآية 16] اعتزلت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 16] وتبعدت عن محلها حين أتت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [الآية 16] شرقي بيت المقدس مكان قرارها، أو شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة في أمر العبادة.

192/أ / ومدارها ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [الآية 17] سرمداً ستراً أو باباً ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [الآية 17] إضافة للتشريف، والمراد به جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ [الآية 17] تصوَّر ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [الآية 17] سوي الخلق قوي الخلق.

وأفاد الأستاذ: أنها اعتزلت منهم لتحصيل تطهُّرها فاستترت من أبصارهم مبالغة في تستُّرها فلما أبصرت جبريل في صورة إنسان ولم تتوقعه في ذلك المكان والزمان أو حسّت في نفسها خيفة ولم يكن لها حيلة إلا تخويفه بالله ورجوعها إلى الله.

﴿قَالَتْ﴾ [الآية 18] أي من غاية مخافتها ونهاية عفّتها ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 18] أي بالذي يرحمني ويعصمني ﴿مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [الآية 18] يتقي الله ويحتفل بمن يستعيذ إلى مولاه وأحذرك عقوبته إن عرفته أو إن كنت ممن يحب أن يتقي منك بأن يقصد صدور سوء عنك.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ [الآية 19] طاهراً تقياً. والمعنى لأكون سبباً في هبته لك بالنفخ في جيب درعك، ويجوز أن يكون حكاية لقوله سبحانه، ويؤيده قراءة نافع بخلاف عن قالون وأبي عمر بالياء بدل الهمز.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [الآية 20] لم يباشرني رجل بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [الآية 20] أي زانية في جميع الأحوال.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [الآية 21] سهل كخلقك، أي أمر ولدك ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ [الآية 21] أي ونفعل ذلك لنجعله ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 21] علامة لهم على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [الآية 21] بإظهار منتنا ونعمتنا ﴿وَكَانَ﴾ [الآية 21] في أمر ولدها ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [الآية 21] تعلق به قضاء الله في الأزل كسائر الأحوال.

قال الأبهري: برحمته أنجى أمماً من الكفر وبرحمته أهلك أمماً في ترك الشكر. قال تعالى لعيسى ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُصِّلَت:الآية 50]، فبتلك الرحمة أهلك الخلق حتى قالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المَائدة:الآية 73]، وحتى قالت اليهود ما قالوا في طريق الملامة.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [الآية 22] بأن نفخ في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ [الآية 22] أي فاعتزلت به وهو في بطنها ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [الآية 22] بعيداً من أهلها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [الآية 23] فألجأها وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [الآية 23] تستتر إليه وتعتمد عند الولادة عليه ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] أي النفاس استحياء من الناس ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ [الآية 23] وقرأ حفص بالفتح أي ما من شأنه/ أن ينسى في الجملة ﴿مَّنسِيًّا﴾ [الآية 23] متروك الذكر بالكلية، 189/ب
فالجمع بينهما للمبالغة في القضية.

قال جعفر الصادق: لما لم تر في قومها موقفاً سديداً ولا محققاً رشيداً ولا صاحب فراسة يبرئها من قولهم جهراً قالت ما قالت.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أنها قالت شفقة على قومها ارتضيتم عقوبة بسببها لأنها علمت أنهم يبسطون لسان الملامة فيها وينسبونها إلى وقوع الفحشاء منها. ويقال: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] حتى لم أسمع ما قيل في الله بسببي من أن عيسى ابن الله وأن مريم زوجته. ويقال: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [الآية 23] في الوقت الذي كنت مرفوقاً ولم تستقبلني هذه الخشونة في الحال التي لحقتني.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ [الآية 24] عيسى ولدها، وقيل جبريل، على أن معنى تحتها أسفل مِن مكانها. وقيل الضمير في تحتها للنخلة لا لها. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها بالكسر والجر على أن في نادى ضمير أحدهما ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ [الآية 24] أي لا تحزني أو بأن لا تحزني ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [الآية 24] جدولاً، هكذا روي مرفوعاً فهو فعيل من السريان بمعنى الجريان. وقيل: سيداً من السرو بمعنى الشرف وهو عيسى. والمقصود تسكين ما بها من الوحشة بالإشارة إلى البشارة.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [الآية 25] أي هزي الثمرة بهزِّ الشجرة، والهز التحريك بالجذبة والدفعة ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ [الآية 25] أي تتساقط، فأدغمت التاء الثانية في السين تخفيفاً وحذف حمزة إحدى التائين، وقرأ حفص تساقط من تساقطت مبالغة سقطت ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [الآية 25] تمييز، ولعله تعالى ألهمها ذلك لِيُريها من آياته ما هو تسكين لروعتها ويُطعمها الرطب الذي به تهوين لِلنفساء وشهوتها.

قال الأستاذ: وكان جذعاً يابساً أخرج الله في الوقت منه الثمرة وهي الرطب الجني وكان في ذلك آية ودلالة لها بأن الذي قدر على فعل مثل هذا قادر على خلق عيسى من غير أب، يعني ويكون براءة لساحتها فإن مثله لا يتصور لمن يُظهر الفاحشة منها. ويقال: ما دامت مجردة بلا علاقة كان زكريا
يجد رزقها عندها من غير تكلُّف / كدّها، فلما جاء علامة الولد أُمِرَت بهز 190/أ
النخلة اليابسة وهي في أضعف حالها وزمان قرب وضع حملها ليعلم أن علاقة

المحبة توجب العناء والمشقة. ويقال: لما لم يكن لها في هذه الحالة من يقوم بتعهدها تولى الله بكفايتها وقام برعايتها ليعلم العالمون أنه لا يضيع خواص عباده في حالة حاجتهم.

﴿فَكُلِي﴾ [الآية 26] من الرطب الجني ﴿وَٱشْرَبِي﴾ [الآية 26] من ماء السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [الآية 26] وطيبي نفساً وارفعي عنك حزناً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كفاها ما احتاجت إليه من أسباب أكلها وشربها وأنعم عليها بتسكين خوفها وتطييب قلبها قائلاً لها بإلهامها ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [الآية 26] أي فإن تري آدمياً مخاطباً لك ومعترضاً لأحوالك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [الآية 26] صمتاً وقرّي به أو صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [الآية 26] بعد أن أخبرتكم بنذري وأعلمتكم بخبري وإنما أناجي ربي في أمري. وأمرها بذلك لكراهة المجادلة مع العامة والاكتفاء بكلام عيسى فإنه قاطع في قطع أصحاب الطعن والملامة.

وقال الأستاذ: فإما ترين من البشر أحداً فلا تخاطبيه بالعبارة وعرِّفيه بالإشارة إني نذرت للرحمٰن صوماً صمتاً مع الخلق بترك المخاطبة والمجاورة اشتغالاً بذكر الحق.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ [الآية 27] مع ولدها ﴿قَوْمَهَا﴾ [الآية 27] راجعة إليهم ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ [الآية 27] حاملة إياه لديهم ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [الآية 27] فظيعاً بدعياً.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [الآية 28] هو رجل صالح وقيل طالح ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [الآية 28] ذات بغي وفساد والأولاد غالباً يتبعون الطرفين في الصلاح والسؤدد فمن أين لك هذه الحالة الشنيعة والمعصية الفظيعة.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 29] إلى عيسى أرى أن تكلِّموه ليجيبكم وبالجواب الشافي يطيبكم ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ [الآية 29] صار ﴿فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [الآية 29] حال كونه طفلاً ولم يُعهد مِن مِثله الكلام أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أنها في الظاهر أشارت إلى الولد وفي الباطن إلى الله الأحد ليُنطق الولد.

190/ ب ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي مِن عبيده الخاص الواصل/ إلى مقام الاختصاص وإنما أنطقه الله به أو لأن العبودية أول مقامات الصوفية وللرد على مَن يزعم له بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنطقه بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] ليكون حجة على قومه فإنه كان المعلوم لله أنهم يقولون في حقه أنه ابن الله ونحوه فأجرى الله على لسانه ليكون حجة في برهانه فيقال لأتباعه: إن صدق عيسى أنه عبد الله بطل قولكم أنه ثالث ثلاثة، وإن كذب فالذي كذب لا يكون ابناً لله لا محالة وإنما يكون عبداً لله إذا لم يكن عبد هواه ولا في قيد شيء سواه فمن تحرر عن غيره فهو في الحقيقة عبده ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 30] الإنجيل أو معرفة التوراة ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [الآية 30] التعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع في عطائه. وقيل: أكمله الله عقلاً واستنبأه طفلاً، واختاره الأستاذ كما بيَّنه بما أفاد في قوله: أتاني في سابق حكمه وجعلني نبياً من فضله. وفي الآية رد على من يقول إن النبوة بكثرة الطاعة لأنه تعالى قال ذلك في حال ما وُلِد عيسى ولم يوجد بعد منه العبادة وأخبر عنه أنه جعله نبياً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [الآية 31] نفّاعاً معلّماً للخير يُرشد الخلق إلى أمور دينهم ويمنعهم من ارتكاب أخلاف دينهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [الآية 31] حيث كنت وصرت.

قال جنيد: مباركاً على صحبني وتبعني في أن أدله على الإعراض عن الدنيا والإقبال على العقبى والتوجه إلى المولى.

وأفاد الأستاذ: أنه كان من بركاته إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف ونُصرة المظلوم ومساواة الفقير وإرشاد الضال والنصيحة للخلق في إظهار الحق بحسن الخلق وكف الأذى عنهم وتحمُّله منهم ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 31] وأمرني بالصلاة المتضمنة للصِّلات ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 31] زكاة المال إن ملكته

أو تطهير النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل.

قال ابن عطاء: أمرني بمواصلته وطهارة السر عما دونه بمقاطعته ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [الآية 31] لأن المقصود من حياة الدنيا هو عبادة المولى، فالدنيا مزرعة الأخرى.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [الآية 32] أي وجعلني مبالغاً في البر للوالدة ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ [الآية 32] غير قابل للنصيحة ﴿شَقِيًّا﴾ [الآية 32] / تاركاً ما يجب عليه من 191/ أ
الخدمة والشفقة. وقيل: الشقي من كُتِبَ عليه سوء الخاتمة.

قال سهل: جباراً أي جاهلاً بأحكام ربه شقياً متكبراً عن ارتكاب أمره.

وقال ابن عطاء: الجبار الذي لا ينصح الخلق بالموعظة والشقي الذي لا يقبل النصيحة.

﴿وَالسَّلَامُ﴾ [الآية 33] أي سلام الله أو السلامة من الملامة ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [الآية 33] أي في بدءِ أمري ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ [الآية 33] آخر عمري وأوسط حالي ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [الآية 33] انتهى مآلي.

وأفاد الأستاذ: أن السلام بمعنى السلامة أي السلامة لي يوم الولادة بما نسب إليَّ من كلتي الحالة كمقالة النصارى في مجاوزة الحد في المدحة وملامة اليهود في الذمة، والسلامة يوم مماته حتى يكون بالسعادة وفاته وسلامته يوم بعثه من رؤية الأهوال وما يُبتلى به غير الوصال، وقد قال عيسى عليه السلام: السلام علي، وقد قال تعالى لنبينا ﷺ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فشتان ما هما.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية 34] أي ذلك الذي تقدم هو أمره وخبره لا ما مدحه أو ذمه غيره ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ [الآية 34] أي هو القول الثابت أمره والمتحقق قدره. وقرأ ابن عامر وعاصم بالنصب على أنه مصدر مؤكد، أي قال القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الآية 34] في أمره يشكون أو يتنازعون فرده على إطلاقه قوم وقبله فوق استخفاف قوم فعدلوا عن الحق العدل الذي هو التوسيط بوقوعهم في

طرفي الإفراط والتفريط إلا أنه سبحانه أعرض عن كلام اليهود لظهور بطلانه ووضوح برهانه وبيَّن خطأ غلو بعض النصارى في شأنه بقوله:

﴿مَا كَانَ﴾ [الآية 35] ما صحَّ ﴿لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [الآية 35] قال الأستاذ: لا يجوز أن يكون له ولد على الحقيقة لأنه الواحد والولد بعض الوالد ولأنه لا داعي له إلى صحبة زوجة فيكون له ولد ولا يجوز عليه التبني لأحد لعدم الجنسية بينهما، انتهى. وقد يقال: لا يصح أن يكون له ولد حقيقة لأنه يلزم أن يكون محلاً للحادث صفة وهو محال ولأن الولد جزء من الوالد والله منزّه أن يكون مركباً أويصير كلاً مرتباً ولا يصح أن يكون له زوجة لعدم الجنسية والكفوية
191/ب ولوجود الصفة الصمدية وهي الانتفاء / عن البرية بالكلية. ولعل هذا وجه امتناع اتخاذ الولد والتبني مبالغة للتنزيه في القضية ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [الآية 35] أي أراد قدر شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية 35]أي فيكون تحقق وجوده بأمره من أثر جوده. وقيل: هو كفاية عن سرعة تأثير الإرادة. وقرأ ابن عامر: فيكون بالنصب على الجواب.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية 36] من كلام عيسى عليه السلام وما بينهما جمل معترضة لتبيين المرام وهو عطف على إنّي عبد الله. وقرأ نافع وابن كثير وعمرو بالفتح أي واعلموا أن الله ربي وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولا تخالفوه ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 36] دين قويم يترتب عليه نعيم مقيم.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [الآية 37] اليهود والنصارى بأسرهم أو فرق النصارى بخصوصهم فإن النسطورية قالوا إنه ابن الله واليعقوبية قالوا هو ابنه هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، والملكائية قالوا: هو عبد الله ورسوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 37] أي منهم ومن غيرهم ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 37] أي من شهود يوم عظيم، هوله وعناؤه وحسابه وجزاؤه، وهو يوم القيامة.

وأفاد الأستاذ: أن من عجن بماء السعادة طينته أطاع في عاجله ثم ما أضاع في آجله، ومن أقصته القسمة السابقة لم تدنه الخدمة اللاحقة وسيبدو غب هذا الأمر حقيقة العاقبة.

وفي «تفسير السلمي»: من اشتغل بالله استولى عليه أنوار مولاه فلا يستعبده سواه ولا يسترقه هواه ولا دنياه ولا عقباه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [الآية 38] أي يحضرون يوم القيامة موقفنا، وهما صيغتا تعجُّب، ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها في العقبى بعدما كانوا صماً عمياً في الدنيا، أو معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ، وهذا المعنى أولى من الأول فتأمل لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء:الآية 72]، ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 38].

وأفاد الأستاذ: أن معارفهم تصير ضرورية وأحوالهم كلها معكوسة لكن الحجة تتأكد عليهم لا تسمع منهم والرحمة لا تتعلق بهم فلا يرحم / شكواهم 192/أ ولا يسمع ندائهم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [الآية 39] حين يتحسر المسيء على كثرة عصيانه والمُحسن على قلّة إحسانه ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 39] بدل مما قبله، أي فرغ حساب الأبرار والفجار وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [الآية 39] أي الآن على تصور ذلك الزمان ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 39] حتى يشاهدوا بالعيان.

وأفاد الأستاذ: أن الساعة تقوم بهم بغتة وتصادفهم القيامة فجأة وهم غير مستعدين لها بالطاعة فيتحسرون على ما فاتهم من الموافقة وعلى ما أصابهم من المخالفة ويقال: سبق لقوم الشقاوة وهم في محو العدم ولآخرين السعادة وهم بنعت القدم ولم يتقدم من هؤلاء وفاق ولا من أولئك شقاق.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 40] لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعلى أهلها مُلْك ولا مَلِك ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 40] يُردُّون للجزاء على أعمالهم بحسب اختلاف أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المسلم إذا مات هان عليه أمره إذا كان ربه وارثه وقد قال مخلوق في صفة مخلوق:

فإن يكن عتاب مضى سبيله فما مات من يبقى له مثل خالد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عِمرَان:الآية 169] لماذا لأن الله وارثهم وهو حي لا يفنى. قلت: ويلائمه ما ورد عند موته ﷺ على لسان الخضر والملائكة تعزية للأمة: «إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فانية وخلفاً من كل هالك»[1]، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ولله در من قال من أرباب الحال:

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إذا فارقت مِن عوض

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 41] رئيس الموحدين وسائس المجردين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ [الآية 41] ملازماً للصدق ومداوماً على التصديق على طريق المبالغة والتحقيق ﴿نَّبِيًّا﴾ [الآية 41] أي ورسولاً بمدد العناية والتوفيق.

وأفاد الأستاذ: أن الصديق هو الذي لا يشهد غير الله مثبتاً ولا نافياً. ويقال: هو المستجيب له فيما يطالبه جملة وتفصيلاً. ويقال: هو الواقف مع الحق في عموم الأوقات على قدم الصدق.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [الآية 42] أي يا أبي، والتاء عوض عن ياء الإضافة
192/ب وإنما يذكر للاستعطاف / واستجلاب الشفقة ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [الآية 42] فيعرف حالك ويسمع مقالك ويرى استقبالك ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 42] في جلب نفع وسلب ضر، دعاه إلى الهدى وبيّن طريقة الردى وعرّفه أن العبادة لا تحق إلا لمن له الإنعام العام والاستغناء التام عن جملة الأنام وهو الموصوف بنعت الكمال المستجمع لصفات الجمال والجلال، وينبّهه عن أن الشيء ولو كان صَبيّاً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على ما يسمى نفعاً وضراً لكنه يكون ممكناً لا يستنكف العقل الصحيح والطبع الصريح عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالنبي والملائكة لا يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جماداً لما يسمع ولا يبصر. ثم دعى أباه إلى أن ينفعه ليهديه

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 59) رقم (4391)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 109) رقم (8120)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 60) رقم (6883).

الصراط المستقيم والدين القويم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلٰهي مستقلاً بالنظر السوي، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [الآية 43] وديناً قوياً.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على أن استحقاق المعبود الوصف بالسمع والبصر على الكمال دون نقصان له في جميع مراتب الأحوال، وكذلك القول في القدرة على الضرر والنفع بالأفعال، وإذا رجع العبد إلى التحقيق ورافقته العناية بالهداية والتوفيق علم أن كل الخلق لا يصلح قدرة واحد منهم للإبداع لاعتبار هيبة الأفراد ولا في كتيبة الإجماع فمن علق قلبه بمخلوق من الكائنات أو توهم شظية لهم من التقى والإثبات فقد ضاها عَبَدَة الأصنام من اللات والمناة. وفي الآية إشارة إلى الخلاص في الاتباع لأهل الحق والهلاك في الابتداع والتطوع في مغاليط الطرق ولهذا أمر أباه باتباعه إياه لما ترجح عليه جانبه في كون الحق معه وإن كان أكبر سناً منه وأسبق وجوداً له.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [الآية 44] بقبول طاعته حين حصول وسوسته ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [الآية 44] والمطاوع للعاصي لا يكون إلا عاصياً ولذا قيل: أساس الأديان على هجران أرباب العصيان، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا/ 193/أ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:الآية 119].

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 45] حال ارتكاب العصيان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [الآية 45] قريباً في اللِّعان أو في العذاب أو موالياً به في مقام الحجاب فإنه أشد العقاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب، وذكر الخوف إما للمحاملة أو لخفاء العاقبة في المعاملة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يغادر الخليل عليه السلام شيئاً من الشفقة على والده لكن لم ينفعه جميل وعظه ولم ينجح فيه كثير نصحه فإن من أقصته سوابق التقدير لم يخلصه لواحق التدبير.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 46] قابل استعطافه ولطفه بالإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني ونحوه ثم

أشار إلى تهديده بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ [الآية 46] عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [الآية 46] بالحجارة حتى تنفد مني فاحذرني ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [الآية 46] زماناً طويلاً.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [الآية 47] توديع ومتاركة مستحسنة ومخاطبة للسيئة بالحسنة لا أقول لك بما يسوؤك من قبلي ولكن ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [الآية 47] أي أطلب لك تحقيق المغفرة المرتبة على توفيق الإيمان والتوبة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [الآية 47] بليغاً في البر وباللطف خفياً.

قال أبو بكر الأبهري: لما بدا منه كلام الجهلة من الدعوة إلى الهيبة والوعيد على ذلك أن خالفه بالخيبة جعل جوابه جواب الجهالة كما في كلام المتعال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:الآية 63].

وأفاد الأستاذ: إن هذا قبل أن أيس من إيمانه وكان بعد في بقية من الرجاء في شأنه فلما تحقق أنه مختوم بالشقاوة في عنوانه قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 48] بالمهاجرة بديني لما يحبه الله ويرضاه ﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ [الآية 48] وأعبده وحدي ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [الآية 48] خائباً ضائعاً مثل حالتكم في دعاء آلهتكم. وفيه تنبيه على أن الإجابة والإثابة غير واجب وإن ملاك الأمر خاتمته وهو غائب.

قال القاسم: من أراد السلامة في الدنيا والآخرة في الأمور الباطنة والأحوال الظاهرة فليعتزل قرناء السوء / لئلا يقع في المخاطرة، ذكره السلمي. 193/ب

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 49] بالهجرة إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الآية 49] ولده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 49] مِن الحَفَدَة بدل مَن فارقهم من الكَفَرَة كما أفاد الأستاذ بقوله: لما أيس من أصله آنسه الله بما بشّره به من نسله.

وقال أبو محمد الحريري: ما ترك أحد له سبحانه شيئاً إلا عوضه الله تعالى خيراً منه، ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما أبا الأنبياء أو لأنه أراد أن يفرد إسماعيل بذكره لفضله من حيث إنه جد سيد الأصفياء ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية 49] منهما أو منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [الآية 49] ويؤيده قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾

[الآية 50] النبوّة والبركة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [الآية 50] ظاهراً يفتخر الناس بهم ويثنون عليهم استجابة لدعوتهم: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء:الآية 84].

قال ابن عطاء: الألسنة هي المعبرة عن الحق والصواب بجزيل إثباته وبجميل إنبائه والمذكرة على الدوام لنعمائه وحسن بلائه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ [الآية 51] أخلص عبادته عن الشرك والرياء والسمعة أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه. وقرأ الكوفيون بالفتح على أن المعنى أخلصه الله، وهذا المقام أعلى وأغلى في رضاه ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [الآية 51] أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عن الحق ولذا قدم الرسول مع أنه أخص في مقام التكريم والأعم يستحق التقديم، أو روعي الفاصلة أو لأن النبوة وهي جمعة الولاية ونسبته أخذ القبض من الحق أعلى في الرتبة من جهة الرسالة وتبليغ الأحكام إلى الخلق.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 52] من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي على يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثّل له الكلام من جهة ذلك المقام ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ [الآية 52] تقريب التعظيم والتكريم شبهه بأن قربه الملك للتكليم ﴿نَجِيًّا﴾ [الآية 52] مناجياً حال من الفاعل أو للمفعول.

وأفاد الأستاذ: أن للنجوى مزية على النداء في بدايته وقت السماع في نهايته فوفقه الحق وناداه ثم قرّبه وناجاه في جميع الحالين توّلاه.

194/ أ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا﴾ [الآية 53] من أجلها أخاه معاضدة أخيه وموارثة / فيما يبغيه إجابة لدعوته: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ [طه:الآية 29] هارون فإنه كان أكبر من موسى وهو مفعول لوهبنا، وقوله: ﴿هَارُونَ﴾ [الآية 53] عطف بيان له ﴿نَبِيًّا﴾ [الآية 53] حال منه ولعل الاقتصار على نعت النبوة لكونه كان تابعاً لموسى في أمر الرسالة.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [الآية 54] وصدق الوعد دلالة حفظ العهد وقد وعد الصبر على الذبح فصبر حتى جاءه الفتح ﴿وَكَانَ رَسُولًا

﴿نَبِيًّا﴾ [الآية 54] فيه دلالة على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة مستقلة فإن أولاد إبراهيم عليه السلام كنوا على شريعته وتابعي ملته وطريقته.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ [الآية 55] أهل بيته أو جميع أمته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 55] بالعبادة البدنية والطاعات المالية فإنها من أصول المهمات الدينية ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [الآية 55] لاستقامة أقواله وأفعاله وأحواله وكان هذا أجمل صفاته وأكمل خصاله.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ﴾ [الآية 56] قيل لقب به لكثرة درسه وهو سبط شعيب وجد أبي نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [الآيتان 56،57] يعني شرف النبوة وفضيلة القربة وعظمة الرتبة. وقيل: الجنة، وقيل السماء السادسة أو الرابعة.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ [الآية 58] إشارة إلى المذكورين في صدر الصورة ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الآية 58] بجمع النعم الدينية والدنيوية لديهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية 58] بيان للموصولين ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [الآية 58] بدل منه ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ [الآية 58] أي ومن ذرية من حملنا ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ [الآية 58] خصوصاً وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ولد سام بن نوح عليهم السلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 58] الباقون ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 58] عطف على إبراهيم، أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وكان منهم موسى وهارون وداوود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ [الآية 58] ومن جملة من هديناه إلى طريق الجنة ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [الآية 58] للنبوة والكرامة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [الآية 58] استئناف لبيان خشيتهم مع علو طبقتهم وكمال قربتهم. وقد ورد: «أتلوا القرآن وابكوا فإن لم
194/ب تبكوا فتباكوا»[1]. وبكياً جمع باك فعول بمعنى فاعل. وقرأ حمزة والكسائي / بكسر الباء اتباعاً لما بعدها، ويعم ما قال ذو الحال:

وما في الدهر أشقى من محبٍّ ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

---

(1) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (4/ 461) رقم (3134)، وانظر تخريج الإحياء (2/ 369) رقم (869).

تـراه بـاكـيـاً أبـداً حـزيـنـاً لـخـوف تـفـرُّق أو لاشـتـيـاق
فـيـبكـي إن نـأوا شـوقـاً إلـيـهـم ويـبكـي إن دنـوا خـوف الـفـراق[1]

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقامهم بشواهد الجمع وأخبر أن صرف المنة كان لله في تخصيصهم بأحوالهم وتأهيلهم لما رقّاهم إليه من حسن مآلهم وأنه بفضله اختارهم واجتباهم ومما ألبسهم من خصائص النعم ما اختصهم به من رقة قلوبهم إذ تتلى عليهم آيات ربهم وسجود ظواهرهم يدل على سجود سرائرهم فما حقق لهم من شواهد الجمع إمارة صحة ما وقفهم له من عين الفرق، فبوصف التفرقة قاموا بحق آداب العبودية وبنعت الجمع تحققوا بحقائق الربوبية، انتهى. وفيه تنبيه نبيه على أن مقام جمع الجمع بما هو بمشاهدة الكثرة في عين الوحدة وملاحظة الوحدة في عين الكثرة والقيام بآداب حقوق العبودية بحسب الظواهر والاشتغال بمراقبة الأحوال الناشئة عن شهود النعوت الربوبية بحسب السرائر فكل جمع بلا تفرقة يؤدي إلى ضلالة وزندقة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الآية 59] فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء في الصفات ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 59] التي هي أم العبادات بتركها أو بقلة مراعاتها وتأخيرها عن أوقاتها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [الآية 59] أي المنهيات والمحرمات أو الملهية المانعة عن الكمالات. فعن علي كرَّم الله وجهه: «اتبع الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور»[2]، ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [الآية 59] عن طريق الجنة أو جزاء غيّه في الدنيا أو في الآخرة أو هو وادٍ في جهنم يستعيذ منها أوديتها.

والمعنى كما أفاد الأستاذ: فسيلقون عن قريب ما يستوجبونه ويُعامَلُون بما يستحقونه.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الآيـة 60] وقـرأ ابـن

(1) نسب هذا البيت إلى الجعدي. انظر شرح ديوان الحماسة (1/ 410)و ونسب إلى أحمد ابن يحيى، انظر أمالي الزجاجي (1/ 11) وإلى غيرهما.
(2) الكشاف (4/ 98) وتفسير القرطبي (11/ 125).

كثير وأبو عمرو وأبو بكر على البناء للمفعول من أدخل ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾
195/ أ [الآية 60] أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم على / حسب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى استثنى من الحائدين على الطريقة المثلى من ثبت على نهج الاستقامة والتجأ إلى الاعتصام بالله على نهج الاستدامة فأولئك الذين تداركهم الرحمة الأزلية وسيبقون في النعمة السرمدية.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية 61] بالنصب على المدح ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 61] أي وعدهم إياها وهي غائبة عنهم أو هم غائبون عنها ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 61] إن الله ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ [الآية 61] موعوده الذي هو الجنة ﴿مَأْتِيًّا﴾ [الآية 61] يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سيجزي لهم عداتهم فيوصلهم إلى درجاتهم ويحقق لهم ما وعدهم من على حالاتهم. ثم قال: إنه كان وعده مأتياً أن ما أتيته فقد أتاك وما أتاك فقد آتيته.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الآية 62] فضول كلام ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [الآية 62] إلا تسليماً في ذلك المقام وهو غاية المرام فهو من باب: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، أوعد الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه لغواً فهو من باب اللغو ظاهراً، وإنما فائدته الإكرام. وقيل: الاستثناء منقطع أي لكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقص أو إلا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض منهم أو تسليم بهم.

وأفاد الأستاذ: أن آذانهم مصونة عن سماع الأغيار فلا يسمعون إلا من الله فإن لم يكن ذلك فلا يسمعون إلا بالله ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية 62] على عادة المتنعمة والمتوسطة بين الزهادة والرغابة. أو المراد دوام رزقنا كما قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرّعد:الآية 35].

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا يعدون من عنده طعام بكرة وعشاء من جملة الأغنياء لأن فقراءهم إن وجدوا غداءهم عدموا في الغالب عشاءهم وإن وجدوا عشاءهم قلّ ما كانوا يجدون غداءهم، والذي كان له معلوم الغداء

والعشاء كان معدوداً من الأغنياء، فعبّر عن أحوال الجنة أن لهم رزقاً غداء وعشياً والمعنى أنهم أغنياء وإلا فليس في الجنة غداة ولا عشي، ويقال: لهم ما يشتهون بمقدار الغدو والعشاء من الزمان في الجنة ثم إن الأرزاق يختلف فيها فللأشباح رزق من مطعوم ومشروب وللأرواح رزق من سماع وشهود ولكل على ما قدر استحقاقه قسط / معلوم. 195/ ب

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 63] أي نعطي منهم ﴿مَن كَانَ﴾ [الآية 63] في الدنيا ﴿تَقِيًّا﴾ [الآية 63] وعن المعاصي نقياً.

وأفاد الأستاذ: أن الجنة للأتقياء من العاملين معدّة والرحمة للعطاء من المسلمين مدخرة فالجنة لطف من الله والرحمة وصف لله وعيده بخصوصه من كان اليوم في قيد أمره ثم قوم يتقون المخالفات وقوم يتقون الشهوات وآخرون يتقون الغفلات وآخرون يتقون شهود غيره في الكائنات.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الآية 64] حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولم يدر ما يجيب ورجاء أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل أربعون، حتى قال المشركون: ودعه ربّه وقلاه، ثم نزل بيان ذلك واعتذر عن إبطائه فيما هنالك بقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الآية 64]، ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] من الأمكنة والأمر منه والمعنى لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يتنزل من زمان إلى زمان إلا بأمره ومشيئته على مقتضى حكمته ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [الآية 64] تاركاً لأمرك ولا لغيرك.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة أبداً ينزلون بإذن الحق سبحانه بعضهم بإنجاء المظلومين وبعضهم بإغاثة المهلوفين وبعضهم بتدبير الجاحدين وبعضهم بنصرة المؤمنين وبعضهم إلى ما لا يحصى من أمور الناس أجمعين، والله سبحانه لا يترك جاحداً ولا عائداً مِنْ حفظ وتربية وإنعام وإمهال واتصال وإكرام.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ﴾ [الآية 65] باستعانته ﴿وَٱصْطَبِرْ

لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [الآية 65] على تحمُّل كفته ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [الآية 65] نظيراً أو كفياً أو مثلاً وشبيهاً يستحق أن يسمى إلٰهاً أو أحداً يسمى الله فإن المشركين وإن سموا الصنم إلٰهاً لم يسمُّوه الله أبداً كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمَان:الآية 25]، ويشير إليه قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:الآية 3]. وبهذا المعنى يتم مبنى كلمة التوحيد على ما
196/أ قرّره أهل التأييد وذلك لظهور أحديته في صفاته وتعالي ذاته / عن المماثلة بمخلوقاً. والجملة تقرير للام والمعنى إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال لعبادته والاصطبار على حكمه وفق إرادته.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 66] أي جنسه أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أُبي ابن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية وقال: يزعم محمد أنَّا نُبْعَثُ بعد أن نموت إذاً. وعن ابن ذكوان: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [الآية 66] من الأرض.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر بمعنى التفكر أي أيقول ما لا يذكر ويتذكر ولا يتفكر ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 67] بل كان عدماً صرفاً فإنه لو تأمل فيما هنالك لم يقل ذلك فإن خلقة الابتداء أعجب من جمع المواد بعد التفريق إعادة وإحياء في الانتهاء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أبطل لهم كل دعوى صدرت عنهم حيث ذكرهم بهم وكونهم من العدم.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [الآية 68] أي معهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ [الآية 68] جميعهم ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 68] ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً وحسرة من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم لبقائهم في دار العقاب والحجاب ﴿جِثِيًّا﴾ [الآية 68] على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع ويدهشهم أو لأنه من توابع التوافق للحساب. قيل: التواصل إلى الثواب والعقاب ونظيره الآية الآتية: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية:الآية 28].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ [الآية 69] أمة شاعت ملة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [الآية 69] أي أكثر عصياناً وأكبر طغياناً فنطرحهم فيها بياناً وعياناً.

وأفاد الأستاذ: أن من تقدم اليوم عليهم في الضلال والإضلال ضوعف غداً عليه العذاب والإغلال.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [الآية 70] أي أولي بالصلي أو صليهم أولى.

وأفاد الأستاذ: أن مَن كان في غفوة اليوم أشد علواً وإدلالاً كان في النار غداً أبعد من الله وأشد عقوبة وإذلالاً.

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ [الآية 71] ما منكم من أحد أيها الإنسان ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [الآية 71] / واصلها أو حاضر دونها أو مار بجسرها فإنه ممدود على متنها يمر بها 196/ب
المؤمنون وهي خاوية ويُطرح فيها الظالمون وهي غائظة ﴿كَانَ﴾ [الآية 71] ورودهم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [الآية 71] واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً من غير خلقه أو حلف به من غير تصور حنثه. وأما قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:الآية 101] فالمراد عن عذابها لما ورد من أن بعض المؤمنين في الجنة يقولون: أليس قد وعدنا ربنا أن ندخل النار فيقال لهم: عبرتم وما شعرتم. وفي حديث تقول النار: «جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي»[1].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ [الآية 72] وقرأ الكسائي بالتخفيف أي نخلص ونبعد وننجي ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ [الآية 72] بحسب مراتب تقواهم من سابق ولاحق فيساقون إلى الجنة ونعمها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [الآية 72] كما كانوا مع زيادة إحساس ألمها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 73] واضحات المباني ظاهرات المعاني مع الإيجاز المقرون بالإعجاز ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ [الآية 73] لأجلهم أو في حقهم ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية 73] من المؤمنين والكافرين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [الآية 73]

(1) سبق تخريجه.

مكاناً. وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [الآية 73] مجلساً ومجتمعاً ومآباً أو قوماً ونفراً وأصحاباً وأحباباً، والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات مع دلالتها على حقيقة الإيمان بها وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها بمناقضتها أخذوا في الافتخار بما لهم حظوظ الدنيا وأنواع لذاتها والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعدم تدبرهم في المآل أو يقيسون العقبى بتقدير وقوعها على الدنيا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] متاعاً ومتجراً ورئياً منظراً ومفخراً. وقرأ قالون وابن ذكوان بأن قدم رئياً، والمعنى أن هؤلاء ينخرطون في سلك من تقدمهم وسيلقون ما يستوجب عملهم فهم مغرورون بجاههم ومالهم في الدنيا الفانية وغافلون عن أحوال معادهم ومآلهم في العقبى الباقية وجاهلون بأن يمنعهم بمالهم من صورة إنعام استدراج وليس
197/أ بإكرام كما بيّنه بقوله:/ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [الآية 75] فليزد له مدداً في أمره ومدداً في عمره ويمهله في طول أمله وسوء عمله.

وأفاد الأستاذ: أن الله يمهل الكفار والفجار ليركنوا إلى أباطيل أفعالهم ويغتروا بسلامة أحوالهم فبينما هم في غفلة الإمهال واغترار بسلامة الأحوال إذ يغشاهم التقدير بصنوف الأهوال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 75] في الدنيا عاجلاً ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 75] أي ساعة العقاب في العقبى آجلاً ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ [الآية 75] أي حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 75] من الفريقين ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [الآية 75] من الطائفتين بأن عاينوا خلاف ما قدروه وعاد ما متعوا به عكس ما صوروه.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [الآية 76] هداية ورعاية تنفعهم بداية ونهاية، وفيه إيماء إلى أن تمتيع الكافر وإمهال الفاجر كما أنه ليس بفضله فكذا قصور حظ المؤمن ليس لنقصه بل لأن الله أراد به خيراً في تقليل ماله لتحصيل كماله وفي زيادة فضائله لتحسين شمائله واستحسان ما له.

وأفاد الأستاذ: أن زيادة الهدى أن يصير علم يقينهم عين اليقين وعين

نفيهم حق اليقين ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الآية 76] الطاعات التي تبقى عائداتها واستمرار مدتها في جميع الأوقات والساعات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [الآية 76] مرجعاً ومآباً مما مُتِّعَ به الكفرة والفجرة من النعم الناقصة الفانية لا سيما وأن مآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة العذاب الأليم.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] أي في الدنيا أو في العقبى على تقدير وقوعها لزعمه أنه إنما أوتي ما أوتي من النعم في الدنيا لاستحقاقها وكونه من أهلها. وقرأ حمزة والكسائي ولداً بضم فسكون وهو جمع ولد كأسد في أسداً ولغة فيه كغرب وعرب ولما كانت الرؤية أقوى مستند الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار والفاء على أصلها للتعقيب فالمعنى أخبر بقصة هذا الكافر المكابر عقب حديث أهل المناكر.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية 78] أقد بلغ من عظمة شأنه / وقوة سلطانه أن ارتقى 197/ ب
إلى علم الغيب الذي يختص بالرب ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [الآية 78] بأن يعلِّمه الغيبيات أو يمنح عليه بجميع المرادات.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 79] ردع وزجر عن ذلك وتنبيه على أنه مخطىء فيما يتصور هنالك ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [الآية 79] السين بمجرد التأكيد في ثبوت الوعيد ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [الآية 79] أي نزيده من أنواع العذاب زيادة أبداً.

﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ [الآية 80] بموته ﴿مَا يَقُولُ﴾ [الآية 80] أي مفتخراً به من ماله وولده ﴿وَيَأْتِينَا﴾ [الآية 80] في القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿فَرْدًا﴾ [الآية 80] لا يصحب مالاً ولا ولداً.

وقال الأستاذ في بيان المراد: أفرأيت الذي قابل آياتنا بالكفر بعد ظهور الحجة وقال بتمنيه من غير الحجة لأعطين مالاً وولداً أيرى أن يكون تمنيه تصديق ولمقصوده تحقيق اطلع الغيب من غيرَ الريب فقال ما قال بتفريق له منا أو اتخذ عهداً بذلك عنا أن يكون له مالاً وولداً أي ليس الأمر كذلك أبداً. ودليل الخطاب يقتضي أن المؤمن إذا ظن بالله ظناً جميلاً أو أمل منه شيئاً جزيلاً فالله يحققه له ويصدق ظنه لأنه على عهد من ربه والله غير مخلف

وعده. قلت: ويؤيده حديث: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]، ويقويه أنه فسر بعضهم العهد بكلمة الشهادة والأعمال الصالحة.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [الآية 81] ليتعززوا بهم حيث يكونون وصلة إلى القربة أو شفاعة عن الحرقة.

﴿كَلَّاۚ﴾ [الآية 82] ردع ونفي عن حصوله أصلاً ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ [الآية 82] أي جميع آلهتهم ﴿بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [الآية 82] ويتبرؤون عن طاعتهم لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البَقَرَة:الآية 166]، وسينكر الكفرة تلك العبادة لما شاهدوا سوء العاقبة كما أخبر الله عنهم قولهم يوم الدين: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام:الآية 23]. فمن تعزَّز بغير الله أذلّه الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم ما أملوا نفعاً لهم عاد ضراً عليهم. ويقال: طلب العز من أماكن الذل فأخفقوا في الطلب ونفوا عن المطلب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 83] أي سلطناهم عليهم حتى اتخذوهم أولياء أو قضينا لهم قرناء ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [الآية 83] أي تهزهم هزاً بأن
198/أ تقويهم وتغريهم على الثبات/ بالتسويلات وتحبيب الشهوات واللهوات، فهذا سبب عدولهم عن قبول الآيات وقعودهم عن الطاعات والعبادات.

وأفاد الأستاذ: أن معناه تزعجهم إزعاجاً فخاطر الشيطان يكون بإزعاج وظلمة وخاطر الحق يكون بسكون وراحة، وهذا أحد الدلائل الفارقة بينهما.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ﴾ [الآية 84] بإنزال العذاب عليهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ [الآية 84] أيام آجالهم ﴿عَدًّا﴾ [الآية 84] قدّرناه وفق أحوالهم وهو أيام محصورة وأنفاس معدودة.

وأفاد الأستاذ: أن الأنفاس لا تنفع بعد حلوله الحيل. وقيل: انقضاءه لا يزيد ولا ينقص بالعلل.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7405)، ومسلم في الصحيح (2675/ 2).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 85] نجمعهم ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 85] إلى ربهم الذي عمَّت رحمته بهم ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن عظيم الصورة، ولا يبعد أنه لكونها مسوقة لتعداد النعمة وازدياد الرحمة وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وَفْدًا﴾ [الآية 85] وافدين عليه ومكرَّمين لديه وملتجئين إليه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل ركباناً على نجائب طاعاتهم وهم مختلفون بتفاوت حالاتهم فمن راكب على صور عملهم ومن راكب على مراكب هممهم ومن راكب على نجائب أنوارهم ومن راكب على مراكب أسرارهم ومن محمول يحمله الحق في عقباه كما يحمله اليوم في دنياه وليس محمول الحق كمحمول الخلق.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 86] كما يُساق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 86] هائمين ﴿وِرْدًا﴾ [الآية 86] عطاشاً.

وقال الأستاذ: فهؤلاء يساقون بوصف عزّه وهؤلاء يساقون بنعت الذلة فيجمعهم في السوق ولكن يغاير بينهم في معانيهما، فشتان ما بينهما، انتهى.

ولعل الأستاذ أخذ اشتراك السوق من محل آخر وهو سورة العزم حيث قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:الآية 71]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:الآية 73] وإلا ففي هذه السورة تغاير بينهما في العبارة بحسب الصورة حيث عبر عن المتقين بالحشر بين الجمع إيماء إلى وصولهم في العبارة إلى مقام الجمعية للمَعَزَّة وعن المجرمين بالسوق المشابه بسوق البهائم إشارة إلى أنهم بوصف التفرقة المقتضية للمذلة فينبغي أن يحمل ما في الذم / على طريق المشاكلة والمقابلة. 198/ب

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون ﴿الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [الآية 87] إلا مَن أذن له الرحمٰن وقال صواباً أو لا يملكون الشفاعة لأحد إلا مَن اتخذ عند الرحمٰن عهداً بالإيمان أو لا يشفعون لأحد إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهداً بالإحسان كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:الآية 28] أي اختارهم الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك العهد حفظهم في دنياهم ما أخذ عليهم يوم

الميثاق من القيام بالشهادة بوحدانية مولاهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ [الآية 88] أي بعض الخلائق الممنوعين عن الحقائق بالعلائق والعوائق ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [الآية 88] لتعلُّق قلوبهم بالولد وغفلتهم عن معرفة الأحد الصمد.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] منكراً شديداً والالتفات للمبالغة في الذم بالجرأة على الله في هذه النسبة.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الآية 90] وقرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [الآية 90] تتشقّق مرة بعد أخرى من أجله وبسببه. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر يتفطرن والأول أبلغ ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 90] أي أجزاؤها ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 90] تسقط أجزاؤها ﴿هَدًّا﴾ [الآية 90] هدماً.

﴿أَن دَعَوْا۟﴾ [الآية 91] لأن ادعوا ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [الآية 91] وقال الأستاذ: عظم بهتانهم في قالتهم وكبرت جرأتهم في قبيح حالاتهم لكن الصمدية متقدسة عن عائد يعود إليها من رين بتوحيد موحد أو مين بإلحاد ملحد فما شاهت إلا وجوههم بما خاضوا فيه من حالهم وصاروا إليه من ضلالهم كما لو يتجمل بما قاله الآخرون إلا قائله وما اقتصر إلا عليه حاصله وآجله.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] أي لا يصح له ولا يليق به أن يتبنى أحداً لاستغنائه عنه بكونه صمداً ولاستقلاله بكونه فرداً أحداً ولدوام بقائه أبداً سرمداً ولأن كل ما عداه بالنسبة إليه نعمة أو منعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها أصولها وفروعها، وأما حقيقة حصول الولد فمن المستحيل عند كل أحد كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: الآيتان 3،4].

وأفاد الأستاذ: أنه في بيان المراد بقوله: أنّى يولد وهو أحد وأنّى
199/أ بالولادة ولا جنس له / وجوداً ولا جوازاً.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [الآية 93

مملوكاً له يأوي إليه بالعبودية وينقاد لديه تحت تصرف الربوبية ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ [الآية 94] أحاط بهم وحصرهم بحيث لا يشذ أحد منهم عن حياطة علمه وإرادته وحيازة قبضته وقدرته ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ [الآية 94] أشخاصهم وأفعالهم وأنفاسهم فإن كل شيء عنده بمقدار لا يزيد ولا ينقص أبداً.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يعزب عن علمه معلوم ولا ينفك عن قدرته ما يصح أن يقال حدوثه موهوم.

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ [الآية 95] منفرداً لا يصحب أحداً ولا مالاً ولا ولداً.

وأفاد الأستاذ: أنه لا خدم يصحبهم ولا حشم يلحقهم كلٌّ بنفسه مشتغل وكلهم عن غيره منفرد مستقل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [الآية 96] سيُحْدِث لهم في القلوب مودّة من تعرض منهم لأسبابها ولا حصول مناسبة بين أربابها. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ: «إذا أحب الله تعالى عبداً يقول لجبريل عليه السلام: أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبّه أهل السماء، ثم يضع المحبة في الأرض في صلحاء أهلها»[1].

وأفاد الأستاذ: أن المراد يجعل في قلوبهم ودّ الله سبحانه نتيجة أعمالهم الخالصة، وفي الخبر: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»[2].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ [الآية 97] أي أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 97] بلغتك أو سهّلناه ببيان سنّتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 97] الصابرين إلى التقوي

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (10/ 450) رقم (19673).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6502)، وابن حبان في الصحيح (2/ 58) رقم (347).

بالحالة الحسنة في الدنيا والعقبى من الجنة المأوى وزيادة الحسنى ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [الآية 97] أشد الخصومة جحوداً وعناداً.

وأفاد الأستاذ: أن الكلام واحد والخطاب متحد وهو لقوم بشير ولآخرين نذير، فطوبى لمن بُشِّر بما وُفِقَ له والويل لمن خُوِّف بل خذله والقوم بين موفّق ومخذول أي وبين مردود ومقبول.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ [الآية 98] تشجيع لنبيه على إنذارهم وتخويف لهم على إنكارهم ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [الآية 98] هل تشعر بهم وترى لهم
199/ب رمزاً ﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [الآية 98] صوتاً / خفيفاً فضلاً عن أن يكون كلاماً جلياً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنبتهم وأحياهم وعلى ما شاء فطرهم وأبقاهم ثم بعد ذلك لما شاء أماتهم وأفناهم فبادوا بأجمعهم وهلكوا عن آخرهم فلا كبير منهم ولا صغير ولا جليل ولا حقير وسيطالبون يوم الحشر والنشر بالنقير والقطمير.

سورة طه عليه السلام

[مكيَّة]

وآياتها مائة وأربع وثلاثون آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ أنه اسم عزيز من تحقق بجلال عزّته في خلوص عبوديته فإذا وصل إلى ضياء صفوته نزل عن سماء تخوفه، عزيز مَن عرفه سمت همته فإذا سمت همته سقطت عن الدارين طلبته، اسم مَن عرفه زال كربه به طاب قلبه دينه حبه ربه حسبه عزيز من وسمه بعبوديته حرر عن رق شهوته وأعتقه عن أسر مطالبته فلا يهزه لمحبوب طلب ولا يستفزه لمجذوب هرب.

﴿طه ۝١﴾ [الآية 1] قيل معناها يا طاهراً يا هادي. وقيل طوبى لمن بك اهتدى، وقيل اجعله طأها بهمزة ساكنة أبدلت التاء والهاء كتابة على أنه أمر له ﷺ بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، ويلائمه في المعنى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [الآية 2] لتتعب بكثرة الرياضة في الدنيا بل لتنال خدمة المولى والدرجات العلى في دار العقبى.

قال الواسطي: سمي القرآن قرآناً لأنه مقارن لِمتكلِّمه لا يبانيه كما يصل إلينا شعاع الشمس ولم يباين القرص ولا ينافيه. وقال ابن عطاء في قوله ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: أي لتتعب في خدمتنا فكان جوابه من النبي ﷺ زيادة تعبُّد واجتهاد كأنه يقول: وهل يتعب أحد في خدمتك وأنت محل استرواح أهل معرفتك. فأما هذه الحركات فهو القيام بشكر ما أهلتني له من قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو من حضرتك، ألا تراه عليه السلام لما قيل له: أتفعل هذا

(1) كذا في الأصل المخطوط.

وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1].

200/أ وأفاد الأستاذ: أن الطاء إشارة إلى طهارة قلبه /عن غير الله والهاء إشارة إلى هداية قلبه إلى مولاه. ويقال: طأ بسرك بساط القربة فإنك لا تهدي إلى غيرنا، أي بالقربة والحجبة. ويقال: طوينا عن سرك ذكر غيرنا وهديناك بنا إلينا، أي وإلى خيرنا.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [الآية 3] أي لكن أنزلناه تذكيراً وموعظة لمن في قلبه خشية ورقة.

قال جعفر: القرآن تذكرة للخائفين ورحمة للمؤمنين وأنس للمحبين.

وقال الأستاذ: أي ليس المقصود من إيمائنا إليك تعبك لربك وإنما هذا الاستفتاح باب الوصلة وتمهيد بساط القربة، فالقرآن تبصرة لذوي العقول وتذكرة لأولي الوصول، فهؤلاء به يستبصرون فينالون راحة النفس في آجلهم وهؤلاء به يتذكرون فيجدون روح الأنس في عاجلهم.

﴿تَنزِيلًا﴾ [الآية 4] نصبه على المدح ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [الآية 4] جمع العليا تأنيث الأعلى، وفيه تنبيه على تفخيم شأن المنزِل بإظهار تعظيم المنزَل بذكر أفعاله وصفاته في مكنوناته من سفلياته وعلوياته، وقدم الأرض لأنه أقرب في نظر الحس من سماواته وأفاد الأستاذ أنه سبحانه جعل الأرض قرارَ العبادة في عامة بلاده ونفوس العابدين أرضاً وقراراً لطاعتهم وقلوب العارفين قراراً لمعرفتهم. أقول: ولعله جعل السماء محل أرواحهم كما جعل الأرض مكان أشباحهم إيماء إلى أن الإنسان ما بين الترقي إلى أعلى عليين وبين التنزيل إلى أسفل سافلين.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [الآية 5] أي استوى ملكه على عرشه ومعظم خلقه ومنزل ظهور تدبيره ووضوح تقديره جسماً اقتضته حكمته

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1130)، ومسلم في الصحيح (2819/ 79).

وتعلقت به مشيئته.

قال ابن عطاء: استوى إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، يعني لاستغنائه وعزته.

وقال ابن فارس: ليس على الكون من الله أثر ولا على الله من الكون أثر أي ولا خبر. وسئل مالك بن أنس: كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به فريضة والسؤال عنه بدعة[1]، كذا في «حقائق السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن عرش السماء قبلة دعاء الخلق وعرش القلب محل نظر الحق فشتان بين عرش وبين عرش، انتهى[2]. ويؤيده / ما ورد: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن بي». 200/ ب

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [الآية 6] مِلكاً ومُلكاً ليدل بذلك على كمال قدرته وجمال إرادته ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم والإحاطة عقب ذلك بإحصاء علمه بجليات الأمور وخفياتها وكلياتها وجزئيتها فقال: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 7] فاعلم أني غني عن جهرك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [الآية 7] فضلاً عن الجهر ﴿وَأَخْفَى﴾ [الآية 7] من سرك وهو ما خطر لك من حالك ثم ذهب عن وهمك وخيالك.

قال الواسطي: السر ما خفي على العباد والذي هو أخفى ما لم يقل له كن، انتهى. ففيه إيماء إلى أنه عالم بالموجودات والمعدومات سواء يكون من الممكنات أو المحالات.

وأفاد الأستاذ: أن النفس لا تقف على ما في القلب من الأنوار والقلب لا يقف على ما في الروح من الأسرار والروح لا سبيل له إلى حقائق السر

(1) الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 410) رقم (836)، والاعتقاد له (1/ 76) رقم (55).
(2) تفسير النيسابوري (2/ 103).

والذي هو أخفى من السر فمما لا يطلع عليه إلا الحق. ويقال: الذي هو أخفى من السر لا يفسده الشيطان ولا يكتبه الملكان ويستأثر بعلمه الجبار ولا يقف عليه الأغيار.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [الآية 8] تأنيث الأحسن، وفضل سائر أسماؤه تعالى على سائر الأسماء في الحسن لصياغتها على مبانٍ هي ألطف المباني ولدلالتها على معانٍ هي أشرف المعاني.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [الآية 9] عقب تمهيد نبوّته قصة موسى وغصة محنته ليأتم به نبينا ﷺ في تحمُّل أعباء نبوّته والصبر على مقاساة شدائد أمته.

وأفاد الأستاذ: أن هذا سؤال في صيغة الاستفهام والمراد منه التقدير وإثبات المرام، انتهى. ولذا قيل: المعنى وقد أتاك حديث موسى.

﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ [الآية 10] قيل: استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه طور سيناء ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة والأرض مسبعة كانت ليلة الجمعة وقد خفيت جادته وتفرقت ماشيته إذ رأى النور من جانب الطور وظن كونه ناراً ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ
201/أ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ [الآية 10] مكانكم/ واغتنموا زمانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [الآية 10] أبصرت إبصاراً ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ [الآية 10] بشعلة على حطب أو خرقة أو بجمرة تنتفعون منها وتستدفئون بها ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 10] أي عندها ﴿هُدٗى﴾ [الآية 10] أي هادياً يدلني على الطريق فإنه كان غاوياً وفي مقام الاستغراق نادياً وناجياً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ألاح له النار حتى أخرجه من أهله يطلبها وكان المقصود إخراجه من بينهم لتجلي نور ربها فكان يدنو موسى والنار تنادي، وفي القصة أنه لما أتاها وجد شجرة تشتعل من أولها إلى آخرها فجمع موسى حشائش تأخذ من تلك النار فلم تأخذها عرف أن هذه النار لا

تسمح نفسها بأن يعطى إلى أحد شعلة منها، كما قيل:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما نضيء لمن يسري بليل ولا نقري[1]

يا موسى هذه النار تضيء ولكن شعلة منها لأحد ما تعطي، يا موسى هذه النار تحرق القلوب لا النفوس، ويقال: كان موسى في مزاولة قبس من النار وكان يحتال كيف يأخذ شيئاً منها لينتفع بها مع أهله، فبينما هو في حالة من القلق إذ سمع النداء المطلق من جانب الحق كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾ [الآية 11] قائلاً ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [الآية 12] وفتحه ابن كثير وأبو عمرو أي أني. قيل: لما أتى النار وجد ناراً بيضاء تتقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها لا حرارة النار تضر الخضرة ولا رطوبة الخضرة تضرّها. وفيه إشارة إلى مرتبة جمع الجمع حيث لا تحجب الكثرة الوحدة ولا الوحدة تحجز الكثرة. ثم لما نودي قال: من المتكلِّم، قال: إني أنا ربك، فوسوس إليه إبليس على جهة التلبيس: لعلك تسمع كلام جني، فقال: عرفت أنه كلام الله لأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء. وهو إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ثم بمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتعش به من غير اختصاص بعضو وجهة توضحه على وجه يظهر توجيهه أن قوة إدراك كل حس من الحواس الخمس بعالم من العوالم مخصوصة وبمقتضى كمال الحكمة جعل قوة الحس المشترك/ في في ساحة دماغ الإنسان متعينة وجعل 201/ ب
رئيس سائر الحواس مشتركاً مع كل حاسة بما أعطي من القوة الخاصة ليكون حاوياً للأخبار وجامعاً للأسرار جملة ودفعة. وبيانه أن لون الماء إنما يدركه البصر وصوته يدركه السمع وريحه يدركه الشم وطعمه يدركه الذوق وحره وبرده يدركه اللمس والحس المشترك يدركه جميعها كذا حققه السيد الهمداني. وحاصله أنه عليه السلام بجميع أجزائه صار سمعاً حتى سمع كلام ربه ولذا روي: أنه كلما بعد أو دنا لم يختلف ما كان يسمع من النداء. كما أن نبينا ﷺ صار بجميع

(1) نسب إلى علي بن الجهم. انظر الحماسة المغربية (1/ 102)، والزهرة (1/ 12)، ومحاضرات الأدباء (1/ 425).

أجزائه بصراً حتى رأى ربه في مقام دنا وليس الخبر كالمعاينة كما ورد في الرواية[1].

وأفاد الأستاذ: أنه إنما علم موسى عليه السلام أنه كلام الحق سبحانه بأنه لا يسمع فيه الترتيب والنظم والتركيب، ويقال: إنما عرف موسى إنه كلام الله تعالى بتعريف خصّه الحق سبحانه به من بين الخلق من حيث الإلهام الرباني دون نوع من الاستدلال البرهاني.

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [الآية 12] أمره بذلك لأن الحضرة تواضع وأدب مما يقتضي هنالك ولذلك طاف السلف حافين حول الكعبة طائفين، أو لتلطخ نعليه بخبث فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ كما ورد في حديث[2]. وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبرِّكاً بمساس رجليه. وقيل: معناه فرِّغ قلبك من الأهل والمال ليتم لك حال الكمال. وفيه إيماء إلى نفي الإثنينية وثبوت الوحدة اليقينية.

وقال ابن عطاء: أعرض بقلبك عن الكونين فلا تنظر إليهما بعد هذا الخطاب الزين، ذكره السلمي. وفيه إيماء إلى ما قيل: خطوتين وقد وصلت وأجمل من هذا المقال في مقام الإجمال ما قال بعض أرباب الحال: دع نفسك وتعال.

وأفاد الأستاذ: أن معنى اخلع نعليك تبقَّ عن نوعي أفعالك وامتح عن شهود جنسي أحوالك وقرب وبعد ووصل وفصل وارتياح واجتياح وبقاء
202/أ وفناء، وكن دائماً بوصفنا، قائماً بحقنا، والمشتت في أحواله / وصفاته متى يكون كالمجرد عن حملته المصطلم عن شهوده الغائب عن وجوده. ويقال: اخلع نعليك وألقِ عصاك وأقم عندنا هذه الليلة ولا تبرح لما هنالك، انتهى. وقال بعضهم: سمع موسى كلام الحق بما لا يشبه كلام الخلق، فلما سمع ذلك الخطاب واستلذّ بذلك الباب وأخذ عن التمييز في الحساب رده الحق إلى

(1) تفسير القرطبي (19/ 4).
(2) تفسير أبي السعود (6/ 7)، وتفسير البغوي (5/ 266).

الخلق ليسكن ما به ويرجع إلى حاله في خطابه ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [الآية 12] المنزَّه من أن يُداس بنعل طاهر أو نجس أو المطهر عن شهود الغير من جنس وإنسٍ، والمُظهر لوجود الأنس ﴿طُوًى﴾ [الآية 12] عطف بيان للوادي وصرف للعلمية وتأنيث البقعة. ونوّنه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان.

وأفاد الأستاذ: إنك بالواد المقدس عن الإعلال أي في الأعمال والأحوال وساحات الصمدية تَجِلُّ عن كل شينٍ وزين من زين بإيمان وشين كفران وزين بإحسان وشين بعصيان كلا إنها ربوبية سطوات عزها تقهر كل مسبوق في كل قضية، انتهى. وقيل في قوله ﴿طُوًى﴾: أطوِ عنك بساط المخالفة فمن حل في هذا الوادي ووطئه طوي عن قلبه ما لا يكون مقدساً من حبه.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [الآية 13] اصطفيتك على الناس بالرسالة والتكليم. وقرأ حمزة: وإنا اخترناك بصيغة التعظيم والتكريم ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [الآية 13] إليك ويُلقى عليك ويُملى لديك.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [الآية 14] بيان لما يوحى وإشعار بأنه مقصور على تقدير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [الآية 14] خصها بالذكر وأفردها بالأمر للحكمة التي أناط بها إقامتها المفيدة إدامتها وهو تذكُّر المعبود وشكره وشغل للقلب واللِّسان والأركان بذكره، أو لذكري خاصة من غير شائبة بذكر غيري عامة.

وقال الأستاذ: أي على علم مني بك اصطفيتك وجرّدتك عن كل نعت هو فيك وبك ونقيتك عن دنس أوهام كل ما يأتيك. ويقال: بعدما اخترتك فأنت بي وأنت لي وأنت محو عنك في قيامي. وقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 14]
إلى آخره، تقدّست عن الإعلال/ في آزالي وتنزّهت عما يجوز عن الامتثال 202/ ب
والأشكال باستحقاقي لِجلالي وجمالي. ويقال: الأغيار في وجودي فَقْدٌ والأطلال والرسوم عند ثبوت حقي محو. وقوله: ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ [الآية 14] أي تذلَّل لحكمي وانفذ لأمري واخضع لجبروت سلطاني ثم إقام الصلاة من غير ملاحظة مجراها

ومنتهاها تورث الإعجاب وهو مما يوجب الحجاب ويقتضي العتاب، وإذا أقام العبد صلاته على نعت الشهود والتحقيق بأن مجراها غيره في الوجود كانت الصلاة فتح باب المواصلة والوقوف في محل التجويز والتحقق بخصائص القرب والزلفة.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 15] القيامة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ [الآية 15] كائنة لا محالة فكن متهيئاً لها في كل حالة لما ورد: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة»[1]، و«الدنيا مزرعة الآخرة»[2] ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [الآية 15] أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية بما فيها ولولا ما في الأخبار من اللطف والأعذار لما أخبرت بها واخترت الإسرار لأنها من جملة الأسرار، أو أكاد أخفيها عن نفسي كما قرىء بها، أي لو كان ممكناً إخفاؤها. وفي الجملة أظهر إتيانها وأخفى زمانها ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [الآية 15].

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة في تعريف العباد قرب الساعة ليستفيقوا من غفلات التفرقة في الطاعة فإذا حضروا بقلوبهم ففي حالة استدامة الذكر ما هو موعود في الآجل أكثره للحاضرين موجود في العاجل فالحاضرة لهم كالآخرة ولذا جعلوا من أمارات الاستقامة شهود الوقت قيامه.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ [الآية 16] أي لا يمنعك عن تصديق الساعة أو تحقيق الطاعة ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [الآية 16] ويغفل عن قيامها وعن الاهتمام بأمرها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 16] تبع مَيل نفسه إلى اللذات وترك خدمة مولاه بتحسين الطاعات ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ [الآية 16] فتهلك وتقوى وتطرح في مقام الردى.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أكرم الله عبداً بحسن التنبيه في عالم الوجود وأحضره بنعت الشهود فلا ينبغي أن ينزل عن سماء صفاته المؤدية إلى الجنة

---

(1) انفرد به الملا علي القاري رحمه الله تعالى، ولكن ذكر بلفظ: «الدنيا ساعتان» انظر أخبار مكة للفاكهي (5/ 105).

(2) المقاصد الحسنة (1/ 351) رقم (497)، وكشف الخفاء (1/ 412) رقم (1320)، والفوائد الموضوعة (1/ 133) رقم (178).

والحضرة والقربة إلى جحيم أهل الغفلة ومنزلة أرباب الحرقة ومرتبة تطرحهم في أودية الفرقة.

203/ أ ﴿وَمَا/ تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [الآية 17] استفهام صورة وإعلام بما يريد فيها معجزة.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [الآية 18] أعتمد عليها وأستند إليها وأتقوى بها ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [الآية 18] أخبط بها الورق على رؤوس غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 18] حاجات أخر معلومة عند أهلها منها أنها تدفع عني عدوي وتحرس غنمي وتسمعني في حال وجدي وتضيء لي بالليل إذا أظلم عليّ وإذا أعييت في الطريق أركبها فتحملني وأعظم مآربها أنك قلت لي بسببها: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [الآية 17]. ويقال: إنما قال تعالى ذلك لأنه عليه السلام صحبته هيبة المقام عند فجأة سماع الكلام فسكن بعض ما كان به من بوادر الإجلال بأن رده إلى سماع ذكر تلك العصا بسبب ذلك السؤال وإلى إيرائه ما فيها من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة. ويقال: لما بسطه الحق بسماع كلامه أخذته أريحية الخطاب فأجاب عما سئل وعما لم يسأل بطريق الإطناب. ويقال: جميع ما عد من المنافع في العصي كان من قِبَل الله تعالى فكيف جاز له أن ينسبها ويضيفها إلى نفسه. ولقد قالوا:

يا جنة الخلد والهدايا أفأهدي إليكِ ما منكِ يُهدى[1]

انتهى كلام الأستاذ.

وفي «تفسير السلمي» قال ابن عطاء: انفرد الله تعالى بعلوم الغيب جميعها فللخلق من الأشياء ظاهرها وعند الله حقيقتها وسرائرها، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [الآية 17] ليعرفه بذلك مقدار علمه وإن حقائق العلوم مختصة بربه، فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [الآية 18] فقال له: بل محل لإظهار قدرتنا فيه.

وقال جنيد في قوله ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [الآية 18]: قال له الحق

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 493).

كلما يعتمد عليه قلبك وتسكن إليه نفسك فإن الكل محل العلل وإن كل ما تسكن إليه ستهرب عن قليل عنه وعما لديه.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيتان 19، 20] قيل: انقلبت حية صفراء بغلظ العصا فكذلك سماها جاناً باعتبار المبتدأ ثم تورمت وعظمت فسماها ثعباناً باعتبار المنتهى.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عبرة بما يوهم ظواهر الأشياء من الأمور المركبة
203/ب والأجزاء فقد يوهم/ الشيء بظاهره ما سيبدو في المستقبل بخلافه أُري موسى عصاه ثم كان المقصود آيته ومعجزته لا محنته وفتنته.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 21] فإنه لما رآها حية تسرع والحجر والشجر تبتلع فخاف عنها وهرب منها، وقد قيل: كان بين لحييها أربعون ذراعاً فلما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف.

قال ابن عطاء في قوله عصاي: أضافها بالملك إلى نفسه ولم يكن له في الحقيقة أن يرى لنفسه ملكاً وهو بين يدي الحق فلما أضافها إلى نفسه قال ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى فخاف وتبرأ من إضافتها ملكاً لنفسه فتعطف الحق عليه فقال: خذها ولا تخف فلا تهرب مما ادعيت فيه المُلك فإنها لن تضرك.

قال الواسطي في قوله ألقها يا موسى: اطرح عن نفسك السكون إلى العصا والاعتماد عليها والركون إليها وعد المنافع فيها فلما ألقى وحكى سره منها قال خذها ولازمها على شرط أن ترى أن النافع والضار لا الأسباب والأغيار ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 21] هيأتها وحالتها المتقدمة. قيل: لما قال له ذلك اطمأنت نفسه هنالك حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الحكمة في انقلاب العصا حية في وقت الكلام أنه جعلها آية ومعجزة لموسى عليه السلام ولو ألقاها بين يدي فرعون ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شاهد من ظهور آياتها فهرب منها كما هرب فرعون حين دهشته رؤيتها.

وقال الواسطي: خوف موسى من العصا أنه شاهد أثر سخطه فيها فلم يأمن مكره تعالى، انتهى. وقد جاء في دعاء بعض العلماء الإلهي: اللهمَّ أرنا الأشياء كما هي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشهده بانقلاب العصا من حال إلى حال مرة عصا ومرة ثعباناً ثم بعد ذلك عصا أنه يثبِّت عباده في حالة التلوين مرة ومرة فمن أخذ ومن رد ومن جمع ومن فرق.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [الآية 22] أي جنبك تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 22] عاهة وعائبة، وهو/ كناية عن البرص ككناية السوأة عن 204/أ
العورة ولم يصرح باسمه لأن الطباع تكرهه وتنفر عن رسمه ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 22] معجزة ثانية بينهما غاية المباينة فهذا بمنزلة تعدد البينة لتأكد ثبوت الحجة ووضوح المحجة.

وقد أفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما أراه آية من خارج عن بدنه وهي العصا أراه آية من نفسه وهو قلب يده بيضاء إذا أدخلها في جيبه من غير برص لها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصّلَت:الآية 53]. قيل: وإنما قال في جيبك ولم يقل في كمك إذ لم يكن للباسه كم.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ٢٣﴾ [الآية 23] أفاد الأستاذ: أن الآية الكبرى هي ما كان يجده في نفسه من الشهود والوجود شوقاً وما لا يكون بتكلف العبد وتصرفه من فنون الأحوال التي يدركها صاحبها ذوقاً.

﴿ٱذْهَبْ﴾ [الآية 24] بهاتين الآيتين ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 24] وادعه إلى العبادة على وفق العبودية ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [الآية 24] تكبَّر وعصى في دعوى الربوبية وفيه تنبيه نبيه على النبوة قبل الرسالة وأن التكميل بعد كمال الولاية ولو لم يقدر فيه السراية بالهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه بعدما أسمعه بلا واسطة كلامه وشرف مقامه وأعجب إكرامه وأتم مرامه أمره بالذهاب لدعائه إلى الله مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن

ولا يجيب ولا يسمع ولا غرو أن يشق على موسى ذهابه إلى فرعون وسماع جحده منه بعدما سمع من الله كلامه ولكنه آثر أمره سبحانه على مراد نفسه وحفظ شأنه. ويقال: لما أمره بالذهاب إلى فرعون سأل الله أهبة النقلة وما يتم به تبليغ ما حمل من الرسالة وذلك قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦﴾ [الآيتان 25، 26] يعني لما أمره سبحانه بأمر عظيم وخطب جسيم سأله أن يشرح صدره ويفتح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه وبلائه ويسهل أمره بإيجاد أسباب حصوله ورفع الموانع عن أبواب وصوله وزيادة إلى تأكيد للمبالغة في الخصوصية.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾ [الآيتان 27،28] كلامي وقت بياني فإنه يحسن التبليغ من البليغ.

وفي «تفسير السلمي»: رب اشرح لي صدري حتى لا أشاهد غيرك
204/ب ويسر لي أمري حتى لا أنطق إلا بمعرفتك/ واحلل عقدة الإنسانية من لساني حتى لا أتكلم إلا بما أتلقنه منك.

قال ابن عطاء: أراد به العقدة النفسانية. وقال أيضاً: اشرح لي صدري بنور القربة وأحلل عقدة من لساني أي عقدة الاختيارية الإنسانية حتى يكون كلامي عنك وبك.

وقال الأستاذ: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦﴾ [الآيتان 25،26] حتى أطيق أن أسمع كلام غيرك بعد أن سمعت منك كلامك ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧﴾ حتى ينطق بمخاطبة غيرك وقوّني حتى أرى ما أرى بك لا بهم.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [الآيتان 29،30] يعينني على ما كلّفتني ويساعدني فيما حمّلتني.

قال جنيد في قوله رب اشرح لي صدري الآيات: ما سأل الله تعالى موسى إلا الأخلاق أي تحسين الأحوال وتزيين الأعمال.

وقال أبو علي الروزباري في سؤال موسى من ربه شرح صدره وتيسير

أمره وإطلاق لسانه ومعازرة أخيه في بيانه ولم يسأل ضعفاً من التبليغ والتبيين فإن الله تعالى أيده بالثبات والتمكين ولكنه عليه السلام وقف مقام الحق بين يدي الحق وسأل بلسان الحق لما قد سبق به من علم الحق إلى الخلق.

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] قوتي وطاقتي ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] نبوّتي ورسالتي. وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر وجزمهما على أنه جوابِ الأمر.

قال الأستاذ: ضاق قلبه عن الاتساع لشهود الخلق ومخاطبتهم فسأل الخرجة عما كان به من القبض في مباسطتهم فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [الآيتان 25،26] ثم لما كان ذهابه إلى فرعون سأل أن يصحب أخاه معه بقوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] ولما ذهب لسماع كلام الله حين قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:الآية 142] لم يستصحبه لأن الذهاب إلى الخلق يوجب الوحشة فطلب الصحبة ليخف عليه كلفة المشقة.
ويقال: إن المحبة توجب التفرُّد والانفراد إذ ليس للغير مع الحب مساغ في الفؤاد ففي ذهابه إلى فرعون استصحب أخاه ولما كان الذهاب إلى الميقات لم يكن للغير سبيل إلى صحبته لما كان المقصود من ذهابه ما كان موسى مخصوصاً به من حالته.

205/ أ ﴿كَىْ/ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الآيتان 33،34] فإن التفاوت يهيّج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخيرات وتزايد المبرات ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] ناظراً بأفعالنا وعالماً بأحوالنا وبأن التعاون مما يصلحنا وأن هارون نِعْمَ المعين لي فيما أمرتني.

وقال الأستاذ: بيَّن الله أنه سأل مشاركة هارون إياه لحق ربه لا لحظ نفسه حيث قال: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الآيتان 33،34].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [الآية 36] مسؤولك ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [الآيتان 36،37] أنعمنا عليك في وقت آخر يسع لجميع المنن الأخر.

قال جعفر: قيل لموسى استكثرت تسبيحك وتذكيرك ونسيت بدايات

فضلنا عليك في حفظك في اليم وردك إلى الأم وتربيتك في حجر عدوك وأكبر من هذا خطابنا معك وكلامنا لك وأكبر من هذا إخبارنا باصطفائنا إياك.

وأفاد الأستاذ في تحقيق المراد أعطيناك ما سألت وتناسيت ابتداء حالك حين حفظناك في اليم ونجينا أمك من الغم وربيناك في حجر عدوك فإن كان سؤالك واختيارك ودعاؤك وأثبتنا في قلب امرأة فرعون شفقتك وألقينا عليك محبة مني حتى أحبك عدوك ورباك بعدما قتل بسببك ما لا يحصى من الولدان فالذي بدأك بهذه المنن هو الذي أتاك سؤلك وحقق لك مأمولك.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] بالإلهام أو في المنام ما يوحى ما لم يعلم إلا بالإلهام ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ [الآية 39] أي اطرحيه عن حجر قلبك ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [الآية 39] أي الصندوق التنبيه بقربك ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الآية 39] أي يم الهم وهو بحر النيل على ما قيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [الآية 39] أمر بمعنى الخبر مبالغة في الأمر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى﴾ [الآية 39] أي في منازعته الألوهية ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [الآية 39] في مخالفة العبودية أو زوال الأمور الملكية أو تكرير عدو للمبالغة أو الأول باعتبار ما وقع والثاني باعتبار ما يتوقع ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [الآية 39] أي محبة كائنة مني قد زرعتها في قلوب العباد بحيث لا يكاد يصبر
205/ب عنك مَن رآك من أهل البلاد فلذا أحبك فرعون مع ما كان يقتل من الأولاد، / ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبه ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال في لفظ الناس فلان ألقى محبته على فلان أي أحبه، ويقال: وألقيت عليك محبة مني طرحت في قلوب الناس محبة لك فإن الحق إذا أحب عبد فكل مَن شاهده أحبه. ويقال: جعل ملاحة في عينيه فكان لا يراه أحد إلا أحبه. ويقال: ألقيت محبة مني أي أنبت في قلبك محبتي فإن محبة لله لا تكون إلا بإثبات الحق سبحانه ذلك في قلبك. وفي معناه:

إنَّ المحبة أمرها عجب تُلْقى عليك وما لها سبب[1]

---

(1) ذكره القشيري (5/ 1) وانظ شرح ديوان المتنبي (1/ 171)، والزهرة (1/ 4).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رباه في حجر عدوه وكان قد قتل ألوفاً من الولدان بسببه وبلاء كل أحد كان بعده إلا بلاء موسى فإنه كان بسنين قبله فاليوم الذي أخذ موسى في حجره كان قد أمر بقتل كثير من الولدان من حذره ثم إنه رأى من هلاك ملكه على يده ليعلم أن أسرار الأقدار لا يعلمها إلا الجبار. ويقال: كان فرعون يسمي والد موسى وأباه ولم يكن في الحقيقة أباه وكان يقال لأم موسى ظِئر موسى ولم تكن في الحقيقة كذا فحيث الدعوى بالأبوة والنبوة لم يكن لها تحقيق وحيث كان اللقب تحقيق وحيث كان المعنى والحقيقة لم يكن عن ذلك خبر ولا عنه أحد من ذلك معرفة وأثر، هكذا الحديث والقصة أي مما يوجب حدوث القصة. ولقد جاء في الأخبار: أن النهر ألقاه على الساحل فحُمِل إلى فرعون فلما وقع بصر امرأة فرعون عليه باشر حبه قلبها وكذلك وقعت محبته في قلب فرعون ولكنها كانت أضعف فسبقت بقولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص:الآية 9] ولولا إنها علمت أنه أخذ شعبة من قلب فرعون كما أخذ من قلبها لم تقل ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: الآية 9]. ثم حكي أن موسى لما وُضِعَ في حجر فرعون لطم وجهه فقال فرعون: إن هذا من أولاد الأعداء، فقالت امرأته: إنه صبي لا تمييز له وتشهد له أنه لا يميز بين النار وبين غيرها من الجوهر والدنيا وأرادت أن تصدق قالتها وتحقق حالتها فاستحضرت شيئاً من النار وشيئاً من الجواهر / والدينار فأخذ جبريل يده 206/ أ
من الميل إلى الجواهر والدينار وصرفها إلى صوب النار فأخذ جمرة بيده وقربها من فمه فأحرقت لسانه وعظم شأنه. ويقال: إن العقدة التي كانت على لسانه إنما كانت من ذلك الاحتراق في زمانه. ويقال: إنهم شاهدوا ولم يشاهدوا إذ العجب أنه لم تحترق يده من أخذ الجمرة واحترق لسانه من أثر الشعلة ليعلم أن هذا الأمر ليس بالقياس المقتضي شأنه بل فعال لما يريد سبحانه، انتهى.

ولا يخفى أنه لا دلالة على عدم احتراق يده غايته أنه على عادة الصغار أمال الجمرة إلى فمه فأثر في لسانه لكمال لطافته ولا يبعد أن يقال ما احترقت يده مجازة لجرها لحية فرعون أو لطمها وجهه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [الآية 39] ولتتربى حال كونك بمرأى مني ويحسن إليك عني وأنا راعيك ومراقبك

بعيني عنايتي وبمن رعايتي وحسن حمايتي.

وقال الأستاذ: أي لا أمكِّن غيرك ليستميلك عني. ويقال: أحفظك من كل غير وحديث سوى حديثنا. ويقال: ما وكلنا حفظك أي أحد سوانا.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [الآية 40] لكم وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم وقيل كلثوم متفحصة خبره ومتجسسة أمره فصادفتهم يطلبون مرضعة له يقبل ثديها فقالت: هل أدلكم على متكفلة به لكم، فقالوا: بلى، فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ [الآية 40] فرددناك ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ [الآية 40] وفاء بقولنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القَصَص:الآية 7]، ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 40] بلقائك وبقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ [الآية 40] هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها.

وأفاد الأستاذ: أن البلاء على حسب قوة صاحبه وضعفه فكل ما كان المرء قوياً كان بلاؤه أوفى وكل ما كان أضعف كان البلاء أخف وقد كانت أم موسى ضعيفة فرد إليها ولدها بعد أيام قليلة، ويعقوب لما قوي في حاله لم يصل إليه يوسف إلا بعد سنين طويلة، انتهى. ويؤيده ما ورد في الحديث من هذا المعنى: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[1] من الأولياء والأصفياء ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [الآية 40] أي نفس القبطي الذي استغاثه عليه السبطي.

قال الواسطي: ألقاه/ في أعظم الأسوأ حتى يجد طعم الأصفى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية 40] غم قتله خوفاً من عقاب ربه ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [الآية 40] ابتليناك ابتلاء كبيراً أو أنواعاً كثيرة وخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن وطنه ومفارقة إلفه ومشيه راجلاً عن حذره وفقد زاده وإيجاد نفسه مع ما سبق له من وضع أمه في تابوت الهم وقذفه في اليم وما لحق في رجوعه من ضلاله طريقه وتفرق غنمه وتشتت حاله مع أهله وكل منهما فتنة وبلية ومحنة، وقد قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:الآية 35]. 206/ ب

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (7/ 160) رقم (2900)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 352) رقم (7482).

وقال أبو الحارث: فتناك بك عما سوانا.

وأفاد الأستاذ: أنه أجرى عليه ما هو في صور كثيرة من قتل النفس بغير حق هنالك، ثم بيَّن أنه لم يضره ذلك فليست العبرة بفعل العبد وقلبه بل العبرة بعناية الحق لشأن أحد وعدوانه لآخر، ويقال: كم من أناس لا يموتون وقد ضربوا ألوفاً من السوط والخشبة ومقتول موسى مات بالوكزة، فما الذي أوجب من وفاته لو أنه أراد به فتنة موسى وشدة بليته. وروي في بعض الكتب: أن أقام سبحانه موسى كذا وكذا مقاماً يسمعه كلامه كل مرة بإسماع آخر نوعاً وجنساً وفي كل مرة يقول له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [الآية 40] أريناك عين الجمع حتى رآك عنك ما داخلك من الغم بصيغة مقتضى التفرقة فلما أريناك سر جريان التقدير نجيناك من الغم في التدبير وفتناك فتوناً وأخلصناك لنا حتى لا تكون لغيرنا. ويقال: جئنا عليك البلاء ونوعنا العناء حتى جردناك من كل اختيار وإرادة ثم حينئذ رقيناك إلى ما استوجبته من المقام الذي خلقناك له من النبوة والرسالة.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ [الآية 40] قضاء لأوفى الأجلين وهو عشر سنين ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 40] بينه وبين مصر ثماني مراحل ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ [الآية 40] على مقدار معين من الزمان قدّرته لأن أكلمك وبالرسالة أكمِّلك غير مستقدم عن أوانه ولا مستأخر عن إبانه، أو على مقدار مبين من السن يوحى فيه غالباً إلى الأنبياء ويكمل عنده حال أكثر الأولياء وهو أربعون سنة / ﴿يَا مُوسَى﴾ [الآية 40] في تكرير النداء إيماء إلى كمال الاعتناء. 207/ أ

وأفاد الأستاذ: أن الأجل إذا جاء للأشياء فلا تأخير فيه ولا تقديم. وأنشدوا في قريب من معناه:

بينما خاطر المنى بالتلاقي ... سانح في فؤاده وفؤادي
جَمَعَ الله بيننا فالتقينا ... هكذا بغتة بلا ميعاد[1]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 2)، (7/ 31).

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] اخترتك لكلام قدسي ومرام أنسي حتى لا تختار غيري.

وقال الأستاذ: استخلصتك لي حتى لا تصبح لأحد غيري ولا يتأتى منك شيء غير تبليغ رسالتي وما هو مرادي منك، أي من إشاعة حكايتي وروايتي. ويقال: أفردت سرّك لي وجعلت إقبالك عليَّ دون غيري وحلت بينك وبين كل أحد ممن هو دوني.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ﴾ [الآية 42] أصالة ﴿وَأَخُوكَ﴾ [الآية 42] تبعاً ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ [الآية 42] بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [الآية 42] لا تقصرا ﴿فِى ذِكْرِى﴾ [الآية 42] في تبليغ أمري أو لا تفترا عن الاشتغال بذكري.

قال سهل: لا تكثرا الذكر باللسان وتغفلا عن مراقبة الجنان.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] تجاوز عن حد العبودية بدعوى الربوبية.

قال ابن عطاء: اذهبا إلى فرعون بعبارة النذارة في الطريقة وهما مبعوثان إلى السحرة بإشارة البشارة في الحقيقة لأن الأعداء ليس لهم عنده من الخطر ما يرسل إليهم الأنبياء ولكن يبعث إليهم بعض أنبيائه ليخرج أولياءه من بين أعدائه.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [الآية 44] بيّنا له أمراً هيناً مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى أو عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لا يزول له ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:الآية 125]، ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 44] الأحوال السابقة ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [الآية 44] الأهوال اللاحقة والمعنى باشر أمر الدعوة على رجائكما أنه يثمر النتيجة ولا يخيب سعيكما في الأخيرة والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في اجتهادهما مع علمه سبحانه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار القدرة.

قال النهرجوري: هذا رفقك بمن جحدك فكيف رفقك بمن عبدك. وقال

أيضاً: لأنه أحسن إليك في ابتداء أمرك فلم تكافئه فأحببت أن أكافيه / عنك. 207/ ب

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [الآية 45] أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [الآية 45] يزداد طغياناً في النعمة وكفراناً بالنعمة، وفي الآية إشارة إلى أن الخوف الذي يميل جبلّية الإنسان إليه لإيلام صاحبه عليه.

وأفاد الأستاذ: أنهما لم يخافا على أنفسهما شفقة عليهما ولكن قالا: إنا نخاف أن يحل بنا مكروه من جهته فلا يحصل منا ما تأمرنا به من القيام بأمر دعوته فكان ذلك الخوف لأجل الله لا لأجل حظوظ أنفسهما ولا لغرض سوى رضاه. ويقال: لم يخافا من فرعون على أنفسهما ولكن خافا من تسليط الله إياه عليهما وإنما راعيا حسن الآداب في فصل الخطاب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ [الآية 46] من غيري أن يضرّكما ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [الآية 46] بالحفظ والنصرة لكما ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [الآية 46] ما يجري بينه وبينكما فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما.

وأفاد الأستاذ: أنهما تلطفا في استجلاب هذا القول من الحق سبحانه بقولهما: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [الآية 45] وكان المقصود لهما أن يقول الحق ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ وإلا فأنى بالخوف من غير الحق لمن هو مخصوص بالنبوة والرسالة. ويقال: سكن الخوف منهما بقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [الآية 46] فقويا على الذهاب إليه من جهة دعوة الدين إذ من شرط التكليف التمكين ولذا قالا بعدما قال لهما لا نبالي الآن بغيرنا بعدما أنت معنا.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [الآية 47] بالدعوة إلى التوحيد والنبوة كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النَّازعَات: الآيتان 18، 19]، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 47] الذين هم من ذرية الأنبياء ومن جملة المؤمنين والأولياء ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [الآية 47] بالتكاليف الصعبة في أيدي الأعداء.

وأفاد الأستاذ: أنه طال البلاء ببني إسرائيل من جهة فرعون اللعين فقد

أدركهم الحق سبحانه ولو بعد حين وهذه عادته بإجراء سنَّته في بريته يرخي عنان الظالم اللئيم لكن إذا أخَذَهُ فَأَخْذه شديد أليم ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن
208/ أ رَّبِّكَ﴾ [الآية 47] بعلامة هي معجزة مصدقة لدعوى / الرسالة. وفيه إشارة إلى أن وحدة الحجة كفاية في وضوح المحجة.

وأفاد الأستاذ: أنه ما نفعتهم تلك الآية البينة وإنما تأكدت عليهم الحجة فإذا عمي بصر القلب فأنى تنفع بصيرة الحجة. وفي معناه قالوا:

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد[1]

﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ [الآية 47] أي سلام الله أو سلامنا أو السلامة في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الآية 74] قال الواسطي: من سبقت له العناية اتبع الهداية في البداية والنهاية.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يتبع الهدى من كحّل عين قلبه بنور العرفان فأما مَن كان على قلبه غشاوة الجهل وقساوة النسيان فمتى يتبع الهدى الثابت بالبرهان.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 48] أي في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 48] أعرض عن الهدى وأقبل على الردى.

وأفاد الأستاذ: أن قسوة القلب نوع عقوبة وكذا الفترة في الطاعة وكذا خسران نصيب الكمال في الأنفس والأموال والأحوال.

﴿قَالَ﴾ [الآية 49] أي بعدما أتياه وقالا ما أُمِرا به ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [الآية 49] هذا من باب الاكتفاء أو لأنه الأصل في الخطاب فكذا في الموانع النداء مع ما فيه من مراعات رؤوس الآي.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [الآية 50] صورته وسيرته ومما خلق لأجله ويطابق حاله ويوافق كماله ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [الآية 50] ثم عرفه كيف يرتفق بإعطائه وكيف يتوصل به إلى كمال بقائه اختياراً وطبعاً وهو عبارة في غاية البلاغة

(1) نسب إلى الأخطل. انظر محاضرات الأدباء (1/ 374).

مع اختصارها على إعرابها عن الموجودات بأسرها مفتقراً إليه ومنعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله وأن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله لا سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما أجاب موسى عن هذا السؤال بالحوالة على فعله ليعلم أن الدليل على إثباته سبحانه ما عليه من أفعاله عزّ شأنه.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [الآية 51] فما حال الأمم الماضية بعد الإماتة من السعادة والشقاوة.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الآية 52] لا عند غيره ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 52] / مثبت 208/ ب
في اللوح المحفوظ أو في كتاب الحفظة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ [الآية 52] لا يخطئه ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [الآية 52] فإنهما محالان على العالم بالذات.

وقال الأستاذ: أي إنما يمكنني أن أخبركم بما أخبرني به ربي فما عرفني عرفت وما ستره عليّ وقفت.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 53] بساطاً وفراشاً. وقرأ الكوفيون مهداً أي كالمهد مبسوطاً وممهداً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الأرض مستقراً لأبدانهم وجعل أبدانهم مستقرة لعبادته وقلوبهم مستقرة لمعرفته وأرواحهم مستقرة لمحبته وأسرارهم مستقرة لمشاهدته ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 53] بين الجبال والأودية والفلوات والبرية تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وتضلوا منابعها هذا وعند أرباب الحقائق الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 53] مطراً لإحياء نباتكم وقد يكون في الماء من الإيماء إلى نزول ما به العلم والمعرفة من عالم السماء في أودية قلوب العلماء ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الآية 53] التفات ﴿بِهِۦٓ﴾ [الآية 53] أي بسبب الماء النازل من السماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 53] أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [الآية 53] متفرقة في الصورة والسيرة ومختلفة بحسب المنفعة المعدّة لأنواع البرية كما يشير إليه قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾ [الآية 54] لذوي العقول الناهية عن ارتكاب القبائح واتباع الفضائح.

﴿مِنْهَا﴾ [الآية 55] من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية 55] فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول قطرة مواد أبدانكم وأعضائكم ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [الآية 55] أي بإماتتكم وتقليب أجزائكم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الآية 55] بتأليف أجزائكم المتعفنة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الأرواح إليها في الدار اللاحقة، والإخراجة الأولى هي الخلق منها وإدخال الأرواح عليها. وكأنه أشير إلى هذا الباب في قول بعض أولي الألباب: ما للتراب ورب الأرباب.

وأفاد الأستاذ: أن الأجساد قوالب والأرواح ودائع، فالقوالب نسبتها التربة والودائع صفتها القربة والقوالب يربيها بأفضاله والودائع بكشف جلاله
209/ أ ولطف جماله، وللقوالب / اليوم اعتكاف على بساط عبادته وللودائع اتصاف بدوام معرفته.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ [الآية 56] فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [الآية 56] أنواعها وأصنافها من الآفاقية والأنفسية والآيات التسع المعلومة في القضية ﴿فَكَذَّبَ﴾ [الآية 56] بجنس الآية ﴿وَأَبَىٰ﴾ [الآية 56] عن قبول الإيمان والطاعة.

وأفاد الأستاذ: بجحده، وأعماه عن شهود ذلك بسره فمن نجح فيه من كلامه وما انتفع بما حذّره من انتقامه وبشّره به من إنعامه.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ [الآية 57] وطننا ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [الآية 57] هذا تعلُّل وتحيُّر ودليل على أنه علم كونه محقاً في أمره حتى خاف منه على ملكه فإن ساحراً لا يقدر أن يُخرج ملكاً مثله من محله.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ [الآية 58] للمعارضة ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 58].

وقال الأستاذ: دعاهم موسى إلى الله تعالى وخاطبهم من حديث العقبى بتبشير ثواب وتخويف عقاب فلم يجيبوه إلا من حديث الدنيا دلالة وضلالة وما زادهم تذكيراً وموعظة إلا ازدادوا غفلة وجهالة، كذلك غفلة من وسمه الحق بإبعاده عن باب مراده ولم يكن له عرفان ولا بما يقال له إيمان ولا يتأسف على ما يفوته من معضلة إذ لا تصديق له بحقيقة ما هو بصدده ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [الآية 58] وعداً ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ [الآية 58] بدل

من موعداً على تقدير مكان إيجاز وعد ﴿سُوًى﴾ [الآية 58] منتصفاً يستوي مسافته إليك وإلينا وهو إظهار غاية الاتصاف ونهاية الانتصاف. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالضم وكلهم نونه إلا الحسن البصري.

وأفاد الأستاذ: أنهم تأهبوا لمناصبة الحقيقة وتشمروا في مخالفة الطريقة فقصتهم المشيئة وكبستهم القدرة، وكما قال بعضهم:

اِسْتَقْبَلَنِي وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول[1]

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [الآية 59] أي مكان إنجاز وعدكم مكان اجتماع يوم زينتكم، وهو يوم عيد لهم في قريتهم أو ملتهم وإنما عيّنه سبحانه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في أقطار البلاد ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [الآية 59] أي وقت ظهور العباد فصار/ يوم عيدهم وقت وعيدهم. 209/ ب

وأفاد الأستاذ: أنهم تواعدوا أن يجتمعوا إلى يوم كان يوم عيد لهم وقصدهم أن يقلبوا موسى بمشهد من الناس في أمرهم، وأرادوا أن يصبح للناس في امتداحهم، فكان في ذلك افتضاحهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 60] أي أدبر على نيّته وأعرض عن ربه وأقبل على مكره ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [الآية 60] أي ما يكاديه من السحرة وآلاتهم من جبلاتهم وعصيانهم بحسب تخيلاتهم وتمثيلاتهم ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [الآية 60] بالمكان بالسواء والموعد المنوي وقد حسر الناس ضحى وتقدم السحرة في مقام المعارضة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ﴾ [الآية 61] أي من المولى ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 61] بأن تدعوا آياته سحراً وصاحب معجزاته ساحراً ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [الآية 61] يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ﴾ [الآية 61] ويهلككم بحجاب. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالضم من الإسحاق وهو بعض اللغات ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [الآية 61] أي خسر من كذّب على رب الأرباب كما خاب فرعون في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أنه كاد فرعون فكيد وأراد فأُريد وادعى الاستعلاء فأذل

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 241).

وأذيق البأساء ولم يغادر فرعون شيئاً من البله والحمق ولم يدع موسى شيئاً من الوعظ والرفق فقال: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 61] واعلموا أنه لا طاقة لأحد مع الله إذا عذّب أبداً.

﴿فَتَنَازَعُوا﴾ [الآية 62] أي فرعون وقومه لِتَحَيرهم ﴿أَمْرَهُم﴾ [الآية 62] أي في أمرهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 62] فيما بينهم ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ [الآية 62] أي أخفوا تناجيهم عن غيرهم.

﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [الآية 63] اسم أن على لغة من جعل الألف للتنبيه في الأحوال الثلاثة، أو اسمها ضمير الشأن وخبرها هذان الساحران واللام زائدة ولهما في مقام التأكيد فائدة. وقرأ أبو عمرو: إن هذين وهو ظاهر. وابن كثير وحفص: إن هذان، على أنها هي المحققة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا الاستثنائية ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ [الآية 63] بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ [الآية 63] من جهة ميلهما إليها ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [الآية 63] بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأكمل المراتب فيبطلاه بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:الآية 26].

وأفاد الأستاذ: أنهم / قالوا إن هذان لساحران في دعوتهما كاذبان 210/أ
وقصدهما إخراجكم عن بلدكم والتشويش عليكم في معتقدكم.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ [الآية 64] من الإجماع أي فاعزموا إليه واجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلف واحد منكم لديه. وقرأ أبو عمرو: فأجمعوا بهمز الوصل وفتح الميم ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ [الآية 64] مصطفين لأنه أهيب في صدور الرائين. قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا فأقبلوا عليه إقبالة واحدة ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [الآية 64] فاز بالمطلب من استولى وغلب.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] أي اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا، أو الأمر إلقاؤنا أو إلقاؤك ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [الآية 66] مقابلة أدب بأدبهم وعدم مبالاة بسحرهم وإنجاح إلى ما أوهموه من ميلهم إلى البدء بذكر الأول في شقهم فليس ذلك إذناً لهم في عمل سحرهم ولن يبرزوا ما معهم

ويظهروا ما في وسعهم فيقذف الله سبحانه بالحق على الباطل فيدمغه ويذهب شأنه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ [الآية 66] أي فألقوا فإذا حبالهم فهي للمفاجأة ﴿وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [الآية 66] وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخُيِّل إليهم أنها تحركت. وقرأ ابن ذكوان على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته في القضية على ما هو مقتضى الحيلة البشرية ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ [الآية 68] من الأمور الوهمية والأحوال الخيالية ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 68] من المراتب الجلية والمناقب العلية لأنك في الطريقة الحقيقية والجادة السوية.

قال ابن عطاء: قلنا لا تخف من غيرنا فإنك بمرأى منا وإنك القائم بالمسبب وهم المعتمدون على الأسباب، أي فأنت على الباب وهم المبعودون بالحجاب وهم على التوهم وأنت في صوب الصواب.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [الآية 69] فإنها شاهدة صدق يقينك في حق دينك ولا تبال بما في أيديهم من حبالهم وعصيهم ﴿تَلْقَفْ﴾ [الآية 69] أي تبتلع عصاك ﴿مَا صَنَعُوا﴾ [الآية 69] في إبطال / هداك وأصله تتلقف وحذف إحدى التائين. وقرأ 210/ ب
حفص بالتخفيف من لقف بمعنى تلقف. وقرأ ابن ذكوان بالتشديد، والرفع على أن الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً أو حال مقدرة من فاعل (ألقِ) ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ [الآية 69] أي صوّروا وزوّروا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ [الآية 69] مكر ماكر ماهر. وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر وإنما وجد الساحر لأن المراد به جنس المطلق، ولذا قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ [الآية 69] أي هذا الجنس المحقق ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [الآية 69] حيث كان وأين أقبل أو حيث فعل أو لم يفعل.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [الآية 70] أي فألقى عصاه فتلقفت ما عداه فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر ومكيدة وإنما هواية ومعجزة أكيدة فألقاهم ذلك على وجوههم سُجّداً لله توبة عما صنعوا لغير رضاه. وقد روى عكرمة أنهم رأوا في سجودهم الجنة وما لهم من منازل القربة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [الآية 70]

آخر لرؤوس الآية.

﴿قَالَ﴾ [الآية 71] أي فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ [الآية 71] وقرأ حفص وقنبل آمنتم ﴿لَهُۥ﴾ [الآية 71] أي أسلمتم لموسى أو آمنتم بالله لأجل موسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 71] في إيمان له ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ [الآية 71] في فنكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية 71] وقد تواطأتم على هذا الأمر ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الآية 71] أي اليد اليمنى والرجل اليسرى منهما ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [الآية 71] أي عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ [الآية 71] يريد نفسه وموسى أو رب موسى بناء على قول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات:الآية 24]، ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 71] أدوم عقاباً.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ [الآية 72] لن نختار أمرك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 72] الدلالات الواضحات ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ [الآية 72] أي ونحلف على ذلك بالله الذي خلقنا ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [الآية 72] له أي حاكم به أو قاضيه أي صانعه وفاعله.

قال ذو النون: من آثر الله على الأشياء مما سواه هان عليه ما يلقى في ذات الله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما خيلوا للناس بإلقاء الحبال والعصي أنها حيات وأوهموا أنها ذوات حياة وابتلع عصا موسى جملتها حين حملتها تحقق للسحرة أن هذا أمر سماوي وحكم إلٰهي حيث تلاشى غير ما كان معهم من
211/أ أوتار الحبال والعصي وصار الثعبان عصا كما هي فسجدوا لله مؤمنين / تائبين وانقلب فرعون وقومه خائبين وتوعدهم بالقتل والصلب وفنون من العذاب الصعب فبعدما كانوا يقسمون بعزة فرعون كانوا يحلفون بالله فيقولون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 72]. ولما طلع في أسرارهم شموس المعرفة وانبسط عليهم أنوار العناية أبصروا الحق سبحانه بأسرارهم وانكشف الأمر بأنوارهم فنطقوا ببيان التصديق وتكلموا ببرهان التحقيق وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم وسقطوا على وجوههم لمعبودهم ولم يحتشموا مما توعدهم به من

العقوبة لما تحقق لهم سواطع المعرفة ولوامع القربة ورأوا كل ذلك من الله في الحقيقة فاستعذبوا البلاء وتحملوا الأذى وكانوا بالغداة كفاراً سحرة فأمسوا أخياراً بررة ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الآية 72] إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى لأهل التقوى علموا أن البلاء في الدنيا سيقضى وإن تمادى وينتهي وإن تقاضى.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ [الآية 73] من الكفر والمعصية ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ [الآية 73] في معارضة المعجزة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ [الآية 73] ثواباً ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الآية 73] عذاباً.

وأفاد الأستاذ: إن أهم الأشياء على أهل معرفته مغفرة الخطيئة، هذا آدم عليه السلام لما استكشف عن حاله وحلّ به ما حل من حسن مآله قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:الآية 23]. وهذا نوح عليه السلام بعد مقاساته طول البلاء قال في حال النداء: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:الآية 47]. وهذا موسى عليه السلام قال: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص:الآية 16] فغفر له وقال لنبينا ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:الآية 55] ومنَّ عليه بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:الآية 2]. وقد قال ﷺ: «وإنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة»(1) انتهى.

وحاصله أن مقام التوبة مرتبة عظيمة ومنقبة جسيمة ولا يستغني عنها طالبون كاملون فضلاً عن قوم هم عاصون غافلون، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:الآية 31].

211/ب ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 74] أي الأمر والشأن ﴿مَن يَأْتِ/ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [الآية 74] بأن يموت على كفره وكفرانه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 74] لعدم توبته عن عصيانه ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ [الآية 74] فيستريح بالفناء ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الآية 74] منها بالبقاء.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 691) رقم (1882)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 302) رقم (887)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 116) رقم (10277).

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 75] في الدنيا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [الآية 75] المنازل العلية في العقبى.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الآية 76] بدل مما قبله، أي جنات إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] أبداً لا يبغون عنها حولاً ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 76] تطهر من أدناس الكفر وأجناس المعاصي. والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من تتمة كلام السحرة وأن يكون ابتداء كلام من الله موعظة لهذه الآية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ [الآية 77] أي من مصر إلى الأرض المقدسة من بلادي ﴿فَٱضْرِبْ﴾ [الآية 77] أي اجعل واتخذ ﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [الآية 77] يابساً ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ [الآية 77] جملة حالية أي أمناً من أن يدركك العدو. وقرأ حمزة: لا تخف على أنه جواب الأمر ونهي بحذف العاطف واستئناف على قراءة حمزة، أنت ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [الآية 77] أي عطف وألفه للإطلاق أو على لغة من يثبت حرف العلة مطلقاً.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ [الآية 78] الباء للمصاحبة أي فأتبعهم معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [الآية 78] الضمير له ولهم وفيه مبالغة من حيث الإبهام ووجازة من جهة بنية الكلام، أي غشيهم ما سمعت من قصته ولا يعرف إلا الله كنه حقيقته.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ [الآية 79] على طريق الردى ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [الآية 79] ما دلهم على سبيل الهدى.

وأفاد الأستاذ: أنه لما عبر موسى ببني إسرائيل البحر وقرب منه فرعون ورآه منفلقاً والطريق فيه يابساً غرقوه بتلبيسه ووسوسة إبليسه فقال هذا لحشمتي تعلق، فقال: أنا ربكم الأعلى، فلما حصل دخوله بعسكره البحر حتى دخل آخرهم وهمّ أن يخرج أولهم أمر الله البحر حتى انتظم أمواجه فأغرقهم بجملتهم وأمر فرعون لما ظهر اليأس من عمره وبقاء أمره فلم ينفعه إقراره وتداركته الشقاوة التي سبقت له من القضاء والقدر بحكم الكتابة.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 80] خطاب لهم بعد إنجائهم وإهلاك أعدائهم أو

لإنبائهم بما فعل بآبائهم ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [الآية 80] فرعون / وقومه 212/ أ ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ [الآية 80] أي نبيكم ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [الآية 80] لنجاة موسى وإنزال كلام المولى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [الآية 80] أي في التيه عند حلول البلوى.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية 81] حلالاته أو متشبهاته، وقرأ حمزة والكسائي: أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء، وأبو عمرو ووعدناكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 81] فيما رزقناكم بالإخلال بشكره وبالتجاوز عن حكمه كالسرق والبطر والادخار والمنع عن أرباب الاضطرار ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الآية 81] فيلزمكم عذابي ويجب لكم حجابي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [الآية 81] هلك وتردى. وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل إذا ترك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يذكرهم آلاءه ويعد عليهم نعماءه ويأمرهم بالتزام الطاعة والقيام بالشكر لما أسبغ عليهم من فنون النعمة ثم ذكرهم ما منَّ به على سلفهم من إنزال المن والسلوى وصرف المحن وصنوف البلوى ثم الطيب من الرزق ومراقبة الخالق وهو ما يأخذه العبد من الله فما لأهل الجنة مؤجل في عقباهم جهراً معجل لأصفيائه في الدنيا سراً. قال تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الذاريات:الآية 16] أي قانعين وراضين. ويقال: السرى من يد الحبيب أرى والأرى من يد الأجنبي شرى، والأرزاق مختلفة بجماعة مؤتلفة فلقوم حظوظ النفس ولآخرين حقوق القلب ولأقوام شهود الأسرار ولآخرين وجود الأنوار فرزق النفوس التوفيق ورزق القلوب التصديق ورزق الأرواح التحقيق. وقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 81] بمجاوزة الحلال إلى الحرام أو بالزيادة على الكفاف والكفاية في المرام وما لا بد منه مما زاد على سد الرمق في هذا المقام، أو بالأكل على الغفلة ونسيان النعمة. وقوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الآية 81] بالخذلان التابعة المذلة بعد الزلة أو بفقدكم التأسف على ما فاتكم أو بالرضا بما هم فيه من نقصان الحال وتشتت البال.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [الآية 82] عن الشرك أو عن المعصية أو عن الغفلة

212/ب أو عن الزلة ﴿وَءَامَنَ﴾ [الآية 82] بما يجب الإيمان وثبت في مقام الإيقان / ومرتبة الإحسان ومنزلة العرفان ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 82] مما في وسع الإنسان ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 82] استقام على الهدى أو اهتدى إلى مشاهدة المولى.

وأفاد الأستاذ: أن مَن سمع قوله وأني ما يقول في عمره وإني أنا الغفار ومنه ألف خطوة ومنك الفعل مرة ومنه الفضل ألف كرة ومنك ندم ومنه ألف كرم ومنك يسير خدمة ومنه كثير نعمة ومنك قليل طاعة ومنه جليل رحمة ويقال: كثير المغفرة لمن تاب مرة فيغفر له أنواعاً من ذنوبه التي لم يتب منها سرها وجهرها كبيرها وصغيرها وما يذكره وما لا يذكره منها. ويقال: مَن شغله سماع قوله: وإني، استهلك في استيلاء ما غلب عليه من ضياء القربة فإذا جاءت المغفرة صادفته وهو بعين المحو في حال السكرة فيتعلق بذنوب أصحابه وأحبابه وإخوانه وكل مَن يعتني هو بشأنه كما قالوا:

إني على جفواتها بَرٌّ بها ... وبكل متصل بها متوسل
وأحبها وأحب منزلها الذي ... نزلت به وأحب أهل المنزل[1]

ويقال لمن آمن في المآل كما هو مؤمن في الحال وعمل صالحاً لاحظ عمله بعين الاستغفار وحالته بعين الاستقدار. ويقال: آمن بأن جميع الحوادث من الله ومن عمل صالحاً ألمّ بالحق بحسب الإرادة تجلى بالفريضة عن العبادة واهتدى للسنَّة والجماعة. ويقال: ثم للتراخي أي آمن في الحال ثم اهتدى في المآل، ويقال: بنا إلينا.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [الآية 83] سؤل عن سبب العجلة بتضمن إنكارها من حيث إنها تقتضيه في نفسها وانضم إغفال القوم إليها وإيهام التعظيم عليهم فيها فأجاب موسى عنها وقدم جواب الإنكار لأنه أهم منها ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [الآية 84] ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة وليس بيني وبينهم مسافة كثيرة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [الآية 84] شرفاً إلى الوفاء بوعدك وذوقاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 25).

إلى القيام بعهدك ومسارعة إلى امتثال أمرك واحتمال طاعتك ابتغاء لمرضاتك.

وأفاد الأستاذ: أنه أخرجهم مع نفسه فيما/ استصحبهم ثم تقدمهم 213/ أ
بخطوات وأخّرهم فقيل له في ذلك لمعاتبتهم مراعاة لحق صحبتهم. ويقال: قوم يعاتبون لتقدمهم وآخرون لتأخرهم فشتان ما بينهم، فقال: ما خلفتهم لتضييعي إياهم ولكن عجلت إليك رب لترضى عني وعنهم، فقال: يا موسى رضاي في أن تكون معهم ولا تسبقهم فكونك مع الضعفاء الذين استصحبتهم في معنى حصول رضاي عنك وعنهم أبلغ من تقدمك عليهم.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [الآية 85] ابتليناهم وهم الذين خلفتهم مع هارون في محلهم ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [الآية 85] بعد خروجك من بينهم وكانوا ستمائة ألف وما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثني عشر ألفاً منهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [الآية 85] باتخاذ العجل وتهيئة صورته والدعاء إلى عبادته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرّفه حقائق توحيده ودقائق تفريده في أن الحدثان كله حاصل بقدرته وواصل بمشيئته حيث أضاف إلى نفسه فتنة قومه وفتنتهم ضلالتهم وعبادتهم العجل وجهالتهم، فأخبر الحق سبحانه بأنه منه تقديراً يعني ومنهم كسباً وتقريراً وفي هذا تكذيب من جحد القول بالقدر فتأمل وتدبر. ويقال: طلب موسى رضى ربه وقدر الحق فتنة قومه ثم إن الحكم لله ولم يكن بد لموسى من الرضا بقضاء الله وترك الاعتراض على الله والعلم بحسن ما منَّ الله به من حيث له أن يفعل ما يشاء فيما سواه، وأنشدوا:

أُريد وِصاله ويُريد هجري فأتركُ ما أُريد لِمَا يُريد(1)

وكان من السامري نوع من التعزير ولكن حصل ما حصل وظهر ما ظهر من التغيير بحسب التقدير ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 86] بعدما استوفى الأربعين، وأخذ التوراة بالوجه المبين ﴿غَضْبَٰنَ﴾ [الآية 86] عليهم لله وطلباً لرضاه ﴿أَسِفًاۚ﴾ [الآية 86] متأسفاً على فرط منهم ومتحزناً على ما يلحقهم.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 28)، والدميري في حياة الحيوان (2/ 56) من دون نسبة.

وفي «تفسير السلمي»: قيل غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا من بعده وأسفاً على ما فاته من مناجات ربه.

وأفاد الأستاذ: أنه رجع عن ميقاته إلى قومه بوصف القبض لما صدر منهم من الزلة الموجبة للمذلة ورجع نبينا ﷺ عن معراجه / بنعت البسط لما 213/ب
أكرمه وقومه من الأمر بالصلاة وما يترتب عليها من الصلة والقربة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ [الآية 86] بأن يعطيكم التوراة نوراً وهدى وإحساناً ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ [الآية 86] في مفارقتي لكم وأوان غيبتي عنكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 86] يجب عليكم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الآية 86] بعبادة ما هو مثل للغاية في الغباوة ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [الآية 86] وعدكم إياي بالثبات على الإيمان والقيام بأركان الإسلام وشرائط الإحسان.

وأفاد الأستاذ: أنهم ظنوا بنبيهم ظن السوء في خلف الوعد فلحقهم شؤم ذلك حتى زاغوا عن العهد وأشركوا في العقد وكذا يكون إذا انتشر على حد العقد لم يبق خرزة لم تنخرط من سلك العقد.

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ [الآية 87] بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وحالنا ولم يسول لنا السامري ما أخلفنا. وقرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم صار بالضم اسم للسلطة وبالكسر لما يملك ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ﴾ [الآية 87] وقرأ الحرميان والشامي وحفص بصيغة المجهول مشدداً ﴿أَوۡزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الآية 87] أثقالاً من حلي القبط التي استعرنا منهم باسم العرس أو العيد حين هممنا بالخروج من بينهم ولم يردوا لهم مخافة أن يعلموا بخروجهم ولعلهم سموا أوزاراً لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ [الآية 87] أي في الغار ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [الآية 87] أي ما كان معه منها مع تراب ألحقه بها. روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري: إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو محرم عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف كل ما معنا فيها، ففعلوا.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الآية 88] من تلك الحلي المذابة ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الآية 88] صوت العجل ﴿فَقَالُوا۟﴾ [الآية 88] السامري ومن افتتن به ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [الآية 88] أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند طور سيناء.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا لم نكن في ابتداء حالنا قاصدين إلى ما حصل منا ولا عالمين بما آل إليه عاقبة حالنا وكذا الحرام / من حطام الدنيا 214/ أ
لا يخلو من شوبه من أثره على العقبى ولقد كانت الغنيمة وأموال المشركين حراماً فآل إليهم ما كان لديهم فكذا من انهمك في طلب الدنيا من غير وجهه يكون على خطر من رقة دينه. قال الله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:الآية 43]. ويقال: إنهم لما أمروا على قوم يعبدون أصناماً لهم حيث قالوا لموسى: اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة، كان ذلك الصنم على صورة العجل فكان ميلهم إلى عبادته مستكناً في قلوبهم من جهة محبته في طاعته فصاغ السامري العجل على تلك الصورة وفي هذا إشارة إلى أن دقائق الهوى إذا استكنّت في النفس وتمكنت في القلب فما لم ينقش ذلك النقش بمنقاش المنازلة يخشى أن يلقى صاحبه يوماً معقبة المزاولة. ويقال: إن موسى عليه السلام غاب أربعين يوماً عن قومه فرضوا بعبادة العجل بعد ذهابه عند ربه ونبينا ﷺ خرج من بين أمته إلى سنين كثيرة مضت على أهل ملته فلو ذكر وجه من جماعته عند المخلصين في حق الله ووحدته حديث التشبيه لأحلوا به من النكير ما لا يكون له منه محيص إلا بالتنزيه وذلك أنهم استخفوا بكتابهم فبدلوه تبديلاً وضمن الحق سبحانه إعزاز هذا الدين بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:الآية 9]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:الآية 33] فما حولوا عنه تحويلاً.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية 89] أي أفلا يعلمون ﴿أَلَّا﴾ [الآية 89] أن الشأن لا ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [الآية 89] لا يرد العجل إليهم كلاماً لا خطاباً ولا جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 89] أي لا يقدر على ضرهم ونفعهم أصلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيّن أنّ مَن لا قول له يتكلم به ولا يملك الضر والنفع لعابده يستحق العبادة من أصله وفيه رد على من لم يثبت القول

له في الأزل ولم يصفه بالقدرة على الخير والشر من العمل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 90] أي قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ [الآية 90] أي بالعجل وحبه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 90] أي بكم وبي ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ [الآية 90] في التوحيد ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [الآية 90] بالثبات على التفريد.

214/ ب وأفاد الأستاذ: أن / الإشارة في هذه العبارة إلى أن من لم يحفظ أمر من هو أعلى مرتبة كيف يراعي أمر من هو أدنى منزلة فمن ترك أمر الحق كيف يطمع فيه أن يحترم الشيوخ والأكابر من الخلق ولذا قيل: لا حرمة للفاسق أنه إذا ترك حق الخالق متى يحفظ حق الخلق.

﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 91] لن نزال على حب العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾ [الآية 91] مقيمين على طاعته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [الآية 91] ويبين لنا طريق الهدى عن طريق الردى.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك كان تعللاً منهم بالباطل لأنهم ما كانوا عازمين على ترك عبادة العجل لا في العاجل ولا في الآجل إذ قد تحققوا أن موسى عليه السلام دعاهم إلى التوحيد وترك عبادة غير الله على وجه التأبيد ولكن كل مبطل مستند إلى ما ينجح إليهم من الباطل ولو لم يكن من الأمر الطائل.

﴿قَالَ﴾ [الآية 92] أي موسى بعدما رجع رأى ما رأى على وفق ما سمع من المولى ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ [الآية 92] بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [الآية 93] أي ما حملك على أن لا تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من عبد سواه ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [الآية 93] بالصلابة في الدين والمحاماة عن الحق اليقين ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [الآية 94] حض الأمر استعظاماً له واستلطافاً ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [الآية 94] أي بشعر رأسي فإنه قبضهما ومن شدة غيظه وفرط غضبه لله جرهما ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 94] لو قلت فارقت بعضهم ببعض ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [الآية 94] حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فيما بدا من خلافي، فإن الإصلاح كان في حفظ الجماعة والمداراة بهم إلى أن

ترجع إليهم فتدارك الأمر بما يقتضي رأيك عليهم هذا ولا يخفى أن رأي موسى أعلى فإن تليين هارون في تمكين قومه أولاً ومهلتهم مع قلتهم جراً إلى كثرتهم الموجبة لعدم مقاومتهم ولذا ورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً على العلماء عند قدرتهم ولو بأيديهم حالة قوتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لما ظهر بموسى عليه السلام ما ظهر من ضيق القلب عند مشاهدة عبادة غير الرب أخذ هارون يقابله بالرفق والتلطف وحسن المداراة على وفق الأدب، وكذا الواجب/ في مجاوزة من ظهر منه الحدة لئلا 215/أ
يرتقي الأمر إلى الوحشة والشدة. ويقال: لما ضاق قلب موسى عليه السلام لما شاهد من قومه بالمعاينة عبادة العجل الذي هو من جملة الأصنام ولقد كان سمع من الله أن السامري أضلهم وقال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [الآية 85] ولكن قيل: ليس المخبر كالمعاين، انتهى. ولا يخفى أن إخبار الله تعالى أقوى من معاينة موسى وإنما وقعت مطابقة رؤيته على وفق سماع قضيته ولذا قال بعض أرباب الحال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً في أمر المآل. وأما الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة»[1] على ما رواه الطبراني في الأوسط عن أنس والخطيب عن أبي هريرة فمحمول على خبر الخلق على أنه قد يقال إن علم اليقين ليس كعين اليقين لتقوي العلم القلبي بالعلم العيني فكأنه علمان وهما خير من علم واحد في عالم البيان ومقام العيان، ولعل هذا مجمل كلام الأستاذ فيما أفاد ويؤيده ما رواه أحمد في مسنده والطبراني في أوسطه والحاكم في مستدركه عن ابن عباس بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فأنكرت هذا»[2] ولا يبعد أن يقال إنه وقت سماع الخبر كان في مقام الجمع من حال السكر والمحو والسكوت تحت الأمر بحضرة الرب في نعت التمكين وفي زمان معاينة الأثر كان في مقام التفرقة من حال الشعور والصحو والحركة والتصرف بالحكم على

(1) سبق تخريجه.
(2) تفسير ابن كثير (3/ 477)، وتفسير القرطبي (7/ 288)، وتفسير الرازي (7/ 255)، وجمع الجوامع (18/ 246) رقم (19324).

وصف التلوين والله أعلم بحقائق الدين ودقائق اليقين.

﴿قَالَ﴾ [الآية 95] أي موسى ملتفتاً إلى السامري منكراً عليه مما ظهر لديه ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ [الآية 95] ما شأنك وما برهانك ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [الآية 95] على ما ضللت وأضللت.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام سأل كل أحد بنوع آخر من الكلام في مقام التغيير ومعاتبة مع قومه ومطالبته لأخيه وتغيره في نفسه لم يغير التقدير ولم يؤخر المحكوم عليه من عالم التدبير.

215/ ب ﴿قَالَ﴾ [الآية 96] أي السامري ﴿بَصُرْتُ/ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 96] وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب أي علمت بما لم يعلموا وفطنت لما لم يفطنوا به أو رأيت ما لم تروا وهو أن جبريل جاء على فرس الحياة حين ذهابك إلى الطور لمناجاة الله وهو روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية 96] أي من تربة موطيء حافر فرسه على وجه القبول وفي حين الوصول ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ [الآية 96] أي تلك القبضة من التراب في الحلي المذاب ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [الآية 96] زينته وحسنته إلى من في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن يخصصه من بينهم حتى عرف جبريل بعلامته وقبض التراب من موضع حافر دابته وما ألقي في روعه من أن ذلك سبب حياة العجل وموجب العبادة كل ذلك أشياء ناقضة للعادة وقعت على وفق الإرادة ثم كان سبب هلاكه في التدبير لئلا يأمن أحد خفي مكر التقدير ولا يركن إلى ما هو في الصورة رفق، فلعله في الحقيقة مكر وخرق ولقد أنشدوا:

فأمنته فأتاح لي من مأمني مكراً كذا من يأمن الأحبابا[1]

﴿قَالَ﴾ [الآية 97] موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ [الآية 97] أي من باب الرب ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [الآية 97] عقوبة على فعلك ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [الآية 97] خوفاً

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42، 300) و(5/ 37).

من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى وكذا من مسك فتحامي الناس ويتحاموك فيكون كالوحش النافر طريداً وحيداً وعن أهل التوحيد بعيداً وهذا ما دمت في الدنيا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ [الآية 97] لن يخلفك الله بنجزه لك في العقبى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام أي لن يخلف الواعد ذلك الموعد.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يخلف على موسى عليه السلام تأثير التقدير وانفراد الحق بالإبداع والتقدير، ولذا خاطب الحق بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:الآية 155] في مقام التقدير ثم لم يدع مع ذلك إخلال العقوبة بالسامري على ما استحقه من التقدير ليعلم أن الحكم في الإيجاد والإبداع وإن كان للعليم الخبير فالمطالبة والمعاتبة تتوجب على الخلق في مقتضى التكليف عليهم وإجراء الحق ما يجزيه ليس بحجة للعباد ولا بعذر مسموع / لديه ﴿وَانظُرْ 216/أ
إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [الآية 97] دمت على عبادته مقيماً وصرت لأجلها عند الحق والخلق مليماً ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ [الآية 97] بالنار حتى يصير رماداً ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [الآية 97] لنذرينه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [الآية 97] فلا يصادف شيء أصلاً، والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار كمال عبادته وجهالة جماعته.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما تعلق به القلب من دون الرب يبين الحق سبحانه محقه ولهذا يلقي الأصنام غداً في النار مع الكفار وليس لها جرم ولا ألم ولا خبر ولا أثر.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ [الآية 98] المستحق لعبادتكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 98] إذ لا أحد يماثله في ذاته أو يدانيه في صفاته ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الآية 98] أي لا نهاية لمعلوماته بخلاف العجل فإنه مثل في الغباوة حال حركاته وسكناته.

وقال الأستاذ: أي لا مثل الذي هو جماد لا يعلم ولا يقدر ولا يسمع ولا يبصر ويمكن أن يستحق ويحرق يعني وثم يغرق ويمحق.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [الآية 99] من أخبار الأمور الماضية وأحوال الأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً

للمستبصرين من أمتك.

وقال الأستاذ: نعرِّفك أحوال الأولين والآخرين لئلا يلتبس عليك شيء من طرف العالمين فتنادي بآدابهم ويجتمع فيك متفرقات مناقبهم ولكن تعلم أنا لم نبلغ أحداً مبلغك ولم يكن لأحد منا ما لك ونحفظ سرك ونخفي أمرك ونطلعك على أحوال الكافة ولا يطلع أحداً على أسرارك الخاصة ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [الآية 99] أي ذكراً جميلاً وصيتاً جزيلاً.

ويؤيده ما أفاد الأستاذ: بقوله: أثبتنا لك من عندنا شرفاً وفخراً لم يشركك فيه أحد وذكرناك بالسلف لك من العهد معنا وجددنا لك قديم تخصيصنا إياك وكريم إقبالنا عليك أو كتاباً مشتملاً على هذه الأخبار حقيقاً بالتفكُّر والاعتبار، ويقويه قوله: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ [الآية 100] أي عن الدين، هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة أو من أعرض عن الله واشتغل بما سواه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ [الآية 100] حملاً وخيماً وإثماً عظيماً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ [الآية 101] في حمل وزره وتحمُّل أمره ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
216/ ب حِمْلًا﴾ [الآية 101] / أي بأس حملاً وزرهم وساء حالاً أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المعرضين عنه شركاء وجهلاء يحملون غداً وزراً وثقلاً أولئك بعدوا عن محل الخصوصية فعقوبتهم لا تزيد على آلام نفوسهم وإحراق أشباحهم يعني لغفلة نسبة أرواحهم وأما أهل الخصوص فلو غفلوا عنه ساعة أو نسوه لحظة أدار في الحال على رؤوسهم البلاء وأنزل على نفوسهم العناء بحيث تتلاشى في جنبهم عقوبة كل أحد من غيرهم انتهى. وأشار بهذا المعنى إلى قولهم: الحجاب أشد العذاب وأن عتاب الأكابر فوق عذاب الأصاغر كما يستفاد من قوله سبحانه: ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:الآية 30].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 102] وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد النفخ إلى الأمر تعظيماً له في المآثر ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [الآية 102] زرق العيون أو

زرق البدن أو الوجه وهو سواده أو عمياً فإن حدقة الأعمى تزرق.

وأفاد الأستاذ: أن يوم القيامة لهم مؤجل وهو بعد النفخ في الصور على ما ورد الخبر المأثور، ولآخرين قيامة معجلة معهم محاسبة وعليهم مطالبة وثواب واصل وعذاب حاصل فكما يرد على ظواهر قوم في الآخرة يرد على سرائر آخرين عقوبة في الحياة الحاضرة.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 103] يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من هول حالاتهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 103] في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ [الآية 103] يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها وسرعة انتقالها وخيالات أحوالها.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 104] وفيما يختلفون ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ [الآية 104] أعدلهم علماً ومعرفة ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 104] ما مكثتم ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ [الآية 104] فيه استرجاح لقول مَن يكون منهم أشد أثقالاً كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:الآية 35].

وأفاد الأستاذ: أن من تفرّغ لعد الأوقات والتمييز بين اختلاف الحالات فهو غير مستوف في بلائه ولا مستقص في عنائه، ومن كان مراداً بمعنى من حديثهم في مقام / الكمال لا يتفرغ إلى نعت الحال فإن الأحوال تخبر عنه وهو 217/أ
لا يسأل عن الخبر.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [الآية 105] أي حال أمرها في الاستقبال ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [الآية 105] أي يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها في عالم الأشباح ﴿فَيَذَرُهَا﴾ [الآية 106] فيتركها قعارها ﴿قَاعًا﴾ [الآية 106] خالياً ﴿صَفْصَفًا﴾ [الآية 106] مستوياً ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ [الآية 107] انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ [الآية 107] ارتفاعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه كما أن في القيامة الموعودة تغير الجبال عن أحوالها ففي القيامة الموجودة قد تحرك الأبدال الذين هم كالرواسي ثباتاً فيدخل عليهم من الأحوال ما يمحقهم عن شواهدهم ويأخذهم عن قواهم وقواعدهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [الآية 108] داعي الله إلى المحشر ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [الآية 108] لا يعدل عنه مدعواً إذ لا مفر ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 108] خُفِضت لمهابته وخضعت لجلالته طلباً لرحمته وعنايته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [الآية 108] صوتاً خفياً ومشياً خفياً من هيبة عظمته.

وأفاد الأستاذ: أن في ذلك المقام تنقطع الأوهام وتقف الأفهام وتنحبس العلوم وتندرس الفهوم وتتغير المعارف وتتحير العوارف ويتلاشى ما هو نعت الخلق ويستولي سلطان الحق فعند ذلك لا عين ولا أثر ولا رسم ولا غير، وفي الحضور خرس وبلاء وعلى البساط فناء وللرسوم امتحاء وإنما الصيحة على الباب أي وإنما على الباب قرأ لأولي الألباب.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 109] أي إلا شفاعته وإلا من أذن له الرحمٰن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [الآية 109] رضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في حقه.

قال الواسطي: وعلامة رضا قوله في مقام أنسه أن لا ينسب شيئاً إلى نفسه.

وأفاد الأستاذ: أن دليل الخطاب في مفهوم هذا الباب أن من أذن له الرحمٰن في الشفاعة تنفع شفاعته فشفاعة الأكابر مسموعة مقبولة في الأصاغر في المؤجل وكذا في المعجل، فإن الحق سبحانه يُشفع الشيوخ في مؤيديهم
217/ب اليوم وهم على قسمين، فالذين/ هم أصحاب السلوك فبزيادة التوفيق وإفادة التحقيق، والذين هم أصحاب التخبط والفترة فبالتجاوز عنهم بالمغفرة وعلى هذا يحمل قولهم:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتُذْنِبُون فنأتيكم فنعتذرُ[1]

وحكايات من الشيخ مع مريديهم في أوقات فترتهم معروفة وهي مشاكلة

---

(1) نسب إلى المؤمل بن أميل. انظر نهاية الأرب (1/ 276)، وربيع الأبرار (1/ 2406).

لهذه الحالة، ثم إن شفاعتهم لا تكون إلا بتعريف من قبل الله في باطنهم ويكون ذلك أدباً لهم في ظاهرهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 110] ما تقدمهم من الأفعال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 110] ما بعدهم مما يستقبلونه من الأحوال والأهوال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [الآية 110] ولا يحيط علم الخلق بمعلوماته ولا بحقيقة ذاته ودقائق صفاته.

قال الواسطي: كيف يحيط به أحد وهو لا يحيط بنفسه علماً ولا بالسماء وهو يرى جوهرها جرماً.

وقال فارس: ما علمه غيره ولا ذكره غيره فهو العالم على الحقيقة والذاكر في الحقيقة.

وقال ابن عطاء: المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق معرفة الوحدانية على ما برز للخلق من الأسامي والصفات الفردانية، ومعرفة الحقيقة أن لا سبيل إليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [الآية 110].

وقال الأستاذ: لا يخفى على الحق شيٌ من ماضي أحوالهم ومن انتهاء آمالهم ثم الكناية في قوله به يحتمل أن يعود إلى ما بين أيديهم وما خلفهم ويحتمل أن يعود إلى الحق سبحانه وعزّ شأنه وهو طريقة السلف يقولون: نعلم الله ولا نحيط به العلم كما قالوا: إنه يُرى ولا يُدرك.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [الآية 111] ذُلّت وجوه المجرمين وخضعت وجوه المطيعين ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [الآية 111] أي وقد خسر من كان من الظالمين.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 112] بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ [الآية 112] بزيادة في السياق ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ [الآية 112] بنقص في الحسنات. وقرأ ابن كثير: فلا يخف بالتمني وهو بمعنى النفي.

وأفاد الأستاذ: أن العمل الصالح ما يصلح لقبوله ويصح كونه وسيلة

لوصوله وهو المتجرد عن الآفات الموافق بحقيقة الأمر في الطاعات. ويقال: العمل الصالح ما لم يستعجل فاعله / عليه أجراً. وقوله: وهو مؤمن أي في المآل 218/ أ
كما هو مؤمن في الحال، أو هو مؤمن مصدق لربه أنه لا يعطي المؤمن شيئاً لأجل إيمانه ولكن بفضله وإحسانه وإنما إيمانه أمارة ذلك لا موجب لما هنالك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 113] أي الكتاب الجامع لفصل الخطاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 113] مقروءاً جلياً ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [الآية 113] وقررنا فيه النوع الأكيد من جنس الوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 113] العصيان الأكيد أو العذاب الشديد ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [الآية 113] موعظة توجب لهم طاعة وشكراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سهَّل عليهم حديث القرآن من حيث إنه أقرّ لهم بخطابهم ولسانهم في البيان وصعب عليهم حيث عجزهم عن الإتيان بمثله في معرض البرهان. وقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [الآية 113] أتبعنا دليلاً بعد دليل وبعثنا رسولاً بعد رسول وحذرناهم بوجوه من التعريفات وإظهار كثير من الآيات.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ [الآية 114] في ذاته وصفاته وإحسانه عن مماثلة مخلوقاته فلا يماثل كلامه كلامهم في مقام تعيناته ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ [الآية 114] النافذ أمره ونهيه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 114] الحقيق بأن يخشى وعيده ويرجى وعده ويراعى عهده.

وأفاد الأستاذ: أن علوه كبرياؤه وسناؤه وعظمته وعلاؤه مجده ورفعته والكل بمعنى واحد في المآل وهو استحقاقه لأوصاف الجلال ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [الآية 114] نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساومته في القراءة حتى يتم وحي التنزيل. وقيل: نهي عن تبليغ ما أجمل شأنه قبل أن يأتي بيانه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان يتعجل بالتلقف من جبريل مخافة النسيان بالبرهان وعرف أن الذي يحفظ عليه ذلك هو الذي أنزل عليه القرآن، فالآية تشير إلى طرف من الاحتياط في القضايا بالظواهر وفي العموم قبل عرضها على الأصول، ثم إن لم يوجد ما يوجب التخصيص جرى على

مقتضى العموم بحق اللفظ بخلاف أهل الوقف على المأمور به من قضية الاحتياط.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] أي سل الله زيادة العلم بالأحوال بدل المعالجة بالاستعجال، فإن ما أوحي إليك يتبين لا محالة / لديك. قال بعضهم: 218/ ب
اجعلني عالماً بك جاهلاً بغيرك، كذا في تفسير السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا كان أعلم البشر وسيد العرب والعجم ومن شهد الحق بخصائص العلم بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساء:الآية 113] فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] علم أن ما يخص به الحق أصفياءه وأولياءه من لطائف العلوم لا يتصور إحصاؤه ولا انتهاؤه. ويقال: لما قال ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له»[1] قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية 114] ليعلم أن أشرف خصال العبد الوقوف في مقام الافتقار والالتجاء والاتصاف بنعت الدعاء دون التوقف في معرض الدعوى. ويقال: أحاله سبحانه على نفسه في استزادة العلم وأحال موسى عليه السلام على الخضر حتى قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:الآية 66] فشتان بين عبد أُحيل على شخص في استزادة العلم، ثم قال له: ﴿أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:الآية 72] ثم بعد كل ذلك التلطُّف قال له في آخر الأمر من غير التوقف: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:الآية 78]، وبين عبد أمره عند استزادة العلم بأن يطلبه من ربه، فقال: وقل يا محمد رب زدني علماً.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ [الآية 115] أي أوصينا بما أوحينا إليه بأن لا تقرب الشجرة المعهودة حتى لا يترتب عليه القضية الموعودة ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 115] أي قبل عهد الحق إلى سائر الخلق ﴿فَنَسِيَ﴾ [الآية 115] عهدنا جزماً وترك أمرنا حتماً ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [الآية 115] ثباتاً على أمره وتصميماً على رأيه. وفيه تنبيه نبيه على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان ولذا قال بعض

---

(1) أخرجه ابن خزيمة في الصحيح (3/ 252) رقم (2014)، والشافعي في المسند (1/ 104) رقم (474).

أهل البيان: أول الناس أولى الناس. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه موقوفاً ولو كان حكمه مرفوعاً: لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه[1] وقد قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية 115] في حقه.

وقال جعفر: عهدنا إلى آدم أن لا ينسانا في حال ما فتناه واشتغل بالجنة فابتلي بارتكاب المنهي منا وذلك لأنه ألهاه النعيم عن المُنعم فوقع من النعمة في البلية فأُخرج من الجنة ليعلم أنَّ النعيم هو مجاورة المُنعم.

219/أ وقال الواسطي: فنسي أي جهل / قدر عهده وفرق بين من نسي بالحضرة وبين من نسي في الغيبة ولذا قال ﷺ: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان»[2]. قلت: في الآية والحديث دليلان على أن النسيان لم يكن مرفوعاً عن جنس الإنسان وإنما اختص رفعه عن هذه الأمة كرامة لنبي الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه عاتبه بقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ [الآية 115] ثم أظهر مثل ما عذره فقال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [الآية 115] في القصد على خلاف الرحمٰن بل كان ذلك بمقتضى النسيان. ويقال: لم نجد له عزيمة في الإصرار على المخالفة. ويقال: شرح قصة آدم وغصة بليته على جهة التسكين لقلوب ذريته حتى لا يقنطوا من فضل الله ورحمته ولا ييأسوا حال ارتكاب غفلتهم من مغفرته، ثم بيَّن كمال آدم وحاله في مقام قربته وعلو رتبته بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [الآية 116] أي أظهر الإباء عن المطاوعة والاستكبار عن الطاعة ولم يرجع عن حال المعصية إلى مقام التوبة فبعُد عن الرحمة واستحق اللعنة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتقدم من آدم عليه السلام طاعة ولا عبادة فخلقه الحق بيده وأمره برفع سريره بعدما أجلسه عليه وحمل إلى الجنة وأمر ملائكة كل سماء أن يسجدوا له تكريماً وينقادوا له تعظيماً ابتلاء لهم واختباراً، فسجدوا

(1) تفسير النيسابوري (5/ 333)، وتفسير أبي السعود (6/ 45)، وتفسير البيضاوي (1/ 72).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 216) رقم (2801)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 172) رقم (19051).

بأجمعهم اختياراً وامتنع إبليس من بينهم استكباراً فلقي من الهوان والتعزير ما سبق له في حكم التقدير. والعجب ممن يخفى عليه أن مثل هذا يجري من دون إرادة الحق ومشيئته وهو عالم بأنه كذلك يجري في خليقته واعتبروا الحكمة في أفعاله وأحكامه ويزعموا أنه علم ما سيكون من حال إبليس وذريته وكثرة مخالفة أولاد آدم ووساوس الشيطان لهم وخطواته ثم يقولون الحق سبحانه كان عالماً بما سيكون ثم خلق إبليس ومكّنه وجنده من هذه المعاصي مع إرادته أن لا يكون ذلك ويدعو حسن ذلك في الفعل اعتباراً بما هو الحكمة من هنالك فسبحان من أعمى بصائرهم وعمى حقيقة التوحيد على سرائرهم.

﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [الآية 117] حسداً لعلو مقامكما ورفع/ مرامكما ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 117] فلا يكون سبباً لإخراجكما 219/ب
عنها، فالمراد بهما من أن يكونا بحيث ينتسب الشيطان إلى إخراجهما منها ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ [الآية 117] أنت بالأصالة وزوجك بالتبعية، أو هو من باب الاكتفاء مع مراعاة فواصل الآي.

وأفاد الأستاذ: أن النصح ما ينفعهم حيث أراد بهم ما حذرهم وعلم أنهم سيلقون ما خوّفهم.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ [الآيتان 118،119] لا تعطش فيها ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [الآية 119] من جهة البروز من البناء، والمعنى لا تحترق ولا تبرد من جهة الهواء. وفي الآية تذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية الموجبة للقناعة حيث كان مستغنياً عن اكتساب أمور المعيشة القديمة وهي الشبع والري والكسوة والمسكن التي هي من ضروريات الطبيعة البشرية. وقرأ نافع وأبو بكر: وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة.

وأفاد الأستاذ أنه لا تصديق أتم من تصديق آدم ولا واعظ أشد رحمة من رب العالم ولكن ما قاسى آدم قبل ذلك الشقاء فلما استقبله الأمر وذاق ما خوف به من الكد والكدر ندم وأطال البكاء، ولكن بعد انبرام التقدير في العناء. ويقال: أو من بكل وجه فلم يعرف قدر العافية والسلامة إلى أن جرى

ما هو المحكوم به من سابق القسمة. ويقال: عرّفه قدره فلم يعرف شكره حتى استولى عليه الجوع والعطش نحوهما من كل فتن الدنيا وكان آدم عليه السلام إذا تجدد له نوع من البلاء أخذ في البكاء، وجبريل عليه السلام يأتي يقول: ربك يقرئك السلام ويقول: لم تبكي في هذا المقام. فكان يذكر لجبريل ما عنده من المراد وهو يقول له هذا الذي قلت: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [الآية 119].

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 120] من أكل منها خلد في الجنة ودام فيها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [الآية 120] لا يزول ولا يحول ولا يفنى.

وقال الأستاذ: وكان الحق يعلم تلك الوسوسة هنالك ولم يذكره في الحال ذلك بأن هذا من نزغات من قلت لك أنه عدو لك. ويقال: سمي
220/ أ الشيطان شيطاناً لبُعده من طاعة الله فكل بعيد من طاعة الله ويبعد غيره / من طاعة مولاه فهو شيطان ولذا يقال شياطين الأنس شر من شياطين الجن. ويقال: لما طمع آدم في الخلود والبقاء وجد الشيطان سبيلاً إليه بالوسوسة والإلقاء. ويقال: إن الشيطان ظهر لآدم بعد ذلك فقال له آدم: يا شقي تلعب بي وصنعت معي، فقال: إن كنت شيطانك فمن كان شيطاني[1]. قلت: وهذا نظير قوله ﷺ: «فمن أعدى الأول»[2] فتأمل. والناس تكلموا في الشجرة المنهية والصحيح أن يقال كانت شجرة المحنة، ويقال: لو لم يخلق في الجنة تلك الشجرة لما كان بعصيان رتبة الجنة. ويقال: لولا أنه أراد بآدم البلية وإلا لطالت تلك الشجرة حتى لا تصل يده البتة، كما في القصة أنه كانت لا تصل يده بعد الزلة إلى أوراق أشجار الجنة حين كان يريد الأخذ منها ليستر بها العورة.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 121] فظهرت لهما عوراتهما بعدما ظهر سيئاتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ [الآية 121] أي أخذا وشرعا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ [الآية 121]

(1) أورده القشيري في تفسيره (5/ 55).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (5717)، ومسلم في الصحيح (2220/ 101).

يمزقان ويلصقان ﴿عَلَيۡهِمَا﴾ [الآية 121] على سوآتهما لسترهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الآية 121] وهو ورق التين أو غيره.

وأفاد الأستاذ: أنه لما ارتكبا المنهي عنه ظهر ما يستحيي من ظهوره ولكنه سبحانه لطف بهما في هذه الحالة حيث قال: ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 121] ولم يقل فبدت سوآتهما مطلقاً فلم يطلع على سوآتهما غيرهما. ويقال: لما تجرّدا عن لباس التقوى من جهة الباطن تباشر عليهما لباسهما الظاهر. ويقال: أول الحِرَف والصناعات خياطة الرقاع بعضها على بعض من جهة ستر العورات فهو ميراث من أبينا آدم عليه السلام لأولاده الفقراء من بين الأنام. ويقال: كان آدم أصبح وعليه من حلل الجنة وفنون لباس النعمة ثم لم يمس حتى كان يخصف على نفسه بالمحنة هكذا كان في الابتداء أو ذلك موروث في أولاده من أهل الابتلاء ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 121] بأكل الشجرة ﴿فَغَوَىٰ﴾ [الآية 121] فضلّ عن الطريقة وخاب حيث طلب الخلد في الجنة. وفي النداء عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للجناية وزجر بليغ / لأولاده عن المخالفة. 220/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه لما وقع عليه سمة العصيان وهو أول أفراد الإنسان كان في ذكر هذا تنفس لأولاده أن يجري عليهم الزلة وهم في السجن بوصف الغيبة في حين الفترة. ويقال: كانت تلك الأكلة شيئاً واحداً من الزلة ولكن بسببها ينادي عليه الصبيان إلى يوم القيامة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 121] ليعلم أن عظمة الذنوب لمخالفة الآمر عظم قدرها لا لكثرة المخالفة في نفسها.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 122] اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق له بالأوبة ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 122] فقبل منه التوبة ﴿وَهَدَىٰ﴾ [الآية 122] إلى الثبات على الأوبة والتعلق بعروة العصمة.

قال أبو عطاء: اسم العصيان مذمة على الإنسان إلا أن الاجتباء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة على الزلة ببركة التوبة.

وقال جعفر: طالع آدم الجنان ونعيمها بعينه فنودي عليه إلى يوم القيامة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ [الآية 121]، ولو طالعها بقلبه لقوي عليه بالهجران أبد الأبد، ثم

عطف عليه ورحمه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [الآية 122].

قال الواسطي: لم يتأثر العصيان في اجتبائه وقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 121] أي أظهر خلافه ولو أدركه الاجتبائية أزالت عنه مذمة العصيان حتماً، ألا ترى كيف أظهر عذره بقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا﴾ [الآية 115] وكيف يعزم على المخالفة مَن هو في ستر العصمة وخصوصية الاجتبائية والاصطفائية كذا في «تفسير السلمي».

ومن كلام السيد الشاذلي: اللهم اجعل سيئاتي سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتي حسنات من أبغضت.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه عصى آدم ربه وكل قال لعله لا ينتعش بعده فقال: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الآية 122] أي الذي اصطفاه أولاً من غير العلة اجتباه ثانياً بعد الزلة، فتاب عليه بغفران ذنبه وهدي إلى ربه حتى اعتذر واستغفر ووصل إلى مقام قربه وحال حبه.

﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾ [الآية 123] الخطاب لآدم وحواء أو له ولإبليس،
221/ أ ولما كانا أصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم في القضية/ فقال: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [الآية 123] للأمور الدنيوية والأخروية من التجاذب والتحارب بمقتضى الطباع البشرية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوقع العداوة بين آدم وإبليس والحية ولقد توالت أنواع المحنة على آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة وهي سمة المعصية ومفارقة الجنة ودخول الدنيا وعداوة الشيطان والابتلاء بالشهوات ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ [الآية 123] كتاب ورسول ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ [الآية 123] في الدنيا ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [الآية 123] لا يتعب في العقبى.

قال سهل: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [الآية 123] أي الهداية بملازمة الكتاب والسنَّة فلا يضل عن طريق الهدى ولا يشقى في الآخرة والأولى.

وقال الأستاذ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [الآية 123] وترك هواه ولم يعمل

بوسوسة عدو الله فله كل خير ولا يلحقه ضير.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [الآية 124] عن الهدي الذاكر لذاتي وصفاتي والداعي إلى عباداتي وطاعاتي ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [الآية 124] ضيقة وذلك لأن مجامع همه وفكره ومطامح نظره في أمره يكون إلى أعراض الدنيا وأغراضها متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها وانتقاضها بخلاف المؤمن الطالب للأخرى والقائم بوظيفة خدمة المولى وقد فسر ﷺ المعيشة الضنك بعذاب القبر(1) على ما صححه الحاكم ورواه غيره، فذهب إليه جمهور السلف خلافاً لبعض الخلف.

وأفاد الأستاذ: أن الكافر إذا أعرض عن ذكر ربه في هذه الدار فله المعيشة الضنك في الدنيا وفي القبر وفي النار وبالقلب من حيث وحشة الفكر وبالوقت من حيث انغلاق الأمر. ويقال: مَن أعرض عن الانحراز في قضايا الوفاق تتالت عليه فنون الخذلان وصنوف الشقاق ومن أعرض عن استدامة ذكر الرب توالت عليه من تفرقة القلب ما يسلب عنه كل روح وراحة من روائح الحب ومن أعرض عن الاستئناس بذكره انفتح عليه وساوس الشيطان في فكره وهواجس النفس في أمره بما يوجب له وحشة الضمير وانسداد أبواب الراحة والبسط والرضا بالتقدير. ويقال: مَن أعرض عن ذكر الله في الخلوة قيض الله له في الظاهر من القرين / السوء في الجلوة ما يوجب رؤيته 221/ ب
له قبض القلوب واستيلاء الوحشة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الآية 124] أعمى البصر أو البصيرة ولا منع من الجمع ويؤيد الأول ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [الآية 125] في الدنيا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 126] أي مثل ذلك فعلت معك في العقبى جزاء لما صدر عنك في الأولى بتقصير خدمتك للمولى ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 126] واضحة نيرة في ذاتها ودلالتها ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ [الآية 126] فعميت عنها وتركتها غير

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 537) رقم (1405)، وابن حبان في الصحيح (7/ 388) رقم (3119)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 144) رقم (34837).

منظور إليها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 126] أي مثل تركك إياها في الدنيا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 126] في العقبى ﴿تُنسَىٰ﴾ [الآية 126] تترك في العذاب والعمى جزاءً وفاقاً.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر مَن كان بحالة لقي الله بها فمن كان في الدنيا أعمى القلب يُحشر على حالته يعيش على جهل ويُحشر على جهل. قلت: وقد قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:الآية 29]، وورد كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون، ولذلك يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:الآية 52] إلى أن تصير معارفهم ضرورية وكما يتركون اليوم التدبير في آياتهم يتركون غداً في العقوبة من غير رحمة على وصف حالاتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ [الآية 127] بالإعراض عن الآيات والانهماك في الشهوات ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 127] مع أنها من الواضحات ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 127] المشتملة على حشرهم بالعمى ودخولهم في نار العقبى ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الآية 127] من ضنك العيش ومجرد العمى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرت سنَّته ومضت مشيئته بأن يجازي كلاً بما يليق بحالته في أسفله لنفسه وقدمه سيلقى جزاءه عنه على الخير خيراً وعلى الشر شراً.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ [الآية 128] أي أفلم يبيِّن لهم وهو مسند إلى الله كما يدل عليه القراءة الشاذة بالنون أو إلى ما دل عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [الآية 128] أي ألم يَهْدِ لهم كثرة إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ [الآية 128] ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [الآية 128] لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي في الأحوال الماضية والآتية.

وقال الأستاذ: أفلا ينظرون فيتفكرون فيستبصرون ثم إذا استبصروا أفلا يعتبرون وإذا اعتبروا أفلا يرتدعون أم على وجوههم في ميادين غفلاتهم يركضون وعن سوء معاملاتهم لا يرجعون ألا ساء ما يعملون.

222/ أ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ/ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 129] وهي الحكم بإيمان بعض الأمة في الأزمنة الآتية، أو هي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾

[الآية 129] عذاب الاستئصال كما نزل بالأمم المكذبة ﴿لِزَامًا﴾ [الآية 129] لازماً لهؤلاء الكفرة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 129] أي ولولا مقدار معين لأعمارهم في الدنيا أو لعذابهم في العقبى لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى لولا أن الكلمة سبقت بتأخير العقوبة عن هذه الأمة أن جماعة من أوليائه في أصلاب أعدائه لعجّل عقوبتهم في الدنيا ولكن لما ذكر من الحالة ما يمهلهم المدة المعلومة ثم لا يمهلهم أصلاً في القضية، وإذا كانت الكلمة بالسعادة لقوم مضت وبالشقاوة لآخرين سبقت والعلم في اللوح المحفوظ بجميع ما هو كائن فالسعي والجهد والانكماش في الحدّ متى تقع المنفعة وله أيضاً ما ظهر من القسمة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 130] في كتابنا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 130] وصلِّ وأنت حامد له على هدايته وتوفيق عبادته أو نزِّه ذاته وصفاته مع الاقتران بإثبات كمالاته ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ [الآية 130] يعني الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [الآية 130] يعني الظهر والعصر أو العصر وحده ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ [الآية 130] ومن ساعاته فسبِّح، يعني المغرب والعشاء، وقيل: الفاصلة أو تقديره إما من آناء الليل فسبِّح وإنما قدم الزمان وكرر الأمر اهتماماً لاختصاصه بمزيد الفضل والعذر فإن القلب فيه أجمع والنفس لميلها إلى الاستراحة أمنع فتكون العبادة فيه أحمز وفي البُعد عن الرياء والسمعة أميز، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المُزمّل:الآية 6] أي كلفة ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المُزمّل:الآية 6] أي قرارة ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [الآية 130] أي طرفيه فهو تكرير لصلاتي الصبح والمغرب اهتماماً بشأنهما أو المراد بهما صلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول وبداية النصف الأخير أو صلاة التطوع وسائر النوافل في أجزاء النهار ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [الآية 130] أي سبِّح في هذه الأوقات طمعاً في أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك من الحالات والكمالات. وقرأ أبو بكر والكسائي بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك.

وأفاد الأستاذ: أن سماع الأذى يوجب المشقة/ ويوقع السالك في 222/ ب
الوحشة، والمعنى إن كان سماع ما يقولون يوحشك فتسبيحنا الذي ننشىء به

علينا يروحك قبل طلوع الشمس أي في صدر النهار لينعم صباحك وليبارك لك في طول عمرك ونهارك. وقيل: غروبها عند انقضاء النهار ليتم رواحك ويطيب ليلك ومن آناء الليل أي في الساعات الخالية فإن كمال الصفوة ذكر الله في حال الخلوة وأطراف النهار أي استدم على ذكر ربك في جميع أحوالك من إدبارك وإقبالك.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الآية 131] أي لا تطمح نظرهما ولا تطرح بصرهما ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ [الآية 131] استحساناً له أو تمنياً أن يكون لك مثله ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 131] أصنافاً من الكفرة والفجرة لأن من علم أن مولاه ذخيرته لم يلتفت إلى ما سواه بصيرته ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 131] أي صورة بهجتها وزينتها عند أرباب غفلتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية 131] لنبلوهم به أو لنعذبهم بسببه.

وأفاد الأستاذ: أن الرؤية فيما لا يحتاج إليه لا يخلوا عن علة كفضل الكلام ولغو الحركة والذي له عند الله قدر ومنزلة فللحق على جميع أحواله غيره لا يرضى منه أن يبذل شيئاً من حركاته وسكناته وسائر حالاته فيما ليس يدخل تحت أمر الله ومرضاته. وفي معناه أنشدوا:

أتتني تؤنبني في البكاء فأهلاً بها وبتأنيبها
تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين تراني بها
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها[1]

والفتنة فيما يشغل قربه عن الرب ويستولي حبه على القلب ويحسر وجوده على العصيان ويجمل الاستمتاع به على البطر والطغيان.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ [الآية 131] أي ما أعدّ لك من النعيم المقيم في العقبى أو ما رزقك من الهداية والكفاية والقناعة ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 131] أحسن مما منحهم في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 131] فإنه لا ينقطع أبداً من النعيم المقيم.

(1) نسب إلى ابن المعتز. انظر المحب والمحبوب (1/ 12)، والإيضاح في علوم البلاغة (1/ 344).

قال أبو بكر ابن طاهر: هو القناعة بما يملكه والذهول عما لا يملكه.
وقال بعضهم: من رزق/ الثقة بالله والرضا عن مولاه فيما منعه وأعطاه فقد 223/ أ
أعطي أفضل الرزق في دنياه وأخراه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن القليل من الحلال وفيه رضى الرحمٰن ولطفه خير من كثير الحرام والحطام ومعه سخطه. ويقال: قليل يشهدك ربك خيره من كثير ينسيك ربك. وفي الحديث: «قليل يكفيك خير من كثير يطغيك»[1].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [الآية 132] أي تابعيك من أهل بيتك أو متابعيك من أمتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 132] أي وسائر الطاعات الموجبة للصلاة وخصت لأنها أم العبادات الناهية عن السيئات ليتعاونوا على الاستعانة بها على الفاقة ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يميلوا إلى الدنيا كميل أهل الردة ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 132] أي بالغ في طلب الصبر بثبات القدم والمداومة للوصول إليها.

قال جنيد: وأمر أهلك بالاتصال بنار الاصطبار على تلك المواصلة معنا أي بالانقطاع عن غيرنا والاكتفاء بما عندنا.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة استفتاح باب الرزق وعليها أحال في تسيير الفتوح عند وقوع الحاجة إلى الرزق. ويقال: الصلاة رزق القلب وإذا استأخر قوت النفس قوي قوت القلب بذكر الرب وللاصطبار مزية على الصبر وهو أن لا يجد صاحبه به ألماً بل يكون محمولاً مروحاً، انتهى. ولا يخفى أن الظاهر من الاصطبار هو زيادة المبالغة بالجد والجهد في تحصيل الصبر وإن كان فيه تحمُّل مرارته وتكلُّف مشقته ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ [الآية 132] أي لا ترزق نفسك ولا أهلك بكسبك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [الآية 132] وأتباعك تبعاً لك ففرِّغ بالك وحسِّن حالك وانظر مآلك ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ [الآية 132] المحمولة عند أهل التمني ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية 132] لذوي التقى أو للمتقي مبالغة كما لا يخفى. وقد ورد أنه

(1) لم يرد بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه». انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 218) رقم (7873)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 79) رقم (4357).

ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1]. وروي أنه إذا أصاب أهله حيرة أمرهم بالصلاة[2] وتلا هذه الآية.

وأفاد الأستاذ: إنهما شيئان: وجود الأرزاق وشهود الرازق، فوجود الأرزاق يوجب قوة النفوس وشهود الرازق يوجب قوة القلوب. ويقال:
223/ب استقلال / العامة بوجود الأرزاق واستقلال الخاصة بشهود الرازق. ويقال: خفف على الخلق مقامات أمر الرزق وتأخر ذلك عن وقت الرفق بقوله: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الآية 132] أي العاقبة الحسنى لأهل التقوى.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ [الآية 133] أي بآية مقترحة تدل على صدقه في دعوى الرسالة ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم﴾ [الآية 133] وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بالتأنيث أي أما جاءتهم ﴿بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الآية 133] من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمال القرآن على زبدة ما فيها من العقائد الدينية والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أُمي لم يرها ولم يتعلم من علمها إعجاز بَين لمن اكتحلت عين بصيرته فرأت ظهور حجته ووضوح بينته ولائحة إبانته ولامعة معجزته.

وأفاد الأستاذ: أنه عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فادعوا أنه لا برهان مقدر ولا بينة ولم تكن القصور في الأدلة ولو جمع الله لهم كل آية مقترحة ثمَّ لم يرد الله أن يؤمنوا بها لم يزدادوا إلا طغياناً وضلالة ثم أخبر أن سنَّة آبائهم في تكذيب أنبيائهم مثل سنَّة أبنائهم في تكذيب نبيهم فقال: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الآية 133].

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [الآية 134] قبل محمد أو القرآن ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية 134] أي أحكامك ﴿مِن

(1) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (4/ 251) رقم (1052).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 272) رقم (886)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 153) رقم (3180).

﴿قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ [الآية 134] بالقتل والسبي في الدنيا ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ [الآية 134] بدخول النار في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول إنهم إن أرسلنا إليهم الرسل قابلوهم بفنون من الجحد ووجوه من العلل فمرة يقولون ما بال هذا الرسول وهو كونه بشراً وهلا أرسل إن كان يرسل ملكاً ولو أرسلنا ملكاً لقالوا هلا أرسل إلينا مثلنا بشراً ولو أظهرنا عليهم آية لقالوا هذا سحر مفترى ولو أخليناهم عن رسول نذير وعاملناهم بما استوجبوه من نكير لقالوا هلا أرسل إلينا رسولاً حتى كنا نؤمن ونتبع، فليس ينقطع إعلالهم ولا ينفك عن أمر لا يرضون بدأ أحوالهم. وكذلك سبيل من لا يجنح إلى الوصال ولا يرغب في الوداد، وفي معناه:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

224/ أ / ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ [الآية 135] منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية 135] منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [الآية 135] أي وقرأ فتمتعوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ [الآية 135] المستقيم القوي ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 135] من الضلالة والردى.

وأفاد الأستاذ: إن الكل واقفون على التجويز غير حاصلين بتوفيقه من التمييز ينتظرون ما سيبدو في المستأنف من التقدير إلا أن أرباب التفرقة ينتظرون نوّاب الأيام وصنّاع الأحكام بارتكاب الآثام، وكيف يقتضيه حكم الأفلاك على الأنام وما الذي توجبه الطبائع والنجوم في الليالي والأيام من أرباب الجمعية المسلمين ينتظرون ما يبدو من المقادير فهم في روح التوحيد والباقون في ظلمات الشرك وأوهام التدابير.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 26) و(2/ 426) و(3/ 102) و(4/ 204) و(6/ 54).

سورة الأنبياء عليهم السلام

[مكيَّة]
وهي مائة واثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الذي تشبثت به الأنبياء ابتداءً، وتعلّقت به الأولياء انتهاءً.

وأفاد الأستاذ: أنه اسم عزيز مَن توصل إليه بطاعته تفضّل عليه بجميل نعمته إن أطاع فضّله وإن أضاع أمهله، ثم إن آب وأقرّ شكره وإن عصى وغاب ستره، فإن تنصّل رحمه وإن تكبّر قصمه. اسم عزيز ما استنارت الظواهر إلا بآثار توفيقه ولا استضاءت السرائر إلا بأنوار تحقيقه، فبتوفيقه وصل العابدون إلى مجاهدتهم، وبتحقيقه وجد العارفون كمال مشاهدتهم، وبتمام مجاهدتهم وجدوا آجل مثوبتهم، وبدوام مشاهدتهم نالوا عاجل قربتهم.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [الآية 1] عما فيه خطابهم وعتابهم وعقابهم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 1] عمَّا يترتب عليه عقابهم مما بيَّنه كتابهم. وقال بعضهم: دنا وقت الانتباه وهم في غفلة عن طريق التوبة معرضون عن اليقظة.

وقال يحيى بن معاذ: حان لك أن تحاسب نفسك وقد مضى أكثر عمرك وتنزجر عن الغفلة وقد نوديت ودعيت إلى الانتباه واليقظة فرحم الله عبداً حاسب نفسه قبل أن يُحاسب عمله ووزن عمله قبل أن ينزع أجله وانتبه من غفلته قبل أن يقع في حفرته.

224/ب وقال الأستاذ:/ اقترب للناس حسابهم وقرب إلينا إيابهم فالمطيعون

منهم عظم لدينا ثوابهم والعاصون منهم حق منا عقابهم. ويقال: الغفلة على قسمين: غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه أو متابعة هواه، وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه أو متابعة رضاه. فالغفلة الأولى همَّة أرباب الهجرة والتفرقة والغفلة الثانية صفة أصحاب الوصل والجمعية، فالأولون لا يستفيقون عن غفلتهم إلا في عسكر الموتى وهؤلاء لا يرجعون من غيبتهم أبداً لفنائهم في وجود الحق سبحانه وتعالى.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الآية 2] كتاباً وسنَّة نبيهم عن سنَّة الغفلة والجهالة ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الآية 2] تنزيله قديم تأويله ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية 2] يستهزؤون به ويسخرون منه لفناء غفلتهم وفرط غباوتهم وإعراضهم عن التدبُّر في عاقبتهم والتنكُّر في أمر آخرتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يجدد إليهم نذيراً إلا ازدادوا نفوراً ولم ينزل عليهم خطاباً إلا ردوه جحداً أو كذباً وما زدناهم فضلاً إلا عدوه هزلاً وما جددنا لهم نعمة إلا فعلوا ما استوجبوا نقمة، وكأن الذي به أكرمناهم محنة بها بلوناهم، هذا صفة من سامع الله خلقه وخسر عند الله حقه.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 3] أي استمعوه جامعين من الاستهزاء به والتلهي عنه والذهول عن التفكر فيما فيه الوصول، فالقلوب اللاهية هي الغافلة عن الأحكام الإلٰهية.

قال أبو بكر الوراق: اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرة أموالها الغافل عن قضية العقبى وأحوالها.

قال ابن عطاء: معرضة عن طريق رشدهم.

وقال الأستاذ: عمية بصائرهم وغائبة أفهامهم وسرائرهم فهم في غباوة لا يستبصرون وفي أكنة فما أقيم لهم البرهان فهم لا يعلمون ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ [الآية 3] بالغوا في إخفائها ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 3] في إبدائها والموصول بدل من واو أسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أصروا ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 3] فيذهب بسحرة غفلكم ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية 3] أتقبلونه وتقبلون

عليه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 3] تنظرون إليه وتتحيرون لديه. وهذه المقالة مبنية
225/ أ منهم على أن غير الملك ليس له / دعوى الرسالة وقد نشأ من غاية الضلالة ونهاية الجهالة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عجزوا عن معارضته وسقطوا عند تحديهم وظهر عليهم وضوح حجته وجمعوا فيه الفكر وسموا فيه الظن فمرة نسبوه إلى فعل السحر ومرة وصفوه بقول الشعر ومرة رموه بالجنون، وهكذا إلى كل فن من الفنون وقبل ذلك كانوا يقولون له: محمد الأمين المأمون. وأنشدوا:

أشاعوا لنا في الحي أشنع قصة وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حربا[1]

﴿قَالَ﴾ [الآية 4] وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال، أي الرسول ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 4] سراً وجهراً ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] سواء ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 4] لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 4] بأحوالكم فلا يخفى عليه ما تسرُّون وما تعلنون وما تُظهرون وما تُضمرون.

وأفاد الأستاذ: أن الأقاويل التي يسمعها الحق سبحانه من الخلق متفاوتة في المرتبة ومختلفة في المنزلة، فمن خطاب بعضهم مع الخلق ومن خطاب بعضهم مع الحق، والذين يخاطبون الحق فمن سائل يسأل الدنيا ومن طالب يطلب العقبى، ومن مثني يثني على المولى من غير انقضاء شيء من الدنيا والأخرى. ويقال: يسمع أنين المذنبين سراً من الخلف حذاراً أن ينفضحوا ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح إذا تهجدوا ويسمع شكوى المحبين إذا مسهم البرحاء من شدة الاشتياق فيضجوا. ويقال: يسمع خطاب مَن يناجيه بقلبه في أمره وكذا تسبيح من يمدحه ويبقي عليه بلسان سره وبيان شكره.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ [الآية 5] أي تخاليط الأحلام من عالم المنام ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 5] أي هذا الكلام على الملك العلَّام ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الآية 5] أي يخيّل إلى السامع معاني في مباني لا حقيقة لها وترغِّب الخلق إليها،

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224) و(3/ 64) و(5/ 71).

وكل ما قالوه باطل ليس تحته طائل. أما كونه أحلاماً فلأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع في وقائع عزيزة من أنباء الأولين وأخبار الآخرين، وأما كونه افتراء فلأنهم جربوه نيفاً وأربعين سنة وما سمعوا منه قط كذبة، وأما كونه شعراً فإن كلامه مشحون بالحقائق والحِكَم / الدقائق الخارجة من مناسبة قواعد الشعر 225/ ب
أو أوزان قوافي الخطب ولذا عجز عن معارضته جميع الفصحاء والبلغاء.

وأفاد الأستاذ: أنهم نوعوا ما نسبوا إليه وشاقوا وكل تراءى له الأمر من حيث كانوا ولم يشاهدوه ﷺ على الوصف الذي كان به من الصدق في الحال والثبات في القال ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 5] أي بمعجزة ظاهرة وعلامة باهرة ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 5] بها مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 6] من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الآية 6] باقتراح الآية لما جاءتهم ولم يؤمنوا في تلك الحالة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] لو جئتهم بالآية المقترحة وهم أعتى منهم. وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالاقتراح للإبقاء عليهم والترحم بهم إذ لو أتي به ولم يؤمنوا استؤصلوا كمن قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنَّته في أزل الآزال بأنه لا يعذِّب إلا مَن كان المعلوم من شأنه أنه لا يؤمن لا في الحال ولا في المآل وإن هؤلاء الذين كانوا في عصر الرسول ﷺ أمثلتهم في الكفران في حكم الحق لهم بالحرمان والخذلان.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الآية 7] من جنس البشر لا مَلَكاً ولا إنساً ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 7] وقرأ حفص بالنون ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 7] أهل العلم بالأنبياء والرسل والأمم كمؤمني أهل الكتاب وأصحاب السير وتواريخ الخطاب ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 7] هذه المقدمة لتزول عنكم الشبهة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما قالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفُرقان:الآية 21] أخبر أنه لم يرسل إلى الناس رسولاً إلا بشراً فيما سبق من الأزمان الماضية والقرون الخالية وذكر أن الخصوصية كان بإرسال الله إياهم في تلك القضية، ثم

قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل:الآية 43] والخطاب للكل، والمراد منه الأمة وأهل الذكر العلماء الأئمة من أكابر هذه الأمة، والذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ بالرسالة. ويقال: هم أهل الفهم من الله أصحاب الإلهام الذين هم في محل الإعلام من الملك العلّام وإنما يحسن الإفهام للخلق من يحسن الفهم عن الحق.
226/ أ ويقال: / العالِم يرجع إليه في العبادات والمعاملات إذا أشكلت الواقعة فيخبر عن اجتهاده في تلك الحالة وشرطه أن لا يكون مقلداً ويكون من أهل الاجتهاد محققاً فإذا لم يخالف النص وأدى اجتهاده إلى شيء بحسب معرفته فإنما يقبل قوله ولم يخالف أصلاً مقطوعاً بصحته وجب قبول فتواه، وإنما الحكيم إذا تكلم في المعاملة فإنما يقبل قوله إذا سبق منه المنازلة لما يغني به فإن لم يتقدم له من قبله المنازلة ففتواه في هذا الطريق عن وجده فإن كان وإلا لم يقبل فتواه ولا يسمع قوله.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ [الآية 8] أي الرسل الكرام ﴿جَسَدًا﴾ [الآية 8] أي أشباحاً تتضمن أرواحاً ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 8] كسائر الأنام.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عيّروا النبي ﷺ بقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:الآية 7] لتحصيل المعاش والارتفاق أخبر أن أكل الطعام ليس بقادح في المعنى الذي يختص به الأكابر الكرام إذ لا منافاة بين أكل الطعام وما تستكنه القلوب والسرائر من وجوه التعريف والإعلام. ويقال: النفوس لا خبر لها مما به القلب والقلب لا خبر له مما تحقق به الروح من قرب الرب وفوق الروح وألطف منه السر وبينهما البون الكثير والفرق العزيز. وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 8] أي إنهم كغيرهم على ممر ومعبر ولا سبيل اليوم لمخلوق إلى الخلد بعمر معمر.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ [الآية 9] أي الرسل في وعدهم بإنجاء أتباعهم وإهلاك أعدائهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 9] ممن هديناهم واجتبيناهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 9] في كفرهم وكفرانهم.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يحقق أمر وعده وإن تباطأ الوقت بتحقيقه فما أخبر أنه يكون فلا محالة أن يكون، والموعود من نصرة الله لأهل

الحق واليقين إنما هو بإعلاء كلمة الدين وإرغام من نابذ الحق من الجاحدين وتحقيق ذلك بالبيان والجحد وإيضاح وجه الدلالة وبيان خطأ أهل الشبهة.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الآية 10] حياتكم / وشرّفكم في 226/ ب
دينكم ودنياكم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزّخرُف:الآية 44]، أو فيه ما يذكركم من وعظكم بوعدكم ووعيدكم وسائر أحكامكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 10] فتؤمنون وتعملون.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ [الآية 11] أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 11] أي من أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الآية 11] في حالها ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ [الآية 11] بعد إهلاك أهلها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الآية 11] مكانهم.

قال أبو بكر الوراق: في الظلم خراب العمر وقد قال ﷺ: «الظلم ظُلُمات يوم القيامة»[1]، فإذا أظلم القلب عن المعرفة والإخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وميلها إلى ما فيه إهلاكها.

وأفاد الأستاذ: إن الله يمهل الظالم حيناً لكنه يأخذه أخذ قهر وانتقام وحكم الله بخراب مساكن الظالمين حتى في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلّط الله عليه الخراب»، فإذا أظلم العبد نفسه خربها الله بأن يعطلها من مساكن التوفيق للعرفان وجعلها مواطن الخذلان، وإذا أظلم قلبه بالغفلة سلّط عليه الخواطر الردية التي هي وساوس الشيطان ودواعي الفجور والطغيان، وعلى هذا القياس في القلة والكثرة. والروح إذا خربت زايلها الحقائق والمنحات واستولى عليها العلائق والمساكنات.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ [الآية 12] أدركوا شدة عذابنا وحِدَّة عقابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الآية 12] يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بها من فرط إسراعهم.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (2579/ 57).

وأفاد الأستاذ: أنهم لما ذاقوا وبال أفعالهم اضطربوا في أحوالهم فلم ينفعهم ندمهم ولم يعدوا إلى محلها قدمهم، وبعد ظهور الخيانة لا تقبل دعوى الأمانة.

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ [الآية 13] أي يقال بلسان القال أو ببيان الحال لا تسرعوا في الهرب من المحنة والذلة ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 13] أي أعطيتم من النعمة واللذة، والمعنى إلى دنياكم ومهواكم ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ [الآية 13] أي وإلى بيوتكم ومأواكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 13] عن أعمالكم أو تقصدون سؤال الفقراء من أموالكم، وفي هذا توبيخ وتقريع لهم.

وأفاد الأستاذ: أن للجناية سراية فإذا حصلت الجناية لم تقف السراية،
227/ أ فإذا غرقت السفينة فليس بيد الملّاح/ إلا إظهار الأسف، وهيهات أن يجدي هنالك.

﴿قَالُواْ﴾ [الآية 14] لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة في الباب ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 14] فما تنفعهم حيث صاروا في غير محلهم نادمين.

وأفاد الأستاذ: أن للإقرار زمان معين ينفعه فإذا فات حكمه كما في المثل: وضع القوس بعد إرسال السهم إمساك في غير محله.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ [الآية 15] المنازل ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 15] دعوتهم وموعدهم فكان كلاً منهم يدعو الويل ويقول يا ويل يقال: قد ظهر شأنك فهذا أوانك ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ [الآية 15] مثل الحصيد وهو النبت المحصود ﴿خَٰمِدِينَ﴾ [الآية 15] ميتين يابسين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أن من البلاء أن يشكو فلا يسمع ويبكي فلا ينفع ويدنو فيقضي ويمرض فلا يُعاد ويقتدي فلا يقبل وغاية البلاء التلف والفناء.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الآية 16] بل خلقناهما مشحونة بضروب من الحكم البديعة تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتنبيه لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتوصلوا بها إلى تحصيل

الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال وموجبة للنكال في الحال والمآل.

وأفاد الأستاذ: أن اللعب نعت من زال عن حد الصواب واستجلب بعقله الالتذاذ وانجرّ في حبل السفه وحق الحق متقدِّس عن هذه الجهة.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الآية 17] ما نتلهى ونلعب في ساحتنا ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الآية 17] ممن عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات الروحانية لا من الذوات الجسمانية كالأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها في تثبيتها وتسوية الفرش وتزيينها ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 17] ذلك، ويدل على جوابه ما تقدم هنالك. وقيل إن نافية، والجملة كالنتيجة للشرطية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السَّجدَة:الآية 13]. وقيل اللهو الولد والزوجة والمراد الرد على النصارى من الكفرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خاطبهم على حسب أفهامهم وعلى مقدار أوهامهم وإلا فالذي لا يعتريه سهو لاستفزه/ لهو والحق لا يعتريه سهو ولا 227/ب
يضاهيه لغو.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 18] إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب والسهو، أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد والصدق والعدل والعمل على الباطل الذي من عداده اللهو واللعب والهزل ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الآية 18] فيمحقه ويزهقه بتغليب الحق وتعليته على الباطل وتبعيته ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الآية 18] هالك مستأصل زائل ماحق ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الآية 18] أي مما تصفونه به مما لا يجوز عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يدخل نهار التحقيق على ليالي الأوهام فينقشع سحاب الغيبة وينجلي ضباب الأوهام عن الأفهام وتبرز شموس اليقين عن خفاء الظنون وتصحو سماء الحقائق عن كل غبار للشبه ساطع وينكشف عن وجه كل وجيه حجاب هو في صورة الظاهر مانع.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 19] ملكاً ومُلكاً ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ [الآية 19] من الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك والسلاطين ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية 19] لا يتعظمون عنها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الآية 19] لا يعيبون منها ولا يتعبون فيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه له الحادثات ملكاً والكائنات حكماً وتعالى أن يتجمل بوفاق أو ينتقص بخلاف وشقاق وبالقدر ظهر الجميع وعلى حسب الاختيار تصرف الكل.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الآية 20] ينزهونه ويعظمونه دائماً من غير فتور ولا قصور.

وأفاد الأستاذ: أن المطيع المختار تسبيحه بالقول الصدق من الكلمة والكل من المخلوقات تسبيحها بدلالة الخلقة وبرهان البينة.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ [الآية 21] بل اتخذوا، وبل للانتقال والهمزة لإنكار اتخاذهم ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 21] كائنة ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي من جنسها مع كونها من السفليات وفائدتها التحقير دون التخصيص ولا يجوز اتخاذ الآلهة أيضاً من العلويات ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [الآية 21] أي تلك الآلهة تحيي الموتى ثانياً وهذا وإن لم يصرحوا بذلك إلا أنه لزم بادعائهم لها الإلٰهية هنالك فإن من لوازمها الاقتدار
228/أ على جميع الكائنات بأسرها ابتداء وانتهاء، والمراد/ به تجهيلهم والتهكم بهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [النّحل:الآية 21] ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النّحل:الآية 21] وللمبالغة في ذلك الأمر المهم زيد ضميرهم الموهم لاختصاص الإنشاء بهم وفيه إيماء إلى أنه لا ينشر الموتى إلا من خلقهم ونشرهم ابتداء وهم معترفون بخلق الله إياهم أولاً كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمَان:الآية 25] فيتعين أن يكون هو محييهم آخراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرّد بالإبداع والإيجاد وتقدّس عن الأمثال والأنداد فالذين من دونه يعبدون أمواتاً غير أحياء وهم بالضرورة يعرفونه فلا يعتبرون ولا ينزجرون.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الآية 22] أي غيره بإلا حيث تقدر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها، وفي التلويح إذ لو كان استثناء لوجب نصبه ﴿لَفَسَدَتَا﴾ [الآية 22] لبطلتا لما يكون بينهما من التنازع والتمانع في وجودهما وعدمهما. والمعنى لو كان مدبراً أمر السماء والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لخربتا وخرجتا عن نظامهما لأنه سبحانه هو قيوم السموات والأرض وما بينهما ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 22] المحيط بجميع أجسام العالم البسيط الذي هو محل نزول التدابير ومنشأ ظهور التقادير ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 22] من اتخاذ الشريك وقبول التغير والتغيير.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: حثك في هذه الآية على الرجوع إلى الله تعالى وعدم الاعتماد على ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أن كل أمر يناط بجماعة إن لم يجر على النظام يجري بينهم النزاع والخلاف على الدوام، ولما كانت أمور العالم في التركيب منسقة على وجه قويم دل على أنها حاصلة بتقدير مدبر حكيم فالسماء في علو سمكها تدور على النظام أفلاكها وليس يعهد إمساكها، والأرض مستقرة بأقطارها وعلى ترتيب تعاقب ليلها ونهارها والشمس والقمر والنجوم السائرة تدور في بروج ورقعة السماء تتسع من غير فروح ذلك لتقدير العزيز علامة وعلى وحدانيته دلالة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الآية 23] لعظمته وقوة سلطنته وظهور شوكة قدرته ورفعة هيبته وتفرُّده بألوهيته وتوحُّده في ربوبيته واستحقاق عبوديته ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 23] لأنهم مملوكون/ مستبعدون مخلوقون مربوبون. 228/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يسأل أنه ليس من أحد عليه حجر ولا أمر ولا حظر ولا زجر فهو مالك الأعيان ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 23] لوجه الحجة عليهم وقيام الحجة بهم. ويقال: لا يسأل لكون الخلق له بأجمعهم وهم يسألون للزوم حقه عليهم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الآية 24] أعاده استعظاماً لكفرهم واستقباحاً

لأمرهم وتكبيتاً لقمعهم وإظهاراً لجهلهم أو ضمناً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل ويؤيد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على بطلانه نقلاً ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 24] حجتكم على ذلك إما من جهة العقل أو من طريق النقل، فإنه من غير دليل لا يصح القول كيف وقد تطابقت الحجج باباً وفصلاً على بطلانه عقلاً ونقلاً ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الآية 24] من الكتب السماوية المشحونة بالأدلة القطعية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك على طريق التوكيد. والمراد بمن بمعنى معي أمته الموجودة وبمن قبلي واللاحقة الأمم المتقدمة السابقة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ [الآية 24] لا يميزون الباطل والصدق ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 24] عن التوحيد واتباع أهل التفريد.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على فساد القول بالتقليد ووجوب إقامة الحجة والدليل على التوحيد، ودلت الآية على إثبات الكسب للعبيد إذ لولاه لم يتوجه عليه اللوم والعتب وكل من علق قلبه بمخلوق أو توهم من غير الله حصول شيء من مرزوق فقد دخل في غمار هؤلاء الجمادات لأن الإله من يصح منه الإيجاد وكذلك الإمداد، وفي هذا الإشارة إلى توحيد الحق وإفراد الرب بوصف الفردانية وقعت الوحدانية وإنما عد من العلم لإعراضهم عن النظر وإغراضهم في الفهم ولو وضعوا النظر محله لوجب لهم العلم لا محالة. والآية تدل على وجوب النظر في مقدمات العلوم اليقينية وأن العلوم الدينية كلها كسبية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 25] قرأ حفص
229/أ وحمزة/ والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الآية 25] فاعرفوني ووحّدوني وأطيعوني ولا تخالفوني.

وأفاد الأستاذ: أن التوحيد في كل شريعة واحد لازب والتقيد بما أرسل به الرسول واجب فالأفعال للنسخ والتبديل معرضة فأما التوحيد فهو طريقه الأصل الأكيد الأصيل فلا يجوز فيه النسخ والتبديل.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ﴾ [الآية 26] حيث قالت بنو خزاعة: الملائكة بنات الله، سبحانه تنزيه له عن ذلك وأمثاله ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ [الآية 26] أي بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون لا أولاد ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [الآية 26] بأنهم مقرّبون لأنهم متقرِّبون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 27] لا يقولون شيئاً حتى يقوله فهم عبيد مؤدبون ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحريم:الآية 6].

قال الواسطي: ذكر الأنبياء وسائر الخلق بصفاتهم ونعوتهم قبل أن خلقهم كي يؤمنوا ويعلموا أنه لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية رحمة في ذكر أقاويل أهل الضلالة والبدعة على وجه الرد عليهم وكشف عوارهم لديهم والتنبيه على موضع خطابهم لكن إن وسوس الشيطان إلى أحد بشيء من ذلك كان عنده حجة الانفصال عنه هنالك.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 28] أي ما قدّموه وأخّروه، والجملة كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده، فإنهم لعلمهم بذلك يضبطون أقوالهم ويراقبون أحوالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الآية 28] أن يشفع لهم ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ [الآية 28] عظمته ومهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 28] خائفون مرتعدون.

وأفاد الأستاذ: أن علمه القديم سبحانه لا يختص بمعلوم دون معلوم فيحق شموله لجميع المعلومات لا يعزب عن علمه موجود ولا معدوم. وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الآية 28] دل على أنهم يشفعون لقوم وأن الله سبحانه يقبل شفاعتهم. وقوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 28] ليس لهم ذنب ثم إنهم خائفون، ففي الآية دليل على أنه سبحانه لو عذبهم لكان ذلك جائزاً إذ لو لم يجز أن يعذب البريء لكانوا لا يخافونه لعلمهم أنهم لم يرتبكوا زلة، انتهى. ولا يبعد أن / خوفهم إنما كان من تقليبهم إلى حالة تقع منهم الزلة 229/ ب
الموجبة للزلة ومع هذا لو عذبهم من غير ظهور العصيان عنهم لكان عدلاً كما أنه لو لم يعذب الكفار والفجار لكان فضلاً إذ لا يجب عليه سبحانه شيء أصلاً.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 29] من الملائكة أو من الخليقة ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 29] يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الألوهية ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] من ظلم على نفسه بادعاء الألوهية أو بالإشراك في الربوبية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم معصومون عن الزلة بكل وجه ثم قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 29] وقد علم أنهم لا يقولونه ولكن علم لو كان ذلك كيف يكون حكمه هنالك، والحق سبحانه علم ما يكون كيف يكون مما جاز وأنه لو كان كيف كان يكون، انتهى. وحاصله أن علمه سبحانه يتعلق بالموجود والمعدوم وأن القضية الفرضية الذهنية غير لازمة الوقوع في الهيبة الخارجية.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية 30] أي ألم يتفكروا ولم ينظروا ولعل الاستفهام للإنكار وحمل النظار على الاعتبار. وقرأ ابن كثير بغير واو أي ألم يعلموا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 30] أي جماعة العلويات وجماعة السفليات ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الآية 30] بجعلهما متنوعة متميزة.

وأفاد الأستاذ: أن المشركين على عهد رسول الله ﷺ كانوا قائلين بأن الله خلق السموات والأرض وإنما داخلتهم الشبهة في إعادة الخلق من الحشر والنشر في القيامة فأقام الله سبحانه عليهم الحجة بأن قال: أليس قد علموا أنه سبحانه سمك السماء ورفعها وبسط الأرض ووضعها، فإذا قدر على هذه البداية فكيف لا يقدر على الإعادة بعد الإبادة.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ [الآية 30] خلقنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الآية 30] أي كل حيوان كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النُّور:الآية 45] وذلك لأن الماء من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه في أمر معاشه ومعاده وانتفاعه بعينه في تمام مراده، أو صيرنا كل شيء حي بسبب الماء لا يحيا دونه من بين / الأشياء 230/أ
﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 30] مع أن هذه الأمور يشاهدون.

وأفاد الأستاذ: أنه خلق كل شيء حي من الماء فإن أصل الحيوان الذي

يحصل بالتناسل النطفة وهي من جملة الماء وحياة النفوس بماء السماء من حيث الغذاء وحياة القلوب بماء الرحمة وحياة الأسرار بماء العظمة وأقوام حياتهم بماء الحياة وعزيز ما هم أي وقليل ما هم.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 31] جبالاً ثوابت كـكراسي ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الآية 31] كراهة أن تضطرب وتميل بهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ [الآية 31] في الأرض أو الرواسي أو كل منهما ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الآية 31] مسالك واسعة لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 31] إلى مصالحهم وإلى معرفة منعمهم فيقومون بحق شكرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء هم الرواسي الثوابت والخلق بهم يرزقون وينصرون وبهم يدفع عنهم البلاء ويتفرع عليهم العطاء، وكما أنه لولا الجبال الراسيات لمالت بهم الأرض باضطراب الحركة والزلزلة كذلك لولا الشيوخ الذين هم أوتاد الأرض لنزلنا بهم اللواء والشدة ثم كما في الأرض سبل يسلكونها يصلون إلى مقاصدهم في دنياهم كذلك جعل السبل إلى مولاهم وأمور عقباهم مسلوكة بما يبين على ألسنتهم من هداية المريدين وإرشاد السالكين فيسري بهداهم في سيرهم إلى مولاهم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الآية 32] عن الوقوع بإمساك قدرته أو عن الانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ [الآية 32] علامتها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 32] لا يتفكرون ولا يتدبرون ولا ينظرون ولا يتغيرون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق في ظاهر الكون سماء مسموكة مرفوعة والأرض مفروشة موضوعة كذلك سماء القلوب التي هي أماكن الحالات وأدنى أرض النفوس التي هي مساكن الطاعات وفي سماء القلوب نجوم العقل وقمر العلم وشمس التوحيد ومعرفة الذات والصفات وكما جعلت النجوم رجوماً للشياطين جعلت نجوم المعارف رجوماً للشياطين، وكما أن الناس عن آيات الكائنات معرضون لا يتفكرون فيها فالعوام عن آيات القلوب

230/ب مما فيها من الأنوار/ والأسرار غافلون لا يكاد يعرفها إلا الخواص المختصون بها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ [الآية 33] بيان لبعض تلك الآيات الظاهرات على صفائح وجوه وجود الكائنات ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 33] أي كل واحد منها ﴿فِى فَلَكٍ﴾ [الآية 33] من أفلاك السماء ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ [الآية 33] يسرعون إسراع السابح على وجه الماء.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه كما أن في الظاهر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل فكذلك يدخل نهار البسط على ليل القبض ويدخل ليل القبض على نهار البسط، وكما أن النهار يزيد وينقص فكذلك الليل فهكذا صفة القبض والبسط في الزيادة والنقصان، وأن الشمس أبداً في بروجها لا تزيد ولا تنقص والقمر مرة في المحاق ومرة في الإشراق فصاحب التوحيد بنعت التمكين ارتقى عن حد تأمل البرهان إلى روح البيان ثم هو متحقق بما هو كالعيان، وصاحب العلم مرة يرد إلى تحديد نظره وتذكره في فطرته بفطنته ومرة يغشاه غير في حال غفلته فهو صاحب تلوين في حالته.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٍ﴾ [الآية 34] أي ولو من الأنبياء الكرام ﴿مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ [الآية 34] أي الدوام والبقاء في هذا المقام ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ [الآية 34] نزلت حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور:الآية 30]. وفي معناه قيل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا[1]

قال جنيد: من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كان حياته بربه فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهو الحياة على الحقيقة.

وقال الأستاذ: أي إنك في هذه الدنيا عابر سبيل والمقبل إلينا لكنا لحقك لم نتركك فرداً في الدنيا وكذلك قال ﷺ للصديق في الغار: «ما ظنك

(1) نسب إلى الفرزدق. انظر عيون الأخبار (1/ 319)، وشرح ديوان المحاسبة (1/ 371).

باثنين الله ثالثهما»(1).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الآية 35] تذوق مرارته مفارقة جسدها من غير الفوت ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [الآية 35] نعاملكم معاملة المختبر ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 35] بالمحنة والنعمة ﴿فِتْنَةً﴾ [الآية 35] ابتلاء بهذه الكلفة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 35] فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر في المحنة والشكر على النعمة والمنحة. وفيه تنبيه على أن المقصود من هذه الحياة الدنيا هو/ الابتلاء في 231/ أ
الأبواب والتعريض للثواب والعقاب.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الشر الإعراض والمصائب والخير هو الأمن والعافية والدعة وكل هذا فتنة لأنها تشغل صاحبها عن الحق وتقطعه عن طريق الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الموت فيه آفة قوم وراحة قوم، لقوم انتهاء مدة الاشتياق ولآخرين افتتاح باب الفراق، لقوم وقوع في فتنتهم ولآخرين خلوصهم من محنتهم، لقوم بلاء وقيامة ولآخرين شأناً وسلامة. قلت: مصائب قوم عند قوم فوائد.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الآية 36] ما يتخذونك إلا مهزؤاً به فيستهزؤون ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الآية 36] أي بسوء في التعبير والإشارة للتحقير ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 36] على وجه ينزَّه شأنه عنه سبحانه ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 36] فهم أحق بأن يهزأ بهم من غيرهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما شاهدوا نبيهم على ما هو به من أوصاف التخصيص ونعوت القربة وما رقّاه إليه من المنزلة والرتبة لظلوا خاضعين لمقامه وحالته ولكنهم حجبوا عن معانيه وسريرته من سيرته وعاينوا منه ظاهر جسمه وصورته.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3653)، ومسلم في الصحيح (2381/ 1).

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية 37] أي كأنه خلق منه لفرط عجلته وقلة تؤدته، ومن استعجاله مبادرته إلى الكفر وإعراضه عن التوحيد وجرأته على طلب الوعيد، إذ روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل إنزال العذاب الشديد ويؤيده أيضاً قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الآية 37] أي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر ونحوها، وفي العقبى عذاب النار وغيرها ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الآية 37] بها، والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليبعدوها عن مرادها ويعقدوها عن إيرادها.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: زجرهم عما عليه جبلهم.

وقال الواسطي: فيه إظهار لعجزهم وتعريف بقدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن العجلة مذمومة والمسارعة محمودة والفرق بينهما أن المسارعة البدار إلى الشيء في أول وقته والعجلة استقباله قبل وقته، والعجلة نتيجة الشيطان والمسارعة قضية توفيق الرحمٰن.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 38] وقت وعد العذاب أو يوم القيامة
231/ب وزمان الحساب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 38] يعنون/ النبي ﷺ والأصحاب. ويستفاد من كلام الأستاذ أن الخطاب للرُّسل ولعله على تغليب في الباب حيث قال: اعتقدوا تكذيب الأنبياء عليهم السلام فيما وعدوهم من الكائنات في الأيام فاستعجلوا حصول ما توعدون ولو علموا ما ينالهم لكان السكون منهم والقرع بدل استعجالهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون وهو حين تحيط بهم النار من جميع جوانب الدار بحيث لا يقدرون كفها ودفعها ولا يجدون ناصراً فيها ومنها لما استعجلوا بها ولا استهزؤوا منها، فالجواب محذوف وقدر الاستناد فيما أفاد بقوله: لأمسكوا اليوم عن الانجرار في عذار الظنون والاغترار بمواعيد الشيطان وأتباعه من الفجار.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ [الآية 40] العدة أو الساعة أو النار ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 40] فجأة

﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ [الآية 40] فتحيِّرهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الآية 40] عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 40] يمهلون في أجلهم.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: من يهمه شيء من الكون فهو لمحل عزة وغفلة من مكوِّنه ومن كان في قبضة الحق وحضرته لا يهمه شيء من خليقته لأنه قد حمل في محل الهيبة في منازل القدس ومحافله.

وأفاد الأستاذ: أن العقوبة إذا أتت فجأة كانت أنكأُ وأشد محنة وسنَّة الله في النقمة أن يلوح ظلال ألسنة الفتنة في جلال تقايس النعمة والمنة.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١﴾ [الآية 41] فيه تسلية للنبي ﷺ ووعد بأن ما يفعله به الأعداء يحيط بهم كما أحاط بالمستهزئين بالأنبياء جزاء ما فعلوه من الاستهزاء.

﴿قُلۡ﴾ [الآية 42] يا محمد للمستهزئين ونحوهم من المنكرين ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ [الآية 42] يحفظكم ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الآية 42] من بأسه إن أراده بكم، وفي لفظ الرحمٰن إيماء إلى أنه لا حافظ غير رحمته وأن اندفاع بأسه بمهلته ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية 42] لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه في مآلهم وذلك علامة سوء أحوالهم.

232/أ وأفاد الأستاذ: أن هذا تقرير عليهم أن ليس بيد أحد/ من المخلوقين نجاتهم وإذا عرفوا ذلك بما جربوا في حال محنتهم وبلياتهم فكيف لا يتبرؤون ممن ليس به شيء من خير وشر وممن ليس منه نفع ولا ضر، وتنبيه للمؤمنين بأن ما بهم من نوعي النفع والدفع فهو من ربهم فالواجب دوام اعتكافهم بقلوبهم بساحة كرمه وجوده المتوالي عليهم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ [الآية 43] عند الكوفيين أن الميم زائدة، وقال البصريون: المعنى بل ألهم ﴿ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ [الآية 43] أي من غيرنا أو من عذاب يكون من عندنا ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [الآية 43] استئناف يبين إبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من خالقه فكيف يرجى منه نصر غيره. وما أحسن من قال من أرباب الحال:

مَن لم يقدر دفع المحنة عن رأسه في حال المحنة وبأسه
كـيـف يُـتـوقّـع مـنـه ثـبات مِـنْ أسـاسـه[1]

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بسط القول وكرره في تعريفهم استحالة حصول الضر والنفع ووقوع العطاء والمنع من الجمادات وأصنامهم التي اختاروها للعبادات، انتهى. ولا يخفى أن فيه من التنبيه أن من لا يصلح للعطاء والمنع وإيصال الضر والنفع لا يصلح له الألوهية ولا يليق له دعوى الربوبية، وأن جميع الكائنات في هذا المعنى بمنزلة الجمادات.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 44] أي أسلافهم في مقام الكفر وترك الشكر ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الآية 44] فحسبوا أن لا يزالوا على وفق ذلك الأمر ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية 44] أي ستّتنا وعادتنا ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 44] أي نقضّ أرض الكفرة وأهلها ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الآية 44] بتسليط المؤمنين على تصرفها ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الآية 44] أو حزبنا المقرّبون.

وأفاد الأستاذ: أن طول التمتيع بالنعمة والسعة إذا لم يكن مقروناً بالتوفيق على الطاعة ومشفوعاً بالعصمة على الدناءة يكون مكراً واستدراجاً في زيادة العقوبة، والحق كما يعاقب بالآلام والأهوال يعاقب بالإملاء والإمهال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الآية 44] ننقضها من أطرافها بتوالي القسوة حتى لا يبقى أثر من الصفوة ويتعاقب الخذلان حتى يتواتر
232/ب العصيان/ ويتأدى ذلك إلى الحرمان الذي فيه ذهاب الإيمان. ويقال: تنقص بذهاب الأكابر والأماثل فيبقى الأراذل وينقرض الأفاضل. وفيه إشارة إلى سقوط قوى العبد بمرور السنين بتطاول العمر في أواخر الأمر كما قيل:

آخـر الأمـر مـا تـرى الـلـحـد والـقـبر والـثـرى[2]

وكما قيل:

طوى العصران ما نشراه مني فـأبـلـى جـدتـي نـشـر وطـي

(1) لم يعثر عليه من المصادر المتوفرة.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 112) و(6/ 178).

أراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شي[1]

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الآية 45] أي بما أوحي إليّ وبما أُلقي لدي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن عامر: ولا يسمع على الخطاب من الإسماع، ونصب الصم على أنه مفعول أول ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الآية 45] أي حين يوعظون ويخوَّفون. وفيه دلالة على المبالغة في تصامهم وعدم انتفاعهم بسماعهم وتحقق إصرارهم في تجاسرهم.

وقال الأستاذ: بأمر من الله أعلمكم بمواضع المخافة أو بوحي إليّ في بابكم أخوِّفكم بمواقف العقوبة لكن الذي عدم سماع التوفيق أنى ينفعه تكرار الأمر وتبيان التحقيق.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ [الآية 46] أصابهم أدنى شيء من مصيبة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الآية 46] أي مما وقع للإنذار به على لسانك ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ [الآية 46] يا هلاكنا أحضر حولنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 46] على أنفسنا في جميع عمرنا إلى آخر أمرنا.

وأفاد الأستاذ: أي أنهم لا يصبرون ساعة على أقل محنة من العقوبة فإن الحق سبحانه إذا شاء إيلام أحد فلا يحتاج إلى مدد وعون وعضد.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الآية 47] أي الميزان العدل أو لإظهار العدل وإفشاء الفضل، وجمع باعتبار الموزونات للأشخاص والرجال حيث يوزن بها صحائف الأعمال ويعرف بها شرائف الأحوال ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 47] أي لجزائه أوفاه أو لأهله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الآية 47] من حقه بنقصه أو شيئاً من الظلم بنقص من ثواب أو زيادة في عقاب بحسب ما يقتضي لك من حساب ﴿وَإِن كَانَ﴾ [الآية 47] أي حقه أو ظلمه ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 47] أي مقدار أدنى حبة، ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الآية 47] أي أحضرناها، وضميرها للمثقال وتأنيثه إضافة إلى الجنة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 21) و(5/ 112) و(6/ 390).

[الآية 47] لثبوت علمنا وتحقق عدلنا.

وأفاد الأستاذ: أنه يورث الأعمال بميزان الإخلاص فما فيه الرياء فلا يُقبل ويوزن الأحوال/ بميزان الصدق فما يكون فيه الإعجاب فلا يقبل، ويوزن 233/أ
الأنفاس فما فية الحظوظ والمساكنات فلا يقبل ويقال بطريق الإجمال ما كان لغير الله من الأعمال والأحوال لا يصلح قبوله. ويقال: كل يكافأ بما يليق بعمله فمن لم يرحم عباد الله في دنياه لا يرحمه الله في عقباه ومن ظلم على غيره جوزي بسوء فعله على وفقه، فهو سبحانه يجازي المظلومين وينتقم من الظالمين ينصف المظلوم في مثقال الذرة ومقياس الحبة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الهداية والضلالة، ونوراً يستضاء به في بيداء الحيرة وظلمات الجهالة، وموعظة وبياناً لما يحتاج إليه المتقون، ففي الشرائع نهياً وأمراً وما يترتب عليهما صبراً وشكراً، والمتقي هو المجانب لهواه ومما يشغله عن الله ويحجبه عن ذكر مولاه.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 49] حال من الضمير أو الرب ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 49] أي من إتيانها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الآية 49] خائفون عنها.

وأفاد الأستاذ: أن من واقعهم في هذه الصفة وهي الخشية من الله في حال الغيبة شاركهم في استحقاق هذه البصيرة والخشية بالغيب إطراق السريرة في أوان حضور الرب باستشعار الرجل من جريان سوء الأدب والحذر من أن يبدو من الغيب بغتان التقدير مما يوجب حجة العبد والتغيير والإشفاق من الساعة خوف قيام الساعة الموعودة عند العامة وخوف قيام الساعة هي قيامة هؤلاء القوم من الطائفة الخاصة وما يستأهل للكافر في الحشر والنشر مستعجل لهم في الوقت من حصول الأمر من تقريب وتبعيد ومحو وإثبات وإطلاق وتقييد.

﴿وَهَـٰذَا﴾ [الآية 50] القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الآية 50] كثير خيره ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [الآية 50] على أبرك مَنْ خلقنا ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 50] وعن الإيمان به مستكبرون.

قال السلمي: مبارك على مَن آمن وسمعه واتعظ به وحفظه وتنبّه فمن لم ير على نفسه وقلبه آثار بركات القرآن فليعلم بُعده عن مراتب قرب الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: أن وصف القرآن بأنه مبارك إخبار عن ثباته من قولهم برك الطير على الماء أي دام، وهذا الكتاب دائم لا يأتيه/ الباطل من بين 233/ ب
يديه ولا من خلفه وما لا ابتداء له وهو كلامه القديم فلا انتهاء للكتاب الدال عليه بوصف الحميد الحكيم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ [الآية 51] أي اهتدى لوجوه الصلاح وإلى طريق الفلاح ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 51] أي قبل وجود موسى وهارون أو قبل ظهور محمد عليهم السلام أو قبل بلوغه واستنبائه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الآية 51] أي علمنا أنه أهل لما آتيناه من محاسن الكمال ومكارم الخصال. وفيه إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات كما أنه مطلع بالكليات.

وفي «تفسير السلمي»: سئل جنيد متى رشده أتى، فقال: حين لامني.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد برشده ما يعرف به إليه من الهداية والقبول حتى لم يقل بما يجوز عليه الزوال والأقوال ولولا أنه خصه في الابتداء بتعريفه وإلا متى اهتدى إلى التمييز بينه وبين خلقه. ويقال: ذلك ما أضاء عليه من أنوار وتوحيد الحق قبل ما حصل منه من النظر إلى الخلق. ويقال: هو ما كشف روحه وقلبه قبل إيداعه قالبه من تجلي الحقيقة المورثة لأنوار الشريعة وأسرار الطريقة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية 52] واقفون لطاعتها ومقيمون على عبادتها، والإشارة لتحقير شأنها وحالها ومآلها، وتوبيخ على تعظيمها وإجلالها فالتمثال لا روح فيه بل هو كصورة الخيال لا يضر ولا ينفع لا في الحال ولا في الاستقبال.

وأفاد الأستاذ: أنه خاطب قومه وأباه ببيان التنبيه الموجب للاستنباه طمعاً في استفاقتهم من سكرة الغفلة ورجوعهم في ظلمة الغفلة وخروجهم من ضيق الشبهة، ثم سأل الله إغاثتهم وطلب منه هدايتهم فلما تبين له أنهم لا

يؤمنون وعلى كفرهم يصيرون تبرأ منهم واعتزل عنهم.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ [الآية 53] فقلدناهم وذهبنا على آثارهم تابعين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾ [الآية 54] قال الأستاذ: ما استراحوا في الجواب إلا إلى التقليد المجرد فكان من جوابه الحكم عليهم بالتسوية بينهم في الضلال والرد.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 55] أي بالأمر الجد والصدق ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ
234/أ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الآية 55] الهازلين/ الكاذبين بالبرهان استبعاداً لِتضليل آبائهم وإبطال من أسس أمره على إنبائهم.

قال الأستاذ: فطالبوه بالبرهان على ما دعاهم إليه من الإيمان.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الآية 56] أي خلقهن من غير زيادة لهن ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ [الآية 56] أي ما ذكر لكم من توحيد ربكم ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية 56] المحققين والمبرهنين في أمر الدين.

قال الأستاذ: فأحالهم على النظر والاستدلال والتعرف من حيث أدلة العقول بحدوث الكائنات لأن إثبات الصانع لا يعرف إلا بالمعجزات، وإنما المعجزات علم لصدق الأنبياء وذلك فرع لمعرفة صانع الأشياء.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الآية 57] إلى عيدكم. قيل: ولعله قال ذلك سراً والأظهر أنه كان جهراً ووقاه الله عن تعرضهم له قهراً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الآية 58] وقرأ الكسائي بالكسر أي قطعاً وحطاماً وفُتاتاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 58] للأصنام حيث كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه في مأواه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 58] أي إلى الله وتوحيده بحسب فطرتهم عند تحققهم عجز آلهتهم فيعلمون أن ما عبدوه من دون الله غير مستحق لعبادتهم. وفيه الإيماء إلى أنه لم يحتفل بما يصيبه من البلاء ثقة بأن الله منفرد بالإبداع والإبداء ومتوحِّد بإيصال الضرر والنفع والمنع والعطاء.

﴿قَالُوا۟﴾ [الآية 59] بعد رجوعهم عما نالوا ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 59] بجرأته على ما يسيء إلى آلهتنا ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 60] أي قائل منهم أو بعضهم ﴿سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ [الآية 60] بالسوء ويعيبهم فعله فعلة ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الآية 60]، ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 61] بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الآية 61] بفعله أو قوله أو بعقابنا في حقه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 62] أي حين أحضروه ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الآية 62] ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾ [الآية 63] أي مَن فعل ﴿كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ [الآية 63] أي كبيرهم وصغيرهم عن كاسرهم ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الآية 63] أي يميِّزون بين كاسرهم وناصرهم. وقيل: كبيرهم فاعل فعله أسند الفعل إليه لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له حمله عليه أو لقصد تعريض وتبكيت لعجزه لديه ويؤيده حديث ابن ماجه أنه عليه السلام قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات»[1]: تسميته للمعاريض كذباً لما شابهت صورتها/ صورته في العبارات. 234/ ب

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية 64] فتراجعوا إلى عقولهم وترددوا في مقولهم ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ [الآية 64] أي بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 64] بهذا السؤال أو بعبادة ما لا يضر ولا ينفع في الحال ولا في المآل.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ [الآية 65] انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة فقالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الآية 65] فكيف تأمرنا بسؤالها وأنت عارف بحالها.

﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ [الآية 66].

قال ابن عطاء: دعا لله وأقطعهم عما سواه بقوله: كيف تعتمدون على عاجز مثلكم في دفع الضر وجلب النفع ولا تعتمدون على مَن إليه المرجع في العطاء والمنع.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3358)، ومسلم في الصحيح (2371/ 154).

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 67] أي قبحاً ونتناً لمن يعبد مَن سواه، وكذا مَن خاف غيره ورجاه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] فترجعون إلى طريق رضاه.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا كيف ننسب الذنب إليه وتحيلنا في السؤال عليه وهو جماد ليس أمر ما يبديه ولا تصرف وتحرك لديه، فقال: وأنتم كيف تسخرون عبادة الجماد وتشركونه برب العباد وخالق البلاد. ثم لما توجهت عليهم الحجة ولم يكن لهم جواب في المحجة وداخلتهم الأنفة والحمية أصروا على عزيمة الأذية فقالوا: سبيلنا أن نقتله شر القتلة وأن نعامله بما يخوفنا به من العقوبة.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ [الآية 68] وأظهروا نقمتكم ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 68] عداوتكم ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الآية 69] ذات برد وسلام ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 69] عليه السلام.

قال ابن عطاء: سَلِم إبراهيم من النار بسلامة صدره الكريم كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصَّافات:الآية 84] أي خالٍ عن جميع أسباب الدنيا وعوارض العقبى ويرد علمه لصحة توكُّله وتبرد قلبه عن غير ربه حيث ناداه جبريل فقال: هل لك حاجة، قال: أما إليك فلا، فقال: فسئل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[1]. فجعل الله ببركة هذه الكلمة حظيرة النار له كالروضة. قيل: وكان إذ ذاك ابن ست عشر سنة. قيل وفي الجمع بين قوله برداً وسلاماً إيماء إلى أنه لو لم يقيد بالسلامة لمات إبراهيم من البرد البتة في تقييده بقوله على إبراهيم إشارة إلى أنه لولاه لبردت النار على غيره وفقدت/ 235/أ
من العالم لكماله، ولكن هذا إنما يتم لو كان الخطاب لمطلق النار الحاضرة والظاهر أنه مختص بالنار الحاضرة. وفي الجملة رد على الحكمة الفلسفية والطائفة الطبيعية الخارجة عن الطريقة الحنيفية فهذه القضية نظير قضية غرق

(1) كشف الخفاء (1/ 257) رقم (1136).

فرعون وأشياعه ونجاة موسى وأتباعه بالماء، وكذا إهلاك قوم عاد بالريح العقيم وجعلها على هود ومن آمن به كالروح النسيم، وكذا خسفه سبحانه بقارون الأرض وسلامة غيره هنالك في الطول والعرض. فهذه العناصر الأربع كلها ليس لها تصرف بطبعها وإنما هي يتوقف فعلها على أمر خالقها بإظهار صنعها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لو عصمه من يد نمرود المبعود ولم يمكّنه من رميه في النار لكان في الظاهر أقرب من أنواع الانتصار لكن حفظه في النار من غير أن يمسه ألم منها أتم في باب النصرة وإظهار المعجزة والكرامة. ويقال: إن إبراهيم عليه السلام كثيراً ما كان يقول: أواه من النار فإنه عذاب أليم. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:الآية 114]، فلما رمي في النار وجعل الله عليه النار برداً وسلاماً في هذه الدار قيل له: لا تقل بعد هذا أواه من النار بل استعذ بالله من الله لا من غيره فإنه العزيز الغفار. وقوله: وسلاماً، أي وسلامة عليه وله من غير ملامة فإذا كان للعبد السلامة في الميدان فالنار والبرد عنده سيان. ويقال: إن الذي يحرق في النار مَن في النار يقدر على حفظه في النار مِن النار.

﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الآية 70] مكراً في إصراره ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الآية 70] أي الأذلين عند اقتداره لدلالة القضية على حقيقة دعوته وثبوت نبوّته ومن بدء درجته ومن بطلان كل معاند له في حجته وعدول كل مكابر عن محجته.

وأفاد الأستاذ: أن من حفر لأوليائه وقع فيما حفر ومن كان مشغولاً بالله لم يتول الانتقام منه غير مولاه.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الآية 71] أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا في ذلك المقام فانتشرت في العالمين شرائعهم الجلية العلية التي هي مبادىء الكمالات العلمية والعملية/ والخيرات الدينية والدنيوية. روي أنه نزل بفلسطين ولوط 235/ ب
بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضت سنّته سبحانه في أرباب نبوّته وأصحاب صفوته في أنه إذا نجّى واحداً منهم أشرك في نجاته من كان مساهماً له في محنته ومقاساة مشقته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الآيـة 72] أي عـطـيـة زائـدة أو هـبة تستعقب فائدة ﴿وَكُلًّا﴾ [الآية 72] أي من الأربعة ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الآية 72] أي عاملين بما كانوا عالمين فصاروا بتوفيقنا كاملين. وقيل: الصلاح هو القيام بأمر الله ونهيه وبالشفقة على خلقه.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الآية 73] يقتدى بهم أمة ﴿يَهْدُونَ﴾ [الآية 73] الخلق إلى الحق ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 73] لهم بالإرشاد إلى طريق الصدق على وفق الرفق حتى صاروا مكملين للمسترشدين ومفيدين للمتعلمين من المؤمنين ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 73] أي أن يتعلموا المبرات ويحثوا غيرهم على الطاعات ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 73] خصتا لأنهما أمّا العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الآية 73] موحدين وفي العبادة مخلصين.

وأفاد الأستاذ: أن الإمام مقدم القوم والقبيلة واستحقاق رتبة الإمامة باستجماع الخصال الحميدة التي في الأمة فيه التنبيه فمن لم يستجمع فيه متفرقات الخصال الجيدة في الأمة لم يستحق منزلة الإمامة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 74] حكمة أو نبوّة أو حكومة في الخصومة ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 74] بما ينبغي علمه لأهل الرسالة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية 74] أي من إهلاك أهلها ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الآية 74] كاللواطة ونحوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أكمل عليه الإنعام بعصمته عليه السلام من مثل ما امتحن به قومه في تلك الأيام ثم بخلاصه منهم بإخراجه مما بينهم فهو منزّه ظاهراً وباطناً عنهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ [الآية 74] في الأحوال ﴿فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 74] في الأفعال.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 75] في جنتنا أو في أهل رحمتنا ﴿إِنَّهُۥ مِنَ

﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] الذين سبقت لهم سعادة عنايتنا وحمايتنا ورعايتنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنه أدخله في رحمته ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] في خدمته ولا محالة من أدخله في رحمته كان صالحاً في حضرته، فقوله/ ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 75] إخبار عن عين الجمع، وقوله: 236/أ
﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 75] إعلام عن عين الفرق.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ [الآية 76] ربه وشكا قومه ودعا خلاصه ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 76] قبل المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الآية 76] دعاءه وأهلكنا أعداءه ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ [الآية 76] من تبعه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] أي من الطوفان الأليم أو أذى قومه اللئيم.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾ [الآية 77] أي جعلناه منتصراً ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ [الآية 77] وحرموا من بركاتنا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ [الآية 77] في اعتقادهم ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 77] جزاء لعنادهم.

وأفاد الأستاذ: أن في القصة أنه كان يضرب في اليوم سبعين مرة وكان الرجل الهرم يحمل حافده إليه ويقول: لا تقبل قول هذا الشيخ وما عليه وكان يصبر على مقاساة الأذى ويدعوهم إلى الله تعالى فلما آيسه الله عن إيمانهم وإيمان أولادهم وقال له إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا عليهم بأجمعهم.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الآية 78] في الزرع ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الآية 78] رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الآية 78] عالمين حاضرين.

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا﴾ [الآية 79] الحكومة أو التقوى في القضية ﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ [الآية 79] وهو ابن إحدى عشر سنة. قيل: القصة أن داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان: لعل غير هذا أرفق بهما، وهو أن يدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعودوا إلى ما كان ثم تترادان. والظاهر أنهما قالا اجتهاداً لقوله ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الآية 79] وفيه تنبيه على أن الخطأ المجتهد لا يقدح فيه.

قال جنيد: ألهم الله بعلمه سليمان من العلم فمنَّ الله بذلك الحكم وأعطاه الله الملك فلم يمنَّ عليه بل قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ [ص:الآية 39] ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:الآية 39]، ثم أراه حقارته في ثلاثة مواضع من حالاته: حين سأل الملك واختاره عرف له ملكه وخسته بأن ألقى على كرسيه جسداً، وحين قال: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [ص:الآية 36] فأراه أن الملك الذي أعطاه الريح حيث لا يدوم له الملك وهذا صريح، وحين قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ [ص:الآية 39] الآية، أي أعط مَن شئت لحقارته وخسته.

236/ ب وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشركهما في حكم النبوة وإن كان/ بين درجتيهما تفاوت في الربوبية، ثم في هذه المسألة الواحدة أثبت لسليمان جهة الخصوصية وفي المسألة دلالة على تصويب المجتهدين فإن اختلفوا إذا كان في فروع الدين حيث قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الآية 79]، ولمن قال بتصويب أحدهما وتخطئة الآخر منها أن يتعلق بقوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ [الآية 79]. أقول: وهذا أظهر فتدبر وعليه الأكثر.

﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الآية 79] يقدِّسْنَ الله معه إما بلسان الحال أو ببيان القال، والظاهر الثاني إذ لا مزية في الأول فتأمل ﴿وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ [الآية 79] معطوف على الجبال أو مفعول معه ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 79] لأمثاله من تسخيرنا فليس ببدع منا وإن كان عندكم عجيباً وفي نظركم غريباً.

قال محمد بن علي: خلق الله في الجبال تسلية للمحزونين وأنسة للمكروبين. قال بعضهم: الأنس الذي في الجبال هو أنها خالية من صنع الخلائق والعمال ولا أثر فيها لمخلوق فتوحش بها الأحوال بل الآثار التي فيها هي آثار الصنع الحقيقي من غير تحويل ولا تبديل. أقول: ولعل تخصيص الطير من سائر الوحوش كثرة نفرتها عن الخلق وقوة اعتمادها على رزق الخالق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمن الجبال وسخّرها لتساعد داوود عليه السلام في التسبيح وكذا الطير لتوافقه باللسان الفصيح ففي الأثر كان داوود

عليه السلام يمر وصفائح المُرَحاء تجاوبه وكذلك الطيور كانت تساعده عند تأويبه.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الآية 80] عمل الدرع وهو في الأصل اللباس بمعنى الملبوس، كما قيل:

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها[1]

قيل: كانت الدروع قبل داوود صفائح فحلقها وسردها أي نظّمها وركّبها ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الآية 80] بدل من لهم بدل الاشتمال بإعادة الجار لتأكيد الحال والضمير لله أو للبوس أو لداوود. ويؤيد الأول رواية أبي بكر بالنون ويقوي الثاني قراءة ابن عامر وحفص بالتاء أو بالصنعة أو للبوس بتأويل الدرع فإنه مؤنث سماعي في اللغة ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الآية 80] ما ذكر من الصنعة وغيرها من النعمة وهو أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة، والمعنى فاشكروا البتة، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:الآية 91] أي فانتهوا من غير/ المهلة. 237/أ

وأفاد الأستاذ: أنه كان داوود عليه السلام سخّر الله له الحديد الشديد وألانه في يده كالشمع المذاب، فألهمه نَسْجَ الدروع ليحصن من سهام الحروب حال الشروع، وقال تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:الآية 11] أي أوثق مساميرها وأحكم الصنعة في مقاديرها ولكن لما قصدته سهام التقدير ما أصاب إلا حدقته من غير التغيير حين نظر إلى أمره أو رأى من غير قصد في المكان فكان ما كان في ذلك الزمان، ولقد خلا عند ذلك عما هنالك وأغلق على نفسه باب الفرقة بقصد الخلوة والعزلة وأخذ يصلي ساعة ويقرأ التوراة مرة والزبور كرّة حتى يمضي ذلك اليوم بالسلامة وينتهي ذلك الوقت من غير الملامة. وكان قد أوحي إليه أنه يوم فتنته ووقت بليته وساعة محنته فأمر الحجاب والنوّاب أن لا يؤذن عليه أحد بالدخول من الباب فوقع في كوة البيت طير لم ير في الحُسن

(1) نسب إلى بيهس الفزاري. انظر خزانة الأدب (3/ 30)، وزهر الأكم (1/ 152).

نظيره فهمَّ أن يأخذه فتباعد عنه ولم يطر منه كالمُطمع له في أخذه، فتبعه فلم يستأخر قليلاً قليلاً من عنده حتى طار من كوة البيت إلى خارجه فتبعه داوود عليه السلام ينظر إليه فخرج من الكوة ونظر داوود من زاوية عليه فوقع بصره على امرأة أوريا وكانت قد تجرّدت عن ثيابها لما لم يكن عنده أحد من الورى لإقدامها وأوريا تتفتل في بستان خلف البيت الذي فيه داوود عليه السلام فحصل في قلبه ما حصل من الخواطر الموهمة للإلهام وأصاب سهم التقدير حدقته وكان مما يقتضي ابتلاؤه ومحنته ولم تنفعه صنعة اللبوس التي كان يعملها ليحصنه من بأسه في حال البؤس.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 81] أي وسخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ [الآية 81] شديدة الهبوب بحيث إنها تذهب بكرسيه في مدة يسيرة من الدهر كما. قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:الآية 12]، ومع هذا كانت رخاء في نفسها طيبة لا تكسر سنبلة ولا تغير نملة وأولها عاصفة إذ محط سليمانماية فرسخ في ماية أو كانت رخاء تارة وعاصفة مرة بحسب إرادته ويؤيده قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 81] أي بإذنه على وفق مشيئته ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا/ فِيهَا﴾ [الآية 81] وهي الشام 237/ ب
صباحاً بعدما سار منها إلى اصخر أو اليمن رواحاً ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الآية 81] فتجري الأشياء في محلها بمقتضى الحكمة المتعلقة بها على قدر ما سبقت المشيئة المقدّرة لها.

قال الأستاذ: سخّر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلو أراد أن يزيد على مسافة الشهر شبراً لما استطاع به قهراً تعريفاً بأنه موقوف على حكم التقدير من غير تصور التغيير، فشهود التقدير كان يمنعه عن العجب والغرور بما أُكْرِمَ به من التسخير. ولقد نبّه من حيث الإشارة تحت العبارة أن الذي ملك كالريح شأنه إذا مرّ وفات أو أنه لا يبقى باليد منه شيء زانه أو شانه. وفي القصة أنه لاحظ ذلك يوماً فوقع في الغصة حيث مالت الريح ببساطة قليلاً عن الاستقامة فقال سليمان للريح: استوي ولا تسوّي، فقالت له الريح: استوِ أنت فإن المدار عليك وأنا لديك وراجع إليك وإنما ميلي ببساطك لميلك بقلبك إلى ملاحظة انبساطك فإذا استويت أنت في الضمائر استويت أنا في الظواهر.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الآية 82] في البحار ويخرجون نفائسه من أنواع المرجان واللآلىء الكبار ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الآية 82] أي غير ذلك من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع البديعة هنالك ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 82] أن يحيدوا عن أمره ويميلوا عن حكمه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا المراد إنما كان ذلك أياماً قليلة في الحقيقة ثم إنه أراد يوماً أن يعود إلى مكانه في الطريقة فجاءه ملك الموت وطالبه بروحه من غير الفوت فقال: أخرني إلى أن أرجع إلى مكاني، فقال: لا وجه للتأخير عن زماني، فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه وبقي بحاله ولم تعلم الجن حيث أطاعه في خدمته وما عصاه إلى أن أكلت دابة الأرض من ساعته بمعنى عصاه فلما خرّ سليمان علمت الجن حينئذ مماته وتحققوا أن الذين بالمنسأة قيامه وتحققه فقهر الموت يلحقه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ [الآية 83] أي بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] بدني ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 83] بي حتى من أمي وأبي، واكتفى بذلك المقال عن تصريح عرض المطلوب/ لطفاً في السؤال، وليس هذا من باب 238/أ
الشكاية بل ورد على طريق الحكاية وقصد به الكناية ليتحقق الرعاية. ونظيره أن يعقوب قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:الآية 86] فالمذموم شكوى العبد إلى غير مولاه وكان رومياً من ولد عيص بن إسحاق استنبأه الله وأكثر ولده وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وإذهاب أمواله بإلقاء الهلاك إليهم وإيقاع المرض في بدنه ثماني عشر سنة أو ثلاث عشر أو سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي أن امرأته من نسل يوسف قالت له يوماً: لو دعوت الله، فقال: كم كانت مدة الرخاء، فقالت: ثمانين ساعة، فقال: أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ﴾ [الآية 84] بالشفاء من مرضه ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [الآية 84] بأن وُلِدَ له ضعف ما قبله أو بأن أحيا أولاده وولد له منهم أحفاده ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الآية 84] عناية من لدنا ﴿وَذِكۡرَىٰ

لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الآية 84] أي وتذكرة لهم ليصبروا كما صبر فيظفروا بما ظفر.

قال الحسين بن علي: ذكر الله على الصفاء ينسي العبد عن إراءة البلاء. وقال جعفر الصادق: لما سلّط الله البلاء على أيوب وطال به الأمر أتاه الشيطان فقال: تريد أن تتخلص من هذا البلاء فاسجد لي سجدة تلقى فيها الشفاء من العناء، فلما سمع ذلك قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:الآية 41]، ومسني الضر حين طمع في أن أسجد له.

وقال ابن عطاء: تبدد همّه وليس من العقوبات عندهم أشد من تبدُّد الهم لهم، فمرة كان يطالع في بلائه العقوبة والملامة ومرة يطالع الكرامة ومرة يطالع الاستدراج في المدة فلما تشتت عليه الخواطر قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لأن فيه شبه التحيُّر.

وقال جنيد: عمل الدود في جسده فلما وصلوا إلى قلبه غار عليه لأنه محل معرفة ربه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] افتقاراً إلى الله بالنصر.

وأفاد الأستاذ: أنه سمي أيوب لكثرة إيابه إلى الله في ذهابه وإيابه
وسائر أحواله من السراء والضراء والشدة والرخاء ولم يقل ارحمني بل / حفظ 238/ب
أدب الخطاب فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:الآية 151] يعني لأن التلويح أبلغ من التصريح ولما ورد «أنَّ مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»(1). ويقال: إخباره سبحانه عنه أنه قال مسني الضر لم يسلبه اسم الصبر حيث خبّر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص:الآية 44] لأن الغالب كان من أحواله الصبر فنادر قالته لم يسلب عنه الغالب من خالقه والإشارة من هذا أن الغالب من حال المؤمن المعرفة والإيمان بالله الذي هو مستغرق بجميع أوقاته لا يخلوا منه لحظة ونوادره لأنه في دوام إيمانه وطاعاته نادرة والنادر من الطالب لا يزاحم الوصف الغالب. ويقال: لم يكن قوله ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] على وجه الاعتراض على القضاء والقدر بل كان على إظهار

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 413) رقم (572)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 34) رقم (29271).

العجز بضعف القوة والقدر لم يكن ذلك منافياً لصفة الصبر. ويقال: استخرج من هذه النميمة ليكون فيه تنفيس لضعفاء هذه الأمة لكن إن ضجوا في حال البلاء لم يكن ذلك منافياً منهم لصفة الصبر ونعت الولاء. ويقال: لم يكن هذا القول منه على وجه الضجر وقلة الصبر وإنما كان من حيث الشكر ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] الذي يختص به أولياؤك ولا يخلوا عنه أصفياؤك ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني ولكن برحمتك ألهمتني. ويقال: لم يكن هذا القول من أيوب ولكنه استغاث البلاء منه في ضيق الكروب فلم يطق البلاء صحبته فضج منه البلاء لا أيوب ضجّ من البلاء لأنه من أهل الوفاء في باب الولاء، وفي معناه أنشدوا:

صابر الصبر فاستغاث به الصبر ... فصاح المحب بالصبر صبراً[1]

ويقال: همزة الاستفهام فيه مضمرة، ومعناه: أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين. ويقال: إن جبريل أتاه فقال: لم سكت، فقال: ماذا أصنع، قال: إن الله سيان عنده بلاؤك وشفاؤك فسل الله العافية، فقال أيوب: إني مسني الضر.

قال الله: ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الآية 84] والفاء تقتضي التعقيب كأنه
239/ أ قيل: فعافيناه في الوقت، فكأنه قال له:/ يا أيوب لو طالبت العافية قبل هذا لاستجبنا لك بلا مهلة. ويقال: سقطت على الأرض دودة مما كانت تأكل بعض بدنه فرفعها أيوب فوضعها في موضعها فعقرته عقرة عيل معه الصبر فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] فقيل له: يا أيوب أتتصبّر منّا ولولا أنا ضربنا تحت كل شعرة من شعراتك كذا خيمة من الصبر ما صبرت ساعة عن الجزع والفزع من شدة الضجر. ويقال: كانت الدودات الواقعة على نفسه أكلت كل ما على بدنه فلم يبق منه إلا لسانه وقلبه فقصدت دودة لسانه وأخرى جنانه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لم يبق إلا لسان به أذكرك وقلب به أعرفك فإذا لم يبق لي ذلك لا يمكنني أن أعيش وأصبر وأذكر وأشكر. ويقال: استعجم عليه جهد البلاء واستبهم عليه طريقة الولاء فلم يعلم أنه يصيبه ذلك تأديباً أو تقريباً أو تمحيصاً أو

---

(1) نسب إلى الشبلي. انظر تفسير القشيري (5/ 137) وتفسير الآلوسي (9/ 164).

تخصيصاً فلذلك كانت ضجته ودامت محنته وقيل له ما أشد ما لقيت في أيام البلاء، قال: شماتة الأعداء.

وفي القصة أن تلامذة أيوب كسروا أقلامهم وحرقوا ما كتبوا منه وجلود إعلامهم وقالوا: لو كان لك عند الله منزلة لما ابتلاك بكل هذه البلية. ويقال: إنها بقيت امرأته معه في قيام الوفاء لأنها كانت من نسل الأنبياء ومن ذرية يعقوب رئيس أهل البلاد وأنيس أهل العناء. ويقال: إن الشيطان قال لها: إن أردت أن يشفى مريضك فاسجدي لي، ولم تعلم أنه إبليس وإنما ظهر لها في صورة إنسان بالتلبيس فأخبرت أيوب بذلك الخبر فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83]. ويقال لما ظهر به البلاء اجتمع قومه في الخفاء وقالوا لها: أخرجي هذا المريض من قريتنا فإنا نخاف أن تعدي علينا علته وتمسنا بليته، فأخرجته إلى باب القرية فقالوا: إنا إذا أصبحنا ومررنا عليه وقع أبصارنا عليه فنتشائم إليه فأبعديه عن الأبصار، فأخرجته إلى أرض قفار وكانت امرأته تدخل البلد تستأجر للخبز والعمل في الدور فتأخذ الأجر وتحمله إليه فاستقذروها ولم
يستعملوها ولم يدخلوها. ويقال: إنها كانت ذات ذوائب وكان أيوب يأخذها / 239/ ب
وعند نهوضه يتعلق بها فباعته برغيف أخذته لتحمله إليه فوسوس إليه الشيطان بأنها عملت الفحشاء وإن شعرها جُزّ في تلك الجزاء فحلف أيوب أن يجلدها إذا صح جدالها، فكانت المحنة على قلب تلك المرأة أشد مما على بدن أيوب. وقيل: إن امرأته غابت فعافى الله أيوب وعاد شيئاً طرياً كما في القصة في قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:الآية 42] فلما رجعت ولم تره حسبته أنه أكله سبع أو أصابته آفة فأخذت تبكي وتولول وتتردد وتنوح فقال لها أيوب: ما لك، فقالت: كان لي هنا مريض ففقدته، فقال لها: كيف كان، فنظرت إليه فقالت: كان يشبهك صريحاً إذا كان شاباً صحيحاً، فقال أيوب: أنا ذلك المطلوب. ويقال: إن أيوب كان مكاشفاً بالحقيقة ملحوظ عنه في الطريقة فكان لا يحس بالبلية فستر مرة عليه وردحاً له إليه فقال مسني الضر لديه. ويقال: أدخل على أيوب تلك الحالة واستخرج منه هذه القالة ليظهر عليه إقامة العبودية للقيام بحق الربوبية. وقيل: أوحى الله إلى أيوب إن هذا البلاء قد اختاره قبلك سبعون

من الأنبياء فما اخترته إلا لك من بين الأصفياء، فلما أراد الله كشفه عنه قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] منه. وقيل: كوشف بمعنى من معاني الولاء فلم يجد ألم البلاء فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لفقدي ألم الضر. ويقال: إنما قال ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 83] لما لحقه من الضعف بقيام الطاعة فاستجاب له بأن رد عليه قوته ليقوم بحق العبادة. ويقال طلب الزيادة في الرضا فاستجيب له بكشف ما كان به من العناء. ويقال: إن الضر الذي شكا منه أنه بقيت عليه قبليته كانت بغيته فلما أخذ عليه كليته زال عنه بليته. ويقال: رد عليه السلامة والعافية والأهل في الظاهر كما في القضية لأنه لما صار مأخوذاً منه بالكلية ومنفي عن كل بقية استوى حينئذ عنده البلاء والرخاء والوجد والنقد.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ [الآية 85] يعني إلياس، وقيل يوشع، وقيل زكريا، وقيل نبي مستقل سمي به لأنه كان ذو حظ عظيم/ من رب كريم أو له 240/أ
ضعف عمل أنبياء زمانه لقوة فساد أمته في أوانه ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 85] من هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 85] على التكاليف الشديدة والمحن العديدة.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ [الآية 86] أي تحت ظل حمايتنا وكنف كفايتنا ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 86] الكاملين في الصلاح والعاملين بالفلاح.

وأفاد الأستاذ: أن الحكم صبرهم على البلية وصلاحهم في الطاعة والمعنى إدخالهم في الرحمة.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الآية 87] وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الآية 87] لقومه حين سئم من طول دعوتهم وشدة مخالفتهم وتمادي إصرارهم في مدتهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر بالتبعد منهم والمغاضبة من بناء المغالبة للمبالغة لا للمشاركة.

وأفاد الأستاذ: أنه ذهب مغاضباً على نفسه أي شديد المخالفة لهواه وتهديد الأعداء مولاه ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 87] لن نضيق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطّلَاق:الآية 7].

وقال جنيد: فظن أن لن نريه قدر نفسه في سخطه على عبادنا من قومه

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية 87] البليات الشديدة أو الظلمات العديدة من بطن الحوت والبحر والليل.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أن يراد بظلماته ما التبس عليه من أوقاته واستبهم عليه من حالاته ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الآية 87] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [الآية 87] أن يعجزك شيء من العالمين ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 87] بالمبادرة إلى المهاجرة أو بظن عدم المطابقة وقد ورد ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له.

وفي «تفسير السلمي»: أي إني كنت من الجاهلين أنك لا تقرب بطاعة ولا تبعد بمعصية.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الآية 88] بأن قذفه الحوت بعد أربع ساعات أو ثلاثة أيام أو أربعين يوماً إلى ساحل اليم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الآية 88] أي غم الالتقام أو غم الخطيئة والانتقام.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يجز منه دعاء بالتصريح إلا أنه في ضمن كلامه بالتلويح حيث قال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 87] فلم يقر بصدور الظلم عنه إلا وهو يستغفر منه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن عامر وأبو بكر: نجي بتشديد الجيم مع نون واحدة مضمومة فهو ماض مجهول أسند إلى
ضمير المصدر أي نجي النجاء / كما في قراءة أبي جعفر لنجزي قوماً أي نجزي 240/ب
الجزاء وسكن آخره تخفيفاً كما في رواية ذروا ما بقي من الربا على قراءة شاذة. وقيل: أدغم النون في جيم على أنه لغة شاذة، والمعنى كما في نجينا ذا النون وسائر النبيين ننجي المؤمنين من البلوى في الدنيا والعقبى.

وأفاد الأستاذ بقوله: يعني كل من قال من المؤمنين إذا أصابه غم أو استقبله هم مثل ما قال نجيناه في الحال أو المآل، وفي القضية أنه لما ركب السفينة فاضطرب البحر وتلاطمت الأمواج وأشرفت السفينة على الغرق وأخذ الناس في إلقاء الأمتعة تخفيفاً للسفينة وطلباً للسلامة قال: لا تلقوا أمتعتكم في البحر وأخرجوني فإني المجرم بينكم، فنظروا إليه فقالوا: إنَّا نرى عليك

سيم الصلاح وليس تسمح نفوسنا بإلقائك في البحر من غير ظهور الجناح، فقال تعالى مخبراً عنه: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافات:الآية 141] أي ففارقهم فاستهموا ووقعت القرعة عليه فكان من المغلوبين. وقيل: أتى إلى حرف السفينة فإذا بالحوت فاغراً فاه فحاد إلى جانب آخر فحاد الحوت إليه وهواه وكذلك حتى دار كل جانب مما يلقاه ثم إنه لما علم أنه مراداً بالبلاء ألقى نفسه في الماء وأوحى الله إلى السمك بأن لا تخدش منه لحماً ولا تكسر عظماً وهو وديعة عندك وليس بطُعْمَة لك. وقيل: إن السمك الذي ابتلعه أمر بأن يطوف به في البحر وخلق الله له إدراك ما فيه إلى القعر. ويقال: يونس صحب الحوت أياماً قليلة فيقال له ذو النون إلى يوم القيامة ولم تبطل عنه هذه النسبة فما ظنك بعبد عبد الله سبعين سنة ولازم قلبه معرفته وداوم محبته.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الآية 89] أي فريداً بلا ولد يرثني فأكون وحيداً ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 89] فإن لم ترزقني مَن يرثني فلا أبالي فإنك خير عوض تخلفني وتدفع عني ما ينوبني.

قال ابن عطاء: أي خالياً عن عصمتك.

وقال جنيد: أي غافلاً عن حضرتك مشتغلاً بشيء عن خدمتك.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام سأل الولد ليكون مُعيناً له على عبادة ربه وليقوم في النبوة مقام مرامه ولئلا تنقطع بركة النبوّة من أهله. ولقد قاسى/ 241/أ
زكريا من البلاء ما قاسى حتى قطع بالمنشار لما التجأ إلى شجرة من الكفار فانشقت له وتوسطها فالتأمت وفطن ذلك هؤلاء الفجار فقطعوا الشجرة بالمنشار وصبر لله ولم يصعد منه آه ولا واه، وانشقاق الشجرة كانت له معجزة، وفي الظاهر حفظاً منهم عن الأذية بل لو لم يطلعهم عليه لكان في ذلك سبب سلامته وإنما المعنى فيه أن انشقاق الشجرة كانت له معجزة فقوي بذلك يقينه في المعرفة لما رأى عجيب الأمر فيه من نقض العادة. ثم البلاء لهم بالقتل ليس ببلاء في التحقيق ولقد قال قائلهم: إنما يستعذب الأولياء البلوى للمناجاة مع المولى.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الآية 90] قيل وسمي به لأنه حي به عقر أمه ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الآية 90] أي أصلحناها للولادة بعد عقرها.

وأفاد الأستاذ: أنه أصلحها ليكون له في ذلك معجزة ولزوجه آية وكرامة لأنه فعل ناقض عادة ولئلا يستبد زكريا بفرح الولد دونها مراعاة لحقها وهذه سنَّة الله في باب إكرام أوليائه وإنعام أصفيائه. وفي معناه أنشدوا:

إن الكرام إذا ما أَخْصَبُوا ذكروا مَن كان يألفهم في الموطن الخشن[1]

﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 90] أي المذكورين من الأنبياء والمشهورين من الأصفياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 90] يبادرون إلى أبواب المبرات وأنواع الطاعات وأصناف العبادات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الآية 90] أي رغبة في الثواب ومخافة من العقاب وخشية من الحجاب. وقال بعضهم: رغبة فينا ورهبة عما سوانا.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا بشارة لجميع العباد لأن المؤمن لا يخلو في حالة من الرغبة والرهبة إذ لو لم يكن رغبة لكان قنوطاً والقنوط كفر ولو لم يكن رهبة لكان أمناً والأمن كفر ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الآية 90] خاضعين متذللين مخلصين.

قال الواسطي: أمر الله الأنبياء بالخشوع والمسكنة وهو الوقوف بين الرغبة والرهبة.

وقال أبو يزيد: الخشوع خمول القلب عن الدعاوى في قرب الرب.

وقال بعضهم: الخشوع زمام الهيبة إذا أردت أن تعرف الخاشع فخالفه في قضية فإن كان خاشعاً زاده ذلك/ رأفة وشفقة وإن لم يكن خاشعاً انتقم لنفسه 241/ب
وغضب لحظه.

وأفاد الأستاذ: أن الخشوع هو قشعريرة القلب عند اطلاع الرب وكان

(1) نسب إلى دعبل بن رزين الخزاعي. انظر الحماسة البصرية (1/ 114)، وخزانة الأدب (1/ 456).

لهم عليهم السلام هذا الإلمام بوصف الدوام.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الآية 91] من الحلال والحرام، وهي مريم أم عيسى عليهما السلام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ [الآية 91] أي في ولدها الكائن في بطنها، والمعنى أحييناه في جوفها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [الآية 91] أي من الروح الذي هو بأمرنا ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ [الآية 91] أي قصتهما أو حالهما أو كلاً منهما ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 91] فإن من تأمل في حالهما تحقق كمال قدرة الصانع في جمالهما.

وأفاد الأستاذ: أن من نظر في أمرهما ووضع النظر موضعه لاهتدى بقدرهما، ومن أعرض عنه ولم ينظر فيه فالآية لا تخرج عن كونه حجة ودلالة بتقصير المقصر في بابه جهالة أو كسالة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 92] أي ملة التوحيد والملة الموروثة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ [الآية 92] ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها في مرور حالتكم ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 92] ملة متحدة غير مختلفة في أمم الأنبياء المتفرقة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 92] لا رب سواي لكم ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ [الآية 92] فوحدوني وأطيعوا أمري ولا تخافوا ولا ترجو غيري.

وقال الأستاذ: أي وكلكم خلقته مفتقراً إلي فاعتمدوا في جميع أموركم عليَّ.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 93] أي وتفرقوا وجعلوا أمر دينهم قطعاً موزعة فيما بينهم بقبيح فعلهم وفي الكلام التفات من المؤمنين إلى غيرهم أو من الناس كلهم إلى بعضهم ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 93] من الفرق المتحزبة المختلفة في أعمالهم ﴿إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الآية 93] فنجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: إنهم لما اختلفوا في أعمالهم وتنازعت أقوالهم فاضطربت أحوالهم واستأصلتهم البلايا. قال تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الآية 93] وكيف لا وما تقبلون إلا في قبضة التقدير والقضايا.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 94] أي ما يوافق الشريعة من الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 94] بالله ورسوله والآيات ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الآية 94] فلا تضييع لسعيه في الحالات ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ [الآية 94] لسعيه وعمله ﴿كَٰتِبُونَ﴾ [الآية 94] مثبتون في صحيفة عمله.

قال أبو بكر الوراق: العمل الصالح الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا يكون فيه طلب الثواب والغدر بل تكون معاملته في مشاهدة الأمر.

242/ أ وقال/ الأستاذ: من تعفف على الله لم يخسر على الله، ومن تحمّل مشقة لله وجب حقه على الله. وقوله: وهو مؤمن أي في العاقبة والمآل إذ لا عبرة بظاهر الحال.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الآية 95] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بكسر الحاء وسكون الراء أي وممتنع على أهلها غير منظور منهم في حالها ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الآية 95] ثم حكمنا بإهلاكها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 95] أي عدم رجوعهم إلينا لجزاء عملهم لدينا.

وقال الأستاذ: أي لا نهلك قوماً وإن تمادوا في العصيان إلا إذا علمنا أنهم مصرون على ترك الإيمان.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الآية 96] أي يستمر امتناعهم أو إهلاكنا لهم أو عدم رجوعهم إلى قرب قيام الساعة ووقت ظهور أمارات القيامة وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي يحكى الكلام بعدها المسماة بالأبتدائية والمحكي هي الجملة الشرطية ﴿وَهُم﴾ [الآية 96] أي يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ [الآية 96] أي مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾ [الآية 96] يسرعون.

وأفاد الأستاذ: أنه يحق القول عليهم ويتم الأجل المضروب لهم فعند ذلك تظهر أيامهم وإلى القدر المعلوم من التقدير لا يجعل نجاة الناس من شرهم وآثامهم.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 97] وقت القيامة وساعة الملامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ [الآية 97] أي القصة ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 97] أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم عليه من الأحزان ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ [الآية 97] أي يقولون يا هلاكنا أدركنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الآية 97] الذي شاهدنا وأدركنا ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 97] لأنفسنا بالإخلال في النظر وعدم الإجلال بالنذر.

وأفاد الأستاذ: أن القيامة تأخذهم بغتة ويظهر اشتراط الساعة فجأة ويقرّ الكافرون بأن الذنب لهم جملة ولكن في وقت لا يقبل المعذرة.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 98] يحتمل الأوثان وإبليس والأعوان لأنهم بطاعتهم في حكم عبادتهم لما روي أنه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين.

قال له ابن الزبعري قبل أن يدخل في سلك المؤمنين: قد خصمتك أي غلبتك في الخصومة والحجة ورب الكعبة، أليست اليهود عبدوا عزيراً والنصارى المسيح وبنو مليح[1] الملائكة، فقال عليه السلام:/ بل هم عبدوا 242/ب الشياطين التي أمرتهم بذلك[2]، فأنزل الله تعالى هنالك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الآية 101] الآية، فعلى هذا يعم الخطاب ويكون مأمولاً بمن أو بما يعمه وهو الأولى كما لا يخفى، ويدل عليه ما روي أن ابن الزبعرى قال: هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من دون الله عامة، فقال: بل لكل عبد من دون الله، ويكون حينئذ قوله: إن الذين، بياناً للتخصيص في الحصول تأخر عن الخطاب في النزول ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 98] أي حطبها كما قرأ بها علي ﴿أَنتُمۡ﴾ [الآية 98] أي كلكم ﴿لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الآية 98] أي داخلون فيها أو مارون عليها.

وأفاد الأستاذ: أن الأصنام جمادات ولا جرم لها واحتراقها ليس عقوبة في حقها ولكنه على جهة براءة ساحتها تبين أن الذنب كان لعبدتها.

---

(1) حي يقال لهم بنو مليح من خزاعة. انظر تفسير القرطبي (14/ 309).
(2) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (2/ 370) رقم (805).

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 99] أي الأصنام وغيرها ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 99] مستحقة لأن يعبدوها ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الآية 99] ما دخلوها لأن المهان بالإلقاء والإحراق فيها لا يكون إلٰهاً ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 99] دائمون لا خلاص لهم عنها.

﴿لَهُمْ﴾ [الآية 100] أي لأهلها ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الآية 100] شدة أنين وتنفس حزين ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 100] من شدة عذابهم أو لا يسمعون ما يسرهم من خطابهم.

وأفاد الأستاذ: أن لعبدة الأصنام في النار زفير لحسرتهم على ما فاتهم من طاعتهم وهم فيها لا يسمعون نداء من يبشرهم بانقضاء عقوبتهم بخلاف عصاة المسلمين فإنهم وإن عذبوا حيناً لمعصيتهم فيسمعون قول من يبشرهم يوماً بانقضاء عقوبتهم ولو بعد طول مدتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الآية 101] الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة والعبادة أو البشرى بالجنة بعد حصول المحنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الآية 101] فإن مقامهم عليُّون.

قال الحسين بن فضل: سبقت العناية وظهرت الخيانة.

وقال جنيد: من سبق من الحق إليه إحساناً فإنه لا يزال يتقلب في ميادين المحسنين إيماناً وإيقاناً إلى أن ينقلب إلى أعلى مراتب أهل الإحسان من أرباب الإرادة لقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس:الآية 26]. وقال بعضهم: إذا سبقت للعبد من الله سعادة ففعلته كلها أذكاراً وعبادة وإذا سبقت للعبد من الله الشقاوة فأذكاره كلها عناء ومحنة وغفلة. وأنشد في معناه:

243/أ /مَن لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب[1]

وأفاد الأستاذ: أن المعنى سبقت لهم الكلمة الحسنى والمشيئة والإرادة

(1) نسب إلى نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الوزير. انظر بغية الطلب في أخبار حلب (2/ 475)، والبداية والنهاية (12/ 173)، والمنتظم (9/ 66).

بالحالة التي هي صفته تعاقبت بهم في معنى الإخبار عنهم بالسعادة. ثم قال: ﴿مُبْعَدُونَ﴾ [الآية 101] ولم يقل متباعدون ليعلم أن المدار على التقدير وسبق الحكم من الله به لا على تباعد العبد وتقرُّبه. أقول: وفي الحديث «لا مقرِّب لما باعدت ولا مُبعد لما قرَّبت، ولا مقدِّم لما أخَّرت ولا مؤخِّر لما قدَّمت»(1).

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الآية 102] ما يحسُّ به فيها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 102] من الشهوات الحسية واللذات المعنوية ﴿خَالِدُونَ﴾ [الآية 102] دائمون.

قال الواسطي: أهل الحقائق لا يحسون ضجيج أهل الدنيا لأنهم منصرفون عنها لما ورد على أسرارهم من وهج حقائق المولى فهم مترددون في منازلهم العلية ومراتبهم الجلية لا يقطعهم عن ذلك قاطع في الطريقة لانغماسهم في بحور الحقيقة.

وقال ابن عطاء: للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة وقد جمع لهم ذلك كله في الجنة، فشهوة القلوب القرب والرؤية، وشهوة الأرواح المشاهدة، وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على أنهم لا يعذَّبون فيها بكل وجه منها والمراد منهم السادة المؤمنون الكاملون فيهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون دائمون.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الآية 103] أي النفخة الأولى أو الأخيرة أو انصراف الفجار إلى عذاب النار أو حين يطبق على النار من الكفار أو حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا فوت. واقتصر عليه السلمي.

وأفاد الأستاذ: فيما زاد أنه قيل: قول الملك ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرقان:الآية 22]، ويقال: إذا قيل ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يٰس:الآية 59] وقيل

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 686) رقم (1868).

إذا قيل: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:الآية 108]، وقيل: ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء:الآية 103] هو الفراق وهو اليأس من رحمة الخلاق ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 103] أي عند نزع أرواحهم الطيبة كما. قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:الآية 30] ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت:الآية 30] الآية، وتستقبلهم مهنئين على أبواب الجنة ويقولون:
243/ب ﴿هَـٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 103] أي اليوم الواقع في العقبى / يوم ثوابكم الموعود في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن منهم من يتلقى الملك في بشارة الثواب ومنهم من يرد عليه الخطاب بغير واسطة من رب الأرباب.

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 104] أي نجمعها أو نمحوها أو طيّها تكرير نجومها ومحو رسومها ويؤيد الأول قوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الآية 104] كطي الطومار لأجل الكتابة، يعني ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لما كتب فيه، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه. وهذه أقوال الخلف وقول الأكثر من السلف أن السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه في الأحوال أو كما صح عن ابن عباس أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ فالكتاب هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها، وطي مضاف إلى الفاعل وعلى ما سبق إلى المفعول.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما كان السماء سقفاً مرفوعاً حين كان الأولياء تحتها والأرض كانت فراشاً إذا كانوا فوقها، فإذا تجلى الأحباب عنها تخرب ديارهم على العادة فيما بين الخلق من تخريب الديار وذهاب الآثار بعد مفارقة أصحاب الدار. ويقال: نطوي السماء التي عرضت منها بدواوين العصاة من المسلمين لئلا تشهد عليهم بالأجرام للمذنبين وتبدّل الأرض التي عصوا فيها غير تلك الأرض حتى لا تشهد عليهم. أقول: ولعل هذا بعد شهادتهم على بعضهم وإخبارها حيث قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزّلزلة: الآيتان 4،5]. ويقال: نطوي السماء والأبواب

ليقرب قطع المسافة على الأحباب.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الآية 104] أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في الإيجاد والإبقاء بعد العدم والعناء والإفناء، والمراد بيان صحة الإعادة بالمقايسة على البداءة لتناول القدرة القديمة لهما على التسوية. وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ [الآية 104] أي وعد وعداً كائناً إنجازه فلا محالة من رجوعكم إلينا ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الآية 104] أي محققين ذلك الوعد حيث لا خلف لدينا.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الآية 105] وهو كتاب داوود ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 105] أي التوراة أو المراد الزبور جنس الكتب المنزلة، فالزبور/ بمعنى 244/أ
المزبور أي المكتوب، وبالذكر اللوح المحفوظ لأن الكل أخذ منه ودليله قراءة حمزة بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 105] أي أرض الجنة أو الأرض المقدسة أو أرض الكفرة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية 105] يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد ﷺ أجمعون.

وأفاد الأستاذ: أن الذكر هنا بمعنى التوراة وكتب بمعنى خبر و﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أمة محمد ﷺ وهم بجمعهم قوم صالحون لنعمته وهم المطيعون وآخرون صالحون لرحمته وهم العاصون. والمعنى أخبرنا موسى عليه السلام وقومه وداوود عليه السلام وأمته أني اخترت أمة محمد ﷺ و﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 105] هم الذين يرثونها، أي بوجه الكمال في الدنيا وبحسن الكمال في العقبى والكل من فضل المولى.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ [الآية 106] أي القرآن أو فيما ذكر في هذه السورة من الأخبار والموعظة ﴿لَبَلَٰغًا﴾ [الآية 106] لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الآية 106] همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الآية 107] مفعول له أو حال بتقدير ذا رحمة أو لإرادة المبالغة وذلك لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم

وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وهو لا ينافي أن الرحمة تتعلق بالرحمة للكفار والنعمة تبدل بالنقمة للفجار. وقيل: كونه رحمة للكفار وأمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال في هذه الدار.

واختاره الأستاذ فيما أفاد حيث قال: أما من أسلم فيك ينجو وأما من كفر فلا نعذبهم ما دمت فيهم فأنت رحمة منا على الخلائق أجمعين.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 108] أي في ذاته وصفاته وأفعاله في مخلوقاته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 108] أي مخلصون له في عبادته منقادون في قبول طاعته.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية 109] عن التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ [الآية 109] أعلمتكم بما أمرت أني أُبلِّغكم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الآية 109] مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم بتبليغه. وفيه بطلان
244/ب مذهب الباطنية / وبعض الرافضة من الباطنية.

وقال الأستاذ: إن أعرضوا أو لم يؤمنوا فقل إني للإلزام أعلمتكم ولكن للإكرام ما ألهمتكم فتوجهت عليهم الحجة واستنبهت عليكم المحجة ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الآية 109] وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 109] من غلبة المسلمين أو من ظهور يوم الدين لكنه كائن باليقين.

وأفاد الأستاذ: أن علمي متقاصر عن تفصيل أحوالكم في مآلكم ووقت ما توعدون به في القيامة من تحصيل آمالكم ولكن حكم الله غير مستأخر عنكم إذا أراد شيئاً من تغير أفعالكم.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 110] كالطعن في الإسلام ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية 110] من الأحقاد للنبي عليه السلام وأصحابه الكرام ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 111] وما أدري لعل تأخر جزائكم استدراجٌ لشأنكم وزيادة في افتتانكم أو امتحانٌ لينظر كيف تعملون في أمر الأديان ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 111] وتمتيع لكم إلى أجل مقدر من الأحيان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يخفى عليه سركم ونجواكم وحالكم ومآلكم وظاهركم وباطنكم وعلى قدر استحقاقكم يجازيكم وبموجب أفعالكم يحاسبكم ويكافيكم، وليس يحيط علمي إلا بما يعلمني، وإعلامه إياي ليس باختياري ولا هو مقصود على حسب مرادي وإيثاري.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الآية 112] أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لأن تعجل عليهم العقوبة. وقرأ حفص قال على الحكاية من امتثال الطاعة ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الآية 112] كثير الرحمة والمنة ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ [الآية 112] المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 112] من أن الشوكة تكون لكم في العاقبة.

سورة الحج

[مكيّة]

وهي ثمان وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي بسم إلٰه هو المطلوب بالحج، والمقصود بالحج، والمراد بالحج، فلا يُحج إلا إليه ولا يُلبّى إلا إليه، ولا يُنادى إلا عليه، ولا يُذبح إلا لديه.

وأفاد الأستاذ: إن سماع بسم الله يوجب الغيبة والغيبة قضية إلٰهية وذلك وقت محوهم، وسماع الرحمٰن الرحيم يوجب الأنس والقربة وذلك وقت صحوهم. فسماع بسم الله يوجب انزعاج القلوب وبه يحصل شفاء فتونهم، فعودة فتونهم في لطف جماله كما أن موجب جنونهم في كشف جلاله.

245/ أ ﴿يَٰٓأَيُّهَا/ ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ [الآية 1] أي مخالفته أو معاقبته وقابلوا الربوبية بما يقتضيه من العبودية. قيل: معناه يا بني النسيان والجهل في العرفان.

وقال جعفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كونوا من الناس فلا تغفلوا عن الله أي بالاستئناس بما سواه فمن عرف أن من الإنسان الذي خص خلقته بما خص به كبرت همته عن دنيّ المنازل وسمت به الرفعة حتى يكون للحق بعنايته ثم إلى ربك المنتهى.

وقال أبو يزيد: التقوى كل التقوى من إذا قال قال الله ولم يقل لغيره وإذا نوى نوى لله ولم ينو لغيره هكذا في جميع ما يبدأوا منه. ويروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أوصني، فقال: اتقِ

الله فإنها جماع كل خير[1]، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداء علامة و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نداء كرامة وبكل واحد من القسمين في الصور يفتتح الحق خطابه في الصورة وذلك لانقسام خطابه إلى صفة التحذير مرة وصفة التبشير كرة، والتقوي هو التحرز والانتهاء وتجنُّب المحظورات فرض وتجنُّب الفضلات والشواغل وإن كانت من جملة المباحات نفل، فثواب الأول أكثر لكنه مؤجل وثواب النفل أقل ولكنه معجل. ويقال: خوفهم بقوله: اتقوا، ثم سكن ما بهم من الخوف بقوله: ربكم، فإن سماع التربية يوجب الاستقامة وجميل الكفاية.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 1] تحريكها للأشياء جميعها على الاستواء والمجاري فإن الأشياء تتحرك بسببها وتحريك الأشياء فيها ﴿شَىْءٌ﴾ [الآية 1] أي باعتبار مآله ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 1] لشدة أهواله علّل أمرهم بالتقوى في الطاعة لفظاعة الساعة ليتصوروها في نفوسهم ويعلموا بقلوبهم أنه لا ينفعهم في دار العقبى إلا التذرُّع بلسان التقوى فيبقوا على أنفسهم في الدنيا ويبتغوها بملازمة التقوى. وقيل: هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها، ويؤيده ظاهر قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الآية 2] أي تنشغل بنفسها ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الآية 2] من ولدها لكثرة هولها وشدة نكدها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الآية 2] أي تُسقط جنينها في غير/ محلها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ 245/ ب
[الآية 2] أي كأنهم سكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الآية 2] أي على الحقيقة بل حيارى ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الآية 2] فتغير الأحوال حينئذ ليس ببعيد. وقرأ حمزة والكسائي: سَكرى.

قال جعفر: سكرهم لما شاهدوا من بساط العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء والعظموت حتى كل نبي يقول نفسي نفسي.

---

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 283) رقم (1000).

وأفاد الأستاذ: أن منهم من سكره لما يصيبه من الأهوال ومنهم من سكره لاستهلاكه في عين الوصال كما أن اليوم منهم من سكره سكر الشراب ومنهم من سكره سكر المحاب وشتان بين سكر أهل الغفلة وبين سكر أهل الوصلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 3] في توحيد ذاته وتفريد صفاته أو في أمر دينه من جميع جهاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 3] أي بكتابه وآياته ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ [الآية 3] في مجادلته أو عموم حالته ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الآية 3] متجرد للفساد ومريد لضلال العباد.

قال سهل: يخاصم في الدين بالهوي والقياس بالأهواء دون الاقتداء بالأنبياء والأولياء فعند ذلك يضل ويضل ويبتدع ويدخل في سلك السفهاء.

وأفاد الأستاذ: أن المجادلة لله مع أعداء الحق من موجبات القربة والمجادلة في الله بالمهاداة مع أوليائه والإصرار على الباطل بعد ظهور دلائل الحق من أمارات الشقاوة.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي على الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ﴾ [الآية 4] أي الشأن أو الشيطان ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ [الآية 4] تبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 4] أي ويدله إلى ما يجره إلى عذاب يستحقه بحسب التقدير.

وأفاد الأستاذ: أن من وافق الشيطان بمتابعة دواعيه من العصيان فالشيطان لا يهديه إلا إلى الضلال والطغيان ثم إنه يتبرأ من موافقته ويلعن أصحاب مرافقته فتعوذوا بالله من الشيطان ونزعاته ومن درك الشقاء وشؤم فجاءته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الآية 5] من إمكان الإعادة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ [الآية 5] حال البداءة ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 5] بخلق آدم منه أو الأغذية التي يتكون منها المني ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 5] وأُريد به جنسه ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الآية 5] قطعة من الدم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الآية 5] قطعة من اللحم كأنها ممضوغة ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الآية 5] تامة وناقصة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

[الآية 5]/ قدرتنا وصنعتنا وحكمتنا ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الآية 5] أي نقرّه 246/أ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 5] وهو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه سنتان عند الحنفية وأربع عند الشافعية ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الآية 5] حال كون كل منكم طفلاً، أو المعنى أطفالاً على إرادة الجنس ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الآية 5] كمالكم في القوة والفعل ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ [الآية 5] عند بلوغ الأشد وقبله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الآية 5] الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الآية 5] ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة الغفلة وقلة الفهم في الأمور الكلية والجزئية.

وأفاد الأستاذ: أن أرذل العمر الذلة في مشيب الزمان أو الإقامة في منازل العصيان أو التعريج في أوطان المذلة أو العيش مع الأضداد أو عيش المرء بحيث لا يعرف قدره أو أن يوكل إلى نفسه أو التطوح في أودية الحسبان إن شيئاً بغير الله كان أو هو الإخلاد إلى تدبير النفس والخلق والغفلة عن شهود تقدير الخلق.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الآية 5] ميتة يابسة وجامدة ساكنة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ [الآية 5] تحركت واضطربت ﴿وَرَبَتْ﴾ [الآية 5] انتفخت وارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الآية 5] من كل صنف حسن ونوع مستحسن.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله عن أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها بأشكال مؤتلفة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 6] أي بسبب أنه الثابت في ذاته ويتحقق بإيجاده جميع مكوّناته ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 6] كما أحيا النطفة والأرض الميتة فهو حق وكلامه صدق.

وفي تفسير السلمي: يحيي الموتى بالعلوم في الدنيا وبالأرواح في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض التي أصابتها وحشة الشتاء يحييها وقت الربيع وحسن الهواء. ويقال: يحيي النفوس بتوفيق العبادة ويحيي القلوب بتحقيق المشاهدة. ويقال: يحيي أحوال المريدين بحسن إقباله عليها. ويقال:

يحيي الأوقات بموافقة الأمر ثم بجهل الرضا وسكون الجأش عند جريان التقدير بحكم القضاء ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 6] من إيجاد وإمداد وإفناء وإبداء وتيسير وتفسير.

246/ ب ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 7] ومن مات فقد قامت/ قيامته[1] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 7] على أشكالهم الأولية وهيآتها كما يعيشون يموتون وكما يموتون يُحشرون.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 8] كرّر الآية لما أنيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الآية 8] لا سبيل العقل ولا طريق النقل أو من غير الكتاب والسنَّة لحديث: «خير الهدي هدي محمد»[2] فالمراد بالعلم العلم الفطري الضروري ليصح عطف العلم النظري. كذا قيل والأظهر أنه من قبيل العطف التفسيري وأن المراد بالعلم هو الإجمالي وبما بعده التفصيلي.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ [الآية 9] أي لاوي عنقه متكبِّراً ومعرضاً عن الحق متحيراً ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 9] أي غيره متحيراً ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 9] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وفيه تنبيه على أن علة الجدال هو الإقبال على الإضلال لغيره والخروج عن الهدى إلى الضلال بنفسه والمعنى ليصير ضالاً مضلاً في جداله ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الآية 9] أي هوان ومذلة ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية 9] عقاب الحرقة وحجاب الفرقة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 10] الجزاء والتعذيب مما لحقك ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الآية 10] بسبب ما عملته من الكفر والمعاصي هنالك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية 10] وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم وفق أحوالهم وصيغة المبالغة لإرادة إفادة الجمعية الدالة على المقابلة أو المعنى ليس بذي ظلم فعّال للنسبة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الآية 11] على طريق من الدين لا ثبات له فيه لعدم اليقين

(1) هذا اللفظ ورد في حديث في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال رقم (42123) باب ذكر الموت.
(2) أخرجه أبو يعلى في المسند (4/ 90) رقم (2119).

كمن وقف على جانب من عسكر المجاهدين ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ [الآية 11] من مطلوبه ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ [الآية 11] وسكن قلبه بسببه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 11] محنة وبلية امتحاناً من ربه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الآية 11].

قال الواسطي: على رهن ارتهنه هنالك فاطمأن إليه لذلك ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الآية 11] لذهاب عصمته في الدنيا وهبوط عمله في العقبى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 11] أي الجمع بين الخسرانين ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 11] الظاهر أمره عند أرباب اليقين. قيل الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات والخسران في العقبى كثرة الخصومة والتبعات.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: الناس من مخافة فضيحة الدنيا وقعوا في فضائح الأخرى ومن أجل نفوسهم/ أهلكوا نفوسهم. 247/ أ

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يكون على جانب غير مخلص لا شهوداً يوجب الوفاق ولا جحوداً يقتضي الشقاق فإن أصابه خصب وأمن وسعة سكن إليه وإن أصابته فتنة وتالفة محنة ارتد على عقبه وسار ناكصاً وصار لما أظهر من وفاقه عاكساً.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الآية 12] ما لا يقدر على مضرة ومنفعة لنفسه ولا لغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] أي دعاء من هذا وصف حاله ومآله ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الآية 12] عن مقصد آماله.

قال ابن عطاء: مَن ركن إلى شيء سوى ربه فقد ركن إلى ما يضره ولا ينفعه ومن اعتمد على الله فيما عبده ودعاه فقد اعتمد على الضار النافع الذي منه الكل على وفق ما قضاه.

﴿يَدْعُواْ﴾ [الآية 13] يزعم ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ [الآية 13] أي لا بنفسه بل بنسبه بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في العقبى ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الآية 13] الذي يتوقعه عابده بعبادته من حصول شفاعته ووصول التوسل إلى الله وقربته ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الآية 13] الناصر النافع ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الآية 13] الصاحب الشافع هو.

وقال الأستاذ: مَن المضرة في عبادته أكثر من المنفعة بل ليس في عبادته المنفعة البتة، وهو بيان ركاكة عقلهم ورؤية الناس خطأ فعلهم وأن النفع الذي يتوقعونه من عبادة الأصنام ليس له حقيقة في اليقظة ولا في المنام، لبئس الناصر الصنم لهم ولبئس القوم هم للصنم ولم لا ولأجله وقعوا في عقوبة الأبد ونهاية الألم وغاية البلاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 14] أي بفضله وكرمه وتوفيقه للإيمان وعمله ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ [الآية 14] أي من تحت الأشجار المنتجة للأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الآية 14] من إثابة الأبرار وعقوبة الفجار من غير دافع ومانع في الدار حيث ليس في الدار غيره ديار.

وأفاد الأستاذ: أنهم صدقوا ثم حققوا فالإيمان ظاهره التصديق وباطنه التحقيق ولا يصل العبد إليهما إلا بالتوفيق. ويقال: الإيمان ما يوجب الأمان ففي الحال يجب الأمان وفي المآل يوجب الأمان، فمعجل الأمان من عقوبة المسلمين ومؤجله بالخلاص من صحبة الكافرين/ والفاجرين والعمل الصالح 247/ب
ما يصلح للقبول ويصح للثواب والوصول وهو أن يكون على الوجه الذي تعلق به الأمر في الحصول والجنان منها مؤجلة بأحوال قربة ومعجلة بإيصال مثوبة. قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرَّحمٰن: الآية 46] أي جنة في الدنيا وأخرى في الأخرى.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 15] أي لن ينصر رسوله أو لن يرزقه ولن يقبل سؤله ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 15] فليمت من غيظه كما عبر عنه بقوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ [الآية 15] إلى حبل ممدود ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 15] سقف بيته ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ [الآية 15] نفس نفسه به باختناق حلقه ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾ [الآية 15] فليتصور وليتفكر ﴿هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الآية 15] أي هل يدفع عند فعله غيظه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يرغم أعداء رسوله فمن لم يطلب نفسه

بشهود تخصيص الله سبحانه بما أفرده ليقتل نفسه من الغيظ خنقاً ثم لا ينفعه ولذلك قيل:

إن كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 16] ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 16] أي القرآن بالكمال ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 16] حال كونه مشتملاً على دلالات واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ [الآية 16] أولاً ويثبت على الهداية ثانياً ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [الآية 16] هناءه وثباته. والتقدير وأنزله كذلك مبيناً مجمله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نصب لعباده دلالات وعلامات فمنها ما هو قضية الفعل ومنها ما هو نتيجة النفل، ومنها ما هو تعريفات في أوقات المعاملات مما يجده العبد في اختلاف الحالات من انفلات وقت واستعداد قبض وحصول خسران ووجوه امتحان لا شك ولا مرية إذا أخل بمأمور أو ألمّ بمحظور. ومن زيادة بسط وحلاوة طاعة وتيسير عسير من أمور عاداته وتجديد أنعام عند حصول شيء منه من طاعاته ثم قد يكون آيات هي في الإسرار خطاب من الحق ومحادثة معه في الحال المطلق كما في الخبر لغة «[لقد] كان في الأمم محدثون فإن يك في أمتي فعمر»[2]. ثم يقال: الآيات ظاهرة والحجج زاهرة ولكن الشأن فيمن يستبصر البرهان ويشاهد البيان على وجه العيان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾
248/ أ [الآية 17] أي وسائر/ المشركين والكافرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 17] بإظهار الحق منهم عن المبطل بالحكومة أو بالجزاء والمثوبة فيجازي كلاً بما يليق به ويدخله المحل المُعد لمثله، ودخلت إن على كل من الاسم

(1) ذكر من دون نسبة لأحد. انظر تفسير القشيري (5/ 178)، والكشكول (1/ 129)، والمستطرف (1/ 72).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 92) رقم (4499)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 622) رقم (3693)، وابن حبان في الصحيح (15/ 317) رقم (6894).

والخبر لمزيد التأكيد في الأثر كقول بعضهم: إن الخليفة إن الله فضله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 17] مطلع على أعماله ومراقب لأحواله.

وأفاد الأستاذ: أن لأصناف الناس على اختلاف مراتبهم من المولي والعدو والموحد والجاحد يجمعون يوم الحشر لدى الواحد الماجد ثم الحق سبحانه يعامل كلاً بما وعدهم إما بوصال بلا مدى أو بأهوال بلا منتهى، الوقت واحد وكل واحد لما أُعد له واجد، وعلى ما خلق له وارد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 18] ينقاد لقدرته ويتسخر لعظمته، وأورد من تغليباً لذوي العقول على غيره إيماء إلى أنه أولى به، ولذا قال: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الآية 18] إفراداً بالذكر لسخرتها ولشهرتها أو استبعاد ذلك منها لبعض ذوي العقول القاصرة عنها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 18] أي يسجدون له سجود طاعة تورث الثواب ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 18] بكفره وإبائه عن طاعة ربه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 18] بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الآية 18] يكرمه بالسعادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 18] من الإهانة والإكرام لمن يشاء من الأنام.

قال السياري: مَن قدر الله عليه الإهانة في السبق لا يقدر على كرامته أحد من الخلق.

وأفاد الأستاذ: أن أهل العرفان يسجدون سجود عبادة وأرباب الجحود يسجد كل جزأ منهم سجود دلالة وشهادة كما قيل:

وفي كل شيء له شاهد يدلّ على أنه واحد

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الآية 19] أي فوجان مختصمان ولذا قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الآية 19] حملاً على المعنى وهو أولى من رعاية المبنى، والمراد بهم المؤمنون والكافرون ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ [الآية 19] أي في ذاته وصفاته أو في دينه ومتعلقاته ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 19] فصل لخصومتهم وعدل وفضل في رتبتهم ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ [الآية 19] قدرت على مقادير جثتهم ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الآية 19] قطع من نار تحيط بهم وفيه تنبيه على تفاوت مراتب عقوبتهم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾

[الآية 19] الماء الحار الأليم.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ/ وَٱلۡجُلُودُ﴾ [الآية 20] يُذاب به بواطن أحشائهم كما 248/ب
يذوب به ظواهر أعضائهم ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ [الآية 21] مضارب شديد ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ [الآية 22] من قعرها إلى ظهرها ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ [الآية 22] أي من أجل غم يغم أهلها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الآية 22] أي في مكان أول أو محل أسفل منها ﴿وَذُوقُواْ﴾ [الآية 22] أي وقيل لهم لهذا الفريق ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الآية 22].

وقال الأستاذ: أما الذين كفروا فلهم اليوم لباس الشرك والكفران وطرازه الحرمان ثم صدارة العصيان وحيازة الخذلان وفي الآخرة لباسهم القطران وطرازه الهجران. وأما الذين آمنوا في الدنيا وآمنوا في العقبى فلباسهم اليوم التقوى وينقسم إلى اجتناب الشرك ثم مجانبة المخالفة ثم مباينة الغفلة ثم محاذرة السكون إلى غير الله والاستشعار إلى ما سواه. وفي الآخرة لباسهم على حسب أوقاتهم في الدنيا وحالاتهم في العقبى، فالعباد لباسهم فيها حرير الجنة وآخرون لباسهم صديد المحنة، وآخرون لباسهم الانفراد بهم في الخلوة والحضرة، والآخرون هم أصحاب التجريد التام، فلا حال ولا مقام ولا منزلة ولا محل ولا مرام وهم القرباء وهم الطبقة العليا أحرار عن رق كل ما لحقه التكوين من الإفناء والإبداء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 23] وغيَّر الأسلوب للإشارة إلى التفنن في العبارة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ [الآية 23] أي حلياً منها ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ [الآية 23] بيان لها ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ [الآية 23] عطف عليها ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محلها ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الآية 23].

وأفاد الأستاذ: أن التجلية تحصين لهم وستر لأحوالهم فهم للجنة وليس لهم بالجنة زينة.

وإذا الـدر زان حـسـن وجـوه   كان للدر حسن وجهك زينا[1]

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية 24] أي كلمة التوحيد في الدنيا ونحو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده في الأخرى ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الآية 24] المحمود ذاته أو عاقبته أو الحميد الكريم وصراطه القويم والطريق المستقيم.

قال ابن عطاء: الطيب من القول ذكر الله.

وقال جعفر: هو الأمر بالمعروف. وقال بعضهم: هو نصيحة
249/أ المسلمين. وقيل: هو قراءة القرآن، كذا في «تفسير/ السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن الطيب من القول ما صدر عن قلب خالص وسر صاف مما رضي به علم التوحيد الذي لا اعتراض عليه لأصول التفريد. ويقال: الطيب من القول ما يرضاه الحق سبحانه أو هو ما يخاطب الله به على وجه الثناء دون الحاجة والدعاء، أو هو إرشاد المرشدين ووعظ المسترشدين. ويقال: الدعاء للمسلمين، ويقال: هو بيان للاستغفار والعبد يرى من الذنوب والإصرار وأما صراط الحميد فهو ما شهد له الشريعة بالصحة ولا يكون للحقيقة عليه النكرة أو ما كان طريقة الاتباع دون الابتداع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 25] أي يعرضون عن دينه وحصوله أو يمنعون الناس عن دخوله ووصوله ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية 25] أي عن الحرم نفسه أو عن سبيله ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 25] أي لدخوله للواردين ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ [الآية 25] المقيم فيه ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الآية 25] الطارىء، وسوى خبر معدم، والجملة مفعول ثان لجعلناه للناس حال من الهاء ونصبه حفص على أنه المفعول والعاكف مرتفع به لأنه مصدر في معنى اسم الفاعل، أي مستوٍ فيه القاعد والوافد والغني والفقير والحقير والأمير والصغير والكبير والقريب لأنه بيت الرقيب المجيب ومنزل الحبيب الطبيب.

---

(1) نسب إلى عدّة شعراء منهم كثير بن عزة، وإلى الأحوص، ومالك بن أسماء.

قال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن يستوي عندك الطارىء والمقيم يعني فإنها من صفة الكريم ونعت الحليم.

وأفاد الأستاذ: أن الصد عن المسجد الحرام بإضافة السبل على قاصدي هذا المقام وبنصب المال الذي لو بقي في يد صاحبه لوصل به إلى المشعر الحرام. وقوله: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الآية 25] يشير إلى أنه يعتبر به السبق للمرام والتقدم في ذلك المقام فمنى مناخ من سبق من الأنام ومشهد الكرام يستوي فيه الإقدام فمن وصل إلى ذلك المحل فلا ترتيب ولا رد وبعد الوصول فلا زجر ولا صد، وفي أثناء الطريق ربما يعتبر التقدُّم والتأخر في الفريق. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤﴾ [الحجر: الآية 24] ولكن لا تباين في الوصول ولا تباين في الحصول. ثم إذا اجتمعت النفوس/ فيها فالموضع الواحد يجمعهم لها ولكن لكل حال يعود بها. 249/ ب

﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ [الآية 25] أي أيَّ مراد ﴿فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ [الآية 25] أي ميل عن العدل أو عدول عن الفضل ﴿بِظُلۡمٖ﴾ [الآية 25] كالشرك بالأصنام واقتراف الآثام ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الآية 25] ينسي سائر الآلام.

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا﴾ [الآية 26] عيَّنا وهيَّأنا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الآية 26] الكريم لنا. قيل: رفع البيت الذي بناه الملائكة إلى السماء أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه في ذلك الزمان ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ﴾ [الآية 26] أي ناديناه فإن مخففة أو مفسرة أي لا تشرك ﴿بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ [الآية 26] من الأقذار والأوزار ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ [الآية 26] أي العاكفين من المقيمين والمعتكفين ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية 26] أي المصلِّين.

قال ابن عطاء: وفقناه لبناء البيت وهديناه إليه وأعنا عليه وجعلناه مسكناً له ولمن بعده من الأنبياء والأولياء والصدِّيقين إلى يوم الدين وأمرنا الخليل عند بنائه أن لا يرى فعله ولا بناءه ولا عمله ولا يشرك بنا في ذلك شيئاً من أمره وحوله.

وأفاد الأستاذ: في قوله طهر بيتي يعني الكعبة، وهذا على لسان العبارة

وعلى بيان الإشارة فرِّغ قلبك عن الأشياء سوى ذكره سبحانه بالدعاء والثناء. وفي بعض الكتب أوحى الله إلى بعض الأنبياء: فرِّغ لي بيتاً أسكنه، فقال: إلٰهي أي بيت يسعك، فقال تعالى: ذلك قلب عبدي المؤمن. قلت: وهذا معنى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

ثم قال الأستاذ: وتفريغ القلب على أقسام، أوله: من الغفلة والنسيان ثم من توهم شيء من الحدثان من غير الرحمٰن. ويقال: قد تكون المطالبة على قوم بصون القلب عن ملاحظة الأعمال وتكون المطالبة على الآخرين بحراسة القلب عن المساكنة إلى الأحوال. ويقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الآية 26] أي قلبك عن التطلع والاختيار لأن يكون لك عند الخلق نوع من الجاه والاعتبار بل ولا يكون لك عند الله جاه في الدنيا أو حظ في العقبى حتى تكون عبداً له بكمال القيام لحقائق العبودية كما يقتضيه كمال النظام من حقوق الربوبية. ويقال:
﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الآية 26] أي قلبك بإخراج كل/ نصيب في الدنيا والأخرى من 250/ أ
تطلع إكرام أو تطلُّب إنعام أو إرادة مقام أو طلب حال من اختيار واستقلال. ويقال: طهِّر قلبك للطائفين بها من موارد الأحوال على ما يختاره الحق المتعال والعاكفين وهي الأشياء المقيمات من مستوطنات المعرفة في القلب من الأمور الغيبية وتطلعه بما هي حقائق البيان التي هي كالعيان كما في الخبر: «أعبد الله كأنك تراه»[2]. والرُّكع السجود ما هي أركان الأحوال المتوالية من الرهبة والرغبة والرجاء والمخافة والقبض والبسط والمحو والصحو والفناء والبقاء. وفي معناه أنشدوا:

لست من جملة المحبين إن لم   أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السر فيه   وهو ركني إذا أردت استلاما[3]

ويقال في قوله: ﴿لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ [الآية 26] لا تلاحظ البيت ولا

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.
(3) نسب إلى الشبلي. انظر مختصر تاريخ دمشق (8/ 309).

بنائك للبيت. ويقال: هو شهود البيت والاستغراق في شهود رب البيت.

﴿وَأَذِّن﴾ [الآية 27] أي نادِ ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الآية 27] أي بأن يحجوا بيت ربهم ويقصدوا شعائر دينهم. روي أن إبراهيم عليه السلام صعد أبا قبيس أو المقام فقال: يا أيها الناس حجوا بيت ربكم، فأسمعه الله مَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق ممن سبق في علم الله[1] أن يحج فلبى روحه بلسان القال أو ببيان الحال أو الخطاب لنبينا ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع سنة ست من الهجرة والله أعلم.

وجاء رجل إلى جنيد يستأذنه في الحج على التجريد فقال: جرِّد أولاً قلبك من السهو ونفسك من اللهو ولسانك من القول ثم استأذن حيث شئت ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الآية 27] مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الآية 27] أي وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعدُ السفر وهزله. وفي تقديم المشاة إشارة إلى أن فضلهم أظهر وأجرهم أكثر لأن تعبهم أكبر.

وقال الأستاذ: لأن الحمل على المركوب أكثر ولتلك الجمال على سائر الجمال خصوصية أي في زيادة الجمال لأنها مركب الأحباب أي إلى عتبة الأبواب، وفي قريب من معناه أنشدوا ما مبناه:

/ وإن جمالاً قد علاها جمالكم وإن قطعت أكبادنا لحبائب[2] 250/ ب

﴿يَأْتِينَ﴾ [الآية 27] أي الجمال الضامرة ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الآية 27] أي طريق بعيد.

وأفاد الأستاذ: إن هذا على جهة المدح لهم وسبيل الشكر منهم وإلا فكم مقدار مسافة الدنيا بجملتها في مدة سيرهم ولكن لأجل قدر فعلهم وتعظيم صنعهم يقول ذلك إظهاراً لفضله وكرمه بهم.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ [الآية 28] ليحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الآية 28] دينية ودنيوية.

(1) تفسير النيسابوري (5/ 398).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 187).

قال ابن عطاء: ما وعد الله لهم من القربة والزلفة.

وأفاد الأستاذ: أن أرباب الأموال منافعهم أموالهم وأرباب الأعمال منافعهم حلاوة طاعاتهم وأرباب الأحوال منافعهم صفاء أنفسهم وأهل التوحيد منافعهم رضاهم باختيار الحق ما يبدو من الغيب لهم ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الآية 28] عند إعداد الضحايا وإمداد الهدايا فإن العطايا على قدر المطايا ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الآية 28] هي أيام ليالي عشر ذي الحجة وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي أو أيام النحر وهو قول أبو يوسف ومحمد ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الآية 28] أي بعضها أمر إباحة إزاحة لما عليه الجاهلية من التحرُّج فيه أو نداء إلى مواساة الفقراء أو مساواتهم، وهذا في المتطوع به دون الواجب إلا دم القران والتمتع عند الحنفية ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ [الآية 28] أي ذا بأس وشدة يأس ﴿الْفَقِيرَ﴾ [الآية 28] المحتاج الكسير، والأمر فيه للوجوب عند الشافعية وللندب عند الحنفية، وقد قيل بالوجوب في الأكل أيضاً.

قال أبو عثمان: أدّب الله عباده أن لا يطعموا الفقير إلا ما يأكلون ولا يجعلون لله ما يكرهون وهو أن يشاركوهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومنازلهم.

وقال ابن عطاء: البائس الذي تأنف بمجالسته ومؤاكلته والفقير من لم تعلم حاجته إلى طعامك إن لم تسأل حالته.

وأفاد الأستاذ: أنهم يذكرون اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند التقرُّب بقرابينهم وسوق هديهم وآخرون يذكرون عند ذبحهم أمانيهم واختيارهم بسكاكين اليأس حتى يقوموا لله بالله بمحو ما سوى الله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير شاركوا الفقراء في ذبيحتكم الذي ليس بواجب عليكم
251/أ لتلحقكم بركات الضعفاء، والإشارة فيه/ أن ينزلوا ساحة الخضوع والتواضع ومجانبة الزهو والتكبُّر والخيلاء.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الآية 29] ليزيلوا وسخهم ويميطوا شعثهم عند فراغ عملهم ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الآية 29] من البر في حجهم وسائر قصدهم

﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ [الآية 29] طواف الركن أو طواف الوداع إن كان آفاقياً ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الآية 29] القديم لأنه أول بيت وُضِع للناس أو المعتق من تسلُّط الجبابرة عليه، فكم من جبَّار على قصد هدمه سار إليه فمنعه الله وحماه لديه.

قال السلمي في تفسيره: سئل الجورجاني ما الإشارة في شعر المحرم، فقال: ترك التصنع لما شهد الحق منك والإعراض عن العناية بنفسك أي للاهتمام بأمرك.

وقال الأستاذ: ليقضوا حوائجهم ويحققوا عهودهم وليوفوا نذورهم فيما عقدوه مع الله بقلوبهم فمن كان عقده التوبة فوفاؤه أن لا يرجع إلى العصيان، ومن كان عهده اعتناق الطاعة فشرط وفائه ترك تقصيره في باب الإحسان، ومن عقده أن لا يرجع إلى طلب مقام وتطلع إكرام فوفاؤه استقامته. وعلى الجملة التي دخل في هذا الطريق بأن لا يرجع إلى استعجال نصيب أو اقتضاء حظ والله ولي التوفيق. ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الآية 29] الإشارة أن يطوف بنفسه حول البيت وبقلبه في سماء الملكوت وبسره في ساحة الجبروت.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي محرماته من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والإحرام وسائر أحكام الإسلام ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الآية 30] أي فتعظيمه محض خير ونفع له عند ربه من جهة ثوابه وأجره وتقرُّب أمره.

قال الواسطي: هو أن لا يلامس محرماً في دينه ولا يخالف أمراً ولا نهياً في فعله. وقيل: أن لا يلاحظ شيئاً من كونه.

وأفاد الأستاذ: إن تعظيم الحرمات بتعظيم أمره وتعظيم أمره بترك مخالفته لحكمه. ويقال: من طلب العناء بغير رضا الله لم يبارك له فيما آثر من هواه على رضاه مولاه ولا محالة سيلقى سريعاً غبة جزاءه. ويقال: تعظيم حرماته بالغيرة على إمائه وما فَجَرَ صاحب حرمة قط. ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة. ويقال: كل شيء من المخالفات/ 251/ ب

فللعفو فيه مساغ وللأمل إليه طريق وترك الحرمة على خطر أن يغفر وذلك بأن يؤدي شؤمه بصاحبه إلى أن يحتل ركن دينه وتوحيده.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 30] من الأحكام ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الآية 30] أي الرجس الذي هو الأوثان، فمن بيانية. أو فاتقوا العذاب من أجل عبادة الأوثان، فمن ابتدائية. والمعنى الأول هو المعول فإنه يفيد غاية المبالغة في النهي عن طاعتها والتنفير عن عبادتها ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الآية 30] وهو الافتراء على الله بأن له ولداً ونحو ذلك. وقيل: المراد به شهادة الزور.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة ذلك قول اللسان بما لا يساعده الجِنان ومن عاهد الله بقلبه ثم لا يفي بأمره فهو من جملة أقوال زوره.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ [الآية 31] مخلصين لديه ما يلين عن غيره إليه متوكلين في أمورهم عليه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الآية 31] أي من جلي الشرك وخفيه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أحداً مما سواه ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 31] لأنه سقط من أوج الإيمان والعرفان إلى حضيض الكفر والكفران ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الآية 31] فإن الأهواء المردية توزع الأفكار الردية في تعلق الغير من غير جلب النفع ولا دفع الضر.

وقال الأستاذ: تجاذبه ملائكة العذاب إلى نار السعير وعذاب الحريق ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الآية 31] بعيد عميق، فإن الشيطان قد رُمِيَ به في تيه الضلالة بعيداً عن الفريق، وأو للتنويع، فإن منهم من لا خلاص له أصلاً ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة فصلاً.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] أي شرائع دينه أو فرائض حجه أو مواضع نسكه أو هدايا نحره وتعظيماً أن يختار الحسان السمان غالية الأثمان فقد أهدى ﷺ مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل أخذ في غنيمة بدر في أنفه برة من ذهب وأهدى عمر رضي الله عنه نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الآية 32] فإن تعظيمها نشأ من أحوال ذوي تقوى القلوب من الذنوب والعيوب.

قال سهل: تقوى القلوب هو ترك الذنوب.

وقال الحريري: تقوى النفوس ظاهر/ وتقوى القلوب باطن. 252/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه يقف المؤمن على تعيين شعائر الله وتفاصيلها بشهادة العلم جهراً وبخواطر الإلهام سراً وكما لا يجوز مخالفة شهادة الشرع لا يجوز مخالفة شهادة خواطر الحق، فإن خاطر الحق لا يكذب وعزيز من له عليه وقوف، وكما أن النفس لا تصدق فالقلب لا يكذب فإذا خولف القلب عمي في المستقبل وينقطع عنه تعريفات الحقيقة. فالعبادة والشرع يتقاصر عن هذا على التعيين والتفسير. وتقوى القلب بتحقيق المنازلة فإذا خرست النفوس وزالت هواجسها فالقلوب تنطق بما يكاشف بها من الأمور ومن الفروق بين ما يكون طريقه العلم وما طريقه من الحق. إن الذي طريقه العلم يعلم صاحبه أولاً ثم يعمل مختاراً، وما كان من الحق يجري ويحصل ثم بعده يعلم من جرى عليه ذلك معناه، ولا يكون الذي يجري عليه ما يجري مضطراً إلى ما يجري وليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار بل يكون مختاراً ولكن سببه عليه مشكل والمتعجب من هذا لأن العبارة عن هذا كالبعيد.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الآية 33] من درها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 33] إلى أن تنحر ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الآية 33] وقت نحرها أو مكان ذبحها منته إلى ما يليه من الحرم.

وأفاد الأستاذ: أن لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحدّه لأقوام بركات في دفع البلايا عن نفوسهم وعن أموالهم ولآخرين في بذاذات بسطهم وأحوالهم، ولآخرين في حلاوة طاعاتهم وأعمالهم، ولآخرين في أنس أنفاسهم وآمالهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 34] من أهل دين ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الآية 34] متعبداً يعبدون فيه أو ما يتعبد به أو قرباناً يتقربون به إلى الله. وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين أي موضع نسك بمعنى عبادة أو ذبيحة ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] دون غيره ويجعلوا نسكهم خالصاً لوجهه ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 34] عند ذبحها.

وأفاد الأستاذ: أن الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات متفقة فيما كان من جملة المعارف والمعتقدات، ثم فيها مختلفون وهم مؤتلفون فقوم أصحاب التضعيف فيما أوجب عليهم وجعل لهم، وقوم أصحاب التخفيف/ 252/ ب
فيما ألزمهم وما وعد لهم، ثم ذكر اسم الله على ما رزقهم على أقسام، منها معرفتهم بإنعام الله بذلك عليهم وذلك من حيث شكرهم ثم يذكرون اسمه على ما وفقهم لمعرفته بأنه هو الذي رزقهم ثم فكرهم بالله بأنه هو الذي أمرهم ثم ذكرهم الله بأنه هو الذي يتقبل منهم ويثيبهم.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية 34] وهو ماجد واحد ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الآية 34] أخلصوا في تقرُّبه وذكره وشكره وإطاعة أمره.

وقال الأستاذ: استسلموا لحكمه بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب لا من القرط والإسلام يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفيه الأحوال ثم تصفية الأنفاس ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الآية 34] المتواضعين أو المخلصين فإن الأحياء صنعتهم باليقين.

قال ابن عطاء: المخبت هو امتلاء قلبه من المحبة وقصر طرفه عما دون حبه استدامة الطاعة بشر الاستطاعة، ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع وذلك بإطراق السريرة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 35] خافت واضطربت هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها وعظمة لحضور وسرور ذكره ونور فكره لديها.

قال ابن عطاء: هل رأيت ذلك الوجل عند سماع ذكره أو كتابه أو خطابه أو هل أخرسك الذكر حتى لم تنطق إلا به وأصمك حتى لم تسمع إلا منه هيهات.

قال الواسطي: الوجل على قدر المطالعة ربما يريه موضع السطوة والقلبة وربما يريه موضع المحبة والمودة.

وأفاد الأستاذ: أن الوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل أو لمخافة عقابه بالسّوء تختم أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت وإصلاح أهبة أو لحياء من الله سبحانه إذا ذكر اطلاعه عليه لما ينذر منه من الأمور التي هي غير محبوبة. ويقال: الوجل على حسب تجلي الحق للقلب فإن القلوب في حال المطالعة والتجلي بوصف الوجل والهيبة وجل له سبب ووجل بلا سبب، فالأول هو المخافة، والثاني معدود من الهيبة. ويقال: الوجل خوف المكر والاستدراج وأقربهم من الله قلباً أكثرهم من الله على هذا الوجه خوفاً.

/ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 35] التاركين الجزع والخوف ﴿عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ [الآية 35] من النوائب والمصائب. 253/ أ

وقال الأستاذ: أي الحافظين مع الحق أسرارهم لا يطلبون السكون باطلاع الخلق على أحوالهم ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية 35] في أوقاتها بشرائطها وأركانها ومكملاتها.

وقال الأستاذ: أي إذا اشتدت بهم البلوى فزعوا إلى الوقوف في محل النجوى.

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمع[1]

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 35] في مرضات ربهم خالصاً لوجهه.

وقال الأستاذ: عند المعاملة من أموالهم وفي قضايا المنازلة الاستسلام في أحوالهم وتسليم النفس وكل ما منك وبك لطوارق التقدير فينفقون أبدانهم على تحمُّل مطالبات الشريعة والطريقة وينفقون قلوبهم على التسليم والخمود تحت جريان الأحكام بموافقات الحقيقة.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 36] من أعلام دينه التي شرّعها الله ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ [الآية 36] كثير ونفع كبير ديني ودنيوي ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ

(1) نسب إلى المجنون العامري. انظر الكشكول (1/ 383).

﴿ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 36] بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله الله أكبر لا إلٰه إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك، أي عطاء لنا حاصل منك وتقرُّب منّا واصل إليك ﴿صَوَآفَّۖ﴾ [الآية 36] قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

وأفاد الأستاذ: أن أقسام الخير فيها كثيرة بالركوب والحمل عليها وشرب ألبانها وأكل لحومها والانتفاع بروثها ثم الاعتبار بخلقها كيف سخرت للناس على قوتها وصورتها ثم تنقاد للصبيان في البروك عند الحمل عليها وركوبها والنزول منها ووضع الحمل عنها وصبرها على العطش في تعب سفرها وعلى قليل علفها، ثم ما في طبعها من لطف الخلقة حيث تستريح بالحداء مع كثافة صورتها إلى غير ذلك.

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ [الآية 36] سقطت على الأرض حال نحرها وهو كناية عن موتها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾ [الآية 36] الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة من قنع بالكسر قناعة، أو السائل من قنع بالفتح إذا خضع في السؤال ممن طمع، وقد قيل:

العبد حر إن قنع ... والحر عبد إن قنع
فاقنع ولا تقنع فلا ... شيء يشين سوى الطمع[1]

فهو السائل المتواضع ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾ [الآية 36] السائل الغير المتواضع أو المعترض بالسؤال أو المعترض ببيان الحال.

253/ب وأفاد الأستاذ: / أن القانع الذي ألقى جلباب الحياء وأظهر فقره للناس والمعتر الذي هو في تحمُّله يتحمل ولموضع فاقته كاتم ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ [الآية 36] مع عظمتها وقوتها وهيبتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها وتنحرونها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 36] إنعامنا في خلق أنعامنا للتقرب بها إلينا.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] لن يصيب رضاه ﴿لُحُومُهَا﴾ [الآية 37] المتصدَّق بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الآية 37] المهراقة بنحرها من حيث لحومها ودماؤها ﴿وَلَٰكِن

(1) هذا البيت نسب للشافعي. انظر الأم (1/ 14).

﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الآية 37] ولكن يصيبه ما يصحبها من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر ربكم بالتقرُّب إليه والإخلاص لديه.

قال سهل: التقوى بدء التبري والإخلاص.

وأفاد الأستاذ: أن لا عبرة بأعيان الأعمال الضرورية سواء كانت محضة بدنية أو صرفة مالية ولكن العبرة بقرابتها من الإخلاص لها فإذا انضاف إلى اكتساب الجوارح خلاصات القصود والجوانح وتجردت عن ملاحظة أصحابها الأغيار صلحت للقبول والاعتبار. ويقال: التقوى شهود الحق بنعت التفرد فلا بثبوت تقربك بملاحظة أحد ولا بأخذ عوض على عمل من بشر ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ [الآية 37] كرره تذكيراً للنعمة وتمهيداً للعلة بقوله ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] لتعرفوا عظمته فتوحدوه بالكبرياء في نعته. وقيل: هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما هداكم وأرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرُّب بها. وعلى تعليلية أو حالية والتقدير شاكرين ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: أي أرشدكم إلى القيام بحق العبودية على قضية الشرع وفق القضايا الربوبية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 37] فيما يأتونه ويذرونه.

وقال الأنطاكي: للمحسنين علامات أولها أن لا يظلم وإن ظلم لا ينتصر وأن لا يغضب وإن غضب لا يأثم وقد أتعب نفسه والناس منه في راحة ونفسه منه في شغل، وأن يكون قلبه وجلاً عند الذكر وصابراً على ما يصيبه من الشدائد.

وأفاد الأستاذ: أن الإحسان كما في الخبر «أن تعبد الله كأنك تراه»[1] فأمارة صحته سقوط التعب بالقلب عن صاحبه فلا يشتغل شيئاً ولا يتبرم بشيء من أمر ربه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الآية 38] يبالغ في دفع غائلة/ المشركين 254/أ
عن طائفة المؤمنين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع.

(1) سبق تخريجه.

قال ابن عطاء: إن الله يدفع بالكفار عن المؤمنين وبالعصاة عن المطيعين وبالسفهاء عن العلماء. وقال بعضهم: يدفع عن المؤمنين هواجس أنفسهم ووساوس شياطينهم.

وقال سهل: يدفع عنهم بنور السنَّة ظلمة البدعة.

وقال الأستاذ: يدفع عن صدورهم نزغات الشيطان وعن قلوبهم خطرات العصيان وعن أرواحهم طوارق النسيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ [الآية 38] ذي خيانة في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ [الآية 38] ذي كفران النعمة.

وأفاد الأستاذ: أن الخيانة على أقسام: خيانة في الأموال وتفصيلها في المسائل الشرعية المعروفة عند علماء الفقه، وخيانة في الأعمال، وخيانة في الأحوال. فخيانة الأعمال الرياء والسمعة والمصانعة، وخيانة الأحوال بالملاحظة والإعجاب والمساكنة وشرها الإعجاب، ثم المساكنة وأخفاها الملاحظة. ويقال: خيانة الزاهدين عزوفهم عن الدنيا على طلب الأغراض ليجدوا حسن المآل في العقبى وهذا إخلاص الزاهدين ولكنه عند خواص الزهاد خيانة في الدين لأنهم تركوا دنياهم لا لله ولكن لوجود العارض على تركهم ذلك من قبل الله. وخيانة العابدين أن يدعوا شهواتهم ثم يرجعوا إلى الرخص في معاملاتهم فلو صدقوا في مرماهم لما انحطوا إلى الرخص بعد ترقيهم عنها، وخيانة العارفين جنوحهم إلى وجود مقام وتطلعهم لمنال منازلة وإكرام من الحق ونوع تقريب، وخيانة المحبين رَوْم فرجة مما يمسهم من برحاء المواجيد وابتغاء خرجة مما يستوعبهم من استيلاء صد وغلبات شوق أو تمادي أيام هجر، وخيانة أرباب التوحيد أن يتحرك عليهم للاختيار عرق ورجوعهم بعد امتحائهم عنهم إلى شظية من أحكام الفرق إلا أن يكون ذلك منهم موجوداً وهم عنه مفقودون.

﴿أُذِنَ﴾ [الآية 39] رخص. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل أي أذن الله للذين يقاتِلون المشركين ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الآية 39]. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون ﴿بِأَنَّهُمْ

﴿ظُلِمُواْ﴾ [الآية 39] بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي ﷺ/ ورضي عنهم، كان 254/ ب
المشركون يؤذونهم ويضربونهم وكانوا يأتون بين يديه ويتظلمون إليه فيقول لهم: «اصبروا على هذا الحال فإني لم أؤمر بالقتال»[1] حتى هاجر فأُنزِلَت، وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية بالصبر على تلك الحال ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الآية 39] جملة حالية معترضة مفيدة لوعد لهم بالنصر مع الظفر مع الصبر ومشعرة بأنه قادر على نصرهم من غير قتال أيضاً، إلا أنه سبحانه اقتضت حكمته وأوجبت مشيئته أن يكون ذلك الحال في ضمن القتال ليتبين أحوال الرجال وتفاوت الآمال.

وقال الأستاذ: إذا أصابتهم ضراء ومستهم ما هو في الظاهر ذل ومن الأعادي تجري عليهم أنحاء ضيم أو يلحقهم من الأجانب استيلاء ظلم فالحق سبحانه ينتقم من أعدائهم لأجلهم وهم بنعت التسليم والسكون في أغلب أحوالهم وتفاصيل الأقدار جارية باستئصال من يناؤهم وإدالة الدبرة على من يعاديهم وفي بعض الأحانين بنصبهم الحق بنعت التمكين والغلبة من نزولهم بساحات مَن يناوئهم بحسن الظفر وتمام حصول الدبرة على من ناصبهم وأخزاهم بأيديهم كل ذلك يتفق وأنواع النصرة من الله سبحانه، والله غالب على أمره في الجملة.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ [الآية 40] أي بغير موجب استحقوا به ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 40] من قبيل قول بعضهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب[2]

وأفاد الأستاذ: أن المظلوم منصور ولو بعد حين ودولة الحق تغلب دولة الباطل بالأمر اليقين، وللمظلوم حميد العقبى وللظالم وشيك الانتقام

---

(1) ورد بلفظ: «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال». انظر تفسير البغوي (5/ 388)، الكشاف (4/ 295).

(2) نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني. انظر نهاية الأرب (2/ 303) وخزانة الأدب (2/ 399).

بشديد البلوى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: الآية 52] وقد تجري في النفس وهواجسها على القلوب لبعض الأولياء وأهل القصة ظلم وجفاء يحصل لسكان القلوب من الأحوال الصافية عنها جلاء وتستولي غاغة النفس فتعمل في القلوب بالفساد من استكمال الغفلة وتداعي القلوب للخراب من طوارق الحقائق وشوارق الأحوال الزاكية، كما قال قائلهم:

أنعي إليك قلوباً طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

فيهزم الحق سبحانه بجنود الإقبال أراذل الهواجس وينصر عسكر
255/ أ التحقيق بإمداد الكشوفات وتحديد دارس العهود وإطلاع شموس السعد في/ ليالي السير ويكنس القلوب ويطهرها عن آثار ظلم النفس، وكما قيل:

أطلال سعدى باللوى تتجدد[1]

فإذا هبت على تلك القلوب رياح العناية وأزال عنها هيج النسيان وشفاها الله صوب التجلي أنبت فيها أزهار البسط ثم تفتح فيها أنوار الأنس ثم يتضح نهار الوصل ثم نسيم القرب إلى أن تطلع شموس التوحيد.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] وقرأ نافع دفاع الله ﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية 40] بتسليط المؤمنين على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ [الآية 40] وقرأ نافع وابن كثير بالتخفيف أي لخربت باستيلاء المشركين على أهل ملل الدين ﴿صَوَٰمِعُ﴾ [الآية 40] أي للرهابنة خاصة ﴿وَبِيَعٌ﴾ [الآية 40] للنصارى عامة[2] ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ [الآية 40] كنائس لليهود كافة سميت بها لأنها يُصلى فيها ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ [الآية 40] للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الآية 40] صفة للمساجد، وخصت بها تفصيلاً أو للأربع التي وقعت تفضيلاً.

وأفاد الأستاذ: أنه يتجاوز عن الأصاغر لقدر الأكابر ويعفو عن العوام لاحترام الكرام وتلك سنَّة أجراها الله سبحانه لاستيفاء منازل العبادة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 200).
(2) تفسير البيضاوي (1/ 129).

واستصفاء مناهل المعرفة ولا تحويل لقديم سنّته ولا تبديل لكريم عادته ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الآية 40] أي دينه أو نبيه ولقد أنجز وعده بأن سلّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [الآية 40] على نصرهم ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 40] غالب على أمرهم.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الآية 41] وصف للذين أخرجوا، وهذا ثناء قبل بلاء، وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذا لم يستجمع ما ذكر في غيرهم من المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الآية 41] فإن مرجعها إلى حكمه، وفيه تأكيد لوعده.

وقال الأستاذ: إذا طالت بهم المدة وساعدهم العمر والمهلة ولم يستفرغوا أعمارهم في استجلاب حظوظهم ولا في اقتناء محبوبهم من الدنيا أو مطلوبهم من العقبى ولكن قاموا بأداء حقوقنا و﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 41] بالظواهر واستداموا المواصلات في السرائر، ويقال إقامة الصلاة الوفاء بآدابها بأن تعلم بين يدي من أنت، وتناجي من، وقريب منك من، ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾
[الآية 41] أي الأغنياء منهم يؤتون زكاة أموالهم وفقراؤهم يؤتون زكاة أحوالهم،/ 255/ ب
فزكاة المال من مائتين خمسة للفقراء والباقي لهم وزكاة الأحوال أن يكون من مائتي نفس تسعة وتسعين ونصف لله ونصف من جزاء من مائتين لك، وذلك أيضاً علة ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الآية 41] تبتدىء في الأمر بالمعروف على نفسك ثم إذا فرغت من نفسك تأخذ في نهيها عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والإعجاب والمساكنة والملاحظة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ﴾ [الآية 42] قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ [الآية 42] قوم صالح ﴿وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ﴾ [الآيتان 43،44] قوم شعيب، وهذا كله تسلية له بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحدي في ذلك فإن هؤلاء قد كذبوا أرسلهم قبل قومه ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ﴾ [الآية 44]

أي مع ظهور أمره وسطوع نوره، ولعله خُصّ في هذا الباب لأنه أول مَن أُعطي الكتاب ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 44] أي أمهلتهم ومتعتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ [الآية 44] وعاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 44] إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً وعقوبة والعمارة دماراً ونقمة.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الآية 45] بإهلاك أهلها، وقرأ البصري أهلكتها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ [الآية 45] أي أهلكتها ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية 45] ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق سقوفها، أو خالية مع بقاء عروشها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الآية 45] أي وكم بئر عامرة في بواديها تُركت لا يسقى منها لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية 45] مرفوع أو مجصص شديد خلّيناه عن ساكنيه في زمن مديد.

وأفاد الأستاذ: أن الظلم يوجب خراب أوطان الظالم فتخرب أولاً أوطان راحة الظالم وهو قلبه، فالوحشة التي هي غالبة على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء أخلاقهم وفرط غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب أوطان راحتهم وهي في الحقيقة من جملة العقوبات التي تلحقهم على ظلمهم. ويقال: خراب منازل الظلمة ربما يتأخر وربما يتعجل وخراب نفوسهم في تعطلها عن العبادات شؤم ظلمهم وخراب قلوبهم باستيلاء الغفلة عليهم خصوصاً أوقات صلواتهم وأوان خلواتهم تعد ناجز غير مستأخر/. 256/أ
وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الآية 45] الإشارة فيه إلى العيون المتفجرة كانت في بواطنهم كانوا يستقون منها لاستبقاء حياة أوقاتهم من غلبة الإرادة وقوة المواجيد فإذا اتصفوا بظلمهم غلب شقاؤها وانقطع ماؤها بانسداد عيونها. وقوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية 45] إشارة فيه إلى تعطل أسرارهم من الذكر والفكر والأنس والهيبة وخلو أرواحهم عن نوازل المحاب وسلطان الأشواق وصنوف المواجيد.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 46] حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا إلى هنالك لكن لم يسافروا لذلك أو

بعث لهم على أن يسيروا بقلوبهم فيتأملوا ما سمعوا أخبار المقدمين بأذاتهم لكن ينبغي أن لا يكونوا بوصف الغفلة في المعقول والمنقول ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الآية 46] ما يجب أن يعقل من الاعتبار بما يحصل من الاستدلال والاستبصار ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 46] ما يجب أن يسمع من الأخبار وما يتبعه من الآثار ﴿بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى﴾ [الآية 46] الضمير للقصة المقترنة بالغصة ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 46] عن الاعتبار في الأمور، وفيه تنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يمحص البصر بل الذي يمحص البصيرة. قيل لما نزلت: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: الآية 72]. قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أنا أعمى في الدنيا أفأكون أعمى في الآخرة، فنزلت[1]. وعنه ﷺ: «ليس الأعمى من يعمى بصره ولكن الأعمى من يعمى بصيرته»[2] كذا في الدر المنثور في تفسير المأثور. وعنه عليه السلام: «ما من عبد إلا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عين قلبه ليرى ما هو غائب عن بصره» ذكره الغزالي في رسالة العلم اللدني. وقد قال ابن عباس:

إذا أَذْهَبَ الله عن عينيَّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور

وقال سهل: البصيرة من نور بصر قلبه بقلب الهوى والشهوة فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبة الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يسير البدن/ 256/ ب متخبطاً في المعاصي غير منقاد للحق.

وقال الأستاذ: كانت لهم قلوب من حيث الخلقة فلما زايلها صفاتها المحمودة صارت كأنها لم تكن في الحقيقة. ثم إنه أخبر أن العمى عمى القلب وكذاك الصمم وإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات فكما تبصر القلوب بنور العين تدرك نسيم الإقبال بمسام السر في الأحوال. وفي الخبر: «إني لأجد نفس ربكم

---

(1) تفسير القرطبي (12/ 77)، تفسير البيضاوي (1/ 130).
(2) جامع الأحاديث (18/ 243) رقم (19316)، وكنز العمال (1/ 243) رقم (8220).

من قبل اليمن»[1]، وقال خبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية 94] وما كان ذاك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظواهر.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 47] المتوعد به في هذا الباب لأنهم في مقام الحجاب ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 47] المبين في الكتاب لامتناع الخلق في خبره وعد أو وعيد فيصيبهم ما أوعدهم به عذاباً شديداً ولو بعد حين من المهلة لأنه صبور ولا يعجل بالعقوبة فليس التأخير للعجز بل لاقتضاء الحكمة واقتفاء المشيئة.

وأفاد الأستاذ: إن عدم تصديقهم حملهم على استعجالهم ما توعدوا به،. قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: الآية 18] فلو آمنوا لصدقوا ولو صدقوا لسكنوا وحققوا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 47] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالغيبة، وهو بيان لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة. وقيل: معناه أن يوماً عنده كألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى يشاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير لهم فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن عطاء كما في العالم.

واختاره الأستاذ فيما أفاد من أن الأيام عنده تتساوى إذ لا استعجال له في الأمور فسواء عنده يوم واحد وألف سنة ومن لا يَجري عليه الزمان وهو يُجري الزمان سواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 48] أي من أهلها ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ [الآية 48] أمهلتها كما أمهلتكم بعد/ استحقاق عقوبتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الآية 48] مثل حالتكم 257/أ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 57) رقم (4661)، وأحمد في المسند (2/ 541) رقم (10991).

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ [الآية 48] بالعذاب الشديد على الوجه اليسير ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 48] وإلى حكمي مرجع الجميع في الظاهر، والضمير فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأفاد الأستاذ: أن الإمهال يكون من أدبه سبحانه دون الإهمال يدع الظالم في ظلمه حيناً من الأجل ويوسع له الحبل ويطيل به المهل فيتوسم أنه انفلت من قبضة القدير وذلك ظنه الذي أراده فيأخذه من حيث لا يرتقب فعله فيعلوه ندمه ولات حينه وكيف يستبقي بالحيلة ما حق في التقدير عدمه.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩﴾ [الآية 49] أوضح لكم ما أنذركم به ولعل الاقتصار على الإنذار من باب الاكتفاء في الاعتبار أو لأن البشارة مرتبة على قبوله الإنذار بالتصديق والإقرار كما يفيده التفريع المتضمن للتوزيع بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 50] لما بدَرَ لهم من الغفلة وندر لهم من المعصية وصدر عنهم من الزلة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 50] مثوبة عظيمة في الجنة لما قدموه من الطاعة.

وقال الأستاذ: يعني أشباهكم من حيث الصورة لكني أباينكم من حيث السريرة، فأنا لمحسنكم بشير ولمسيئكم نذير وقد أيدت بإقامة البرهان ما جئتكم به من وجوه الأمر بالطاعة والإحسان. والناس في المغفرة على أقسام، منهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة، ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة فتنة تضره في مآله. وفي معناه قالوا:

لا تُنْكِرَنْ جحدي في هواك فإنما ذاك الجحود عليك ستر مسبل[1]

ومنهم من يستره بين أوليائه ويغمره بين أصفيائه بذلك ورد في الكتاب الإلٰهي: «أوليائي تحت قبابي لا يشهد أوليائي غيري»[2]. والرزق الكريم ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 208) و(7/ 467).
(2) سبق تخريجه.

يكون من الوجه الحلال، ويقال: ما يكون من حيث لا يحتسب ولا يخطر بالبال. ويقال: هو الذي يبدو من غير ارتقاب على يدي موفق في وقت الحاجة من كل باب. ويقال: هو ما يحمل المرزوق على صرفه في وجه القربة. ويقال: ما فيه البركة أو هو الذي يُنال من غير تعب ولا مشقة ولا/ 257/ب
تقلُّد منَّة من مخلوق قدر ذرة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 51] في ردها وإبطالها مسارعين ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الآية 51] مسابقين موافقين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مقدرين إعجاز المؤمنين أو متوهمين أنهم يفوتهم عذابنا المستبين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 51] النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

وقال الأستاذ: في الحال معجّل الوحشة وانسداد أبواب الرشد والهداية وتنغص العيش وتفطّر اللذة والابتلاء بمن لا يتعطف عليه إذا انعطف عليه ممن ليس خوف الله لديه وفي الآخرة والاستقبال ما سيلقون من أليم العقوبة على حسب الإجرام من الأعمال.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ [الآية 52] بعثنا ﴿مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الآية 52] وكان ابن عباس يقرأ: ولا محدّث، لكنه منسوخ ولعل وجهه أنه يفهم بالأولى كما لا يخفى والرسول أُمِرَ بتبليغ ما أوحي إليه والنبي غيره أو أعم منه ويدل على المغايرة بينهما ما صح عنه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قيل: فكم الرُّسل منهم؟ فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً»[1] رواه أحمد وغيره ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الآية 52] أي صور كل واحد منهما في نفسه ما يهواه ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الآية 52] متمناه ومشتهاه ما يوجب انشغاله عن الله بالالتفات إلى ما سواه كما في حديث مسلم: «وإنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[2] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (2/ 388) رقم (822). وانظر تفسير الآلوسي (2/ 190) وتفسيرالنيسابوري (5/ 411).
(2) سبق تخريجه.

[الآية 52] فيُذهبه ويُبطله لعصمته عن الركون إليه وللإرشاد إلى ما يربحه لديه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ [الآية 52] يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر العقبى والاشتياق إلى قرب المولى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 52] بأحوال عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 52] فيما دبره وقدّره من مراده، فقيل: حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت. وقيل: تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليهم ما يقربهم إليه واستمر ذلك لديه حتى كان في تأديبهم، فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النّجم: الآية 20] تكلم الشيطان في سكتة من سكتاته محاكياً صوته عليه السلام في حركاته وسكناته فقال: «تلك الغرانيق[1]/ 258/ أ العلى وإن شفاعتهن لترتجى»، والنبي ﷺ لم يشعر بنزغاته لكونه في استغراق حالاته، وفرح المشركون بها حتى شايعوه بالسجود ولما سجد في آخرها ثم نبهه جبريل عليه السلام بإلقاء الشيطان في أمنيته فاغتمّ به في الغاية فقوّاه الله تعالى وأمته بهذه الآية[2]، فالمعنى إلا إذا تمنى أي قرأ وتعين ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته وأثناء تلاوته والحديث صحيح وليس مما يرده دليل صريح بل يشير إليه ويدل عليه قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ [الآية 53] أي الله ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ [الآية 53] غلبة ومحنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 53] شك وشبهة ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ﴾ [الآية 53] من سائر الكفرة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 53] من الفريقين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] عن طريق سديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ﴾ [الآية 54] متلوٌّ أو تمكين الشيطان من ذلك ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 54] النازل من عنده الصادر من إذنه ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 54] بالقرآن أو بمنزله ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ﴾ [الآية 54] بالانقياد والوحشة عن عيوبهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 54] لمثبتهم على الدين القويم.

(1) طيور الماء البيضاء. انظر لسان العرب (10/ 286).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9/ 34) رقم (8316)، وانظر مجمع الزوائد (6/ 34) رقم (1950).

هذا وقد قال سهل: من قرأ وهو يلاحظ الحق فإنه يكون بريئاً مصوناً من إلقاء الشيطان أي لغفلته عن أن الرحمٰن علّم القرآن. وقال أيضاً: صدق الإيمان وحقيقته يورث الإخبات في القلب والخشوع في البدن وكثرة التفكُّر وطول الصمت وهذا من نتائج الإيمان لأن الله يقول: ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 54].

وأفاد الأستاذ: أن الشياطين يتعرضون للأنبياء عليهم السلام ولكن لا سلطان لهم ولا تأثير في أحوالهم وإنما من الشيطان ظهور التسويل والتخييل وليس به شيء من التضليل. وكان لنبينا ﷺ سكتات في خلال القراءات عند انقضاء الآيات فتلفظ الشيطان ببعض الكلمات فإن لم يكن له تحصيل من المعقول توهم أنه كان من ألفاظ الرسول وصار لقوم فتنة والذين أيدتهم قوة العصمة وأدركتهم العناية استبصروا فلم يضرهم لا في البداية ولا في النهاية لأنه إذا أراد الله بعبد خيراً أيّده بنور التحقيق وأيّده بحسن العصمة/ وسر 258/ ب
التوفيق فيميز بحسن البصيرة وقوة التميز في الفكر بين الحق والباطل فلا يظلّه غمام الريبة ويتجلى عنه غطاء الغفلة، ولا تأثير لضباب الغداة أو الغبار في شعاع الشمس عند متفرع النهار، وهذا معنى قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 54] الآية.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ [الآية 55] شك وشبهة ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 55] من القرآن وحجته أو الرسول وملّته أو من ما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتدع عنه إلى غيره ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 55] القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 55] فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الآية 55] أي مهلك أليم في الدنيا أو العقبى.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الآية 56] أي يظهر حينئذ أنه لا شرك فيه لما سواه وكذا اليوم في نظر العارفين من أهل الانتباه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 56] بين الخلق بالحق ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 56] ولذات المقيم بموجب فضله.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [الآية 57] وحجاب متين بمقتضى عدله.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يتخصص ملكه سبحانه بيوم إلى عصر دون عصر ولم يتجدد له وقتئذ أمر ولا جلالة قدر ولكن الدعاوي في ذلك اليوم تنقطع والظنون والتجويزات تتلاشى وترتفع، فللمؤمنين من أرباب الوفاق نِعَم ومن الكفار وأصحاب الشقاق نقم، فهؤلاء لهم عذاب مهين وهؤلاء لهم فضل مبين.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 58] عن البلاء والعباد ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ [الآية 58] في الجهاد ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾ [الآية 58] على المهاد ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ [الآية 58] للأحياء في الدنيا وللأموات في الأخرى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 58] فإن له الآخرة والأولى ورزقه هو خير وأبقى بل ولا رازق له أصلاً وقطعاً في نظر أهل التقى.

قال أبو عثمان: هو القناعة بما أعطى.

وقال ابن عطاء: ثقة بالله وتوكُّلاً عليه وانقطاعاً عن الخلق والتجاء إليه.

وأفاد الأستاذ: أن للقلوب حلاوة العرفان وللأرواح خلة المحاب وللأسرار دوام الشهود.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ [الآية 59] وقرأ نافع بفتح الميم إدخالاً أو دخولاً ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ [الآية 59] أي يحبونه ويتمنونه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ [الآية 59] بمبدئهم ومعادهم ﴿حَلِيمٞ﴾ [الآية 59]/ لا يعجل بعقوبة أهل عنادهم. 259/أ

وقال الأستاذ: أي إدخالاً فوق ما يتمنونه وإبقاء على الوصف الذي يهوونه، وذلك في أوان صحوهم من شعور البال لينالوا لطائف الأنس على وصف الكمال ويتمكنوا من قضايا البسط والسرور على أعلى الأحوال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 60] أي الأمر ذلك هنالك ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ [الآية 60] أي جازى بمثل ما فعل به على وفق الشريعة ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 60] بالمعاودة إلى العقوبة ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 60] أي لا محالة ولو

طالت المدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الآية 60] فيه تنبيه للحث على العفو والمغفرة مع القدرة على النصرة.

وأفاد الأستاذ: أن نصره سبحانه للأولياء نصر عزيز وانتقام بتمام واستئصال بكمال وإرهاق الأعداء بتمحيق جملتهم عن الإنباء وأن لا يحتاج المنصور إلى احتيال ولا اعتضاد بأشكال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 61] النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 61] لسبب أن الله قادر على تغليب بعض الأمور على بعض وكما هو جار عادة على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد الزمانين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار وعكس ذلك بتغييب الشمس وإطلاعها هنالك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 61] بأقوال العباد ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 61] بأعمالهم في البلاد.

وأفاد الأستاذ: أنه كما في أفق العالم ليل ونهار كذلك للسرائر ليل ونهار، فعند التجلي نهار وعند الستر ليل. وليالي السر ونهاره زيادة ونقصان وبمقدار القبض ليل وبمقدار البسط نهار، وقد يزيد أحدهما على الآخر وقد ينقص وهذا للعارفين. وأما الفقراء المحققون فلهم الأنس والهيبة مكان قبض قوم وبسطهم وذلك في حالتي صحوهم ومحوهم ويزيد أحدهما وينقص ومنهم من يدوم نهاره ولا يدخل عليه ليل وذلك لأهل الأنس فقط.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 62] الوصف بكمال القدرة وقوة الغلبة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 62] الثابت ذاته وصفاته ومصنوعاته، وكما قيل: سوى الله والله ما في الوجود وليس في الدار غيره ديار[1] ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية 62] أي المعدوم في حد ذاته والهالك المضمحل في جميع حالاته ومراتب
اعتباراته، / كما قيل: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[2]. وقرأ نافع وابن كثير 259/ب
وابن عامر وأبو بكر بالخطاب إيماء إلى أنه يستوي الحاضر والغائب في هذا

(1) هذه أقوال بعض مشايخ الصوفية مستدلين بذلك ببعض الآيات والأقوال.
(2) سبق تخريجه.

الباب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 62] لا شيء أعلى منه شأناً ولا أكبر منه برهاناً.

وقال ابن عطاء: هو الحق فحقِّق حقيقته في سرك فلا ترجع منه إلى غيره ولو إلى نفسك فما سواه باطل وفي نظر العارف آفل وزائل.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا بَدا أعلم من الحقائق حصل بمقداره شظية من الفناء لمن حصل له التجلي ثم يزيد ظهور ما يبدو ويغلب وتتناقض آثار التفرقة وتتلاشى. وقال عليه السلام: «إذا أقبل الليل من هٰهنا أدبر النهار من هٰهنا»[1] فإذا استوفى العبد بالكلية عن الإحساس بما دون الله فلا يشهد الأشياء أولاً إلا للحق ثم لا يشهدها إلا بالحق ثم لا يشهد إلا الحق فلا إحساس له بغير الحق ومن جملة نسيِهِ نفسه والكون كله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 63] الاستفهام للتقرير ولذا رفع ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الآية 63] عطف على أنزل وعدل به عن صيغة الماضي أي المضارع المشترك بين الحال أو الاستقبال للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 63] يصل لطفه إلى ما جلّ وقلّ وعلمه بما بَطُنَ وظهر.

وأفاد الأستاذ: أن ماء السماء يحيي الأرض بعد موتها وماء الرحمة يحيي أحوال الزلة بعد ذبولها، وماء العناية يحيي أحوال المغاليس بعد زوال رونقها، وماء الوصلة يحيي أحوال القربة بعد نضوبها.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] ملكاً وملكاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الآية 64] في ذاته عن كل شيء من مكوناته ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 64] المستوجب للحمد بأفعاله وصفاته.

وأفاد الأستاذ: أن الملك له وهو عن الجميع غني فلا يستغني هو بملكه بل ملكه يصير موجوداً بخلقه إذ المعدوم له مقدور هو المملوك.

---

(1) سبق تخريجه.

ويقال: كما أنه غني عن الأجانب ومن أنبتهم في شواهد الأعداء فهو غني عن الأكابر وجميع الأولياء. ويقال: إذا كان الغني حميداً فالمعنى أنه يعطى حتى يشكر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 65] من البهائم بأن جعلها
مذللة لكم معدة/ لمنافعكم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ [الآية 65] عطف على ما ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ 260/أ
بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 65] حال منها ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ [الآية 65] أي يحفظها الله ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 65] أي من أن تسقط أو كراهة أن تقع عليها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الآية 65] بمشيئته ووقت إرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 65] حيث جعل لهم أسباب الاستدلال والاستبصار وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أصناف المضار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به تسخير الانتفاع بها فما للخلق به انتفاع وميسر في الاستمتاع به فهو كالمسخر له على معنى تمكنه منه ثم يراعي فيه الإذن فمن استمتع بشيء على وجه الإباحة والإذن له أو الدعاء إليه والأمر به فذلك إنعام وإكرام ومن كان بالعكس فمكر إليه واستدراج عليه، وأما السفينة كإلهام العبد باتخاذها ووجه الانتفاع بها بالحمل فيها وركوبها من أعظم إحسان الله ورأفته بالعباد، ثم ما يحصل بها من قطع المسافات البعيدة والتوصل فيها إلى المضارب النائية والتمكن من وجوه الانتفاع ففي ذلك أعظم نعمة وأفخم منحة. وجعل الأرض للخلق قراراً من غير أن تميد وجعل السماء بناءً من غير أن تقع وما جعل فيها من الكواكب التي يحصل بها الاهتداء في الظلام هي زينة السماء في نظر الأنام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ [الآية 66] أي أوجدكم من العدم حيث خلق أباكم آدم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 66] في منتهى آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 66] لجزاء أعمالكم على طبق أحوالكم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الآية 66] لكثير الكفران بالإحسان حيث كفر بنعمة إيجاده وإمداده ولم يتهيأ بأهبة زاده لمعاده.

قال جنيد: أحياكم للمعرفة ثم يميتكم أوقات الغفلة ثم يحييكم بالجذبة

بعد الفترة ثم يقطعكم عن الوصلة ويوصلكم إلى الحقيقة، إن الإنسان لكفور يعد ما له وينسى ما عليه.

وأفاد الأستاذ: إن إحياء النفوس وإماتتها مرات محصورة أي كما هي مذكورة مسطورة وأحيا أوقات العباد وإماتتها لا حصر له ولا عد ولا حد، وفي معناه أنشدوا:

أمـوت إذا ذكـرتـك ثـمّ أحـيـى فكم أحيى عليك وكم أموت[1]

ويقال: يحيي الآمال بإشهاد تفضله ثم يحييها بالاطلاع على تعززه.
ويقال: / هذا صفة العوام منهم فأما الأفاضل وخواصهم فحياتهم مسرمدة 260/ ب
وانتعاشهم مؤبدة وأنى يجوز غيره وفي وجوده سبحانه غنية وخلف عن كل فائتة.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 67] طائفة من أهل ديانة ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الآية 67] متعبداً أو شريعة تعبدوا بها وكلفوا بالقيام لأمرها ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الآية 67] أي ينسكوه ولا محالة عالموه فسبحان من أقام العباد فيما أراد ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ [الآية 67] سائر أرباب الملل ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 67] أي أمر الدين المبني على اليقين أو أمر النسائك وأهل الذبائح لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أشهر من أن يقبل نزاع وفساد ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 67] توحيده وعبادته وتفريده ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 67] طريق سوي قوي قويم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل لكل فرقة شريعة هم واردوها ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ومقاماتهم سكانه ومحلاتهم قطانه، ربط كلاً بما أهّله له وأوصله كلاً إلى ما جعله محله فبساط التعبُّد موطوء بأقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد مغمورة بأصحاب الكلف من المجتهدين، ومجاهد أصحاب المعارف مأنوسة بلزوم العارفين ومنازل المحبوبين مأهولة بحضور الواجدين ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية 67] أشهر تصاريف الأقدار وأعمل بموجب التكليف في هذه الدار وانتبه دون ما أذنت له من المناهل في طرق هذا الأسفار.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 221).

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ [الآية 68] وقد تبينت الحجة وظهرت المحجة ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 68] من المجادلة الباطلة والمحاولة الماحضة فيجازيكم عليها ويخرجكم لديها حيث وكلكم إليها.

وقال الأستاذ: وكّلهم إلينا عندما راموا من الجدال ولا تتكل على ما تختاره من الاحتيال واحذر جنوح قلبك إلى الاستعانة بالأمثال والأشكال فإنهم قوالب خاوية وأشباح عن المعاني خالية.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 69] يفصل ما بين مؤمنكم وكافركم بالمثوبة والعقوبة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 69] كما فصل في الدنيا بوضوح الحجة وظهور المحجة ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 69] من أمر الديانة.

وقال الأستاذ: أما الأجانب فيقول لهم: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
261/أ [الإسراء: الآية 14]، وأما الأولياء / فقوم منهم يحاسبهم حساباً يسيراً، وأما أقوام مخصصون فيقول لهم: بيني وبينك حساب فلا جبريل يحكم بينكم ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرّب إنما الله يحكم بينكم فيسأل واحداً من خصمائه ويأمر بإرضاء جميع غرمائه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 70] فلا يخفى عليه شيء من العلويات والسفليات والمعلنات والمخفيات ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 70] أي بيان إحاطة علمه ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 70] هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه من كل باب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 70] وإن كان على غيره عسير لأنه علمه مقتضى ذاته متعلق بكل معلوماته على سواء في مراتب تعيناته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم السر والنجوى وما يكون حاجة العبد به أمس وأقوى وبكل وجه هو بالعبد أولى وله أن يحمل له النعمى ويرحل عنه البلوى أو ينزل به البلوى ولا يسمع منه الشكوى فله الحكم تبارك وتعالى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية 71] حجة وبرهاناً، يجيز لهم عبادة غيره من طريقة النقل ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 71] دلالة تحصل من ضرورة الفعل ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الآية 71] يدفع عنهم عذاب السعير.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى أن من كانت من جملة خواصه أفرده ببرهان وأيده بتبيان وأعزّه بسلطان ومن لا سلطان له يؤثر عنه قهره ولا برهان له يبسط عنه على غيره نوره فهو بمعزل عن جملته.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 72] من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 72] حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الخفية والأحكام الإلٰهية ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الآية 72] أي آثار الإنكار وغبار أكدار الأغيار فإن وجوه الإظهار عنوان الأسرار ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ [الآية 72] يثبون ويبطشون ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 72] لفرط إنكارهم وغيظ أسرارهم ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم﴾ [الآية 72] أي أتسمعون فأخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 72] وهو غيظكم على القالين وسطوكم على القارين ﴿ٱلنَّارُ﴾ [الآية 72] أي هو النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 72] في دار القرار ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 72] دار البوار.

وأفاد الأستاذ: أن المنكر لسماع الخطاب أثر في قلوب من الاستبشار والبهجة والانكسار/ والوحشة ثم ما يخامر السرائر يلوم على الأسرة في 261/ب
الظواهر وكانت الآيات عند نزولها إذا تليت على الكفار يلوح على وجوههم دخان ما ينطوي عليه قلوبهم من ظلمات التكذيب والإنكار، فما كان يقع عليهم طرف الإنباء عن شهودهم وعادت إلى القلوب النبوة من طلوعهم ثم أخبر أن الذين هم بصدده في الآخرة من أليم العقوبة شر بكل وجه لهم ولما يعود إلى الذين لهم عند شهودهم والمناظر الوضيئة للرائين مبهجة والمناظر المنكرة للرائين إليها موحشة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الآية 73] بيّن لكم حالة مستغربة أو قصة معجبة أو جعل له تعالى مثل، أي في استحقاق العبادة مثل أو ضرب لكم ولغيري من معبودكم مثل يحمل ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الآية 73] أي لسياق المثل أو لشأن هذا المثل المجمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 73] يعني الأصنام وفي معناه جميع ما سواه ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الآية 73] لن يقدروا على خلقه مع صغره فصلاً ووباباً. وقيل له الذباب لأنه كلما ذب آب ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

لَهُۥ﴾ [الآية 73] لا يقدرون على خلقه مجتمعين متعاونين فكيف إذا كانوا منفردين متخالفين ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ [الآية 73] لا يستخلصوه من فمه ولهم على غاية جمعهم ونهاية جهلهم حيث أشركوا بإلٰه قادر على كل المقدورات ومتفرِّد بإيجاد جميع الموجودات تمثيل هي أعجز الأشياء في محلها حيث لا يقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها بل تعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها، فقد قيل: كانوا يطلونها بالطيب والزعفران والعسل ونحوها ويغلقون الأبواب عليها فيدخل الذباب ويلحسها ويقعد فوقها وينجسها ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الآية 73] عابد الصنم ومعبوده، أو الصنم والذباب، بل الصنم أضعف بدرجات من الذباب في جميع الأبواب. وقال ابن عطاء: ولهم بهذا على مقاديرهم فمن كان أشد هيبة وأعظم سلطة لا يمكنه الاحتراز من أهون الخلق وأضعفهم ليعلم بذلك عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولئلا يفتخر على أبناء جنسه
262/ أ من بني آدم بما يملكه من المال وغيره/ ضعف الطالب أن تدركه والمطلوب أن تفوته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نبّه الأفكار المشتتة والخواطر المتفرقة على الاستجماع لسماع ما أراد تضمينها فيها فاستحضرها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ [الآية 73]، ثم بيَّن المعنى لذلك المبنى فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 73]الله، أي تدعونه آلهة ﴿لَن يَخۡلُقُواْ﴾ [الآية 73] بأجمعهم ﴿ذُبَابٗا﴾ [الآية 73] ولا دون ذلك ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 73] بأن يقع على طعام لهم فليس في وسعهم استنقاذ ذاك من الذباب ومن كان بهذه الصفة فساء مثلهم وضعف وصفهم وقل خطرهم. ويقال: إن الذي يقاوم ذباباً ويصير به مغلوباً قاهر بقدره وأربح بمقداره.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾ [الآية 74] ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو من أبعد الأشياء عنه مناسبة في وصفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [الآية 74] قادر على خلق الممكنات بأسرها ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] غالب على الأشياء كلها وما يدعونه من دونه عجزه مغلوبة عن أقلها مقهورة من أذلها.

وقال الواسطي: لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر قدره أحمد وقد عجز عن معرفة قدرة الوسائط من الرسل والأولياء والصديقين والأصفياء ومعرفة قدره أن لا تلتفت منه إلى غيره ولا تغفل عن ذكره وشكره ولا تذهل عن فكره ولا تفتر عن طاعته ولا تمل عن عادته وإذ ذاك عرفت أمر ظاهره. وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدره إلا هو.

وقال الأستاذ: يقال ما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه بجلال ما يستحقه من نعته ومن لم يكن له نقص قلب في العقيدة من المستحيلات في وصفه سبحانه لم يباشر خلاصة التوحيد سره فهو على تزاحم فكر وتجويز ظن وخطر نفس في كل وهدة من الضلالة. ويقال: العوام اجتهادهم في رفضهم الأعمال الخبيثة خوفاً من العقوبة الأبدية، والخواص جهدهم في نقضهم العقيدة من الأوصاف التي تخل عنها الصمدية، فبينهما فرقان بعيدان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [الآية 74] لقادر
262/ب على أن يخلق/ من هو فوقهم في التحصيل وكمال المعقول، ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] لا يقدر قدره أحد إلا بما يليق بصفة البشر بقدر من العرفان المقدر. ويقال: من وجد السبيل إليه فليس العز له إلا بوصف القصور ولكن كل بوجده مربوط وبحده في كمية قدره موقوف ومضبوط والحق سبحانه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الآية 74] أي بديع ومنيع.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الآية 75] جبريل وميكائيل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 75] كالحبيب والخليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 75] لأقوالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 75] بأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الاجتباء والاصطفاء من الله سبحانه بإثبات القدر وتخصيص الطول أي الفضل في المراتب والتقديم في أشكالهم في المناقب والمواهب، ثم بعضهم فوق بعض في الدرجات فالفضيلة لحق الرسل لا لخصوصية الخلقة في الرسل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 76] ما وقع بهم وما سيقع لهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 76] لأنه مالكها بالذات ومتصرفها في الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم حالهم ومآلهم وظاهرهم وباطنهم ويومهم وغدهم ونقضهم وعهدهم وإليه منقلبهم وفي قبضه تقلُّبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الآية 77] أي صلُّوا، وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 77] بسائر ما تعبدكم به من الصوم والزكاة والحج وغيرها ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ [الآية 77] أي الخيرات والمبرات من نوافل الطاعات ومكارم الحالات ونحوها ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية 77] تظفرون بالمرادات من الدرجات العاليات وأمثالها. والمعنى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير واثقين على ما بكم من الصلاح.

وأفاد الأستاذ: أن الركوع والسجود والعبادة كلها بمعنى الصلاة لأن الصلاة تشتمل على هذه الأفعال جميعها ولكن فرقها في الذكر مراعاة لقلبك من الخوف عند الأمر بالصلاة والقيام بها فقسمها لتكون مع كل لفظة ومعنى نوع من التخفيف والترفيه، والقلوب أهل المعرفة في كل لفظة راحة جديدة. ويقال: لوَّن عليهم العبادة وأمرهم بها ثم جمعها عبادة واحدة ووعد عليها من الثواب الكثير ما يقصر عن علمه البصائر. ويقال: علم أن الأحباب يسمعون
263/ أ كلامه/ فطول عليهم القول إلى آخر الآية ليزدادوا بسماع ذلك أنساً على أنس وروحاً على روح ومعاد خطاب الأحباب هو روح روحهم.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] أي لدينه أو سبيله ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الآية 78] وقد ورد أنه عليه السلام حين رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(1) كما رواه الشعبي.

وفي «تفسير السلمي»: المجاهدة مع النفس حملها على اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

وأفاد الأستاذ: إن حق الجهاد ما يوافق الأمر في القدر والوقت

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 388) رقم (384) وانظر جامع الأحاديث (15/ 139) رقم (15164).

والنوع، فإذا حصل في شيء منه مخالفة فليس حق جهاده. ويقال: مجاهدة بالنفس ومجاهدة بالقلب ومجاهدة بالمال، فالمجاهدة بالنفس هي أن لا تدخر ميسوراً إلا بدلالته في طاعاته بتحمُّل المشاق وأن لا تطلب الرخص والإرفاق والمجاهدة بالقلب صونه عن الخواطر الرديئة مثل الغفلة والقوم على المخالفة وتذكر ما سلف لك في أيام الفترة والبطالة، والمجاهدة بالمال بالبذل والسخاء ثم بالجود والإيثار. ويقال: حق الجهاد الأخذ بالأشق وتقدير الأوثق على الأسهل الأرفق وإن كان في الأحق أيضاً نوع من الحق. ويقال: حق الجهاد أن لا يفتر عن مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم:

يا رب إن جهادي غير منقطع ... فكل أرض لي ثغر طرسوس[1]

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الآية 78] اختاركم لدينه وهداكم لنصر نبيه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الآية 78] أي ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به. ففيه تنبيه على أنه لا مانع ولا دافع لهم عن تركه.

وأفاد الأستاذ: أن من حق اجتنابه إياكم أن تعظموا أمر مولاكم. ويقال: هو الذي اجتباكم ولولا أنه اجتباكم لما جاهدتم في مخالفة هواكم فلا اختياره إياك وفقك حتى جاهدت في مرضاة مولاك. ويقال: علم ما كنت تفعله. قيل أن خلقك فلم يمنعك من أن يجتبيك فكذلك وإن رأى ما فعلت فلا يمنعه أن يتجاوز عنك ولا يعاقبك ثم الشرع مبناه على السهولة بناء على امتنانه والذي به/ يصل 263/ ب
العبد إلى رضوانه ويستوجب جزيل فضله وإحسانه ويتخلص من أليم عقابه وامتحانه بيسير من الأمر لا يستغرق كنه إمكانك على معنى أنك إن أردت فعله لقدرت عليه وإن لم توصف في الحال ما بك مستطيع ما ليس بموجود فيك.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 78] أي الزموها واختصوا بها، والخطاب للعرب أصالة ولغيرهم تبعية وكان أكثرهم من ذرية إبراهيم عليه السلام والتحية والمراد بها صرف التوحيد ومحض التمجيد والاعتماد على الحق في مقام التفريد

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 95) و(5/ 233).

حيث الالتقاء إلى السوى حتى قال لجبريل: أما إليك فلا[1].

قال ابن عطاء: أي السخاء والبذل وإطلاق الخروج من النفس والأهل والولد.

وقال الأستاذ: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام في البذل والسخاء والجود والخلة والإحسان والإنعام.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 78] أي قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ [الآية 78] أي وفي هذا القرآن المعظم الشأن في المرتبة ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 78] اللام للعاقبة ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 78] لإطاعة من أطاع فيكم وعصيان من عصى منكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 78] بتبليغ رسله إليهم ما يجب عليهم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 78] فتقربوا إلى الله بأنواع من الطاعات من العبادة البدنية والمالية فإنهما أم العبادات ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 78] اعتمدوا على الله ولا تلتفتوا إلى ما سواه.

وقال الثوري: الاعتصام بالله للخواص وهو خلق القلب والسر عما يشغله عنه والاشتغال لمراقبته والإقبال عليه والالتجاء إليه والاعتصام بحبل الله للخواص والعوام، قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103] وهو التمسك بالأوامر على السنن.

وقال ابن عطاء: الاعتصام هو رؤية العجز والثقة بالقوى والرجوع إليه والاعتماد عليه وأفاد الأستاذ: أن الاعتصام بالله بالتبري من الحول والقوة والنهوض لعباد الله بالله لله. ويقال: الاعتصام بالله التمسك بالكتاب والسنَّة. ويقال: حسن الاستعانة بدوام الاستغاثة، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الآية 78] ناصركم ومتولي أمركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الآية 78] أي هو إذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل ولا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة.

264/أ قال الإمام جعفر: / نعم المعين لمن استعان به، نعم النصير لمن استنصر به.

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 28) رقم (1077) و(2/ 104) رقم (1293).

وفي «تفسير السلمي»: أي وهو الذي يعينكم إن أقبلتم على الاعتصام بتوفيق نعت الإتمام.

وقال الأستاذ: هو مولاكم وناصركم الذي لا خلف عنه لكم فنعم المولى إخبار عن عظمته ونعم النصير إخبار عن رحمته. ويقال: المولى بدأك بالمحبة قبل أن أجبته وقبل أن عرفته أو طلبته أو عبدته، ونعم النصير إذا انصرف عنك جميع من لك فلا يدخل أحد معك لا عند السؤال ولا على الصراط من ينفعك.

سورة المؤمنون

[مكيّة]

وهي مائة وتسع عشرة آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمه يطيب المساء والصباح، وبيمنه يحصل الفلاح والنجاح، وببركته يرتفع البلاء والجناح.

وأفاد الأستاذ: أن مَن عرف بسم الله سمت همته عن المرسومات ومن أحب بسم الله صفت حالته من مساكنة الموهومات. اسم مَن طلبه نسي من الدارين أربه ومن عرفه وجد بقلبه ما لا يعرف سببه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] أي فازوا بإيمانهم وعقائدهم وظفروا بأمانيهم ومقاصدهم. ومجمله أنهم فازوا بمطلوبهم وظفروا بمرغوبهم وهو إنباء وإنشاء. وقال بعضهم: المؤمن من يكون أميناً على سره أميناً على جوارحه.

وقال أبو بكر بن طاهر: مَن يكون في نفسه في أمن والخلق منه في أمن.

وقال الأستاذ: ظفر بالبقية وفاز بالطلبة من آمن بالله، والفلاح الفوز بالمطلوب والظفر بالمقصود والمحبوب، والإيمان ابتسام الحق في السريرة من الخلق.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [الآية 2] خاضعون متذلّلون متواضعون مراعون مشاهدهم ملزمون أبصارهم مساجدهم، وقد صح أنه عليه السلام كان

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يصلي رافعاً بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده[1]، أي على وجه الحياء. ورأى رجلاً يعبث بلحيته فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[2].

وأفاد الأستاذ: أن الخشوع في الصلاة إطراق السريرة على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت سلطان الكشف والامتحان عند غلبات التجلي. ويقال: أدرك ثمرات القرب وفاز بكمال الأنس من وقف على بساط / النجوى بنعت الهيبة ومراعاة أدب الحضرة، ولا يكمل الأنس بلقاء 264/ ب
الحبيب إلا عند فقد الرقيب، وأشد الرقباء وأكثرهم تنقيصاً لأوان القرب النفس، ولا راحة للمصلي مع حضور نفسه فإذا خنس نفسه عنه وشاهده عدم إحساسه بآفة نفسه طاب له العيش في حال نفسه وتمت له النعمى وتعجلت له البشرى ووجد لذة الحياة في الدنيا والعقبى.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ [الآية 3] عما لا يعنيهم من قول أو فعل ومما لا يعنيهم من تصور أمر وخطور فكر ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 3] لما بهم من الجد ما شغلهم عنه ومنعهم منه.

قال ابن عطاء: كل ما سوى الله فهو لغو عند أهل الانتباه.

وأفاد الأستاذ: أن ما يشغل عن الله فهو لغو وما فيه حظ للعبد فهو لغو وما هو غير الحق سبحانه فهو كفر والتعريج على شيء من هذا بُعد وهجر.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 4] أي لأدائها بإعطائها ﴿فَٰعِلُونَ﴾ [الآية 4] لا غافلون فهم جامعون بين العبادات البدنية والطاعات المالية.

وأفاد الأستاذ: أن الزكاة النماء ومن علمه للنماء فأمارة ذلك أن يكون بنقصانه في نفسه عن شواهده ولا يبلغ العبد إلى كمال الوصف في العبودية إلا بذوبانه عند مشاهدة آثار الربوبية.

(1) الكشاف (4/ 321)، وتفسير البيضاوي (1/ 146).
(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (2/ 86) رقم (6787).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [الآية 5] لا يبذلونها في جميع حالاتهم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [الآية 6] زوجاتهم أو سرياتهم ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [الآية 6] أي حينئذ على متابعة شهواتهم ولهواتهم.

وقال الأستاذ: يعني بابتغاء نسل يقوم بحق الله في فرع أو أصل. ويقال: إذا كان مقصوده التعفف عن اللوم والتصاون عن مخوفات الإثم.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 7] المستثنى من اللواطة والزنا والاستمناء بيده على طريق الهوى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [الآية 7] الكاملون في العدوان والتجاوز بالحد في الطغيان.

وقال الأستاذ: إن من جاوز قصد إيثار الحقوق وجنح إلى جانب استيفاء الحظوظ فقد تعدى محل الأكابر وخالف طريقهم في الباطن والظاهر.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ [الآية 8] وقرأ ابن كثير لأمانتهم ﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾ [الآية 8] أي لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق إليه ﴿رَٰعُونَ﴾ [الآية 8]
مراعون لإصلاحها/ قائمون بحفظها. 265/ أ

وأفاد الأستاذ: إن الأمانات مختلفة فقوم الأمانة عندهم الوظائف بظواهرهم وآخرون الأمانة عندهم اللطائف في سرائرهم، ولقوم معاملاتهم ولآخرين منازلاتهم ولآخرين مواصلاتهم وكذلك عهودهم متفاوتة فمنهم من عاهده في أن لا يعبد سواه ومنهم من عاهده أن لا يقصد سواه ومنهم من عاهده أن لا يشهد في الكونين [سواه].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ [الآية 9] وقرأ حمزة والكسائي على صلاتهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية 9] يواظبون على أدائها ويداومون على شرائطها وأركانها، وأما الخشوع والخضوع فمن باب مراعاة واجباتها وسننها، وفي تصدير الأوصاف وختمها بالصلاة إيماء إلى تعظيم شأنها.

قال ابن عطاء: المحافظة عليها هو حفظ السر فيها مع الله وهو أن لا يختلج فيها شيء سواه.

وقال الأستاذ: لا تصادفهم الأوقات وهم غير مستعدين لحضور الجناب ولا يدعوهم المنادي وليسوا واقفين بالباب فهم في الصف الأول بظواهرهم وكذلك في الصف الأول بسرائرهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 10] الجامعون لهذه الصفات ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الآية 10] أي الدرجات العاليات.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ [الآية 11] بوصف الإرث ونعت لسبب الإيمان في الأصل ثم الطاعات في الفصل وفي استحقاق الإرث في مقدار السهام بالفرض والتعصيب كذلك في الطاعات، فمنهم ومنهم أي على حسب الترتيب ووفق التهذيب، فهم في الفردوس بنفوسهم وفي الأحوال اللطيفة بقلوبهم ثم ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 11] بأجمعهم لا يبرحون عن منازل نفوسهم ولا يخلون عن أحوال قلوبهم.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ﴾ [الآية 12] أي خلاصة سلت وأخرجت من بين الكدر وأظهر لنظر العبر ﴿مِّن طِينٖ﴾ [الآية 12] من ماء وتراب صار طيناً ثم تحجر، والمراد به آدم أو جنس البشر فإنهم خُلقوا من سلالات في أطوار جُعلت نطفاً بعد أدوار.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾ [الآية 13] صيّرنا نسله ﴿نُطۡفَةٗ﴾ [الآية 13] بأن خلقنا منها أصله ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [الآية 13] مستقر حصين وهو الرحم للجنين.

وقال الأستاذ: عرّفهم بأصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم ولا يغلطوا في نفوسهم. ويقال: عرّفهم نسبتهم لئلا يخرجوا عن رتبتهم. ويقال: خلقهم من سلالة سلت من كل/ بقعة، فمن طينة حر ومن طينة سخنة ومن سهل ومن وعر ولذلك اختلفت 265/ ب
أخلاقهم أي خُلقهم وخَلْقهم. ويقال: بسط عذرهم عند الكافة فإن المخلوق من سلالة ما الذي ينتظر منه أي في الحالة. ويقال: خلقهم من سلالة والقدر للتربية لا للتربة. ويقال: سلالة ولكن معدن المعرفة ومنبع المحبة ومربع القربة ومتعلق العناية ومستحق الرعاية ومن لهم قال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54]. ويقال: خلقه ثم مال إلى حال نقله ودوام تغييره وبما شاء حوله.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ [الآية 14] وهي بيضاء ﴿عَلَقَةً﴾ [الآية 14] هي حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [الآية 14] فصيرناها كأنها قطعة لحم ممضوغة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [الآية 14] بأن حوّلناها وصلّبناها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [الآية 14] أي مما أنبتنا عليها مما يصل إليها، وجمع العظام لاختلافها في الهيئة والصلابة بحسب المرام في المقام. وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجمع منهما.

وقال الأستاذ: أجزاؤها متماثلة وأبعاضها متشاكلة ثم جعل بعضها لحماً وبعضها عظماً وبعضها شعراً وبعضها ظفراً وبعضها عصباً وبعضها جلداً وبعضها مخاً وبعضها عرقاً ثم حصر كل عضو بهيئة مخصوصة وكل جزء بكيفية معلومة ثم الصفات التي للإنسان خلقها متفاوتة من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والشجاعة والغضب والحقد والحرد والأوصاف الكثيرة التي يتقاصر عنه الحصر والعد ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 14] هو صورة البدن وقوة القوى بنفخ الروح فيه.

وقال الأستاذ: في التفاسير إن صورة الوجه يحتمل ما يركب فيه من الحياة ويخص به من العقل والتمييز، وتفرد بعضهم منهم بمزايا في الإلهام العام لكل الأنام. ويقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 14] وهو أن هيأهم لأحوال عزيزة يظهرها عليهم بعد بلوغهم إذا حصل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال، فلقوم تخصيص بزينة العبودية ولقوم تحرُّز من رق البشرية ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية بامتحائهم عن الإحساس مما هم عليها وبها من الأحوال التي هي أوصاف الإنسانية ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 14] تعالى شأنه في قدرته
266/أ وتعاظم برهانه في حكمته ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الآية 14]/ المقدرين من المصورين حيث جعل الإنسان عالماً أكبر وخلق غيره بمجموعه عالماً أصغر كما يشير إليه الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1] أي بذاتي وأسمائي.

(1) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق السموات والأرضين بجملتها والعرش والكرسي مع الجنة والنار بكليتهما ولم يعقبهما بهذا التمدح الذي ذكر بعد نعت خلقه بني آدم تخصيصاً لهم وتمييزاً وتفخيماً وإفراداً لهم من بين المخلوقات تكريماً وتعظيماً. ويقال: إن لم يصرح لك بأنك أحسن المخلوقات في هذه الآية فلقد قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التِّين: الآية 4] في الآية الآتية. ويقال: ثناؤه على نفسه وتمدُّحه لديك أعز وأجلّ من أن يثني عليك. ويقال: لما ذكر أصناف نعمتك وتارات حالاتك في ابتداء خلقتك ولم يكن منك لسان شكر ينطق ولا بيان مدح ينطلق ناب عنك في الثناء على نفسه فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الآية 14]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] لصائرون إلى الموت وسائرون فاغتنموا حياتكم في صرفها إلى الطاعة قبل أن تلقوا مماتكم ولم تجدوا الاستطاعة.

قال بعضهم: من مات في الدنيا خرج إلى حياة العقبى ومن مات في الأخرى خرج منها إلى الحياة الأصلية وهو البقاء مع المولى.

وأفاد الأستاذ: أنه من الإنشاد:

حياتنا عندنا قروض والموت من بعد في التقاضي
لا بد من رد ما اقترضنا كل غريم بذاك راضي(1)

ويقال: نعاك إلى نفسك بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] وكل ما هو آت فقريب. ويقال: كسر على أهل الغفلة سطوة غفلتهم وقل دونهم قوة صولتهم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [الآية 15] وللجماد مضاهون وعن المكنة والقدرة والقوة لمبعدون وفي عداد ما لا خطر له من الموات معدودون.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [الآية 16] تُحشرون للمجازات والمحاسبة.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 244).

قال الأستاذ: فعند ذلك يفضل الحساب والعتاب والثواب والعقاب ويتبين المقبول من المردود والموصول من المهجور والمبعود. ويوم القيامة يوم خوّف به العالم حتى لو قيل للقيامة: مما تخافين، لقالت: من القيامة.
266/ب وفي القيامة/ ترى الناس سكارى حيارى لا يعرفون أحوالهم ولا يتحققون بما يؤول إليه أمرهم وآمالهم إلا أن يتبين لكل واحد أمر خيره وشره، يثقل بالخيرات ميزانه أو خف عن الطاعات ديوانه وما بين الموت والقيامة فإما راحات متصلة وإما آفات غير منفصلة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [الآية 17] سبع سموات طباقاً بينهما مطابقة لأنها طوارق بعضها فوق بعض مصادقة النقل فكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ [الآية 17] الذي هي السموات أو جميع المخلوقات ﴿غَٰفِلِينَ﴾ [الآية 17] مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال في سيرها والاختلال في أثرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من كمالها وزوالها وفنائها وبقائها حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [الآية 18] بتقدير يكثر نفعه ويقلّ ضره أو بمقدار مراتب حالهم كما علمنا من صلاح مآلهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 18] جعلناه مستقراً ثابتاً فيها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾ [الآية 18] بإزالته عن وجهها بالإفساد أو التصعيد لها أو التعميق بها ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ [الآية 18] كما كنا قادرين لإنزاله عليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل من السماء ماء المطر الذي هو سبب حياة الأرض ومَن عليها وذلك بقدر معلوم ونصيب مقسوم. ثم البلاد مختلفة في السقي للعباد فبعضها خصب وبعضها جدب وسنة يزيد وسنة ينقص وسنة تفيض وسنة تقبض كذلك أنزلنا من ماء الرحمة فيحيي القلوب وهي مختلفة في الشرب فمن موسع عليه رزقه ومن مضيق مقتر عليه رقعه ومن هو منح ووقت هو وقت حبس ويقال: ما هو صوب الرحمة يزيل به دون العصاة وآثار زلتهم وأوضار عثرتهم وما هو سقي قلوبهم فيزيل به عطش تحيرهم ويحيي به موات أحوالهم وتكسُّرهم فينبت في رياض قلوبهم فنون أزهار البسط وصنوف

أنوار الروح وما هو شراب المحبة فيخص به قلوباً لساحات القرب فيزيل عنها به حشمة الوصف ويسكن به قلوباً فيعطلها عن التمييز ويحملها على التجاسر، والخطأ ببذل الروح فإذا شربوا طابوا ولم يبالوا بما وهنوا.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ [الآية 19] بالماء/ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ 267/ أ
[الآية 19] في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية 19] متفكهون منها ومتلذذون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ [الآية 19] أي ومن الجنات باعتبار ثمارها وزروعها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 19] تتغذوا بها.

وقال الأستاذ: كما يحيي الغياض بماء السماء الرياض ويصنِّف فيها الأذهان والأنوار ويثمر الأنهار وتجري به الأنهار فكذلك يسقي شجرة العرفان فتورق وتثمر بعدما تزهو وتوفي أُكلها من طيب عيش وكمال بسط، ثم وفور هيبة ثم روح أنس ونتائج تجلي وعوائد قرب وما تتقاصر العبادات عن شرحه ولا تطمح الإشارات إلا في حصره.

﴿وَشَجَرَةً﴾ [الآية 20] أي وأنشأنا لكم بالماء شجرة ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [الآية 20] جبل موسى بين مصر وأيلة. وقد يقال له طور سينين، ونسبنا اسم بقعة أضيف الطور إليها منع صرفه للتعريف والتأنيث وهي مأخوذة من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور. وقرأ الشامي والكوفيون بالفتح على أنه فعلاً كصحراء ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [الآية 20] نبتاً مختلطاً بالدهن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء من أنبت بمعنى نبت، أو على تقدير تنبت زيتونها متلبساً بالدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [الآية 20] أي وبإدام يغمس فيه الخبز للائتدام، والمعنى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ الخبز فيه وقد ورد: «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة»(1)، وفي رواية: «فإنه ينفع من الباسور»(2) أي وما يتبعه من المضرة.

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1103) رقم (3319)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 100) رقم (5939)، وعبد الرزاق في المصنف (10/ 422) رقم (19568).
(2) جامع الأحاديث (14/ 296) رقم (14338).

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [الآية 21] تعتبرون بحالها وتستدلون بها على كمال صانعها ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [الآية 21] من ألبانها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [الآية 21] في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 21] تنتفعون بأعيانها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 22] أي على الأنعام التي من جملتها الإبل وهي سفينة البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية 22] سفن البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 22]، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: الآية 7].

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى أن الكدورات الهاجمة المتراكمة لا عبرة بها ولا مبالاة بوجودها وعدمها فإن اللبن الخالص السائغ يخرج من أخلاف الأنعام من بين ما تنطوي حواياها عليه من الوحشة ولكنه صادق لم يؤثر فيه منها بحكم المجاورة، فكذلك الصنف يوجد أكثره من عين الكدورات إذ الحقيقة/ لا تعلق حق ولا باطل كما هو معلوم بالضرورة. ومن 267/ ب
أشرف على سر التوحيد تحقق بأن جميع الحدثان من التقدير فتسقط عنه كلفة التمييز والتدبير فالأسرار عند ذلك تصفو والوقت لصاحبه لا يجفو، ولكم فيها منافع لازمة لكم إلى أجل متصل بكم:

إني على أحوالها برٌّ بها ... وبكل متصل بها متوسل[1]

ثم تحفظهم السفينة في بحار الفطرة ويحفظهم في سفينة السلامة والعصمة في بحار القدرة وإن بحار القدرة يتلاطم أمواجها والناس فيها غرقى لا من حفظه الحق في سفينة العناية، وصفة أهل الفلك إذا مستهم شدة خوف الغرق ما ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: الآية 65] كذلك من شهد نفسه على شرف الهلاك والغرق التجأ إلى شرف الاستعانة ودوام الاستغاثة فعند ذلك يحميه الحق سبحانه من مخلوقات التقدير. ويقال: إن وجه الأرض بحار الغفلة وما عليه الناس من أسباب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 25، 249) و(6/ 134) و(7/ 315). واللفظ عنده في صدر البيت: إني على جفواتها فبربها.

التفرقة بحار المهلكة والناس فيها غرقى، كما قال بعضهم:

الناس بحر عميق والبعد منهم سفينة
وقد نصحتك فانظره لنفسك بالسكينة[1]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 23] أي وجوده ولا تعبدوا سواه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الآية 23] استئناف لتعليل الأمر بعبادته وإطاعة أمره ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 23] عتابه ولا تخافون عقابه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 24] أي خواصهم لعوامهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 24] برياسة الرسالة ونباهة النبوة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 24] إرسال رسول من عنده ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ [الآية 24] أي بمثل هذا ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 24] وذلك من فرط عنادهم أو لفترة متطاولة في بلائهم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [الآية 25] جنون وكلامه فنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 25] فاحتملوه وانتظروا له ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 25] يحل فيه أجله أو يزول عنه علله.

﴿قَالَ﴾ [الآية 26] بعدما أيس من إيمانهم ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ [الآية 26] بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [الآية 26] بسبب تكذيبهم إياي.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 27] بمرأى منا وبحفظ عنا.

268/ أ قال جنيد: مَن عمل على المشاهدة أورثه الله الرضا. قال/ تعالى: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [الآية 27] أمرنا لك وتعليمنا لصنعك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 27] بالركوب والإركاب أو نزول العذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [الآية 27] روي أنه قال لنوح عليه السلام: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك في الفور، فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركبه ومحله في مسجد الكوفة، وقيل عين وردة من

(1) نسب إلى منصور الفقيه المصري. انظر التمثيل والمحاضرة (1/ 25)، وبهجة المجالس (1/ 145).

الشام ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ﴾ [الآية 27] صنفين من ذكر وأنثى ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية 27] مزدوجين. وقرأ حفص من كل بالتنوين أي من نوعين زوجين وأكد باثنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ [الآية 27] أهل بيتك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 27] أي القول من الله بإهلاك من صدر الكفر عنهم ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية 27] بالدعاء لإنجائهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية 27] لإصرارهم على الكفر.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 28] كقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية 45].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ [الآية 29] في السفينة بعد الوصول أو في الأرض بعد النزول ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [الآية 29] يتسبب لمزيد الخير في الدارين. وقرأ غير أبو بكر: منزلاً، أي إنزالاً أي موضع إنزال ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [الآية 29] هذا الثناء المطابق للدعاء فيه مبالغة للطمع والرجاء.

قال ابن عطاء: أكثر المنازل بركة منزل يسلم فيه من هواجس النفس ووساوس الشيطان ومرتبات الهوى ويصل فيه إلى محل القربة والأنس ومنازل القدس وسلامة القلب من الهوى والضلالات والبدع.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] فعل بنوح وقومه ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ [الآية 30] يستدل بها أولوا الاعتبار ويعتبر بها ذوي الاستبصار ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [الآية 30] لمصيبين قوم نوح بالبليات أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات، وإن هي المخففة واللام هي الفارقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر قصة نوح لما فيها من عظيم الآيات من مقامه في قومه وشدة مقاساة البلاء منهم وتمام صبره على ما استقبله في طول عمره ثم إهلاك الله جميع من أصر على كفرانه ثم لم يغادر منهم أحداً ولم يبال سبحانه بأن أهلك جملتهم. ولقد ذكر في القصص أن امرأة من قومه لما أخذهم الطوفان كان لها مولود فحملته وقامت حاملة له ترفعه عن الطوفان/ 268/ب
فلما بلغ الماء إلى يدها رفعته إلى فوق رأسها قدر ما أمكنها إبقاء على ولدها

إشفاقاً عليه أن لا يهلك إلى أن غلبها الماء وتلفت وولدها، فأوحى الله إلى نوح عليه السلام: لو كنت أرحم أحداً منهم لرحمت تلك المرأة وولدها[1].

وفي الخبر: أن نوحاً عليه السلام اسمه يشكر ولكثرة ما كان يبكي أوحى الله إليه: يا نوح إلى كم تنوح. فسمي نوحاً وأن ذنبه أنه كان يوماً من الأيام مر بكلب فقال: ما أوحشه، فأوحى الله إليه اخلقْ أنت أحسن من هذا، فكان يبكي معتذراً من قالته تلك. وأن قومه كانوا يلاحظونه بعين الجنون وما ازدادهم دعوة إلا ازدادوا عن إجابته نبوة ولم يزدد منهم إلا جفوة وما ازدادوا على طول المدة إلا قسوة على قسوة. ولما عمل السفينة وظهر الطوفان وأدخل في السفينة أهله فجاء في القصة أن إبليس تعرض له وقال: احملني معك في السفينة، فأبى نوح وقال: يا شقي تطمع في حملي إياك وأنت رأس الكفرة، فقال إبليس: يا نوح أما علمت إن الله أنظرني إلى يوم القيامة وليس ينجو اليوم أحد إلا في هذه السفينة. فأوحى الله إلى نوح أن احمله، فكان إبليس مع نوح في السفينة ولم يكن لابنه معه مكان في السكينة[2]. وفي هذا ظهور عين التوحيد وأن الحكم من الله غير معلول إن كان المعنى في أن ابنه لم يكن معه مكان لكفره فإبليس يشكل ولكنه أحكام غير معلولة وجبار يفعل ما يريد يقبل من يشاء ويرد من يشاء، أي فيما شاء. ثم قال الإنزال المبارك: أن يكون بالله ولله وعلى شهود الله من غير غفلة عن الله ولا مخالفاً لأمر الله. ويقال: الإنزال المبارك الاستيعاب بشهود الوصف عنك ثم الاستغراق باستيلاء سلطان القرب عليك ثم الاستهلاك بإحداق نور التجلي حتى لا ينفي عين ولا أثر فإذا تمَّ هذا وداوم هذا فتزول بساحات الحقيقة مبارك لأنك بلا أنت بكليتك من غير بقية وأثر عنك.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] هم عاد وثمود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 32] هوداً وصالحاً ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 32] تفسير لأرسلنا، أي

---

(1) تفسير القشيري (5/ 251).
(2) تفسير القشيري (3/ 364).

269/ أ قلنا لهم على لسان رسولهم: اعبدوا/ الله، أي وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 32] معاقبته أو مخالفته ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 33] بالإشراك وإنكار النبوة ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 33] بلقاء ما فيها من المثوبة والعقوبة أو بالبعث والإعادة إلى الحياة الثانية ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ [الآية 33] نعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 33] بكثرة الأموال والأولاد واتساع الجاه بين العباد في البلاد ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الآية 33] في الصفة والحال من نيل المنال ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [الآية 33] أي منه.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ [الآية 34] فيما يأمركم وينهاكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 34] حيث أذللتم أنفسكم ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا﴾ [الآية 35] ورجعتم إلى أصلكم ﴿وَعِظَٰمًا﴾ [الآية 35] مجردة من لحومكم وأعصابكم ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [الآية 35] من الأجداث أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى بالأجداث ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [الآية 36] بَعد بُعد ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 36] فالأول ماض والثاني مصدر، والتركيب من قبيل جد جدد للمبالغة وعمل بكل من اللغة واللام للتقوية ولعل هذا أوجه من جميع ما ذكره أهل العربية.

﴿إِنْ هِىَ﴾ [الآية 37] أي لا حياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 37] فأقيم الضمير مقام الحياة الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً عن تكرارها وإشعاراً بأن تعينها خفي عن التصريح بها كقوله هي النفس ما جمّلتها تتجمل وكقول ابن الفارض:

هي النفس إن ألقت هواها تضاعفت   قواها وأعطت فعلها كل ذرة

أي من ذراة جسدها وارتفع عنها كسدها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 37] يموت بعضنا ويولد بعض وفق عادتنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الآية 37] بعد الموت بإعادتنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 38] فيما يدعيه من الرسالة أو فيما يعدنا من الإعادة ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 38] مصدقين لقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ [الآية 39] عليهم وانتقم لي منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [الآية 39] بسبب تكذيبهم إياي ما أخبرتهم عن ربهم.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [الآية 40] بعد زمان قليل ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 40]

ليصيرن متندمين على التكذيب إذا شاهدوا التعذيب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الآية 41] صيحة جبريل عليه السلام صاح صيحة هائلة عليهم تصدعت قلوبهم فماتوا بأجمعهم/ واستدل به على أن القوم قوم صالح لا هود فإنهم أهلكوا بريح 269/ ب
صرصر عاتية لا بالصيحة ويجاب بما وقع في بعض التفاسير من أنهم أيضاً صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح أهلكهم الله بها كما ذكره القرطبي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 41] بالوجه الثابت الذي لا دافع له ولا مانع أو بالعدل في الفصل أو بالوعد الصدق ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ [الآية 41] في دمارهم وخراب ديارهم ﴿غُثَآءً﴾ [الآية 41] كغثاء السيل وهو محموله فوق الماء ذاهب كالهباء في الهواء ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 41] يحتمل أن الأخبار والدعاء أي بعدوا بعدالهم على كل خير لظلمهم على أنفسهم.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] يعني قوم صالح أو لوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الآية 43] الوقت الذي حد لأجلهم ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [الآية 43] الأجل المقدر لهم ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [الآية 44] أصلها وترى ووزنه فَعلى والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة ومحلها النصب على الحالية أي متواترين واحداً بعد واحد متعاقبين متظارفين من الوتر وهو الفرد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين إنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ [الآية 44] في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 44] اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه السلام أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهياً وهو المرام في هذا المقام والمعنى تبقى منهم الأحاديث ليسم بها في أوقات ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 44] في «تفسير السلمي» ما بعث الله رسله إلى أعدائه وإنما بعث الرسل ليميز أعداءه من أوليائه.

وقال الأستاذ: تتابعت القرون على طريقة واحدة في التكذيب وغرهم طول الإمهال وما مكنهم من ترفه العيش وخفض الدعة وسعة البال فلم يفتشوا إلا على أنفسهم ولم يسم لهم طرق الأمن من فوقهم من المنزلة والحال فقالوا أنؤمن بمن يتردد في الأسواق ويبتغ مثلها بوجود الإرفاق ولئن أطعنا بشراً مثلنا ليسلكنا سبيل الغي والضلالة وينكبنا سنَّة الرشد والهداية فما

جرأهم في الإهانة وإخلال العقوبة بهم مجراً واحداً وأذاقهم عذاب الخزي وأعظم داخلهم من الشبه والاستبعاد من الحشر والنشر ولم يوافقوا للعلم
270/ أ بأن/ الإعادة كالابتداء في الجواز وعدم الاستحالة والله يهدي من يشاء ويغوي من يريد.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 45] بالآيات التسع المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 45] حجة واضحة ملزمة لخصمه أو بينة موضحة لنبوّته وجوز أن يراد به العصا وإفرادها بالذكر لأنها أول المعجزات وأنها حيث تعلقت معجزات شتى بها كانقلابها حية تسعى وتلقفها لما أفكه أهل السحر وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بقربها وحراستها ومصيرها سمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلواً ونحوها.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الآية 46] أشراف قومه ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية 46] عن الإيمان والمتابعة ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [الآية 46] متكبرين عن الطاعة متحرين على الرعية ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [الآية 47] من قصور نظرهم طالعوا إلى الأنبياء بصورهم الظاهرية ونفوسهم البشرية ومن قلة بصيرتهم ما ورائهم من الأحوال الملكية والأخلاق الإلٰهية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: الآية 6] فامتياز الأنبياء إنما هو بوحي الإنباء كما أن العلماء يتميزون بالمعرفة عن السفهاء وإن شاركوا في نسبة الآباء والأبناء ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ [الآية 47] من بني إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [الآية 47] خامدون منقادون كالعباد في مقام التذليل وهذا جهل منهم نشأ عنهم بسبب اتساع جاههم في البلاد وظلمهم على العباد.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] بالإغراق في الدنيا وبالإحراق في العقبى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 49] التوراة بعدما أهلكنا القرون الأولى أي فرعون وقومه ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 49] أي بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] إلى المعارف الأصولية والأحكام الفصولية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [الآية 50] بولادتها إياه من غير مسيس آلة

فالآية واحدة مضافة إليهما بأدنى ملابسة ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [الآية 50] وقرأ ابن عامر وعاصم بالفتح أي بقعة مرتفعة وهي بيت المقدس أو رملة ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ [الآية 50] مستقر من أرض منبسطة. وقيل: ذات ثمار وزراعة فإن ساكنيها يستقرون بها لأجل ما فيها ﴿وَمَعِينٍ﴾ [الآية 50] ما ظاهر على وجه الأرض جار عليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 51] ما يستلذ من المباحات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [الآية 51] من العبادات/ فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿إِنِّى بِمَا 270/ ب
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 51] فأجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم وهذا الخطاب والنداء لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلاً منهما خوطب به في زمانه وتبعه في قومه في شأنه ولا يبعد أن يكون هذا النداء لهم في عالم الأرواح حال جمعهم هذا، وفيه تنبيه على أن إباحة الطيبات شرع قديم للأنبياء واحتجاج على الرهابنة فمن رفض المستلذات.

وقد قال سهل: الطيبات الحلال وفي الأكل آداب أربع: الحلال والصافي والقوام والأدب، فالحلال الذي لا يعصى الله فيه، والصافي الذي لا ينسى الله فيه، والقوام ما يمسك به النفس ويحفظ العقل بسببه، والأدب أن يشكر المنعم في إنعامه.

وقال الأستاذ: أي ما أحلّ لهم وأباح ومما هو محكوم بأنه طيب على شريطة مطالعة وخصته الشريعة مما كان لا حالاً في وقتهم مطلقاً مأذوناً لهم فيه وكذلك أعمالهم الصالحة ما كان موافقاً لأمر الله في زمانهم بفنون طاعاتهم في أفعالهم وعقائدهم وأحوالهم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية 52] أي واعلموا أن هذه الملة ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ [الآية 52] ملتكم ملة ﴿وَٰحِدَةً﴾ [الآية 52] متحدة في أصول الشريعة والعقيدة، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة، ونصب أمة على الحالية. وقرأ ابن عامر بفتح الهمز وتخفيف النون على أنها مخففة من الفعلة والكوفيون بالكسر والتشديد على أنها جملة استئنافية وأنا ربكم ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية 52]

أي فخافوني وارجوا خيري ولا تبالوا بغيري.

وقال الأستاذ: معبودكم واحد ونبيكم واحد وشرعكم واحد فأنتم سواء في أصول الشريعة فلا تسلكوا ثنيات الطرق فتطيحوا في أودية الضلالة وعليكم باتباع سلفكم واحذروا موافقة ابتداع خلقكم ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [الآية 52] خالفوا مخالفة أمري واعرفوا عظيم قدري واحفظوا جريان تقدير سري واستدعوا بقلوبكم ذكري تجدوا في مآلكم غفري وتحظوا بجميل بري.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم﴾ [الآية 53] قطعوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة بينهم أو
271/ أ فتقربوا وتحزبوا في أمرهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 53] والضمير/ لما دل عليه الأمة من الجماعة أو أرباب الملة ﴿زُبُرًا﴾ [الآية 53] قطعاً حال من أمرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ [الآية 53] طائفة من المتحزبين ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 53] من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ [الآية 53] معجبون ومقتدرون أنهم على الحق اليقين. قال بعضهم: ربط كل أحد بحظه في سعاياته من حركاته وسكناته فالسعيد من جذب عن حظه ورد إلى حظ الحق في حقه.

وقال الأستاذ: فمستقيم على حقه وتائه في غيه ومصر على عصيانه وفسقه ومقيم على إحسانه وصدقه، كل مربوط بحده موقوف بما قسم له في البداية من شأنه، كل ينتحل طريقه ويتنحل لحسن طريقته حقيقة وعند صحو سماء قلوب أرباب التوحيد لا غبار في الطريق، طريق أصحاب التفريد فهم على يقين معارفهم فلا ريب يتخالجهم ولا شبهة تتداخلهم، وأهل الباطل في دخان جهلهم وغبار جحدهم وظلمة تقليدهم ومحنة شكهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية 54] اتركهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ [الآية 54] أي في جهالتهم وغوايتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 54] أوان موتهم وقيام قيامتهم أو زمان انتباههم من نوم غفلتهم.

وأفاد الأستاذ: أن مدة أخذهم قريبة وأن العقوبة عليهم إذا أخذوا لشديدة وسوف يتبين لهم خطأهم عن صوابهم ولو بعد مدة مديدة.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ [الآية 55] نعطيهم مما نجعل مدداً لهم من مدد من السنين ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [الآية 55] بيان لما وخبر إن قوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي

ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 56] والمعنى أيظنون أن الذين نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم في الدنيا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 56] لأنهم كالأنعام بل هم أضل حيث لا فطنة لهم ولا شعور بهم ليتأملوا ويعلموا أن ذلك الإمداد هو الاستدراج والمكر لا مسارعة في الخير لما يفوتهم به من أمر العقبى. قال عبد العزيز المكي: مَن تزين بزينة تفنى فتلك الزينة تكون وبالاً عليه إلا من تزين بما تبقى.

وأفاد الأستاذ: إن هذا في شأن أصحاب الاستدراج ومكر الحق بتلبيس المنهاج فرأوه سراباً ظنوه شراباً ودس لهم في مشهدهم صباباً فتوهموه عذاباً وحين لقوا عذاباً علموا أنهم لم يفعلوا صواباً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ [الآية 57] من خوف عقابه وعقوبة حجابه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ [الآية 57] حذرون وجلون عن بابه.

وأفاد/ الأستاذ: أن أمارة الإضعاف من الخشية إطراق السريرة في حالة 271/ ب
الوقوف بين يدي الله بشواهد الأدب ومحاذرة بغتات الطرد لا يستقر بهم قرار لما داخلهم من الرعب والمخافة واستولى عليهم من سلطان الهيبة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 58] المنصوبة والمكتوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 58] بتصديق مدلولهما مفصلة أو مجملة.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الآيات مختلفة فمنها ما يكاشفون لها في الأقطار من اختلاف الأدوار وما فيه الناس من فنون الهمم وصنوف المنى والإرادات فإذا آمن بها واعتبر منها امتنع بما يرى بعينيه مطالباً بسببها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] إشراكاً جلياً ولا خفياً.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الخفي ملاحظة الخلق في أوطان طاعة الحق واستبشار بمدحه الخلق وقبولهم والانكسار والذبول عند انقطاع رؤية الخلق وحصولهم. ويقال: الشرك الخفي إحالة النوادر من الحالات والأكساب في المبار والمضار على الأسباب كقول القائل: لولا دعاء أبيك لهلكت ولولا سمة فلان لما أفلحت، وأمثال هذا كثير وعليه كثيرون. قال تعالى: ﴿وَمَا

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ [يوسف: الآية 106] وكذلك توهم حصول الشفاء من شرب الدواء وإذا انتقض السرير واليقين عن توهم شيء من الحدثان إلا من التقدير فعند ذلك ينتفي عن الشرك أي في جميع التغيير.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ [الآية 60] يعطون من أموالهم ما أعطوه من الصدقات أو يعطون من أنفسهم ما أعطوه من الطاعات، ويؤيده أنه قرىء يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من العبادات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [الآية 60] خائفة من عدم قبول المبرات وتضييع الحالات كما.

قال قائلهم:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب(1)

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [الآية 60] لأن مرجعهم إليه وحسابهم عليه ولا يخفي أعمالهم وأحوالهم لديه.

قال الواسطي: الخائف الرجل من لا يشهد حظه بحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم مخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير أو تفريح في أوطان الكسل أو جنوح إلى الاسترواح بالرخص في المباحات ثم يخافون كأنهم ألموا بفواحش الكبار ويلاحظون أحوالهم بعين الاستبصار
272/ أ والاستحقار ويخافون بفتات التقدير وقضايا السخط الموجب للتغيير/ كما قال بعض أهل التعبير:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام(2)

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الآية 61] أي في نيل خيرات الدارين ووصول مبرات الكونين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهم خير الدنيا والآخرة ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ [الآية 61] لأجلها ﴿سَابِقُونَ﴾ [الآية 61] الناس إلى الطاعة أو المثوبة أو الجنة أو

---

(1) نسب إلى الشبلي. انظر محاضرات الأدباء (1/ 204)، والطيوريات (14/ 35) رقم (1080).

(2) نسب إلى أبي تمام. انظر المثل السائر (2/ 81).

القربة أو سابقونها بمعنى ينالونها قبل العقبى حيث عجلت لهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً منهم مسارع بقدمه من حيث الطاعات ومسارع بهمه من حيث المواصلات ومسارع بندمه من حيث تجرُّع الحسرات والكل مصيب وللكل من إقباله على ما يليق بحاله نصيب.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية 62] قدر طاقتها بالقيام في طاعتها.

وأفاد الأستاذ: أن المطالبات في الشريعة مضمنة بالسهولة في الطريقة وأما مطالبات الحقيقة فكما قالوا ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بالدهان. وقد قال تعالى لأهل الرخص في الأعمال والمستضعفين في الأحوال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: الآية 78]. وأما أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق فقال لهم: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 284]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: الآية 102]، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: الآية 78].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ [الآية 62] فيه فصول وأبواب وهو اللوح المحفوظ أو صحيفة الملفوظ ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 62] على وفق الصدق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 62] بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

وقال الأستاذ: لولا غفلتهم عن موضع الحقيقة لما خوفهم بكتابه الحفظة ما صدر عنهم من الشريعة والطريقة ولكن غفلوا عن شهود الحق لهم ولأحوالهم فخوَّفهم بإطلاع الملائكة وكتابتهم عليهم أعمالهم. أقول: ولعل في هذا تنبيه لهم على أن بعض عبادنا مطلعون على أعمالهم فكيف يخفى علينا أحوالكم.

وأما حكمة الكتابة في اللوح المحفوظ قبل أن يظهر أرباب الحقوق والحظوظ فلعل فيه الإيماء إلى سر القدر والقضاء وإشعار إلى عدم تغيير تقدير ما ثبت في عالم القضاء قبل خلق الأرض والسماء وما بينهما من الجو والهواء/ فيفيد أنه عالم بالكليات والجزئيات قبل ظهورها في صدور الكائنات 272/ب
وصدور الحادثات.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 63] قلوب الكفرة ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ [الآية 63] غفلة غامرة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ [الآية 63] الذي وصف به البررة أو من اللوح وصحيفة الحفظة ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ [الآية 63] خبيثة دنيئة وأحوال دنسة رديئة ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 63] من الكفر هنالك ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [الآية 63] لا محالة ومعتادون فعلها في كل حالة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يصلح لهذا الشأن والحال إلا من كان فارغاً من جميع الأعمال لا شغل له في الدنيا ولا في الأخرى، وأما من له شغل دنياه أو على قلبه حديث عقباه فليس له نصيب من حديث مولاه. وفي الخبر: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[1]. ويقال: أصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم وأصحاب العقبى مشغولون بعقباهم وأهل البأس مشغولون بما ينالهم من بلواهم، فمن الذي له في الدنيا والآخرة عن مولاه خير الفراغ عزيز، . قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: الآية 55] أي بخلاف جمع مقامهم عليُّون، وهذا أحد معاني ما ورد من أن أكثر أهل الجنة البله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ [الآية 64] متنعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 64] يعني الجوع بالقحط حتى أكلوا الكلاب ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [الآية 64] يستغيثون ويتضرعون على الباب أن يستجابوا، فقيل لهم بلسان القال أو بيان الحال ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] أي لا تمنعون من عذابنا بل تطردون من بابنا وتعذبون بحجابنا. وفي الخبر: «مَن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»[2].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فإذا أخذ فبطشه شديد فإذا أخذ أصحاب الكبائر حين يحل بهم الانتقام في الجوار ردوا بالهوان والصغار والاحتقار. ويقال للجنايات سرايات فإذا أمسك الجاني عن الجناية

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6412)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 550) رقم (2304)، وابن ماجه في السنن (2/ 1396) رقم (4170).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 729) رقم (1997)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 462) رقم (3382)، وأبو يعلى في المسند (11/ 283) رقم (6396).

فلا ينفعه ذلك ما لم يمض حكم السراية.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية 66] يعني القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 66] رجاء أنكم إليها تقبلون وما لديها تقبلون ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [الآية 66] ترجعون فتعرضون عن سماعها وتصديقها والعمل بها.

وقال الأستاذ: وذكر هذا من/ باب إبداء العذر وإلزام الحجة والقطع بأن 273/ أ
لا ينقطع الآن الجذع ولا يسمع العذر والفزع والملوك إذا أبرموا أحكامهم فالأستعتاب غير مؤثر في الحاصل منهم كما.

قال قائلهم:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   إليـه بـوجـه آخـر الـدهـر تـقـبل[1]

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ [الآية 67] أي بتكذيب الآيات ﴿سَٰمِرًا﴾ [الآية 67] تسمرون بالهذيانات أو بالطعن في الآيات البينات وهو في الأصل مصدر على وزن الفاعل كالعافية بمعنى المسامرة وهي الحكاية بالليل وقيل في ظلمة القمر ﴿تَهْجُرُونَ﴾ [الآية 67] تعرضون وتدبرون أو تمترون وتستهزؤون، ويؤيده قراءة نافع تهجرون من أهجر إذا أفحش.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 68] العظيم والقرآن الكريم ليعلموا أن الحق من ربهم بإعجاز مبناه وإيجاز معناه ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 68] من الرسول والكتاب والأمن من العذاب.

وقال الأستاذ: يعني أنهم لو أنعموا النظر وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا في الحال ولانتفى عن قلوبهم الاستعجال والإشكال ولكنهم استوطنوا مراكب الكسل وعرجوا في أوطان التفاعل فتعودوا الجهل والسؤال من الاستبصار.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ [الآية 69] بالأمانة والديانة والصيانة ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 69] وعن قبول قوله معرضون.

(1) نسب إلى معن بن أوس. انظر نهاية الأرب (1/ 271)، والأغاني (12/ 68).

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [الآية 70] جنون والحال أنه أعقلهم كما يعلمون ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 70] لأنه يخالف شهواتهم ولهواتهم أو لقلة فطرتهم وعدم فكرتهم.

وقال الأستاذ: يعني أنهم ذهلوا عن التحقيق فتطوحوا في أودية المغاليط وترجمت بهم الظنون الخاطئة وملكتهم كواذب التقديرات فأخبر الله سبحانه عن أحوالهم وعن مقابلة الأنبياء بأموالهم فمرة قابلوهم بالتكذيب ومرة رموهم بالسحر ومرة عابوهم بتعاطي أفعال العادة بما عليه من المأكل والمشرب ومرة قدحوا فيهم بما هم فيه من العقل وقلة ذات اليد، فأخبر الله تشتت أخبارهم وتقسم أفكارهم.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 71] الفاسدة وآراؤهم الكاسدة كتجويز نفي
273/ب النبوة والرسالة والبعثة/ ووجود تعدد الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الآية 71].

وأفاد الأستاذ: إن ذلك لضاد مناتهم وأهوائهم إذ هم متشاكسون في مرادهم وسؤالهم وتحصيل ذلك محال تقديره في وجود أحوالهم، فبيَّن الله سبحانه أنه لو أجرى حكمه على وفق مرادهم لاختل أمر السموات والأرضين ولخرج عن حد الإحكام والاتقان المبين ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [الآية 71] بالكتاب الذي فيه ذكرهم أي وعظهم وتذكرهم أو صيتهم وشرفهم وفيه رد على تمنيهم بقولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: الآية 168]، ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية 71] وبدل شكرهم منكرون.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ [الآية 72] أجراً على أداء الرسالة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ [الآية 72] رزقه في الدنيا وثوابه في العقبى ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 72] لسعته ودوام بقائه ففيه مندوحة لك عن عطاء غيره. وقرأ ابن عامر خرجاً فخرج وحمزة والكسائي خراجاً فخراج للمزاوجة والمشاكلة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 72] في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: إنك لا تطالبهم على تبليغ الرسالة بأجر وعوض

وحصول عرض حتى تكون بموضع التهمة فيما تأتيهم به من الشريعة إن لعلك تريد أن يعقدوا لك الرئاسة بأن يعتقدوا فيك الرسالة. ثم قال: والذي لك من الله سبحانه من جزيل الثواب وحسن المآب يغنيك عن التصدي لنيل ما يكون في حصوله منهم مطمع، وهذا كان سنَّة الأنبياء والمرسلين عملوا لله فلم يطلبوا عليه أجراً من غير الله والعلماء ورثة الأنبياء فسبيلهم التوقي من التدنس بالأطماع والأكل باليدين فإنه وبيء مضر بالإيمان واليقين، وإذا كان العمل لله فالأجر منتظر من الله وهو موعود من قبل الله.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ [الآية 73] أي دين قويم وطريق كريم تشهد العقول السليمة على استقامته حيث لا اعوجاج ولا مناقضة في دلالته.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم شهود الحق بنعت الإفراد في جميع الأشياء والاتحاد والاستسلام لقضايا الإلزام بمواطأة القلب من غير استكراه الأحكام.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [الآية 74] أي السوي القوي
﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ [الآية 74] عادلون كالضلال القوي فإن خوف الآخرة أقوى البواعث/ 274/ أ
عن طلب الحق وسلوك طريق الصدق.

قال أبو بكر الوراق: مَن لم يهتم لأمر منقلبه ومعاده ولم يهيىء في معاشه أمراً فهو ضال عن طريقه وغاوٍ عن مقام تحقيقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم زاغوا عن الحجة المثلى بقلوبهم فوقعوا في جحيم الفرقة وستميل أقدامهم غداً عن الصراط فيقعون في نار الحرقة ناكبون في دنياهم وعقباهم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ [الآية 75] قحط بلواهم ﴿لَّلَجُّواْ﴾ [الآية 75] لثبتوا وتمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية 75] إفراطهم في عصيانهم وكفرانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 75] عن طريق برهانهم وتحقيق شأنهم. روي أنه عليه السلام دعا عليهم بقوله: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني

يوسف[1]. فقحطوا حتى أكلوا الجيف فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت[2].

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: لو فتحنا لهم أبواب الطرق إلينا لأبوا إلا اتباع الباطل بطغيان النفس وعمائها.

قال الواسطي: للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال طغيان وهو البخل به وللعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع الشهوة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن صادق علمه بهم وذلك صادر عن سابق حكمه فيهم فقال: لو كشفنا عنهم العذاب في الحال لم يفوا بما يعدون في أنفسهم من الإيمان في المآل ولقد علمتم أنهم سيكفرون وحكم عليهم بأنهم ينفرون إذ لا يجوز أن يكون حكم فيهم بخلاف علمه بهم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 76] يعني القتل يوم بدر ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الآية 76] في مآل بل أقاموا على استكبارهم وداوموا على إنكارهم.

قال سهل: ما أخلصوا لربهم بالعبودية ولا أذلوا له بالوحدانية.

وقال الأستاذ: أذقناهم مقدمات العذاب دون شدائدها تنبيهاً لهم فما انتبهوا ولا أترحوا ولو أنهم إذ رأوا العذاب لفزعوا إلى التضرع والابتهال لأسرع الله زوالها عنهم ولكنهم أصروا على باطلهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 77] يعني الجوع فإنه / بئس 274/ ب
الضجيع وأشد من الأسر السريع والقتل الذريع ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية 77] متحيرون في الأمر آيسون من الخير حتى إذا جاءك يستعطفك وبئس أهل الشر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول: لما أحللنا بهم أشد العقوبات ضعفوا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4598)، ومسلم في الصحيح (675/ 294).
(2) تفسير البيضاوي (1/ 163).

عن حملها فأخذوا بغتة ولم ينفعهم ما قدموا من الابتهال فيئسوا عن الإجابة وعرجوا في أوطان التفرط من الرحمة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الآية 78] لتدركوا بها ما نزل من الآيات السمعية بنصيب من الدلالات البصرية ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [الآية 78] لتتفكروا فيها وتستدلوا بها بنظر البصيرة عليها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والتوابع الدنيوية ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 78] تشكرونها شكراً قليلاً لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان لمانحها، وما صلة لتأكيد القلة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر عظيم منته عليهم بأن خلق لهم هذه الأعضاء وطالبهم بالشكر على تلك النعماء وشكرها بحقيقة استعمالها في طاعته، فشكر السمع أن لا يسمع إلا بالله ولله، وشكر البصر أن لا ينظر إلا بالله ولله، وشكر القلب أن لا يشهد غير الله ولا يحب به غير الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 79] خلقكم فيها وبثكم في أطرافها ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الآية 79] تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ثم تتفرعون.

وأفاد الأستاذ: أن الابتداء للحادثات من الله بدءاً والانتهاء إليه عوداً والتوحيد ينظم هذه المعاني بأن تعرف أن الحدثان بالله ظهور ولله ملكاً وملكاً ومن الله ابتداء وإلى الله انتهاء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 80] حقيقة ومجازاً كما أفاد الأستاذ بقوله: يحيي النفوس ويميتها. والمعنى في هذا معلوم عند أهلها وكذلك يحيي القلوب ويميتها فموت القلوب بالجحود وحياة القلوب بالإيمان والتوحيد، وكما أن للقلوب حياة وموتاً فكذا للأوقات موت وحياة، فحياة الأوقات بيمن إقباله وموت الأوقات بمحنة إعراضه، وفي معناه أنشدوا:

أمـوت إذا ذكـرتـك ثـم أحـيـا فكـم أحيا عـليك وكـم أموت[1]

كذا ذكره الأستاذ، لكن المراد بالموت والحياة بالبيت إنما هو الفناء

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 221، 280) و(7/ 74). ونسب إلى الشبلي. انظر إحياء علوم الدين (4/ 360).

275/أ والبقاء، / نعم لو كان البيت: أموت إذا نسيتك ثم أحيا، لكان مناسباً كما لا يخفى. وقد ذكر المعنيان في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: الآية 24] ربك أو نسيت نفسك.

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 80] ظلمة ونوراً وتعاقبهما ظهوراً وانتقاص أحدهما بعد زيادة الآخر منهما طوراً فطوراً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 80] بالنظر والتأمل في آياتنا أن الكل من مصنوعاتنا وإنما نشأ من إرادتنا وإن قدرتنا تعمُّ الممكنات كلها وإن البعث من جملتها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس كل اختلافها في ظلمتها وضيائها وطولها وقصرها بل ليالي المحبين تختلف في الطول والقصر وفي الروح والنوح فمن الليالي ما هو أضوأ من اللآلي لِلمحبين، ومن النهار ما هو أشد ظلاماً من دخان النار كما قال قائلهم:

ليالي وِصال قد مضين كأنها لآلي عقود في نحور الكواعب
وأيام هجر أعقبتها كأنها بياض مشيب في سواد الذوائب(1)

﴿بَلْ قَالُوا۟﴾ [الآية 81] كفار مكة وغيرهم ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 81] من آبائهم ومن دان بدينهم من قوم نوح وهود وصالح ونحوهم ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الآية 82] أي استبعاداً واستغراباً، وذلك لأنهم لم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك تراباً.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ [الآية 83] البعث ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 83] قبل هذا الرسول ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 83] أكاذيبهم التي كتبوها وتلهوا بها.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلكوا في التكذيب مسلك سلفهم وأسرفوا في العنود(2) مثل سرفهم فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم ولما

(1) قائله القشيري. انظر الوافي بالوفيات (6/ 126) وطبقات الشافعية (7/ 84).
(2) الإبل المعاندة عن طائفتها. انظر لسان العرب (3/ 307) وتاج العروس (1/ 2141).

طال عليهم وقت العسر وما تواعدوا به من العذاب بعد البعث والنشور فزاد ذلك في ارتيابهم وجعلوا ذلك حجة في اضطرابهم فقالوا: لقد وعد مثل هذا آباؤنا ثم لم يكن لذلك تحقيق لهم فما نحن إلا مثلهم، فاحتجّ الله عليهم في جواز الحشر انتهاء بما أقروا به من الخلق ابتداء حيث قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] خالقها، ففيه تقرير لغاية جهالتهم وتحرير لنهاية ضلالتهم حيث جهلوا ما هو من بداية بداهتهم ولذا أخبر سبحانه عن جوابهم قبل إصابتهم بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 85] حيث لا جواب سواه
لأن العقل/ الصريح قد اضطرهم إلى هذا القول الصحيح، وهو إنه خالقها 275/ ب
ومالكها ومتصرفاً ما فيها ﴿قُلْ﴾ [الآية 85] لهم بعد ما قالوه واعترفوا بما نالوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 85] فتعلمون أن من فطر الأرض ومن عليها ابتداء قادر على إيجادها انتهاء فإن أمر البداءة والإعادة يكون عنده سواء.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [الآية 86] فإنها أعظم من ذلك في مقام التفخيم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 87] وقرأ أبو عمرو بغير لام فيه فيما بعده على ما يقتضيه السؤال في المبنى بخلاف غيره حيث اختار الجواب بالمعنى ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 87،88] بواطنه وخزائنه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ [الآية 88] يغيث مَن يشاء ويحرسه عمن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 88] ولا يقات أحد ولا يمنع منه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 88] حقائق ذاته ودقائق صفاته.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 89] ليس يشاركه أحد بل ولا ثمَّ سواه ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [الآية 89] فمن أين تخدعون عن الصدق وتصرفون عن الحق مع ظهور أمر الإيمان وبطلان قضية الكفران.

قال محمد بن الفضل: مَن علم أن الأشياء كلها له ثم رجع في طلبه إلى سواه مع أنه لا يمكنك من ذلك شيئاً فإن ذلك من قلة غفلته ورقة دينه.

وأسر الأستاذ إنه سبحانه أمر النبي عليه السلام أن يكرِّر عليهم الأسئلة وعقب كل واحد من ذلك مخبراً عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [الآية 87] ثم

يكتفي منهم بمقولهم ذلك بل عاتبهم على تجرد قولهم من التذكر والفهم والعلم تنبيهاً على أن القول وإن كان في نفسه صدقاً لم يكن فيه غنية إذا لم يصدر عن علم ويقين ثم نبههم على كمال قدرته وأن القدرة القديمة إذا تعلقت بمقدوراته وله ضد تعلقت بضده ويتعلق بمثل متعلقه والعجب أن من اعترافهم بكمال أوصاف جلاله ثم تجويزهم عبادة الأصنام التي هي جمادات لا تعطي ولا تمنع ولا تضر ولا تنفع. ويقال: قال أولاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 85]، ثم قلل بعدد ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 87] فقدم الذكر على التقوى لأن بتذكرهم يصلون إلى المعرفة ثم بعد أن عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته ثم بعد ذلك قال: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [الآية 89] أي بعد وضوح الحجة فأي شك بقي حتى تنسبوه إلى السحر والحيلة.

276/ أ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ [الآية 90] من التوحيد وبالصدق/ في البعث من الوعد والوعيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 90] حيث أنكروا ذلك وكابروا هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن أنهم أصروا على عتوهم وأقاموا على نبوهم وبعد أن أزيحت العلل فلات حين عذر في المحل.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [الآية 91] لتقدُّسه عن مماثلة أحد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [الآية 91] يساهمه في الألوهية بلا اشتباه ﴿إِذًا﴾ [الآية 91] أي لو كان معه آلهة كما تقولون إذاً ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [الآية 91] أي بما اشتبه بخلقه وامتاز ملكه عن ملك غيره ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 91] لظهر بينهم التحالب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا باطل بإجماع العقلاء بحسب التفحص والاستقراء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 91] من الولد وشركة الأحد.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الآية 92] هو عالم بما غاب عن العباد وظهر في البلاد فيستوي فيه الأمران عنده وحده. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بالخفض على أنه نعت لله ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 92] به من لا علم له بحاله فضلاً عن غيره.

وأفاد الأستاذ: أن اتخاذ الولد والشريك يوجب المساواة في القدرة والخلة والصمدة يتقدّس أن يكون له مثل أو جنس لأن الإثنينية تنافي الأحدية هذا وكل أمر مرتبط باثنين فقد انتفى عنه النظام ودليل التمانع مذكور في مسائل الكلام فتقدّس وتنزّه عن أوهام من أشرك وأفهام من أفك.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ [الآية 93] أي إن كان لا بد من أن تريني ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 93] من العذاب في الدنيا ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] قريباً لهم في العذاب المهين وهو إما لهضم النفس وقبول النعمة في دفع النقمة أو لأن شؤم الظلمة قد تحقق بمن وراءهم من الأمة. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: الآية 25]. وعن الحسن أنه سبحانه أخبر نبيه عليه السلام أن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقت البلية فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء من باب زيادة التضرع بالثناء.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام يقول: إن عجلت لهم ما تتوعدهم به فلا تجعلني في جملتهم ولا توصل إليّ مثل ما توصل إليهم من عقوبتهم. وفي هذا دليل على أن للحق أن يفعل ما يريد وأنه لو عذّب البريء لم يكن ذلك منه قبيحاً ولا ظلماً للعبيد.

/ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] لكنا نؤخره على 276/ ب
أمان بعضهم أو بعض أعقابهم، أو لأنّا لا نعذبهم وأنت فيهم. وقيل: قد أراه ببدراً وفتح مكة ما عجل من وعيدهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تدل على صحة قدرته على خلاف ما علم فإنه أخبر أنه قادر على تعجيب عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك فصحت القدرة على خلاف المعلوم، أي بخلاف الإرادة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 96] كلمة التوحيد وهي العليا ﴿السَّيِّئَةَ﴾ [الآية 96] الشرك وهي الكلمة السفلى، وقيل: هي الأمر بالمعروف والسيئة المنكر، والأظهر أن السيئة بمعنى الإشارة والتي هي أحسن هو الصفح عن جهتها والإحسان في مقابلتها وهو أبلغ من أن يقال: ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من

التنصيص على الزيادة.

وأفاد الأستاذ: أن الهمزة في الأحسن يجوز أن لا تكون للمبالغة ويكون المعنى ادفع بالحسنة السيئة ويجوز أن يكون للمبالغة، فكانت المكافأة جائزة والعفو عنها في الحسن أشد مبالغة. ويقال: ادفع الجفاء بالوفاء وجرم أهل العصيان بحكم الإحسان. ويقال: ادفع ما هو حظك إذا حصل ما هو حق له من قبلك. ويقال: اسلك مسلك الكرم والموافاة ولا تجنح إلى طريق المكافأة. ويقال: الأحسن ما أشار إليه القلب والسيئة ما تدعو إليه النفس. ويقال: الأحسن نور الحقائق والسيئة ظلمة الخلائق ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [الآية 96] من نعوتنا التي غير لائقة بذاتنا أو أصالتك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم منك فكِلْ إلينا أمرهم فيك فإنَّا ندفعهم عنك ونكفيك.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾ [الآية 97] وساوسهم وخطراتهم ومتابعة خطواتهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [الآية 98] أن يحوموا حولي في كل حال ومحل لا سيما حال الصلاة والقراءة وحلول الأجل.

وأفاد الأستاذ: أن الاستعاذة في الحقيقة تكون بالله من الله كما قال ﷺ: «أعوذ بك منك»[1] ولكن تفيدنا بالاستعاذة بالله من الشيطان بل من كل ما هو مسلط علينا من الحيوان والإنسان والحق عند ذلك يوصل إلينا مضرّتنا
بجري العادة علينا وإلا فلو كان بالشيطان من إغواء الخلق شيء باستبداده/ 277/ أ
لكان يمسك على الهداية نفسه ومن عجز عن حفظ نفسه كان أشد عجزاً من إغواء غيره. وفي معناه أنشدوا:

جحودي لك تلبيس وعقلي لك تهويس
فمن آدم لولاك ومن في البين إبليس[2]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 449) رقم (1150)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 452) رقم (1444)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 385) رقم (3838)، وابن أبي شيبة في المصنف (2/ 99) رقم (6943).

(2) نسب إلى الحسين بن منصور الحلاج. انظر تفسير الآلوسي (10/ 16).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية 99] متعلق بيصفون وما بينهما جملة اعتراضية.

وقال ابن عطية: حتى هي ابتدائية ﴿قَالَ﴾ [الآية 99] أحدهم تحسر على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة وأفرط من الكفر والمعصية لما اطلع على أمر القيامة ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [الآية 99] ردوني من العقبى إلى الدنيا، والواو لتعظيم المخاطب، وقيل لتكرير قوله أرجعني، وقيل لخطاب الملائكة، ففي الكلام التفات.

﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [الآية 100] ينفعني في العقبى ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [الآية 100] أي ضيّعته في الدنيا. وعنه عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة فقالوا نرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان»[1] بل قدوماً إليّ، وأما الكافر فيقول: رب ارجعون ﴿كَلَّآ﴾ [الآية 100] ردع عن طلب الرجعة واستبعاد عن حصول تلك الحالة ﴿إِنَّهَا﴾ [الآية 100] أي جملة قوله رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ﴾ [الآية 100] طائفة من الكلام ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [الآية 100] أي لا فاعلها أو لا يلتفت إليها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ [الآية 100] أي أمامهم والضمير إلى الخلق بأسرهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ [الآية 100] حائل بينهم وبين الرجعة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 100] وهو يوم القيامة.

قال أبو عثمان: لو علم أهل النار عملاً أنجى لهم من طاعة الله لما فزعوا في وقت البيان إلا إليه بقولهم رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً.

وقال الأستاذ: إذا أخذ البلاء بخناقهم واستمكن الضر من أحوالهم وعلموا أن لا محيص ولا محيد لهم أخذوا في التضرع والاستكانة إلى رب العباد ودون ما يرمون خرط القتاد.

قلت للنفس إن أرَدْتِ رجوعاً فارجعي قبل أن تُسد الطريق[2]

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 101] لقيام القيامة ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 101] تلك الساعة لفرط الحيرة وشدة الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه

---

(1) تخريج الأحاديث والآثار (2/ 407).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 461) و(3/ 483) و(4/ 49) و(5/ 289).

وأبيه وصاحبته وبنيه ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 101] ولا يسأل حينئذ أحد عن غيره لاستثقال كل أحد بنفسه كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: الآية 37].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية 102] موزونات عقائده وأعماله من الطاعات
277/ب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 102] الفائزون بالنجاة والدرجات / ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية 103] من الإيمان والعبادات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية 103] حيث ضيّعوها في زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها وإكمالها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 103] دائمون نادمون.

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 104] أي تحرقها وتسودها ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [الآية 104] من شدة احتراق النيران. والكلوح تقلُّص الشفتين عن الأسنان في «تفسير السلمي».

قال فارس: الأنساب رؤية الأعمال ورجاء الخلاص بها ولا يتساءلون أي لا يتذكرون ما جرى عليهم في الدنيا من نعيمها وبؤسها شغلاً بما هم فيه من أمور العقبى.

وقال الأستاذ: لا تنفع الأنساب ولا ينفع الندم وسيلقى كل ذا غب ما اجترم فمن ثقلت بالخيرات موازينه لاح عليهم تزيينه ومن ظهر ما يشينه وافترى من البلاء فنونه تلفح وجوههم النار وتلمح من شواهدهم الآثار ويتوجه عليهم حجاج الإنكار فلا جواب لهم يُسمع ولا خطاب ينفع ولا عذر يُقبل ولا عذاب عنهم يُرفع ولا عقاب عنهم يُقطع.

هذا ويقال لهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ [الآية 105] توبيخ وتذكير لهم بما استحقوا من العذاب لأجل فعلهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ [الآية 106] وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح وهي ضد السعادة أي ملكتنا وقويت علينا بحيث صارت مجامع أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [الآية 106] عن طريق الهداية.

قال أبو تراب: الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق.

وأفاد الأستاذ: إنهم يظنوا بالحق ولكن في وقت لا ينفع الإقرار ولا يقبل الاعتذار ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الآية 107] أنفسنا، والحق يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] علم أن ردهم لا يكون ولو كان كيف كان يكون.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [الآية 108] اسكتوا سكوت هوان كما في خطاب الكلاب ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [الآية 108] في رفع العذاب ودفع الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أن عند ذلك يتم لهم البلاء ويشتد عليهم العناء لأنهم ما داموا يذكرون الله لم يحصل لهم الفراق بالكلية فإذا حيل بينهم وبين ذكره يتم لهم المحنة والبلية، وهذا أحد ما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: الآية 103]، وفي الخبر: «إنهم ينصرفون بعد ذلك فإذا لهم عواء / كعواء الذئب» هنالك. وبعض الناس يغار على أحوالهم بأن الحق يقول لهم 278/ أ
اخسؤوا وقالوا: يا ليتنا يقول الناس لنا هو بذلك يخاطبنا وهؤلاء يقولون: قدح الأحباب ألذ من مدح الأعداء. وينشدون في هذا المعنى قول بعض الشعراء:

أتاني منك سبك لي فسبّي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي[1]

قلت: هذا من بعض شطحاتهم حال جذباتهم أو من بعض مقاماتهم في بداياتهم.

﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 109] أي الشأن ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ [الآية 109] وهم الزُّهاد من عبادي ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية 109] بمحو السيئة ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ [الآية 109] بقبول الحسنة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 109] من جميع العالمين.

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [الآية 110] مهزؤواً بهم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدران زيدت فيهما ياء النسبة لقصد المبالغة ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [الآية 110] من فرط تشاغلكم بذكر غيري واستهزائكم بأهل صبري وشكري ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [الآية 110] استهزاءً بأرباب فقري.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 241).

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ [الآية 111] على محنهم ومنها أذاكم لهم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الآية 111] لأن فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوص بهم. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على أن الجملة استئنافية فيه معنى التعليلية.

وفي «تفسير السلمي» قيل: الفائزون هم الآمنون من أهوال القيامة. وقال بعضهم: مَن صبر على مخالفة النفس فاز من طغيانه وتعديه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه ينتقم من أعدائه ما يطيب به قلوب أوليائه وتلك خصيمة الحق لأصفيائه فيقول: قد كان قوم من أوليائي يفصحون بمدحي وثنائي وينصفون بحمدي ودعائي فاتخذتموهم سخرياً في ناديهم فأنا اليوم أجازيهم وأنتقم ممن كان يناديهم.

﴿قَٰلَ﴾ [الآية 112] أي الله أو الملك. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: قل، على الأمر للملك المأمور بسؤالهم وتبيين حالهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 112] أحياءً وأمواتاً ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ [الآية 112] تمييز لكم وتبيين ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية 113] استقصاراً لمدة لبثهم فيها لأنها منقضية أو بالنسبة إلى ما تيقنوا به من الخلود في العقوبة ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [الآية 113] الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيق مرامها فإنَّا مشغولون بما نحن فيه من العذاب عن تذكُّرها وإحصائها.

278/ ب ﴿قَٰلَ﴾ [الآية 114] وقرأ حمزة والكسائي: / قل ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ [الآية 114] ما مكثتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 114] قدر تلك الأزمنة.

قال يحيى بن معاذ: المغبون من عطّل أيامه بالبطالة. وأفاد الأستاذ: أن الأشياء وإن كانت كثيرة فقد تقصر وتقلّ بالإضافة إلى أن يوفي ويربي عليها كذلك مدة مقامهم تحت الأرض إن كانوا في الراحة فقد تقل بالإضافة إلى الراحات التي يلقونها في القيامة، وإن كانت شديدة فقد تتلاشى في جنب ما يرونه ذلك اليوم من أليم العقوبات المتوالية.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [الآية 115] أي عابثين أو للعب، والمعنى لم نخلقكم تلهياً بكم وإنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم بحسب

أحوالكم ﴿وَأَنَّكُمْ﴾ [الآية 115] أي وحسبتم ﴿إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 115] بالجزاء. وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

وأفاد الأستاذ: أن العبث اللهو والاشتغال بما يلهي من الحق والله لم يأمر العباد بذلك فلم يدعهم إلى ذلك ولم يندبهم إلى ما هنالك، والعابث في فعله من فعله على غير جد الاستقامة ويكون هازلاً مستحلياً بفعله أحكام اللهو إلى نفسه متمادياً في سهوه مستلذ التفرقة في قصده وكل هذا من صفات ذوي البشرية، والحق سبحانه منزَّه النعت عن هذه الجملة بالكلية فلا هو بفعل شيء عابث ولا بشيء من العبث أمر.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 116] الذي يحق له الملك المطلق ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 116] فإن ما عداه مملوك له وعبيده ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الآية 116] الذي يحيط بالأجرام وينزل منه محكمات الأحكام، ولذا وصفه بالإكرام.

وأفاد الأستاذ: أن الحق بنعوت جلاله متوحِّد، وفي إزاله وعلو أوصافه متفرِّد بذاته أحق وصفاته حق وقوله صدق ولا يتوجه لمخلوق عليه حق وما يفعله من إحسانه بعباده فليس شيء منها بمستحق ثم ما تجمل سبحانه بالعرش ولكن تقرر العرش بأن أضافه إلى نفسه إضافة خصوصية.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 117] يعبد غيره إفراداً أو إشراكاً ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [الآية 117] صفة أخرى لإله، لازمة له جيء بها للتأكيد وللتنبيه على أن التديُّن بما لا دليل عليه ليس في محله فضلاً عما دلّ الدليل على خلافه ﴿فَإِنَّمَا
279/أ حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية 117] فهو مجاز له بقدر استحقاقه ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 117] أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الآية 117] بدأ السورة بثبوت فلاح المؤمنين وختمها بنفي فلاح الكافرين، ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه مع أنه رحمة للعالمين فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الآية 118] جمعاً بين الدعاء والثناء في مقامي الخوف والرجاء.

وقال الأستاذ: حسابه على الله في أجله وعذابه من الله في عاجله وهو

الجهل الذي أودع قلبه حتى رضي بأن يعبد معه غيره. وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 3] كلام حاصل من غير دليل عقل ولا شهادة خبر ونقل، فما هو إلا إفك وبهتان وقول ليس يساعده برهان وقل رب اغفر الذنوب واستر العيوب وأجزل الموهوب وارحم حتى لا يستولي علينا هواجم التفرقة ونوازل الخطوب والرحمة المطلوبة بالدعاء هو الصادر عن الرحمة من صنوف النقمة، وسمي الحاصل بالرحمة على وجه التوسع وحكم المجاور في العبارة.

سورة النور

[مدنيّة]

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم نذير الوفاة، فرقته اسم بشير الحياة، وصلته اسم سبب الروح، عرفانه اسم راحة الروح، إحسانه اسم كمال الأنس، إقباله اسم فتنة المهيمن، جماله اسم من شهده دامت سلامته، اسم من وجده قامت قيامته، اسم لا إليه خطوة ولا بدونه سلوة.

﴿سُورَةٌ﴾ [الآية 1] أي هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [الآية 1] صفتها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ [الآية 1] أي ما فيها من أحكامها. وشدّده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو للمبالغة في إيجابها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 1] واضحات المرام موضحات الأحكام ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 1] تتعظون فتتقون الحرام. قال بعضهم: لو لم يكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة حبيب الله لكان كثيراً فكيف وقد جمعت من البراهين والأحكام ما لم يجمعه في غيرها.

وقال الأستاذ: أي شرّعنا فيها من الحلال والحرام وبيّنا فيها من الأحكام وما لكم بها اهتداء وللقلوب عن غمة الاستعجام شفاء، وأنزلنا فيها آيات بيّنات دلائل واضحات وحجج لائحات لتتذكروا تلك الآيات وتعتبروا بما / فيها من البراهين النيرات. 279/ ب

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [الآية 2] الجَلد: ضرب الجِلد، وهو حكم يختص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم، والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح. واعتبر الحنفية.

وأفاد الأستاذ أن العقوبة على الزنا شديدة أكيدة لكن جعل إثبات أمره وتقرير حكمه بكونه على أكثر الناس خصلة عسيرة بعيدة إذ لا تُقبل الشهادة عليه هنا حتى يقول رأيت ذلك منه في ذلك منها وذلك أمر بمرة شديد وجوده وصعب شهوده، فسبحان مَن أعْظَمَ العقوبة على تلك الفعلة ثم جعل الأمر في إثباتها بغاية الكدر والعناء حفظاً لستر الصيانة على عباده بالخفاء. ثم ما ورد في الخبر عنه ﷺ مما يدهش اللب في ظهور الكرم فيما عامل به ماعزاً حين اعترف بذلك ولم يكن شهود هنالك، لعلك قبّلت، لعلك لامست[1]، وقوله لبعض أصحابه استنكهوه[2]، كل ذلك روماً لدرء الحد عنه إلى أن ألحّ وأصرّ على الاعتراف به. قلت: واعترافه به مع تلقينه عليه السلام بإعذاره وإصراره على إقراره كان من غاية كماله في صدق مقاله وقوة حاله وحسن مآله.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [الآية 2] وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة أي شدة رحمة ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [الآية 2] طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه، ولذا ورد في السنَّة ما في الكتب الستة: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[3] ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية 2] فإن الإيمان به وبمحاسبته ومجازاته يقتضي الجد في طاعته والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكام عقوبته وهو من باب تهييج المخاطب ومبالغته على القيام بقضيته فلا نظر إلى ظاهر شرطيته.

قال جنيد: الشفقة على المخالفين كالإعراض عن الموافقين. وقال بعضهم: لا يكون المحب من يصبر على مخالفة حبيبه.

وأفاد الأستاذ: أن ما يأمر به الحق فالواجب مقابلته بالسمع والطوع والرحمة من موجب الشرع وهو المحمود، فأما ما يقتضيه الطبع والعادة فمذموم، ونهي عن الرحمة على مَن خرق الشرع وترك الأمر وأساء الأدب
وفي مواطن المخالفة انتصب. ويقال: نهانا/ عن الرحمة بهم وهو يرحمهم 280/أ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 117) رقم (4843).
(2) انظر مجمع الزوائد (6/ 432) رقم (10680).
(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (4/ 333) رقم (7388).

حيث لا تمحو عنهم تلك الغفلة الفحشاء رغم الإيمان فقال عليه السلام آخر ما قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(1) ولولا رحمته مع استبقى عليه حلة إيمانه مع قبيح جرمه وعصيانه.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾ [الآية 2] أي ثلاثة أو اثنان أو واحد ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] زيادة في التقرير لإفادة التشهير الموجب للتهذيب فإنه أبلغ من التعذيب ولحصول التنبيه له ولغيره من العدو والحبيب في مقام التأديب.

قال أبو بكر ابن طاهر: لا يشهد مواضع التعذيب إلا من يستحق التأنيب وهم طائفة من المؤمنين لا المؤمنون أجمعون.

وقال الأستاذ: ليكون العذاب أشد عليها وليكون آكد تخويفاً لتعاطي ذلك الفعل من غيرهما ثم من حق الذين يشهدون ذلك الموضع أن يذكروا عظيم نعمة الله عليهم كيف سترهم ولم يفضحهم لديهم ولم يقمهم في موضعه الذي أقام فيه هذا المبتلى به وسبيل من يشهد ذلك الموضع أن لا يعيِّر صاحبه بذلك ولا ينسى حكم الله تعالى في إقدامه على جرمه هنالك.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [الآية 3] وهذا باعتبار الغلبة، فإن المشاكلة علة الإلفة والمخالفة سبب للنفرة كقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [الآية 26] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن الناس أشكال وأمثال فكل يطير مع شكله وكل يألف مع مثله. وأنشدوا:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي(2)

أما أهل الفساد فالفساد يجمعهم وإن تناءت ديارهم، وأما أهل السواء فالسواء يجمعهم وإن تباعد مزارهم ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] لأنه تشبه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5578)، ومسلم في الصحيح (57/ 100).
(2) نسب إلى عدي بن زيد. انظر العقد الفريد (1/ 190) ونهاية الأرب (1/ 268).

بالفسقة وتعدّ من التهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في نسب الذرية ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [الآية 32] فإنه يتناول المسافحة ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن مَن زنى بامرأة ثم نكحها فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرِّم الحلال»[1]. وقد روي أن الآية نزلت
280/ ب في ضعفة المهاجرين لما همُّوا أن يتزوجوا بغايا أهل الكتاب/ ويكرين أنفسهن لينفقن عليهم من اكتسابهن على عادة الجاهلية ولذا قدَّم الزاني هنا وقد قدم الزانية فيما سبق لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها وعرض نفسها ولأن مفسدته إنما تتحقق بالإضافة إليها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ [الآية 4] يقذفوهن بالزنية ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [الآية 4] على تلك الفعلة ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [الآية 4] والإحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى، وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة التي هي سبب نزول الآية هنا وضربه أخف من ضرب الزنا في الكيفية كما نص عليه في الكمية ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا﴾ [الآية 4] أي شهادة كانت لأنه مفتر أبداً إلى آخر عمره وعليه الحنفية، أو قبل توبته وعليه الشافعية ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الآية 4] المحكوم بفسقهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] عن القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ [الآية 5] أعمالهم وتداركوا أحوالهم والاستثناء من جملة الأخيرة كما يشير إليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 5] وقيل من الجملة المنهية وعليه الشافعية. وقد أفاد الأستاذ أنه سبحانه جعل من شرط صحة توبته إصلاحه فقال وأصلحوا، وهو أن يأتي على توبته مدة تنتشر بالصلاح صفته كما اشتهر بهتك عرض المسلمين قالته، كل هذا لشديد لمن لم يحفظ على المسلمين ظاهر حالته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الآية 6] نسائهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ [الآية 6] على زناهن ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 6] بدل من شهداء ﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ [الآية 6] أي فعليهم

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 155) رقم (13656)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 527) رقم (16779)، وعبد الرزاق في المصنف (7/ 202) رقم (12787).

شهادة أحدهم ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ [الآية 6] مفعول مطلق، ورفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر لشهادة ﴿بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 6] فيما رماها به من الزنا ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ [الآية 7] أي والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 7] فيما رماها. وقرأ نافع بالتخفيف والرفع، وهذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 8] أي الحد ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 8] فيما رماني به ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ/ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] فيما 281/أ
رماها، ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر ونصبها حفص عطف على أربع. وقرأ نافع إن غضب الله بتخفيف النون وكسر الضاد ورفع الجلالة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] لآل حالكم إلى الفضيحة وعاجلكم بالعقوبة.

وقال الأستاذ: أي لبقيتم في هذه الواقعة المعضلة ولم تهتدوا إلى الخروج من هذه الحالة المشكلة، وإلا ففي عادة الناس من الذين يهتدي لمثل هذا الحكم الخفي لولا تعريف سماوي وأمر نبوي من الوحي مستقاه ومن الله مبتدأه وإليه منتهاه.

هذا وفي تفسير السلمي قال بعضهم: من لم ير فضل الله عليه في جميع الأحوال فهو ساقط عن درجة المعرفة بالأفضال فإن أوائل المعرفة رؤية الفضل ومن شاهد الفضل لا يعمى عن الشكر والتزام المنة ونعمته في الدنيا العافية وفي الأخرى الرضا.

وقال السياري قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 10] ولم يقل لولا عبادتكم وصلاتكم وحسن قيامكم لله ما نجا منكم من أحد ليُعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [الآية 11] بأبلغ ما يكون من الكذب مأخوذ من الإفك وهو الصرف ويسمى به لأنه قول مأفوك عن وجهه ومصروف عن نحره. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها وذلك أنه عليه السلام

استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها إنها دخلت الهوادج فرحّله على مطيتها وسار، فلما عاد إلى منزلها لم يجد منهم أحداً فجلست كي يرجع إليها منشد وكان سفيان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها فاتهمت به[1] ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية 11] خبر إن أي جماعة وهي كالعصابة من العشرة إلى الأربعين وهم عبد الله بن أُبيّ وزيد بن
281/ب رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش ومَن/ وافقهم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ [الآية 11] لا تظنوا الإفك ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ [الآية 11] جملة مستأنفة والخطاب للنبي ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 11] لاكتسابكم الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله الكريم بإنزال سبعة عشر آية في براءتكم وتعظيم نزاهة ساحتكم والوعيد بالتهويل لمن تكلم فيكم والثناء الجميل على مَن ظنّ خيراً بكم ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [الآية 11] لكل جزاء كسبه بقدر ما خص فيه مختصاً به ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ [الآية 11] معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية 11] من الخائضين وهو ابن أُبي من المنافقين فإنه بدأ به وأذاعه وهو وحسان ومسطح فإنهما ساعداه في التصريح به فالذي بمعنى الذين ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 11] في العقبى أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أُبي مطروداً مشهوراً بالنفاق مبعوداً وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر فاقد العين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيَّن في قصة عائشة رضي الله عنها وما كان من حديث إفكها لأنه لا يخلي أحداً من المحنة والبلاء في المحبة والولاء من أقوى أركانه وأعظم برهانه وأصدق بيانه كما ورد يمتحن الرجل على قدر دينه.

وقال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الأولياء»[2].

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (10/ 13) رقم (4212)، وأحمد في المسند (6/ 194) رقم (25664).
(2) سبق تخريجه.

ويقال: إن الله سبحانه غيور على قلوب خواص عباده فإذا حصلت مساكنة لبعض إلى بعض في حظه يجري الله ما يرد كل واحد منهما عن صاحبه ويرد إلى نفسه، وقد أنشدوا:

إذا علقت روحي حبيباً تعلّقت ... به غير الأيام إذ تَسلبَنّه[1]

وأن النبي ﷺ لما قيل له أي الناس أحب إليك قال: «عائشة»[2] فمساكنها، وعائشة رضي الله عنها قالت في بعض الأخبار: يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك، فأجري حديث الإفك حتى ردَّ رسول الله ﷺ قلبه عنها إلى الله وردت عائشة عنه إلى الله حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها: بحمد الله لا بحمدك كشف الله غيابة تلك المحنة وأزال الشك والشبهة[3]. وأظهر رضي الله عنها براءة ساحتها. ويقال أن: النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله»[4] فإذا كانت الفراسة صفة المؤمن فأولى الناس بالفراسة كان رسول الله/ ﷺ ثم لم يظهر له بالفراسة ساحتها حتى كان يقول لها: «إن فعلت فتوبي»[5] والسبب فيه أن في أوقات البلاء يبدي الله على أوليائه عيون الفراسة إكمالاً للبلاء. وكان إبراهيم عليه السلام لم يميز ولم يعرف الملائكة حيث قدم إليهم العجل الحنيذ وتوهم أضيافاً. ولوطاً عليه السلام لم يعرفهم ملائكة إلى أن أخبروه أنهم ملائكة. ويقال: إنه كان عليه السلام يقول لعائشة: يا حميراء[6]، فلما كان زمن الإفك وأرسلها إلى بيت أبويها واستوحش الأبوان معها ومرضت عائشة رضي الله عنها من الحزن والوجد الذي بها فكان رسول الله ﷺ إذا رأى 282/ أ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 441).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (3662)، ومسلم في الصحيح (8/ 2384) رقم (6328).
(3) أورده القشيري في تفسيره (5/ 307).
(4) سبق تخريجه.
(5) أخرجه البخاري في الصحيح (4757)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 332) رقم (3180)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 108) رقم (150).
(6) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 129) رقم (4610)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 6) رقم (15)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 382) رقم (3835).

واحداً من دار أبي بكر يقول كيف ابنتكم لا عائشة ولا الحميراء. ولكن ما كان يطيب قلبه بالتغافل عنها فكان يقول: كيف تيكم[1]، إن لم يسأل بالتصريح كان يتفقد بالتلويح.

﴿لَوْلَآ﴾ [الآية 12] هلّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية 12] أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحُجرات: الآية 11] وعدل عن الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبّونهم عن أنفسهم ﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 12] مبنياً على حسن الظن الواقع موقع اليقين.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الآية 13] أي الأربعة ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] أي في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [الآية 13] فيجري عليهم أمر حده.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عاتبهم على المبادرة إلى الاعتراض عليها وبسط ألسنة السوء إليها ثم قال: وهلّا جاؤوا على ما قالوا بالشهداء وإذا لم يجدوا ذلك البيان فهلّا تسكنوا عن بسط اللسان.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية 14] أي فضله في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها المهلة للتوبة ورحمته في العقبى بالعفو والمغفرة والوصلة والقربة ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ [الآية 14] بالعجلة ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 14] خضتم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 14] يستحقر دونه الجلد والملامة.

282/ ب وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن جرمهم وإن كان عظيماً/ عنده فإنه في حكم الله عنهم غير مؤثر لهم ولولا أن الله سبحانه ينتقم لأوليائه ما لا ينتقم لنفسه لعله لم يذكر هذه المبالغة في أمرهم فإن الذي يقول الأجانب والكفار

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2661)، ومسلم في الصحيح (2770/ 56).

في وصف الحق سبحانه ما يستحيل وجوده وكونه يوفي ويربي على كل سوء في مشهوده ثم لا يقطع عنهم أرزاقهم ولا يمنع منهم إرفاقهم ولكن ما يتعلق به حقوق أوليائه لا سيما حق سيد أنبيائه فذلك عظيم عند الله وعند أصفيائه.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ [الآية 15] يأخذه بعضكم من بعض ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الآية 15] بالسؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] عندكم كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية 167]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ [الآية 15] سهلاً لا تبعة له أصلاً ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15] وزراً وفعلاً. قال بعضهم: مَن تهاون بما يجري عليه من الدعاوى المنسوبة إليه فقد صغر ما عظم الله لديه لأن الله يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الآية 15].

وأفاد الأستاذ: أن سير الذلة إذا لاحظها العبد بعين الاستصغار يحيط كثيراً من الأحوال ويكدر كثيراً من صافي المشارب كالزلال واليسير من الطاعة ربما يستقل العبد وجوده ثم فيها نجاته ونجاة عالم معه.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [الآية 16] مثل هذا القول ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ [الآية 16] ما ينبغي ولا يصح ﴿لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [الآية 16] بتحقق هذا الفعل ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [الآية 16] تعجب ممن يقول ذلك أو تنزيه له سبحانه من أن يكون حَرَمُ نبيه فاجرة هنالك ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 16] لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها كما قد يكون باعتقاد مصادرها وعظمة حالاتها ولذا قالوا: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

وأفاد الأستاذ: إن استماع الغيبة نوع من الغيبة بل مستمع الغيبة شر المغتابين إذ بسماعه يتم قصد قائله فإذا سمع المؤمن ما هو سوء قاله في السلمي مما لا صحة له في التحقيق واليقين فالواجب الرد على قائله بأحسن نصيحة وأدق موعظة ونوع شاغل عن إظهار المشاركة له بأحسن كيفية فإن أبى إلا انهماكهما فيما يقول فرد عليه بما أمكن من الحصول، فإن لم يستح/ 283/أ
قائله من قوله فلا ينبغي أن يستحي المستمع من رد فعله.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟﴾ [الآية 17] كراهة أن ترجعوا ﴿لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الآية 17] ما دمتم أحياء مكلفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 17] فإن الإيمان يمنع منه ويدفع عنه.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية 18] الدالة على محاسن الشريعة وآداب الطريقة كي تتعظوا أو تتأدبوا بما يجب عليكم من أطوار الحقيقة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 18] بأحوال خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 18] في تدبير حكمه.

قال الأستاذ: يتعلق بهذا قوم في أن من بسط لسانه في عائشة رضي الله عنها بعد هذا لم يكن مؤمناً لظاهر هذه الآية، ولعمري قائل هذا مرتكب كبيرة ولكن لا يخرج عن الإيمان بذلك قلت أما بعد إبراء الله تعالى ساحة عصمتها وإنزاله آياته في عفتها وإخباره عزَّ وجلَّ عن براءتها فلا شك أن الطعن فيها طعن في إخباره سبحانه عنها فيكون كفراً صريحاً هنالك ولا أعلم في المسألة خلافاً في ذلك. وأما من طعن فيها بغير ما يفهم من القرآن نفيه عنها بل لما صدر بعض المخالفة منها كما وقع لها مع علي رضي الله عنها فهو من شعار المبتدعة فإن قصدها كان المصالحة وقد حصل لها المراجعة عن تلك الحالة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾ [الآية 19] أي يريدون أن تنتشر وتذيع ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 19] بحسب ظاهر الشريعة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 19] بالحد والحرقة والحجاب والفرقة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الآية 19] ما في الضمائر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 19] إلا الظواهر فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظواهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة في السرائر.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء في استحقاق الذم [أشد] منزلة وأشد معصية حيث أحبوا افتضاح المسلمين ومن أركان الدين مظاهرة المسلمين وإعانة أولي الدين وإرادة الخير بكافة المؤمنين والذي يود فتنة المسلمين فهم شرار الخلق أجمعين والله لا يرضى منه بحاله ولا يؤهله لمنازل خلاص التوحيد وكماله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الآيــــة 20] لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم تكرير للمنة بترك العجلة بالعقوبة بعد عظمة جرم النسبية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 21]/ بإشاعة الفاحشة في 283/ ب
أهل الإيمان ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 21] أي طرق تزيينه بأنواع العصيان ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 21] أصحابه وأتباعه من أهل الكفر والعصيان والفحشاء ما أفرط قبحه حتى في الطبع، والمنكر ما أنكره الشرع.

وقال الأستاذ: إذا انتقى القلب عن الوساوس وصفا عن الهواجس بدا فيه أنوار الخواطر فإذا سما وقت العبد عن ذلك سقطت الخواطر من الملك وبدا فيه أحاديث الحق سبحانه هنالك كما في الخبر: «لقد كان لكم في الأمم محدثون فإن يك في أمتي فعمر»(1) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [الآية 21] بتوفيق التوبة الماحية للمعصية وتشرع الحدود المكفرة ﴿مَا زَكَىٰ﴾ [الآية 21] ما ظهر ﴿مِنكُم﴾ [الآية 21] من دنس السببية ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [الآية 21] أي إلى غاية ولا نهاية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] بعصمته عن المعصية أو بحمله على التوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 21] لمقالاتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 21] بنياتهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ردهم في جميع أحوالهم إلى مشاهدة ما من الحق في قسمي نعم النفع والدفع وحالتي العسر واليسر والزكاة من الله والنعماء من الله والآلاء من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية 53].

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [الآية 22] لا تحلف أو لا تقصر ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟﴾ [الآية 22] أي أرباب الفضيلة في الكمال ﴿أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] أي ضعفاء الأحوال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرف حالته حيث نزل فيه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته،

(1) سبق تخريجه.

وهو كان من فقراء المهاجرين وأرباب حاجته فالصفات لموصوف واحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: الآية 120] أو ناساً جامعين لها أو لموصوفات أقيمت الصفات مقام ذواتها ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ [الآية 22] ما فرط منهم ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [الآية 22] بالإغماض عنهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 22] على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 22] مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه ونعته. روي أنه عليه السلام قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال: بلى أحب، ورجع إلى مسطح بنفقته. قال بعضهم: العفو هو
284/ أ الستر/ عن ما مضى وترك التأنيب فيما بقي، ثم الأظهر أن العفو بحسب الباطن والصفح باعتبار الظاهر كما يشير إليه مادة الأول والآخر فإن العفو معناه المحو والصحو إعراض صفحة الخير والجانب والكشح، ولعله لهذا المعنى لم يرد الصفوح في الأسماء الحسنى.

وأفاد الأستاذ: أن العفو والصفح بمعنى فكررهما تأكيداً لمبنى ويقال: العفو أن يتجاوز عن الجاني والصفح أن يتناسى جرمه. ويقال: العفو في الأفعال والصفح في جنايات القلوب من الأحوال ومن كان بلطفه سبحانه قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 22] فإن الله سبحانه لا يغادر في قلوب أوليائه كراهة من غيرهم وأنى بالكراهة من الخلق، والمنفرد بالإيجاد هو الحق. وأنشد:

رب رام لي بأحجار الأذى   لم أجد بداً من العطف عليه
فعسى يطلع الله على فرح   القوم فيدنيني إليه[1]

هذا وقد تحرك في أبي بكر رضي الله عنه أولاً عرق من البشرية في وصف الانتقام مع مسطح حيث خاض في ذلك الكلام، فلما نزلت الآية لم يرض الصدِّيق أن يتحرك فيه عرق من الأحكام النفيسة والمطالبات البشرية. فأعاد أبو بكر رضي الله عنه ما كان يفعله في الأيام الماضية والإحسان إلى

(1) نسب إلى الحسن بن سهل بن منصور. انظر غرر الخصائص الواضحة (1/ 128)، والوافي بالوفيات (3/ 433).

المحسن مكافأة وإلى من لا يسيء ولا يحسن فضل وإلى الجاني فتوة وكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [الآية 23] العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ [الآية 23] مما رُمِينَ به ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الآية 23] بالله ورسوله وسائر ما يجب الإيمان به ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 23] أُبْعِدُوا عن الرحمة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية 23] وعقاب أليم. قيل: هذا خاص بمن نزل في حقه من أُبي ونحوه من الكفرة. وقيل: حكم كل قاذف قبل التوبة. وقيل مخصوص بقاذف أهل بيت النبوة ولذا قال ابن عباس: لا توبة له ولو فتشت آيات الوعيد لم تجد أغلظ مما نزل في قذف عائشة من التهديد الأكيد.

وقال الأستاذ: بالغ في التوعُّد لهم حيث ذكر اللعنة في شأنهم ووصفه إياهن بالغفلة، أي عما نسبن إليه على جهة المذمة ولكن لبيان تباعدهن عما قيل في حقهن واستحقاق اللعنة/ في الدنيا يدل على أنه لشؤم زلتهم بتغير 284/ ب
عواقب حالاتهم فيخرجون عن الدنيا لا على ملتهم.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 24] وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 24] يعترفون بأعمال الشهود عليهم بإنطاق الله إياها من غير اختيارهم.

وقال الأستاذ: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوا من غير اختيار منهم ثم كما شهد بعض أعضاؤهم عليهم شهد بعض أعضائهم، فالعين كما تشهد إنه نظر بي تشهد أنه بكى بي، وكذا سائر الأعضاء. ويقال: شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وشهادتنا في المحبة اليوم معجلة من صفرة الوجوه وشحوب اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب من محبة الرب.

﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 25] جزاؤهم المستحق ويعلمون بالعلم اليقين أن الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر بنعوته وصفاته لا يشاركه في ذلك سواه ولا يقدر على الثواب والعقاب إلا إياه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يجازيهم على قدر استحقاقهم للعابدين بالجنة والمثوبة على توفية أعمالهم وللعارفين بالوصلة والقربة على تصفية

أحوالهم، فهؤلاء لهم علو الدرجات وهؤلاء لهم الأنس بعلو المشاهدات ودوام الجنات ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 25] تصير المعارف ضرورية فيجدون المكافأة من النظر وتذكره وتسريح القلب من وصفي تردده وتغيره باستغنائه ببصائره عن تبصّره. ويقال: لا يشهدون غداً إلا الحق فهم قائمون بالحق للحق مع الحق تبين لهم أسرار التوحيد المطلق ويكون القائم عنهم والأخذ لهم عنهم من غير أن يردهم إليهم.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 26] أي الخبائث تزوجن الخباث وبالعكس، وكذا أهل الطيب فهو كالدليل لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 26] يعني الرسول وعائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [الآية 26] أي بتفوهه أهل البهتان ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 26] مقرونة بالرحمة ﴿وَرِزْقٌ
285/ أ كَرِيمٌ﴾ [الآية 26] مثوبة عظيمة/ في الجنة. قيل: لقد برأ الله أربعة، براءة يوسف بشاهد من أهلها، وبراءة موسى من قول قومه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بما أنزل الله فيها من الآيات مع هذه المبالغات وما ذاك إلا لإظهار منصب الرسالة وإعلاء أهل بيت النبوة هنالك.

وقال سهل: الخبيثات من القلوب للخبيثين من الرجال وخبيثو القلوب من الرجال للخبيثات من النساء. وقال بعضهم: من لم يراع أوامر الله ونواهيه فهو الخبيث.

وقال عبد العزيز المكي: الدنيا وخبائثها من الرجال المحبين لها ولهم تصلح الدنيا، والخبيثون المحبون للدنيا للخبيثات أي لِشهوات الدنيا ولها يصلحون، والطيبات هي درجات الآخرة وكراماتها للطيبين المحبين لها ولهم تصلح الآخرة، والطيبون المحبون للآخرة للطيبات أي للذات الآخرة ولها يصلحون.

وأفاد الأستاذ: أن الخبيثات من الأعمال وهي المحظورات للخبيثين من الرجال المؤثرون لها طوعاً والذين يجنحون إلى مثل تلك الأعمال فهم لها كل مربوط بما يليق به، فالفعل لائق بفاعله والفاعل لائق بفعله في الطهارة

والقذراة والنفاسة والخساسة. ويقال: الخبيثات من الأحوال وهو للحظوظ والمنى والشهوات لأصحابها الساعين لها والساعون لمثلها غير ممنوع أحدهما من صاحبه فالصفة للموصوف لازمة والموصوف لصفته ملازم. ويقال: الخبيثات من الأشخاص لِلخبيثين من الأشخاص وهم الراضون بالمنازل السخيفة، وإن طعمة الكلاب الجيفة. ويقال: الخبيثات من الأموال وهي التي ليست من وجه الحلال لمن بها توبته وعليها تعتكف همته، والخبيث من الرجال لا يميل إلا إلى مثل تلك الأموال وتلك الأموال لا تساعد إلا تلك الرجال والطيبات من الأعمال وهي القرب والطاعات للطيبين وهم المؤثرون لها الساعون في تحصيلها، والطيبات من الأحوال وهي تحقيق المواصلات بما هي/ من الحق مجرداً عن الحظوظ للطيبين من الرجال الذين 285/ ب
هم قائمون بحق الحق لا يصحبون الخلق إلا للتعفف دون استجلاب الشهوات لهم مغفرة في المآل ورزق كريم في الحال وهو ما ينالون من غير استشراف ولا بطلب طمع ولا ذل منه ولا بتقديم تعب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا﴾ [الآية 27] أي مسكونة وغيرها ﴿غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ [الآية 27] أي تملكونها أو تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [الآية 27] تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من أنس الشيء إذا بصره فإن المستأنس مستعلم للحال مستنكف لأمر الإدخال ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [الآية 27] فعنه عليه السلام: «أن التسليم أن يقول: السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع»[1]، رواه ابن ماجه وغيره. وروي أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: «استأذن على أمي، قال: نعم، قال: لا خادم لها غيري أستأذن عليها كلما دخلت، قال: أتحب أن تراها عريانة، قال: لا، قال: فاستأذن»[2] رواه أبو داود وغيره ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية 27] ونفعه راجع إليكم وقد نزل هذا عليكم

---

(1) أورده أبو السعود في تفسيره (6/ 168)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 181)، والنسفي في تفسيره (3/ 142).

(2) أخرجه مالك في الموطأ (3/ 375) رقم (901)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 97) رقم (13336)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 42) رقم (17600).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27] أراد أن تذكروا وتعلموا ما هو أصلح لكم.

وأفاد الأستاذ: أن الخواص لا يرون لأنفسهم ملكاً ينفردون به لا من الأموال المنقولة ولا من المساكن التي تصلح أن تكون مدخولة فمن فاتحهم بشيء منها فلا يكون منهم منع ولا زجر ولا حجب لأحد ولا خطر هذا فيما ينيط بهم ثم ما ربط به غيرهم فلا يتعرضون لمن هي في أيديهم لا باستشراف طمع ولا بطريق سؤال ولا على وجه انبساط، فإن كان حكم الوقت يقتضي شيئاً من ذلك فالحق يلجىء مَن في يده الشيء هنالك لتحمله بحكم التواضع والتقرُّب ويأخذ المؤتي ذلك بنعت التعزُّز والتأدُّب، وأنشدوا:

إني لأستحيي من الله أن أُرى أطوف بحبل ليس فيه بعير

وأن أسأل المرء اللئيم بعيره وبعران ربي في البلاد كثير(1)

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ [الآية 28] يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 28] حتى يأتي مَن يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس مجرد الاطلاع على العورات بل وعلى ما يخفيه الناس في العادات مع أن التصرف في

286/ أ ملك/ غيره محظور بغير إذنه واستثنى ما إذا عرض فيه من حرق أو غرق أو كان فيه منكر محقق أو وجه من صاحبه رضى مطلق ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [الآية 28] ولا تلحوا في إذنكم ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية 28] الرجوع أطهر لقلبكم أو أنفع لديكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 28] فنجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ [الآية 29] كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 29] استمتاع وانتفاع من غير مضرة لأحدكم كالاستكنان من الحرارة والبرودة وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة ونحوها من الحالة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [الآية 29] ما تظهرون وما تسترون وعد ووعيد للعباد على ما يريدون من الصلاح والفساد.

---

(1) نسب إلى أعرابي لص. انظر بهجة المجالس وأنس المجالس (1/ 34)، ومقاييس اللغة (1/ 253).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رفع الجناح والحرج في الانتفاع بما لا يستنصر به صاحبه بغير إذنه كدخول أرض للداخل فيها غرض كقضاء حاجة أو لا تجد طريقاً غير تلك الجهة إذا لم يكن من دخوله ضرر على صاحبه وجرى هذا مجرى الاستظلال بظل حائطه إذا لم يكن قاعداً في ملكه وكالنظر في المرآة المنصوبة في جدار غيره، وكل هذا إنما يستفاد بالشرع والنقل دون قضية العقل على ما توهمه قوم من الجهل.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [الآية 30] ما يكون جانب محرم ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [الآية 30] إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. وقيل: حفظ الفروج هنا خاصة سترها والأولى تفسيره بالمعنى الأعم والله أعلم ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 30] أنفع وأنمى وأطهر وأتقى ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 30] لا يخفى عليه خافية من خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقديم غض البصر لأن يريد الزنا هو النظر فالحذر الحذر عن موضع الخطر وتهمة البشر.

قال ابن عطاء: أبصار الرؤوس عن المحارم وأبصار القلوب عما سواه.

وقال الأستاذ: أبصار الظواهر عن المحرمات وأبصار القلوب عن الأفكار الرؤية والخواطر المحظورات، ولقد قالوا: إن العين سبب للحين كما قيل:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر/ 286/ ب

وقالوا: مَن أرسل طرفه اقتنص حتفه. وإن النظر إلى الأشياء بالبصر توجب تفرقة القلوب إلى الخطر. ويقال: إن العدو إبليس يقول قوسي القوي وسهمي الذي لا يخطىء هو النظر. وأرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات النفسية وهذا أصل كبير لهم في المجاهدة في أحوال الرياضة. ويقال: قوم لا ينظرون إلى الدنيا وهم الزاهدون، وقوم لا ينظرون إلى الكون وهم العارفون، وقوم هم أصحاب الهيبة في الوجود كما لا ينظرون بقلوبهم إلى الأغيار لا يرون

نفوسهم أهلاً للشهود، ثم الحق سبحانه يكاشفهم من غير اختيار منهم أو تعرض أو تكلُّف فيهم.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [الآية 31] فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال والنساء ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [الآية 31] بالتستر عن العراء والتحفُّظ عن الزنا.

وأفاد الأستاذ: أن الندب المطالبة عليهن كالمطالبة على الرجال لشمول لتكليف الجنسين فالواجب عليهن ترك المحظورات والنقل لهن صون القلب عن الشواغل الردية والخواطر الردية ثم إن ارتقين من هذه الحالة فبالتعامي بقلوبهن عن غير معبودهن والله يختص برحمته من يشاء من الأولياء والأصفياء ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31] كالحلي والثياب ونحوها فضلاً عن موضعها لمن لا يحل أن يراها ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [الآية 31] كالخاتم والثياب عند مزاولة أشيائها دفعاً للحرج في سترها واستثنى الوجهان والكفان واتفاقاً لأنها ليست بعورة منها، وكذا القدمان في رواية أبي حنيفة والذراعان أيضاً في رواية أبي يوسف والأظهر أن هذا الاستثناء في الصلاة لا في النظر فإن بدن الحرة كله عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها بشهوة إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وحال الخطبة. قال بعضهم: أزين ما تزين به العبد الطاعة فإذا أظهره فقد ذهبت/ الزينة. 287/ أ

وأفاد الأستاذ: أن ما أباح الله سبحانه على بيان مسائل الفقه فمستثنى من الخطر وما وراء ذلك فالواجب عليهن حفظ أنفسهن عن العقوبات في الأجل والتعاون عن أن يكون سبباً لفتنة قلوب عباده في العاجل والله سبحانه كما يحفظ أولياءه عما يضرهم في الدين يصونهم عما يكون سبباً لفتنة غيرهم من أهل اليقين فإن لم يتصل منهم بالخلق منفعة لا يصيب أحداً بسببهم فتنة. وفي الجملة ما فيه زينة للعبد لا يجوز إظهاره فكما أن النساء عورة ولا يجوز لهن إبداء زينتهن كذلك من أظهر للخلق ما هو زينة سرائره من صفاء أحواله وزكاة أعماله انقلب زينه شيناً إلا إذا ظهر شيء لا بتعلمه وتكلفه فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31] كرَّره لبيان مَن يحل له الإبداء ومن لا يحل له على ما يفهم من الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] فإنهم المقصودون بزينتهن ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن إلا أن النظر إلى الفرج خلاف الأولى وقد كرهه بعض العلماء ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] من غيرهن ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [الآية 31] بحسب نسبهن أو رضاعهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم لهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم وقبلهن لما في الطباع السليمة من النفرة عن مماسة القريبة، ولهم أن ينظروا منهن ما يبدوا عنك المهنة والخدمة لهن والأعمام والأخوال في معنى إخوانهن ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [الآية 31] فيما يجوز كشفهن لهن فالمراد بالنساء كلهن دون المؤمنات منهن على ما ذهب إليه بعض الشافعية من تقييدهن بهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الآية 31] أي من إمائهن فإن عبيدهن كالأجنبي لهن. وعند الشافعي يعم الإماء والعبيد لما روى أبو داود أنه ﷺ أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام: «ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك»[1]، وفيه أنه واقعة حال لا يصح أن يكون منشأ استدلال/ أو 287/ ب
يحتمل أن يكون الغلام صغيراً لم يبلغ الاحتلام وأن يكون هذا مشروطاً بعفته عن الحرام أو من قبيل قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ [الآية 31] أي البله الذين يبتغون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمر النساء، ومرامهم وفق معناهم الشيخ الهرم ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [الآية 31] المجبوب والخصي خلاف عند الشافعية والصحيح أنهما كالفحل عند الحنفية ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ [الآية 31] أي الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ [الآية 31] لم يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 31] لعدم تميزهم أو لنفي بلوغهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [الآية 31] فيتبين أنهن من ذوات الخلخال فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على منع رفع الصوت من غير الحاجة بناء على أن

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 95) رقم (13323)، وأبو داود في السنن (4/ 107) رقم (4108).

صوتهن عورة ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية 31] تفوزون بشهادة الدارين، وإنما جمعهم في أمر التوبة أو لا يكاد يخلو أحد منهم من ارتكاب الخطيئة لا سيما في الكف عن الشهوة، وقد ورد: «كلكم خطاؤون وخير الخطائيين التوابون»[1].

وأفاد الأستاذ: أن التوبة هي الرجوع من الأفعال المذمومة إلى أضدادها المحمودة وجميع المؤمنين مأمورون بالتوبة، فتوبة عن الزلة وهي توبة العامة وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخاصة، وتوبة عن محاذرة العقوبة وتوبة عن ملاحظة الأمر في الجملة. ويقال: أمر الكافة بالتوبة فالعاصين بالرجوع إلى الطاعة من المعصية والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق في العبادة وخاص الخاص من رؤية التوفيق إلى مشاهدة الموفق بعين التحقيق. ويقال: أمر الكل بالتوبة لئلا يخجل العاصي بانفراده من الجملة. ويقال: مسامحة الأقوياء مع الضعفاء رفقاً بهم من أمارات كرم الأصفياء. ويقال: بيَّن في قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية 31] أنه أمرهم بالتوبة لينتفعوا هم بذلك لا ليكون الحق سبحانه بتوبتهم وطاعتهم تحمل هنالك. ويقال: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس يحتاج إلى التوبة.

288/ أ ﴿وَأَنكِحُواْ/ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ [الآية 32] الخطاب للأولياء والسادة والأمر للندب عند الحنفية وللوجوب عند الشافعية. وفيه إشعار بأن الأَمَةَ والعبد لا يستبدءان به، والأيامى مقلوب أيام جمع أيم وهو العزب ذكراً كان أو أنثى، بكراً أو ثيباً، وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم أتم والاهتمام بشأنهم أهم ﴿إِن يَكُونُواْ﴾ [الآية 32] أي الأيامى ﴿فُقَرَآءَ﴾ [الآية 32] قليليّ المال عديمي الغنى ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 32] فإن المعونة بقدر المعرفة

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1420) رقم (4251)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 659) رقم (2499)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2922)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 62) رقم (34216).

وفيه وعد من الله بالغنية لقوله عليه السلام: «أطلبوا الغنى في هذه الآية»(1) وظاهرها مطلقة بخلاف من قيده بالمشيئة مع أنه لا يقع شيء إلا بالمشيئة والإرادة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ [الآية 32] ذو سعة لا تنفذ نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 32] بعباده يبسط الرزق ويقدِّر لهم وفق ما أوجبته مشيئته على ما تقتضيه حكمته.

وقال الأستاذ: إذا كان القصد في المناكحة التأدُّب بآداب الشرع يكفي الله ببركاته مطالبات النفس والطبع، فيجب أن يكون الصفة إلى التعفف والتوكل على الله ثم رجاء نسل يقوم بحق الإله إن يكونوا فقراء بالمال يغنيهم الله بالحال فإن الغنى غنى النفس وهو غنى القلب وغنى القلب هو الغني عن الشيء والغنى عن الدنيا أتم من الغنى بالدنيا. وقد يقال: أن يكونوا فقراء في الحال يغنيهم الله في الاستقبال والمآل.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ [الآية 33] أي ليجتهد في العفة بقمع الشهوة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [الآية 33] أسبابه من المهر والنفقة بأن يكون في حالة المسكنة وعدم الملك بالمرة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 33] فيجدوا ما يكفيهم في القضية.

قال أبو عثمان: لأن يغنيك عنها خير من أن يغنيك بها. وقال بعضهم: من صح افتقاره بالله صح استغناؤه عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن من تقاصر وسعه عن الإنفاق على العيال فليصبر على مقاساة التجمّل في الحال فعن قريب تجيبه نفسه إلى سقوط الإرب أو الحق سبحانه يجود عليه بتسهيل السبب/ من حيث إنه ما احتسب ولا خطر بباله أنه 288/ ب
اكتسب ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 33] المكاتبة وهي أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من مال وخدمة، وهو مأخوذ من الكتابة لأن السيد كتب على نفسه والتزم عتقه إذا أدّى حقه ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [الآية 33] أمر ندب عند أكثر العلماء وإطلاقه يدل على جواز الكتابة الحالة كما ذهب إليه الحنفية فلاشتراط كون

(1) أورده أبو السعود في تفسيره (6/ 171)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 184).

الكتابة منجمة كما ذهب إليه الشافعية ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية 33] أمانة وقدرة على أداء المال بالحرفة، وقد روي مثله مرفوعاً وموقوفاً، وقيل صلاحاً وديانة ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية 33] أمر للموالي بأن يبذلوا لهم شيئاً من أموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة عنهم وهو للوجوب عند أكثر الفقهاء. وعن علي: «يحط الربع» وعن ابن عباس يحط الثلث[1]، وقيل: أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة. ويحل للمولى وإن كان غنياً لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله ﷺ في حديث بريرة: «هو لها صدقة ولنا هدية»[2].

وقال الأستاذ: إن سمحت نفوسكم بإزالة الرق عن المماليك الذين هم إخوانكم في الدين من غير عوض تلاحظون منهم فلا تخسرون على الله في صفقتكم وإن أبيتم إلا العوض وادعوا إلى الكتابة وعلمتم بغالب ظنونكم صحة الوفاء بمال الكتابة من قبلهم فكاتبوهم ثم تعاونوا على تحصيل المقصود بكل وجه من قدر يُحَطُّ من مال الكتابة وإعانة لهم من فروض الزكاة وإمهال بقدر يحتمل المكاتب ليكون ترفيهاً له، هذا وإذا كان في الشرع نحن مأمورون بكل هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين إلى العتق فبالحر أن يسموا الرجاء إلى الله تعالى بجميل الظن أن يعتق العبد من النار بكثرة تضرعه وقدم سعيه بقدر وسعه من عناء قاساه وفضل من الله عن قديم رجاه. ثم في
الخبر: «إن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[3] والعبد يسعى بجهده ليصل / 289/ أ
إلى تحرُّر قلبه وما دام يبقى عليه بقية من قيام الأخطار وشظية من الاختيار وإرادة شيء من الأغيار فهو بكمال رقه ليس بِحُرٍّ في حقه.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ﴾ [الآية 33] إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [الآية 33] على الزنا

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (5279)، ومسلم في الصحيح (1504/ 14).
(3) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 560) رقم (1259)، ومالك في الموطأ (2/ 787) رقم (1486)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 316) رقم (20564).

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [الآية 33] أي تعفُّفاً، وهو شرط للإكراه فإنه لا يوجد بما سواه باكتساب الزنا ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 33] باكتساب الزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 33] أي لهن لما في مصحف ابن مسعود من بعد إكراههن لهن غفور رحيم.

وأفاد الأستاذ: أن حامل المعاصي على زلته والداعي له إلى عثرته والمعين له على مخالفته يتضاعف عليهم العقوبة وله من الوزر أكثر من غيره ولو كان الأمر في الطاعة والإعانة على العبادة فالأمر بعكسه.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 34] في هذه السورة وغيرها من الأحكام الواضحات يصدقها الكتب المتقدمة والفعول المستقيمة ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ [الآية 34] من أمثال من مضى ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 34] أي وقصة عجيبة من قصصهم، فإن قصة عائشة رضي الله عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 34] وخصوا لأنهم المراد بكونهم المنتفعين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يغادر على وجه الدليل غباراً مُحلاً لم يترك للإشكال محلاً بل أوضح المنهاج وأضاء السراج وأنار السبيل وألاح الدليل فمن أراد أن يستبصر لا يلحقه نصب ولا يمسه تعب.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 35] أي منوِّر السمٰوات والأرض، وقد قرىء به، فإن الله نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، وبالملائكة والأنبياء وما يستفاد عنهم من الأسرار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليها لاشتمالها على الأنوار الصورية والمعنوية فهو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بظهوره ذو الغواية.

وقال جنيد: أي هو منوِّر قلوب الملائكة حتى سبَّحوه وقدّسوه ومنوِّر قلوب الرُّسل وأتباعهم حتى عرفوه وعبدوه. وقال بعضهم: نور السمٰوات/ 289/ ب
الملائكة ونور الأرض الأنبياء والأولياء وأرباب المعرفة. وقيل: السمٰوات إشارة إلى القلوب والأرض عبارة عن الأجساد والأشباح. وقال: أي منوِّرها وخالق ما فيها من الضياء والزينة اللاحقة وموجد ما أودعها من الأدلة اللائحة. ويقال: نوَّر

السماء بنجومها فقال: ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: الآية 5] فكذلك زين القلوب بالأنوار التي هي نور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد وسائر الأنوار والأسرار ولكل شيء من هذه الأنوار مطرح شعاع يقدِّره في الزيادة والنقصان بحسب الأطواف في اختلاف المقدار.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [الآية 35] صفة نوره العجيبة الشأن وظهوره الغريبة البرهان وإضافته إلى ضميره مشير إلى أن إطلاقه عليه ليس على ظاهره. وقرىء: مثل ثوره في قلب المؤمن.

وقال سهل: مثل نور محمد ﷺ. ويؤيده قراءة أُبي: مثل نور المؤمن.

وقال سفيان: مثل نور القرآن المكرَّم ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [الآية 35] أي كصفة مشكات وهي الكوة الغير النافذة ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [الآية 35] سراج لنوره معراج ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ [الآية 35] قنديل من الزجاج ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [الآية 35] منسوب إلى الدر، أي مضيء متلألىء كالزهرة في صفائه وزهرته وضيائه. وقرأ حمزة وأبو بكر: دري بالهمز فعيل من الدرءِ فإنه يرفع الظلام بضوئه وبرقانه أو بعض ضوءه بعضاً من غاية لمعانه. وقرأ أبو بكر والكسائي بكسر الدال والهمز أي كثير الدفع كشريب كثير الشرب ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾ [الآية 35] ابتداء ثقوب المصباح من زيت شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رديت ذبالته بزينتها حين وصفه، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتذكير والبناء للمفعول من أوقد على إسناده إلى المصباح، وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتأنيث، كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف إلى مصباح الزجاجة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: وتوقد بلفظ الماضي.

290/أ قال الواسطي: نفس خلقها الله تعالى مؤمنة فسماها/ شجرة مباركة كشجرة زيتونة.

وقال أبو سعيد الخراز: المشكات جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح نوره الذي جعل فيه والشجر إبراهيم عليه السلام جعل الله في قلبه

من النور ما جعل في قلب محمد ﷺ من السرور ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [الآية 35] لا نابتة في شرقها المعمورة ولا في غربها المغمورة بل في وسطها وهو الشام المشهورة فإن زيتونها أجود أنواعها.

قال جنيد: لا هي مائلة إلى الدنيا ولا راغبة في الأخرى ولكنها فانية الحظ عن سوى المولى. وقال جعفر: لا خوف يوجب القنوط ولا رجاء يجلب الانبساط فتكون واقعة بين الخوف والرجاء.

وقال الواسطي: لا دنيوية ولا أخروية جذبها الحق إلى قربه وأكرمها بعناية حبه ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [الآية 35] أي بنفسه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [الآية 35] لتلألؤه وفرط لمعانه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] متضاعف في مراتب ظهوره فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وضياء الزجاجة وضبط المشكات للأشعة.

وفي «تفسير السلمي»: يكاد ضياء روحها يتوقد ولو لم يدعه نبي ولم يسمع كتاباً ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] نور الهداية في النهاية وافق نور الروح في البداية وقيل: نور المعرفة والإيقان يزيد على نور الإيمان.

وقال الواسطي: الزيت التوفيق والنار التشديد والنور القرآن.

وقال الحسن البصري: أراد بذلك قلب المؤمن وضياء التوحيد لأن قلوب الأنبياء عليهم السلام أنور من أن يوصف بهذه الأنوار. وقال بعضهم: نفس المؤمن مثل بيت وقلبه مثل قنديل ومعرفته مثل السراج وفمه مثل الكوة إلى العرش ولسانه مثل باب الكوة والقنديل معلق بباب الكوة إذا افتتح اللسان بما في القلب من الذكر استضاء المصباح من كوته إلى العرش، فالزجاجة من التوفيق وقنديلها من الزهد ودهنها من الرضا وعلائقها من العقل يكاد يزهر من قلب المؤمن على لسانه إذا ذكر ما بين المشرق والمغرب من ضيائه ولمعانه. وقيل في قوله عزَّ وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 35]/ هو 290/ ب
شواهد الربوبية ودلائل وحدانيته فمثل معرفته في قلوب العارفين كمصباح في مشكات شبه نور المعرفة في القلب بالمصباح وشبه قلب المؤمن بالقنديل. وقال

بعضهم: المصباح سراج المعرفة وفتيلته الفرائض ودهنه الإخلاص ونوره الاتصال، فكلما ازداد الإخلاص صفاء ازداد المصباح ضياء وكلما ازداد الفرائض ظهوراً ازداد المصباح نوراً ﴿يَهۡدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 35] فإن الأسباب دون مشيئته لاغية وإرادته من غير سبب وعلة كافية ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 35] إدناء من المعقول المحسوس توبيخاً وبياناً في مقام القياس ومرام الاستئناس ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية 35] عقلياً وجنسياً ظاهراً كان أو خفيّاً.

وقال الحسين: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهو نور النور ﴿يَهۡدِى مَن يَشَآءُ﴾ بنوره إلى قدرته وبقدرته إلى غيبه وبغيبه إلى قدمه وبقدمه إلى أزله وأبدله وبأزله وأبده إلى وحدانيته لا إلٰه إلا الله هو المشهود شأنه المقرر سلطانه يزيد من يشاء علماً بتوحيده ووحدانيته وتنزيهه وصمدانيته وإجلال مقامه وتعظيم ربوبيته.

قال الجورجاني: الرجاء مثل نور والخوف مثل نور والمحبة مثل نور فإذا اجتمعت في قلب المؤمن يكون نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء يوصل الله إلى هذه الأنوار من نوره في الآزال بأنوار قدسه وأسرار أنسه فيقبل هذه الأنوار التي في الباطن على أداء الفرائض واجتناب المحارم فيصير المؤمن منوراً بنور الله واصلاً إليه بتوحيده.

وقال جعفر بن محمد: الأنوار مختلف الأطوار أوله نور حفظ القلب ثم نور الخوف ثم نور الرجاء ثم نور الحب ثم نور التفكُّر ثم نور اليقين ثم نور التذكُّر ثم نور النظر ثم نور العلم ثم نور الحياء ثم نور حلاوة الإيمان ثم نور الإسلام ثم نور الإحسان ثم نور النعماء ثم نور القضاء ثم نور الآلاء ثم نور الكرم ثم نور العطف ثم نور الغيب ثم نور الإحاطة ثم نور الهيبة ثم نور
291/ أ الحيرة ثم نور الحياة ثم نور الأنس ثم نور الاستقامة ثم نور الاستكانة ثم / نور الطمأنينية ثم نور العظمة ثم نور الجلال ثم نور القدرة ثم نور الجذبة ثم نور القوة ثم نور الألوهية ثم نور الوحدانية ثم نور الفردانية ثم نور الأبدية ثم نور السرمدية ثم نور الديمومية ثم نور الأزلية ثم نور النقابية ثم نور الهوية ولكل واحد من هذه الأنوار أهل وله حال ومحل فكلها من أنوار الحق التي

ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 35] ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الأنوار وربما كان حظه من نورين وثلاث وأكثر ولم تتم هذه الأنوار لأحدٍ إلا للمصطفى ﷺ فإنه القائم مع الله تعالى بشرط تصحيح العبودية والمحبة فهو نور ومن ربه على نور.

هذا وقد أفاد الأستاذ أنه سبحانه أراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته فشبّه صدره بالمشكاة وشبّه في صدره بالقنديل في المشكاة، وشبَّه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبَّه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدريّ، وشبَّه إمداده لمعرفته بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الإشتعال، ثم وصف الزيت بأنه على كمال إدراك زيتونة من غير نقصان أصابه أو خلل مسّه، ثم وصف ذلك الزيت في صفوته بأنه بحيث يكاد يضيء من غير أن يمسه نار. ويقال: نار، ويقال: إن ضرب المثل لمعرفة المؤمن بالزيت أراد به شريعة المصطفى ديناً حنيفاً ما كان يهودياً وهم الذين قبلتهم إلى جانب المغرب ولا نصرانياً وهم الذين قبلتهم في ناحية المشرق. وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] أي نور اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم ونور وجدوه بفضل الله كالبيان إضافة إلى برهانهم وكالعيان إضافة إلى بيانهم فهو نور على نور. ويقال: أراد به قلب محمد ﷺ ونور معرفته أوقد نوره من شجرة مباركة وهي إبراهيم عليه السلام وهو ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام. وقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ [الآية 35] بحيث يصيبها الشمس ما يغشي دون الغدوة ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [الآية 35] بالغدوة دون
291/ ب العشي بل تضيئه/ الشمس طول النهار ليتم نضج زيتونه ويكمل صفاء زيته والإشارة فيه أنه لا ينفرد خوف قلوبهم عن الرجاء فيقرب من اليائس ولا ينفرد رجاؤهم عن الخوف فيقرب من الآمن بل هما يعتدلان فلا يغلب أحدهما الآخر نعتاً بل هيبتهم وأنسهم وبغضهم وبسطهم وصحوهم ومحوهم وبقائهم وفنائهم وقيامهم بآداب الشريعة والطريقة وتحققهم بجوامع الحقيقة. ويقال: لا شرقية ولا غربية كذلك هممهم لا تسكن شرقياً ولا غربياً ولا علوياً ولا سفلياً ولا جنياً ولا أنسياً ولا عرشياً ولا كرسياً عن الأكوان ولم تجد سبيلاً إلى حقيقة الرحمٰن لأن الحق منزَّه عن اللحوق فبقيت عن الخلق منفصلة وبالحق غير متصلة «الإسلام

بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء»[1]. ويقال: نور الطلب ثم وحيه وهو دوام الانزعاج فلا يذره يعرج في أوطان الكسل بل يصل سيره بسراه في استعمال فكره، فالحق يمده بنور التوفيق وسر التحقيق حتى لا يصده من عوارض الاجتهاد شيئاً من رياسة أو ميل بسواه وهواه وعادة فإذا أسفر صبح غفلته واستمكن النظر في موضعه حصل العلم لا محالة ثم لا يزال يزداد يقيناً على يقين فما يراه في معاملته من القبض والبسط والمكافأة في زيادة الكشف عند زيادة الجهد وحصول الوجد عند أداء الورد، ثم بعده نور المعاملة ثم نور المنازلة ثم متفرع نهار الوصلة وشموس التوحيد مشرقة وليس في أسماء أسرارهم سحاب وليس في هواء أنوارهم ضباب.

قال الله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 35]. ويقال: نور المطالبة يحصل للقلب في البداءة فيحمل صاحبه على المحاسبة فإذا نظر في ديوانه وما أسلفه من عصيانه يحصل له نور المعاتبة فيعود على نفسه باللائمة ويتجرع كاسات ندم الندامة فيرتقي عن هذا باستدامة قصده والتبقي عما كان عليه في أوقات فترته فإذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة فيعلم دائماً أنه سبحانه مطلع
292/ أ عليه وحاضر لديه وناظر إليه وبعد هذا/ نور المحاضرة وهي لوائح تبدو في السرائر وتظهر في الضمائر، ثم بعد ذلك نور المكاشفة وذلك بتجلي الصفات ثم بعده أنوار المشاهدة فيصير ليله نهاراً ونجومه أقماراً وأقماره بدوراً وبدوره شموساً ثم بعد هذا أنوار التوحيد وعند ذلك تحقيق التجريد بخصائص أسرار التقدير ثم ما لا يتناوله عبارة ولا يدركه إشارة، فالبيان خرس والشواهد طمس وشهود الغير في الخيال عند ذلك من المحال فعند ذلك ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: الآيات 1،4] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: الآية 1] و﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: الآية 1]، وهذه كلها أقسام الكون وما من العدم صار لهم إلى العدم القائم عنهم غيرهم والكائن عنهم

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (145/ 232)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 18) رقم (2629)، وابن ماجه في السنن (2/ 1320) رقم (3988)، والدارمي في السنن (2/ 402) رقم (2755).

سواهم جلّت الأحدية وعزّت الصمدية وتقدّست الديمومية وتنزّهت الألوهية.
وروي أن أبي منصور الماتريدي أن الإسلام معرفة تكاليف الأحكام ومحله الصدر لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية 7] والإيمان معرفة بالله من جهة ذاته وصفاته ومحله القلب لقوله سبحانه: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 7] والقلب داخل الصدر والمعرفة محله السر وهو داخل الفؤاد وهذا هو المعنى إن المراد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [الآية 35] الآية، فإنه جعل الصدر بمنزلة المشكاة والقلب بمنزلة الزجاجة والفؤاد بمنزلة المصباح والسر بمنزلة الشجرة وداخل السر وهو الثمر موضع خفي هو موضع نور الهداية ولا صنع فيه للعبد، لا في البداية ولا في النهاية، إلا أن الله سبحانه إذا أراد أن يهدي قلبه بلطفه الوفي ألقى فيه نور الهداية في الهداية الخفي فيتلألأ في ظهور النور الجلي وهو معنى قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الآية 35] ثم يتلألىء النور إلى السر على وجه السرور فيقوم للعبد فعل التوحيد في غاية من الظهور ولا يسكن ذلك النور في القلب فيقوم له فعل الإيمان المعرفة فيصير عارفاً بالله وصفاته ثم يتلألأ ذلك النور في القلب فيقوم له فعل ثم يتلألأ في الصدر فيقوم له فعل الإسلام ثم ينتشر ذلك النور إلى جميع الأعضاء وكل الأجزاء فيتقاضى العبد باجتناب الزواجر وارتكاب الأوامر فيكون مؤمناً كاملاً عالماً عاملاً.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ [الآية 36] متعلق بيوقد فيكون تمثيلاً لأبدانهم/ بالمساجد 292/ب
وتشبيهاً لقلوبهم المتعلقة بتلك المشاهد ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [الآية 36] بالتعظيم والتكريم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [الآية 36] ولو على وجه التعلّم والتعليم من المذاكرة فيما يتعلق بذاته وصفاته والمباحثة في أحكام عباداته وتحقيق مصنوعاته.
قال بعضهم: ترفع الحوائج إلى الله.

وقال أبو عثمان: إذا دخلت المسجد فارفع عن قلبك كل همة سوى الله فإن الله تعالى خص به الرفع والذكر. وقال بعضهم: ترفع الحوائج عن القلوب وتشتغل القلوب بذكر علّام الغيوب فإنه عليه السلام قال حاكياً عن

ربه: «مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»(1).

وأفاد الأستاذ: أن المساجد بيوته سبحانه وأن الله أذن أن ترفع الحوائج فيها إلى الله فيقضيها ورفع أقدار تلك البيوت على غيرها من الأبنية والآثار والمساجد بيوت العبادة والقلوب بيوت الإرادة فالعابد يصل بعبادته إلى ثواب الله والقاصد يصل بإرادته إلى الله. ويقال: القلوب بيوت المعرفة والأرواح مشاهد المحبة والأسرار محال المشاهدة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الآية 36] ينزِّهونه فيها على دوام الأوقات أو يصلون فيها بالغدواة والعشيات.

﴿رِجَالٌ﴾ [الآية 37] لهم كمال وبربهم وِصَال. وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه من نحو يسبح ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ﴾ [الآية 37] لا تشغلهم معاملة من بيع وشراء ونحوهما ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] من بيان ذاته وصفاته وغيرهما ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الآية 37] وأمثالهما.

وقال الأستاذ: لم يقل لا يتجرون ولا يبيعون ولا يشترون بل قال: ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] فإن أمكن الجمع بينهما فلا بأس ولكنه كالمتعذر إلا على الأكابر الذين تجري عليهم الأمور وهم عنها مأخوذون. ويقال: هم الذين يؤثرون حقوق الحق على حظوظ النفس. ويقال: إذا سمعوا صوت المؤذِّن حي على الصلاة تركوا ما هم فيه من التجارة والبيع وقاموا لأداء
293/ أ حقه. ويقال: هم الخواص / والأكابر الذين لا يشغلهم قوله: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصَّف: الآية 10] عن التحقق بذكره من غير ملاحظة عوض أو مطابقة سبب وغرض ﴿يَخَافُونَ﴾ [الآية 37] أي مع ما هم عليه من الطاعات والأذكار ﴿يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الآية 37] تضطرب من أهوالها أو تنقلب أحوالها فتفقه القلوب حينئذ ما لم تكن تفقهه وتبصر الأبصار ما لم تبصر أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة والثواب وخوف الهلاك والعقاب والأبصار من أي

(1) سبق تخريجه.

ناحية يؤتى كتابهم أو يؤخذ بهم من جهة حسابهم. إذا علمت أنه مقلب القلوب والأبصار فليكن شغلك في النظر إلى فعله فيك وتوقى الخلاف والغفلة عنك.

وقال الأستاذ: أقوام ذلك اليوم مؤجلهم وآخرون ذلك معجل لهم وهو ما هم فيه من الأوقات فإن حقيقة الخوف ترقُّب العقوبات مع مجاري الأنفاس وممر الساعات.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] متعلق بيسبِّح أو يخافون وقيل اللام لِلعاقبة ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 38] أحسن جزاء أعمالهم الموعود له من الجنة بمقتضى عدله ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 38] أشياء لم يعدهم على أعمالهم مما لم يخطر ببالهم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 38] في العطية والمنَّة وهو تقرير للزيادة وتنبيه على سعة القدرة ونفاذ المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن من رفع الحساب من الوسط يرفع معه الحساب في القسط، ومن هو في أسر مطالباته فالوازن يومئذ الحق فمن ثقلت موازين عباداته وخفت موازين طاعاته والرزق بغير حساب في أرزاق الأرواح ومحصور ومعدود في أرزاق الأشباح هي وجود أفضال وفنون نوال وما حصره الوجود من الحوادث فلا بد من أن يأتي عليه العدد ويقال له بالتمام والأرواح مكاشفة شهود الجمال والجلال وذلك على الدوام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية 39] التي يحسبونها صالحة نافعة نافقة يجدونها لاغية في العاقبة ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [الآية 39] أي أرض مستوية، والمعنى كشيء يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها فيظن أنه ماء يشرب أنه يجري/ 293/ ب
فيها ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [الآية 39] وتخصيص العطشان بالذكر لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ [الآية 39] جاء ما توهمه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 39] مما ظنه ماء وهو أبلغ من تشبيه عمله بالهباء فإنه في الجملة له صورة في الهواء ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [الآية 39] أي عقابه، أو وجده محاسباً إياه ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [الآية 39] ووافاه عذابه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 39] لا يشغله حساب عن حساب عند الإرادة أو سريع المجازاة وقت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن من أمل الشراب شرباً لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخييلاً فالعطش يزداد والروح يدعوا للخروج أو كاد. وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية 104]، وقال: يحسبون أنهم على شيء.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ [الآية 40] عطف على كسراب، وأو للتخيير، فإن أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب له لمعان ولكونها خالية عن نور الإيمان كظلمات متراكمات أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فسراب وإن كانت قبيحة فظلمات أو للتقييم فإنها في الدنيا كسراب وفي العقبى كظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [الآية 40] ذي لج عميق ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ [الآية 40] يغطي البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ [الآية 40] أمواج مترادفة وأفواج متراكمة ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ [الآية 40] فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ [الآية 40] غطى النجوم وصار لأنوارها حجاب ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾ [الآية 40] أي هذه ظلمات ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الآية 40] وقرأ ابن كثير: ظلمات بالجر على إبدالها من الأولى بناء على رواية قنبل بتنوين سحاب وبإضافة السحاب إليها بناء على رواية البزي ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ [الآية 40] وهي أقرب ما يرى عنده ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [الآية 40] لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يردها، والضمائر في أخرج وما بعده للواقع في البحر وإن لم يجز ذكره في المعنى لدلالة المعنى.

وأفاد الأستاذ: أن ظلمات السحاب وغيوم التفرقة وليالي الجحد وحنادس الشك إذا اجتمع فلا سراج لصاحبه ولا نجوم ولا أقمار ولا شموس في حصول النيل فالويل كل الويل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [الآية 40] من لم يقدّر له الهداية من البداية فما له من نور توفيق في النهاية وظهور
294/ أ تحقيق من عين العناية بخلاف الموقف/ الذي له نور على نور بما سبق له من زيادة الحسنى ووقاية الرعاية، وقد ورد أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن أخطأه فقد اعتدى.

وقال القاسم: بل من لم يجعل الله له نوراً وقت القسمة فما له من نور وقت الخلقة.

وسئل الواسطي ما علامته قال: كل من نوره أقوى كانت يقظته أدوم وأبقى، ومَن كان نوره أضعف وأدنى كان ذكره مرة وغفلته أخرى. وقال أيضاً: إن الله تعالى لا يُبعد فقيراً لأجل فقره ولا يبعد غنياً لأجل غناه وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع فلو بذلت له الدنيا والآخرة ما وصلك به ولو أخذتها كلها ما قطعك به قرب من قرب بغير علة وبعد من بعد بغير علة كما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [الآية 40].

توضيحه ما أفاد الأستاذ بقوله: إذا لم يسبق لعبد نور القسمة ولم يساعده تعلق الرحمة فبحمده وكده وسعيه وجده عقيم من ثمراته مؤيس من نيل بركاته والبدايات غالبة للنهايات فالقبول لأهله غير مجتلب والرد لأهله غير مكتسب سعد من سعد بالسعادة علمه في أزله وأراد كون ما علم أنه منها يكون وأخبر أن ذلك كذلك يكون في أخرى ذلك على ما أخبر وأراد وعلم، وهكذا القول في الشقاوة وليس لأفعاله علة ولا يتوجه عليه لأحد حجة كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: الآية 149].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الآية 41] أي ألم تعلم بالوحي أو الاستدلال علماً لِشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 41] بتنزيه ذاته وتقديس صفاته جميع مصنوعاته من علوياته وسفلياته بما يدل عليه من مقال أو يشير إليه دلالة حال:

فـفـي كـل شـيء لـه شـاهـد   دلـيـل عـلـى أنـه واحـد[1]

وفيه تغليب العقلاء أو هو من باب الاكتفاء أو الاستغناء ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ [الآية 41] خصّ لما فيها من الصنع الطاهر والدليل الباهر ولذا قيدها بقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الآية 41] فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط/ حجة قاطعة على كمال قدرته 294/ ب
ولطف تدبيره وحكمته ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 41] كل واحد مما ذكر ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ

(1) سبق التعليق عليه ص (159).

﴿وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [الآية 41] أي علم الله دعاه وتنزيهه طوعاً واختياراً بلسان القال أو طبعاً واضطراراً ببيان الحال أو علم كل دعاويه وتنزيهه اللائق به في مقام الإجمال ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 41] بتفصيل الأفعال.

وأفاد الأستاذ: أن التسبيح على قسمين: تسبيح قول ونطق، وتسبيح دلالة وخلق. فتسبيح الخلق عام من كل مخلوق وعين وأثر، وتسبيح النطق خاص بالحيوانات ثم هو خاص بالعقلاء ثم هو ينقسم إلى قسمين: صادر عن بصيرة، وحاصل من غير بصيرة. فالذي قرنته البصيرة مقبول ومقصود، والذي تجرّد عن المعرفة مردود.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] فإنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والأفعال والملك والقدرة على الإيجاد، فالمقدورات قبل وجودها للحق مملوكة وكذلك في حال حدوثها وبعد عدمها عائدة إلى ما كانت عليه، فملكه الذي لا يحدث ولا يزول ولا يؤول شيء منه إلى البطول.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي﴾ [الآية 43] يسوق ﴿سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ [الآية 43] بين أجزائه ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ [الآية 43] متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ [الآية 43] المطر ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الآية 43] وسطه ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ [الآية 43] أي ذلك الماء مبتدئاً ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا﴾ فيها بدل منها ﴿مِنۢ بَرَدٖ﴾ [الآية 43] بيان للجبال وعن السلف أن المراد ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 43] المظلة ﴿مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [الآية 43] كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه ولا في النقل مانع يدفعه فهو أولى من قول بعض الخلف: أن المراد من السماء السحاب ومن الجبال قطع عظام منها شبه الجبال في عظمها وجمودها ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ [الآية 43] بالماء النازل من السماء ﴿مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ [الآية 43] لمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الآية 43] أبصار الناظر من فرط الإضاءة بالإبصار.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [الآية 44] بالمعاقبة بينهما وبنقص أحدهما وبتغيير

أحوالهما بالحر والبرد والنور والظلمة وأمثالهما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي/ الْأَبْصَارِ﴾ 295/ أ
[الآية 44] أي لدلالة على وجود الصانع القديم وإحاطة علمه الكريم وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وأنى يكون الوفاق والخلاف لهم وهو يقلِّب الليل والنهار بما فيهما منهم وهو قائم على الأشياء كلها وبالأشياء جميعها في تقلُّبها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقدٌ، بل لا فقد ولا وجد إنما هي رسوم تحت الرسوم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرّف إلى قلوب العلماء بدلالات صنعه في بدائع حكمته، وما يدل منها على كمال قدرته وشمول علمه وحكمته ونفوذ إرادته ومشيئته، فمن أنعم النظر وصل إلى برد اليقين ومَن أعرض بقي في وهدة الجهل وظلمة الجحد وشبهة التخمين ترتفع بقدرته بخارات البحر فتصعد بتيسيره وتقديره إلى الهواء وهو السحاب ثم يديره إلى سمت يريده أن ينزل به المطر ثم ينزل ما في السحاب من ماء البحر قطرة ويكون الماء حين فصل في بخارات البحر غير عذب فيقلبه عذباً ويسبِّحه السحاب سكباً فيوصل إلى كل موضع قدراً يكون له مراداً معلوماً لا بجهد من المخلوقين ويمسكه من الموضع الذي عليه ينزله ولا بالحيلة يستنزل على المكان الذي لا يمطره، يقلب الله الليل والنهار وكذلك جميع الأغيار من الرسوم والآثار ذلك تقدير العزيز العليم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [الآية 45] حيوان تدب على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالإضافة من ماءٍ هو جزء المادة أو مخصوص النطفة فهو باعتبار الغلبة إن صح وجود حيوان بلا نطفة ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [الآية 45] كالحية، وسمي الزخرف مشياً بالرجل على الاستعارة للمشاكلة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [الآية 45] كالإنس والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [الآية 45] كالنعم والوحش. وقرىء ومنهم من يمشي على أكثر وإليه الإيماء بقوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 45] ونظيره ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: الآية 1] ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: الآية 3] يزيد في الخلق ما يشاء كجبريل عليه السلام فإن له ستمائة جناح. وأما ما قيل من أنه يندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب
فإن اعتمادها إذا مشت على أربع فمحتاج إلى صحيح نقلاً/ أو صريح عقلاً ﴿إِنَّ 295/ ب
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 45] وفي كل شيء له حكمة وتدبير.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريد خلق كل حيوان من ماء من صلب الأب فتربية الأمر ثم أجزاء الماء متشاكلة متماثلة ثم ينقسم إلى جوارح في الظاهر وجوارح في الباطن فيختص كل عضو وينفرد كل شلو بنوع من الهيئة والصورة وضرب من الشكل والبنية، ثم اختلاف هيئات الحيوان في الريش والصوف والوبر والظفر والحافر والمخلب ثم في القامة والنظر، ثم انقسام ذلك إلى لحم وشحم وجلد وعظم وسن وظفر ومخ وعصب وعرق وشعر والنظر في هذا بعين العبرة يوجب قوة التحصيل والبصيرة.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾ [الآية 46] واضحات للأنام وموضحات للأحكام ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 46] بالتوفيق للنظر في مبانيها والتدبير لمعانيها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 46] هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بدار السلام.

قال أبو سعيد القرشي: في صفة المريد والمراد خرجت الهداية من المشيئة.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات بينات ولكن الله يهدي قوماً إليها ويصرف آخرين عنها والذي سد بصره ولبس نظره فما ينفعه طلوع شمس في نهاره أو سطوع قمر في ليله، كذلك الذي سدت عين بصيرته أنى ينفعه شواهد العلوم ودلائل الفهوم. وقالوا في معناه:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوى عنده الأنوار والظُّلَمُ[1]

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 47] أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ [الآية 47] كلاً منهما أو كلام رسوله لأنه في حكمه ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية 47] بالامتناع عن قبول قضائه وإطاعة أمره ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ [الآية 47] بعد قولهم هنالك ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] أي الثابتين أو المخلصين حيث آمنوا بلسانهم ولم يصدقوا بجنانهم كما يدل عليه عدم إذعانهم.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر يتيمة الدهر (1/ 59)، وخزانة الأدب (1/ 275).

وقال الأستاذ: يستسلمون في الظاهر ويقرُّون باللسان ثم المخلص يبقى على صدقه والذي قاله لخوف سيف المسلمين أو لغرض له آخر من أغراض المفسدين يتولى بعد ذلك وينحاز إلى جانب الكفر هنالك.

296/ أ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 48]/ حكم كتابه ونبيه ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية 48] المدعو إليه ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الآية 48] فاجأ الإعراض فريق منهم إذا كان الحق عليهم ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الحكم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [الآية 49] منقادين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 50] كفراً وميل إلى الظلم ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ [الآية 50] بأن رأوا تهمة منك فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [الآية 50] في الحكومة بينهم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 50] الكاملون في الظلم والعدوان والنفاق والكفران.

وأفاد الأستاذ: أنهم علموا أن اقتضاء حكم في حكمه بينهم في علم أنه قاسط في خصومته لم تطب نفسه بحكومته وكذلك المريب يهرب من الحق ويجتهد في الفرار إلى الخلق كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [الآية 49] يميلون مع الهواء ولا يقبلون حكمه إيماناً وكذلك الذي هو مريض يتميل بين الصحة والسقم وأرباب النفاق مترددون بين الشك والعلم فلا منهم نفي بالقطع ولا إثبات بالعلم مطروحون في أودية الشك والوهم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 51] أي المخلصين الموقنين ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية 51] أي سواء لهم أو عليهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 51].

وأفاد الأستاذ: أنهم الصادقون في الحقيقة السالكون للطريقة الآخذون بالوثيقة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 52] فيما يأمران أنه من فرائض الله وسنن نبيه ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 52] على ما صدر عنه من مخالفة أمره ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ [الآية 52] فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية 52] بالنعيم المقيم.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الآية 53] إنكاراً للامتناع عن حكمه وإظهاراً

لثبات إيمانهم ﴿لئن أمرتهم﴾ [الآية 53] بالخروج عن ديارهم وأموالهم والبروز إلى الكفار من أعدائهم ﴿ليخرجن﴾ [الآية 53] جواب لأقسموا على الحكاية والمبنى دون اللفظ والمعنى ﴿قل لا تقسموا﴾ [الآية 53] على الكذب والمخالفة ﴿طاعة معروفة﴾ [الآية 53] أي هذه طاعة معروفة منكم منكرة عنكم، أو المطلوب طاعة إيمانية معروفة لا طاعة نفاقية منكرة ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [الآية 53] فلا يخفى عليه سرائركم ولا ضمائركم.

﴿قل﴾ [الآية 54] لهم على لساننا ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا﴾
296/ ب [الآية 54] أي أعرضوا ولم/ يقبلوا ﴿فإنما عليه﴾ [الآية 54] على الرسول ﴿ما حمل﴾ [الآية 54] من تبليغ الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ [الآية 54] من الامتثال ﴿وإن تطيعوه﴾ [الآية 54] في حكمه ﴿تهتدوا﴾ [الآية 54] إلى طريقه ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [الآية 54] التوضيح الموضح لأمر الدين وقد أدى ما حمل عليه وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم نفعكم وإن توليتم فعليكم ضركم.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ [الآية 55] خطاب للأمة والرسول، فمن للتبعيض أو له ولمن معه من النبيين، والمعقول محذوف دل عليه قوله: ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ [الآية 55] والله يجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم بالطول والعرض ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ [الآية 55] كبني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد هلاك عدوهم. وقرأ أبو بكر بصيغة المجهول ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ [الآية 55] وهو الإسلام بتقويتهم وتثبيتهم ﴿وليبدلنهم﴾ [الآية 55] وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف ﴿من بعد خوفهم﴾ [الآية 55] من أعدائهم ﴿أمنا﴾ [الآية 55] منهم ومن بلائهم، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة لائذين وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون في الصياح حتى أنجز الله وعده ونصر عبده وأظهرهم على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب لهم. وفيه دليل على صحة نبوة رسوله من الإخبار عن الغيب على ما هو به وعلى صحة خلافة الراشدين بعده إذ لم يجتمع الموعود من الاستخلاف والتمكين والأمنية والموعود عليه من الإيمان والأعمال الصالحة بغيرهم بإجماع

الأمة واتفاق الأئمة ولا عبرة بمنازعة أهل البدعة. وقيل: الخوف من العذاب في الدنيا والأمن منه في العقبى ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ [الآية 55] استئناف بيان لحالهم ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [الآية 55] حال من ضميرهم ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية 55] بالردة أو كفر بهذه النعمة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 55] الوعد بالمنة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية 55] الخارجون عن الدنيا بالكلية حيث كفروا تلك النعمة العلية بعد ظهور الآيات الجلية.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 56] في سائر ما أمركم / 297/ أ
به من أمر الشريعة. والمعنى داوموا على سلوك هذه الطريقة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 56] بالوصول إلى مراتب الحقيقة.

وأفاد الأستاذ: أن وعد الله حق وكلامه صدق والآية دالة على صحة إمامة الخلفاء الأربعة لأنه بالإجماع إلى يومنا هذا لم يتقدمهم أحد في الفضيلة وما بعدهم هذا مختلف فيهم بين الأمة، فأولئك مقطوع بإمامتهم وصدق وعد الله في حقهم وهم على الدين المرضي من قبل الله فيهم ولقد آمنوا بعد خوفهم وقاموا بسياسة المسلمين خاصهم وعامهم والذب عن حوزة الإسلام أحسن قيام لهم.

وفي الآية إشارة إلى أئمة الدين الذين هم أركان الملة ودعائم الإسلام الناصحون لعباده الهادون من يسترشد في الله إذ الخلل في أمر المسلمين من الولاة الظلمة ضرره مقصور على ما يتعلق بأحكام الدنيا، وأما حفّاظ الدين فهم الأئمة من العلماء الناصحين لدين الله المبين، وهم أصناف تقوم بهم حفاظ الكتاب والسنَّة وهم بمنزلة الخَزَنَة، وقوم هم علماء الأصول الرادون على أهل العناد وأصحاب البدعة بواضح الأدلة وهم أبطال الإسلام وشجعان الديانة وقوم هم الفقهاء المرجوع إليهم في علوم الشريعة من حقيقة العبادات وكيفية المعاملات وما يتعلق بأحكام المصاهرات وما في معناها من الأيمان والنذور والدعاوى وفصل الحكم في المنازعات وهم في الدين بمنزلة الوكلاء والتصرف في الملك من الأمراء، وآخرون هم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وهم في الدين كخواص الملك وأعيان مجلس السلطان وأرباب الأسرار الذين لا يبرحون

عن ذلك المكان، فالدين مغمور بهؤلاء على اختلافهم إلى يوم القيامة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ [الآية 57] يا محمد أو أيها الحاسب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 57] وقرأ ابن عامر وحمزة بالغيبة أي لا يحسبنهم حاسب أو لا يحسبوا أنفسهم ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 57] الله عن إدراكهم وإهلاكهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 57] من الطول أو العرض ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 57] أي مثوى الكفار ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 57] مأواهم الذين يصيرون إلى النار.

297/ ب وأفاد الأستاذ: أن الباطل قد يكون/ له جولة ولكنه تخييل وإنما لذلك يقال قليل كعارض ينشأ في القيظ ويعقبه تحويل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [الآية 58] من العبيد المرائين ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ [الآية 58] أي من أغرار المسلمين ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [الآية 58] في يوم وليلة من الأوقات مرة ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ [الآية 58] لأنه زمان تكشف العورات ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ﴾ [الآية 58] للقيلولة ﴿ثِيَابَكُم﴾ [الآية 58] التي لليقظة ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [الآية 58] بيان للحين وهو قبيل وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [الآية 58] لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [الآية 58] أي هي ثلاث أوقات يختل فيه ستركم. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالنصب بدلاً من ثلاث مرات، والمعنى أوقات ثلاث عورات أو ثلاث أوقات عورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ﴾ [الآية 58] في ترك الاستئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ [الآية 58] بعد هذه الأوقات ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ [الآية 58] أي هم طوافون والجملة استئنافية مبينة للعذر المرخص في ترك الاستئذان سائر الأوقات وهو المخالطة وكثرة المداخلة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ [الآية 58] طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 58] تأكيد لما قبله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الآية 58] أي الأحكام المبينات ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 58] بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 58] فيما شرع لكم من أعمالكم. روي أن غلام أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت، وقيل: أرسل رسول الله ﷺ مدلج ابن عمرو الأنصاري وكان غلاماً وقت الظهر ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر:

لوددت أن الله عزَّ وجلَّ نهى آباءنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعة علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فقد وجده وقد أنزل عليه[1] هذه الآية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [الآية 59] من الأحرار والعبيد ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [الآية 59] في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ﴾ [الآية 59] بلغوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 59] وفيه دلالة على وجوب استئذان العبد البالغ على سيدته ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 59] بمخلوقاته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 59] في مصنوعاته تأكيد أو مبالغة في الأمر بالاستئذان في أوقاته.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 60] وهن العجائز اللاتي قعدت عن الحيض / 298/أ والحمل ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [الآية 60] لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [الآية 60] أي الثياب الظاهرة لهن كالجلباب لوجههن ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [الآية 60] غير مظهرات لزينة مما أمرن بإخفائهن في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [الآية 31]، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [الآية 60] من إبدائهن لأنه أبعد من التهمة لهن ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 60] لمقالهن مع الرجال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 60] بمقصودهن في جميع الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ضيق الأمر من وجه ووسع من وجه فأمر بمراعاة الاحتياط وحسن السياسة لأحكام الدين ومراعاة حرم المسلمين والتحرز عن مخاوف الفتنة واستيلاء سلطان الشهوة، وإذا سهلت فتلك الشائبة سهل الأمر وأبيحت الرخص وأمنت الفتنة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 61] يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع المفتاح إليهم ويبيح البسط فيه لهم إذا خرج للقرّ ونحوه مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب فإن الحكم بالظاهر والله أعلم بالسرائر ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [الآية 61] أو بيوت أولادكم لقوله عليه السلام:

---

(1) تفسير النيسابوري (6/ 26)، والكشاف (4/ 424).

«أنت ومالك لأبيك» من كسبه[1] رواه ابن ماجه وقوله عليه السلام: «أن أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده» رواه الشيخان ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [الآية 61] من بيوت مماليككم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] بيوت أصدقائكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به في أحوالهم، وهذا كله إذا علم رضاهم بإذن أو قرينة دالة لهم، وكذا خص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم.

قال أبو عثمان: الصديق مَن لا يخالف باطنه باطنك كما لا يخالف ظاهره ظاهرك إذ ذاك محل الانبساط بينه وبينك.

وقال الأستاذ: إذا جاءت الأعذار سهل الامتحان والاختبار وإذا حصلت القربة سقطت الحشمة وإذا صدقت القرابة انتفت الأجنبية والفرقة فإذا انتفت هذه الشروط صحت المباسطة في الارتفاق بشهادة هذه الآية. ثم قال:
298/ب ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] وعزيز من يصدق في الصداقة فيكون/ في الباطن كما يُرى في الظاهر ولا يكون في الوجه كالمرآة ومن ورائك كالمقراض. وفي معناه ما قلت:

مَن لي بمن يثق الفؤاد بودّه ... وإذا ترحّل لم يزغ عن عهده
يا بؤس نفسي من أخ لي باذل ... حسن الوفاء بوعده لا نقده
يولي الصفاء بنطقه لا خلقه ... ويدسّ صلباً في حلاوة شهده
فلسانه يُبدي جواهر عقده ... وجِنانه تغلي مراجل حقده
لا همّ أني لا أطيق مراسه ... بل أستعيذ من الحسود وكيده[2]

فقوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [الآية 61] من تُؤمَن منه هذه الخصال وأمثاله من

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 769) رقم (2291)، والطبراني في المعجم الكبير (7/ 230) رقم (6961)، وابن حبان في الصحيح (2/ 142) رقم (410)، وأبو يعلى في المسند (10/ 98) رقم (5731).
(2) تفسير القشيري (5/ 348).

الأحوال ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [الآية 61] مجتمعين أو متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في النهمة والنفرة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 61] على أهلها الذين هم منكم ديانة وقرابة وصداقة ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 61] تأدية بأمره مشروعة بحكمه ﴿مُبَٰرَكَةً﴾ [الآية 61] لأنها يوحى بها إفادة المحبة وزيادة المثوبة ﴿طَيِّبَةً﴾ [الآية 61] تطيب به النفس المتكلمة والمستمعة، وعنه عليه السلام قال: «متى لقيت أحداً من أمتي فسلِّم عليه يطيل عمرك وإذا دخلت على أهل بيتك فسلِّم عليهم يكثر خيرك»، هذا وإذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[1].

وأفاد الأستاذ: أن السلام الأمان وسبيل المؤمن إذا دخل بنياناً أن يسلِّم من الله على نفسه أي يطلب الأمان والسلامة من الله لنفسه لتسلم نفسه من الإقدام على ما لا يرضاه الله من الفعل والكلام إذ لا يحل لمسلم أن يفتر لحظة من الاستجارة بالله بل لا يرفع عنه ظل عصمته بإدامة حظه عن الاتصاف بمكروه في شريعته ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية 61] بتكريرها المرات وتفصيلها الكرات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 61] طرق الخيرات وسبيل المبرات.

300/ أ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 62]/ الكاملون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 62] جمعاً بين لسانهم وجنانهم ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [الآية 62] لبيان شأنهم كالجمعة والأعياد والمشاورة في نحو الجهاد ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ [الآية 62] عنه ولم يتركوه ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية 62] وهذا إذا كان الاستئذان عن عذر لهم في حضور ذلك الشأن فلا ينافي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: الآية 44] فإنه محمول على استئذانهم بغير عذر في شأنهم ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾

(1) تفسير أبي السعود (9/ 177) وتفسير البيضاوي (1/ 201).

[الآية 62] ما يعرض لهم من أمر ربهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 62] ممن علمت أن له عذراً لقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: الآية 43]، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 62] فإن الاستئذان ولو لعذر لا يخلو عن نوع قصور لا سيما إذا كان تقديماً لأمر الدنيا على أمر العقبى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 62] بالعباد ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية 62] بالعباد.

وفي «تفسير السلمي» قيل لأبي عثمان: أوصنا، قال: عليكم بالاجتماع على الدين وإياكم ومخالفة الأكابر من العلماء العاملين والدخول في شيء من الطاعات إلا بإذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما أمكنكم وأرجو أن لا يضيع سعيكم.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الاتباع موافقة المتبوعين وأن لا يتفرقوا فيصيروا خراباً كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: الآية 14] والعلماء ورثة الأنبياء والمريدون لشيوخهم كالأمة لنبيهم. فشرط المريد أن لا يتنفس إلا بإذن شيخه في نفس سراً وجهراً ويسري عنه في غير ما يحبه سريعاً ومخالفة الشيوخ فيما يستسرونه منهم أشد مما يكاد يرونه بالجهر كثيراً لأن هذا يلتحق بالخيانة، ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فإن نذر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في القوامة بما يحكم عليه به، وإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق في توبته وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على
299/ب الشيوخ/ ففرض عليهم أن ينفقوا لهم من قوة أحوالهم بما يكون ببراناً لتقصيرهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [الآية 63] لا تجعلوا نداءه كنداء غيره باسمه ورفع الصوت به ومن وراء بنائه من حجرات نسائه.

قال ابن عطاء: لا تخاطبوه بخطابه ولا تدعوه باسمه وأنيفوا آداب الله

فيه بدعائه في كلامه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية 64] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المَائدة: الآية 41].

وقال جعفر: الحرمات يتبع بعضها بعضاً فمن ضيّع حرمة الخلق ضيّع حرمة المؤمنين، ومن ضيّع حرمة المؤمنين ضيّع حرمة الأولياء، ومن ضيّع حرمة الأولياء ضيّع حرمة الأنبياء، ومن ضيّع حرمة الأنبياء ضيّع حرمة الله تعالى، ومن [ضيّع حرمة] الله تعالى فقد دخل في ديوان الأشقياء، فأفضل الأخلاق حفظ الحرمات ومَن أسقط عن قلبه الحرمات تهاون بالفرائض والواجبات. قلت: وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحجّ: الآية 30].

وقال الأستاذ: عظّموه في الخطاب واحفظوا في خدمته الآداب وعانقوا طاعاته ووافقوا هيبته ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ [الآية 63] ينسلون قليلاً قليلاً من جماعتكم ﴿لِوَاذًا﴾ [الآية 63] ملاوذة بأن يستنفر بعضهم ببعض في مفارقتكم ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية 63] يعرضون عن طاعته أو يذهبون سمتاً خلاف سمته والضمير في أمره إلى الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 63] محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 63] في العقبى.

قال أبو سعيد الخراز: الفتنة انتكاس القلب حتى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

وقال النوري: الفتنة هي الاستغناء بشيء سوى الحق.

وقال رويم: الفتنة للعوام والبلاء للخواص.

وقال أبو طاهر: الفتنة مأخوذ بها والبلاء معفو عنه ومثاب عليه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] مِلكاً ومُلكاً ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 64] من المخالفة والموافقة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 64] للجزاء على وفق المحاسبة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 64] فيعلمهم بأعمالهم على وفق مراتب أحوالهم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الآية 64] لا يخفى عليه خافية من آجالهم وآمالهم.

سورة الفرقان

[مكيّة]

وهي سبع وسبعون آية

/ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 300/ أ

باسمه نزول البركة وحلول الحركة وبرحمته وصول النعمة وحصول الجنة.

وقال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز عرف بفعله قدرته، اسم كريم شهد بفضله نصرته، اسم عزيز عرفه العقلاء بدلالة أفعاله وعرفه الأصفياء باستحقاقه لجلاله وجماله، فبلطف جلاله عرفوا وجوده وبكشف جماله عرفوا جوده. بسم الله اسم عزيز من دعا به لبّاه ومن توكل عليه كفاه، ومن توسل إليه أكرمه وآواه، ومن تنصل إليه رحمه وأدناه، ومن شكا إليه سلّاه، ومن سأله خوله وأعطاه.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الآية 1] فكاثر خيره وتواتر بره ودام إنعامه وتمّ إكرامه بإنزال القرآن بنعت الفرقان ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الآية 1] القائم بوظيفة عهده الذي أكرمه وفضله وإلى الخلق أرسله وبيَّن معجزته بالقرآن الذي عليه أنزله. وقال بعضهم: تبارك أي تعالى الحق عن إدراك الخلق ﴿لِيَكُونَ﴾ [الآية 1] هو سبحانه أو كتابه أو عبده ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 1] من الجن والأنس ﴿نَذِيرًا﴾ [الآية 1] وللعالمين من أهل الإيمان والأنس بشيراً فهو منذر للعاصين بالحرقة والفرقة في دار البوار، ومبشر للمطيعين بالوصلة والقربة في دار القرار.

قال سهل: خصّ محمد ﷺ بإنزال القرآن ليفرق به بين الحق والباطل

والولي والعدو والقريب والبعيد والطاعة والعصيان والعدل والعدوان والإحسان والطغيان.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] خلقاً وملكاً.

قال النصرآبادي: له المُلك فمن اشتغل بالمُلك فاته المَلِك ومن اشتغل بالمَلك حصل له المَلك والمُلك ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الآية 2] كزعم عوام اليهود والنصارى وبعض كفار مكة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية 2] كقول الثنوية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 2] أوجده وأظهر تدبيراً ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الآية 2] لا يتصور تغييراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بالملك فلا شريك يساهمه وتوحّد بالجلال فلا نظير يقاسمه، فهو الواحد بلا قسيم في ذاته ولا شريك في مخلوقاته ولا شبيه في ذاته وصفاته.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية 3] أي من غير خالقهم ﴿ءَالِهَةً﴾ [الآية 3] أي أصناماً سموها آلهة ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 3] لا يقدرون أن يخلقوا/ ذباباً ولو 300/ ب
اجتمعوا له ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الآية 3] حيث خلقهم الله ابتداء ونحتهم وصوّرهم عبدهم انتهاء ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 3] لا يستطيعون ﴿لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ [الآية 3] دفع ضر عن الناس ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 3] جلب نفع لمن يعبدهم من الناس ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 3] لغيرهم ﴿مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الآية 3] إماتة وإحياء ولا بعثاً وجزاء.

وقال الأستاذ: لا يملكون قطميراً ولا يخلقون نقيراً ولا يدفعون عنهم كثيراً ولا يسيراً ولا ينفعونهم فيسهّلون عليهم عسيراً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ [الآية 4] القرآن أو الفرقان ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ [الآية 4] كذب وبهتان ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 4] اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾ [الآية 4] أنه من عند ربه وأعانه ﴿عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الآية 4] من اليهود أو جبر ويسار وعداس كما سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: الآية 103]، ﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ [الآية 4]

فعلوا ﴿ظُلْمًا﴾ [الآية 4] في إشراكهم له سبحانه مخلوقاً عاجزاً محققاً ﴿وَزُورًا﴾ [الآية 4] بجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً ملفقاً.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 5] ما سطره المتقدمون ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الآية 5] استكتبها ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الآية 5] ليحفظها قليلاً قليلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم ظنوه كما كانوا وكما أنهم بأمثالهم استعانوا فيما عجزوا عنه من أمورهم واستهدوا لأمثالهم واستكانوا فقالوا من غير حجاج وتقويل فلم يكن لقولهم تحصيل، والأساطير الأولين برهانهم التي لا تدري هل كانت وإن كانت لا تعرف كيف كانت ومتى كانت.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [الآية 6] أي المغيبات والمخفيات ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 6] أي في جميع الكائنات وقد أعجزكم عن آخركم بفصاحته وبلاغته وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف يكون أساطير الأولين وتعليم الأغيار وهو مما لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ولو تساعد أعداء الدين مع كثرتهم من الوقت الذي أتى به واجتهدوا في معارضته بما يوجب مساواته أو معاربته فيدعوا تكذيبه ومخالفته فانقطعت الأعصار وانقطعت الأعمار من أهل الأمصار ولم يأت أحد بسورة من
مثله فانتفى الريب ووجب الإقرار بحقه وفضله / ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ 301/ أ
[الآية 6] حيث لم يعجل في عقوبتكم ويمدكم في معيشتكم.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية 7] بزعمه ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الآية 7] كما نأكل في تحصيل الارتفاق ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الآية 7] كما نمشي لطلب المعاش والأرزاق وذلك لقصور نظرهم على الأمور الحسية فإن تميز الرسل عن من عداهم ليس بأحوال جسمانية بل بأعمال نفسانية وأخلاق روحانية كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: الآية 110].

قال جعفر الصادق: إن الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا أباح ظاهره

للخلق بالكون معهم على شرط البشرية ومنع سرهم عن ملاحظاتهم لأن أسرار الأنبياء في القبضة الإلٰهية لا تفارق المشاهدة بحال من الأحوال الكونية ﴿لَوْلَآ﴾ [الآية 7] أي إن لم يكن ملكاً بشيراً فهل ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الآية 7] لنعلم صدقه بتصديقه له.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ [الآية 8] فيستعين به ويستغني في وجه المعاش عن غيره ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الآية 8] ويتعيش بريعه. وقرأ حمزة والكسائي بالنون أي ننتفع معه به وهذا أقل ما يتميز المكرم عند ربه ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 8] أي الكاملون في الظلم منهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الآية 8] سحر فغلب على عقله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ [الآية 9] الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادّة ﴿فَضَلُّوا۟﴾ [الآية 9] عن طريق الهدي ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الآية 9] إلى الرفيق الأعلى.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ [الآية 10] في الدنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الآية 10] مما قالوه ولكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 10] بدل من خيراً وبيان ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الآية 10] بلا قصور ولا فطور عطف على محل الجزاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان تاماً جاز في جزائه الجزم والرفع وجوز أن يكون استيثاقاً بوعد ما يكون له في العقبى.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 11] أي ساعة القيامة فأعرضوا عن الطاعة وقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وغفلوا عن النعيم المقيم للؤمنين وعذاب الجحيم للكافرين في الأيام الأخروية / كما أشار إليه بقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ 301/ ب
بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الآية 11] ناراً شديدة الاستعار في دار البوار.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عجزوا عن معارضته أخذوا في مناقضته يعيبونه بكونه من جنسهم يمشي في الأسواق ويأكل الطعام وقالوا: هلّا أنزل عليه الملائكة فيرون عياناً وعابوه بالفقر وقالوا: هلّا يجعل الكنوز بحكمه يتكثر

مالاً وهلّا خص بآيات اقترحوها فيقطع بها العذر ويزيل عنها إشكالاً، وما هذا إلا بشراً يعتريه من دواعي الشهوات ما يعتري غيره، فأي خصوصية له حتى يلزمنا متابعته ولكن يظهر لنا حجته، فأجاب الله عنه وقال: إن الحق قادر على تمليك ما قالوا وأضعافه وفي قدرته إظهار ما اقترحوه من الآيات وأمثاله ولكن ليس لهم هذا التخيير وبعدما أُزيح العذر بإظهار معجزة واحدة فاقتراح ما يهوون تحكُّم على التقدير وليس لهم ذلك. ثم أخبر أنه لو أظهر تفصيل ما قالوه وأضعافه لم يؤمنوا لأن حكم الله بالشقاوة سابق لهم. وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 11] وهم في حكم الله من الكفار والله أعدّ لهم ولأمثالهم دار البوار حقق وعيد الأبد فلا محالة يمتحنون بها. وفي قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 48] دليل على جواز تكليف ما لا يقدر عليه العبد في الحال لأنه أخبر أنهم لا يستطيعون سبيلاً، وهم معاتبون مكلفون انتهى. ولا يخفى أن المحال إذا كان لذاته فلا يجوز تكليفه وقد نفى وقوعه بقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية 286] وأما إذا كان لغيره كما هنا لتعلُّق علمه سبحانه بكثرة مقدار ما يجوز تكليفه وصح وقوعه بإجماع من يعتد به.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 12] وهو أقصى ما يمكن أن ترى منه ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الآية 12] صوتاً يشعر بغيظها ﴿وَزَفِيرًا﴾ [الآية 12] يسمع من جوفها لقوة غليانها وهو أن يخرج نفسها بعد مدها إياه في باطنها. والمحققون من الصوفية بل مذهب أهل السنَّة والجماعة على ما صرح به في المعالم إن الأشياء كلها لها علم بالله وحياة تناسبها وخشية وصلاة وعبادة وتسبيحاً وكلاماً ورؤية
302/ أ وغيظاً ومحبة وعداوة كما حقق في محلها ومنه / ما ورد: «أُحد جبل يحبنا ونحبه وعير جبل يبغضنا ونبغضه» وغير ذلك من الآيات والأحاديث الثابتة عن الثقات خلافاً للمعتزلة بناء على أصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة، وقد دفعها بعض علمائنا بأن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية بل يجوز تعلق الروح بالأجزاء المتفرقة شرقاً وغرباً في الأمكنة أمكن أن يخلق الله فيها ميزة هنالك فترى وتتغيظ وتزفر وأمثال ذلك على أن أمور الآخرة كلها على خرق العادة

فيجب الإيمان بما ورد إجمالاً ووكول علمه إليه سبحانه تفصيلاً.

وأفاد الأستاذ: أن وحشة النار توجد من مسافة بعيدة قبل شهودها والامتحان بها ونسيم الجنة يوجد قبل شهودها ودخولها والنار توقد منذ سنين قبل المحترقين بها، والجنة تزين منذ سنين قبل المستمتعين بها، وكذب من أحال وجودها قبل كون سكانها وقطانها من المنتفعين بها والمعاقبين فيها لأن الصادق أخبر عن صفاتهما التي لا يكون ذلك إلا لموجود هنالك.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا﴾ [الآية 13] في مكان، ومنها بيان تقدم لكونه صفة نكرة فصار حالاً ﴿ضَيِّقًا﴾ [الآية 13] لزيادة العقوبة فإن الضيق زيادة الكربة كما أن في الوسعة مزيد الراحة، ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السمٰوات والأرض، وفي الحديث: «خير المجالس أوسعها»[1] ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ [الآية 13] قرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الآية 13] تمنوا هلاكاً وطلبوا إهلاكاً.

فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ [الآية 14] أي قليلاً يسيراً ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الآية 14] لكثرة أنواع العقاب الذي لا ينقطع.

وأفاد الأستاذ: أن راحة الجنة مقرونة بسعتها ووحشة النار موصولة بضيقها فيضيق عليهم مكانهم ويضيق عليهم قلوبهم ويضيق عليهم أقواتهم، ولو كانت حياتهم تبطل بها وكانوا يتخلصون منها لم يكن البلاء كاملاً ولكنها آلام لا تتناهى ومحن لا تنقضي كلما راموا فرجة وباباً قيل لهم ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: الآية 30].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية 15] العذاب المؤبد الذي وعد به العاصون ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ/ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ [الآية 15] في علم الله ﴿جَزَآءً﴾ 302/ ب

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1/ 388) رقم (1136)، والحاكم في المستدرك (4/ 300) رقم (7705)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 300) رقم (8240)، وأبو داود في السنن (4/ 405) رقم (4822).

[الآية 15] على أعمالهم وفق أحوالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ [الآية 15] مرجعاً لآمالهم.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 16] من النعيم المقيم على قدر مراتبهم وما يليق ويناسب بمناصبهم ومناقبهم كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية 30] وفيه تنبيه على أن كل المشتهيات لا تحصل إلا في الجنة ولذا ورد: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1]، ﴿خَٰلِدِينَۚ﴾ [الآية 16] حال مقدرة ﴿كَانَ﴾ [الآية 16] ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 16] واجباً عليه بمقتضى ﴿وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ [الآية 16] وعداً حقيقاً بأن يكون مطلوباً.

وقال الأستاذ: إن في النعيم المقيم حور وسرور وحبور وقصور وروح وريحان وبهجة وإحسان ولطف جديد وفضل مزيد ولذات شراب وكاسات محاب وبسط قلب وطيب حال وكمال أنس ودوام طرب وتمام حول ولباسهم فيها حرير فالأسماء أسماء ما في الدنيا، والأعيان بخلاف المعهودات منها، ثم فيها ما يشاؤون ويتحقق، وهم أبداً مقيمون لا يبرحون ولا هم عنها يخرجون. وقال: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 16] وتحقق لهم فيها ما يشاؤون ولكن لا يخلق في قلوبهم الإرادة ما علم أنه سيفعله فما هو المعلوم لله أن لا يفعل لا يتعلق به إرادتهم ويمنع من قلوبهم مشيئته لهم.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ [الآية 17] أي المخلوقين أو المشركين. وقرأ ابن كثير وحفص بالياء أي يجمعهم الله ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] يعم كل معبود سواه ﴿فَيَقُولُ﴾ [الآية 17] أي الله للمعبودين. وقرأ ابن عامر بالنون ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 17] الضالين ﴿أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 17] بأنفسهم فكانوا كالغاوين لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم كالمرشد النصيح، وهو استفهام تقريع للعبدة.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الآية 18] تنزيهاً لله عن الأنداد وإشعاراً بأنه لا يليق بهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).

إضلال العباد ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾ [الآية 18] ما يصح وما يصلح لنا ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 18] حتى نكون سبباً لإضلال هؤلاء ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 18] بأنواع النعم فاستغرقوا في اتباع الشهوات والنهم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الآية 18] أي ذكر المنعم وشكره وتركوا حكمه وأمره، ففيه نسبة الضلال إليه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم من حملهم وهو عين مذهب أهل السنّة وليس فيه حجة للمعتزلة ﴿وَكَانُوا۟﴾ [الآية 18] في قضاء الله ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾
303/أ [الآية 18] هالكين لكونهم ضالين عن / هداه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ [الآية 19] أي المعبودون ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الآية 19] في قولكم إنكم آلهة لنا أو هؤلاء أضلونا ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 19] أي المعبودون. وقرأ حفص بالخطاب للعابدين ﴿صَرْفًا﴾ [الآية 19] دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ [الآية 19] منعاً له منكم ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ [الآية 19] أي من يستمر على الشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الآية 19] أي ناراً وسعيراً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الآية 20] الجملة حال اكتفي فيها بالضمير عن الواو ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ [الآية 20] أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الآية 20] ابتلاء ومحنة، ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالرسل إليهم في مخالفتهم لما أنزل عليهم وفيه تسلية له ﷺ من قولهم بعد إبطاله لهم، وفيه دليل على القضاء والقدر وما يترتب عليه من الصبر والشكر والحذر ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الآية 20] حث على الصبر على ما افتتنوا به كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: الآية 91]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الآية 20] بمن يصبر على بلائه ويرضى بقضائه أو علماً بالصواب فيما يبتلي به ومن يبتلي وغير ذلك من أمور أرضه وسمائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن الذين تقدموهم من الرسل كانوا بشراً مثلهم ولم تكن الخصوصية لهم إلا ظهور المعجزات عليهم وفي الجملة الفضائل بالمعاني لا بالصور والمباني. ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الآية 20] فضّل بعضنا على بعض في الأشياء فأمر

المفضول بالصبر والرضا والفاضل بالشكر على العطاء وخصّ قوماً بالغنى وجعلهم فتنة لأهل البلاء، وخصّ قوماً بالعوافي عن الأمراض والأسقام وآخرون بالآلام والانتقام فلا لمن نعمه مناقب ولا لمن امتحنه معاتب، فبحكمه لا بجرمهم، وبفضله لا بعقلهم، وبإرادته لا بعبادتهم، وباختياره لا بإرضائهم، وبإقداره لا بأوزارهم، وبه لا بهم. وقوله: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الآية 20] استفهام بمعنى الأمر فمن ساعده التوفيق صبر وشكر ومن قارنه الخذلان أبي وكفر.

﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الآية 21] أي لا يأملونه بالثواب أو لا يخافونه بالعقاب لإنكارهم البعث والحساب، والمراد باللقاء الوصول إلى الجزاء. أو قيل: المراد باللقاء الرؤية في دار البقاء ﴿لَوۡلَآ﴾ [الآية 21] هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾
303/ ب [الآية 21] / فينكشف لنا الأمر بالكلية ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية 21] أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء في أكمل أوقاتها وأجمل حالاتها ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الآية 21] وتجاوزوا عن الحد في الظلم تجاوزاً عظيماً كثيراً حيث طلبوا الرؤية في الدنيا مع أنها ليست حاصلة إلا لخواص عباده في العقبى وأعرضوا عن الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة واقترحوا لأنفسهم الفانية ما امتدت دونه مطامح النفوس القدسية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء قالوا على وجه رؤية المقام لأنفسهم وأنه مسلم لهم ما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم ورؤية ربهم وكان ذلك في القدرة جائزاً ولكن لم يكن ذلك واجباً، وبعد إزاحة عذرهم بظهور المعجزات لم يكن اقتراح ما قالوه من المستحسنات.

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية 22] أعوان ملك الموت أو ملائكة العذاب ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 22] منهم ومن غيرهم أو المصرين على جرمهم أو المشركين المعهودين فيهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 22] أي المجرمين حينئذ ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ [الآية 22] أي هذه الجملة التي كانوا يستعيذون بها عند لقاء عدوهم أو هجوم مكروه بهم طلباً من الله أن يمنع لقاءه منهم ويدفع بلاءه عنهم. والمعنى

امنع عنّا منعاً ممنوعاً فهو في باب التأكيد من قبيل «جد جده وظلاً ظليلاً»، أو يقولها الملائكة لهم بمعنى حراماً محرماً عليكم النار أو الجنة أو الرؤية على ما اختاره الأستاذ.

حيث أفاد أنهم اقترحوا شيئين: رؤية الملائكة ورؤية الله فأخبر أنهم يرون الملائكة عند التوفي ولكن تقول الملائكة لهم: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: الآية 22] لكم. وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الآية 22] يعني حراماً ممنوعاً، يعني رؤية الله عنكم وهذا يعود إلى ما جرى ذكره وحمله على ذلك أولى من حمله على الجنة إن لم يجر لها ذكر هنا، ثم فيه بشارة للمؤمنين بالرؤية لأنهم يرون الملائكة ويبشرونهم بالجنة، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: الآية 30] الآية. فكما لا يكون للكفار البشارة بالجنة ويكون للمؤمنين لا يكون الرؤية للكفار ويكون للمؤمنين. قلت: وقد قال تعالى في حقهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية 15]،/ وفي حق 304/ أ
المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيتان 22،23] رزقنا الله الحسنى وزيادة وختمنا بخاتمة السعادة.

﴿وَقَدِمْنَا﴾ [الآية 23] أي عهدنا وقصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 23] في زمان كفرهم ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] في صورة أعمال حسنة من المكارم كقرى الضيف وإغاثة الملهوف وصلة الرحم ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الآية 23] فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره من الإيمان بالدار الآخرة والإخلاص عن الرياء والسمعة وسائر الأعراض الفاسدة. والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة ويكون متفرقاً منشوراً.

قال ابن عطاء: أطلعناهم على أعمالهم فطالعوها بعين الرضا فسقطوا عن أعيننا بذلك فجعلنا أعمالهم هباء منثوراً.

وقال الأستاذ: ضاع سعيهم وخاب جهدهم وضاع عمرهم وخسرت صفقتهم وانقطع رجاؤهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فهذا آفة الكفار في تلك الدار، وأما أصحاب

الحقائق وأرباب التوحيد فيلوح لقلوبهم من سماع هذه الآية ما يحصل به كمال روحهم ويتأدى إلى قلوبهم من الراحة ما يضيق عن وصفه شرحهم ويتقاصر عن شأنه نطقهم حيث يسمعون قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] وحبب لهم من الأريحية ما يشغل عن الاهتمام بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ [الآية 23] ويقولون: يا ليت لنا أعمال أهل الدارين، ثم لا يقبل منها ذرة وهو يقول بسببها: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 23] ولأنهم إذا تخلصوا من مواضع الخلل وموجبات الخجل من أعمالهم غدوا ذلك من أجل ما ينالون من الإحسان إليهم. وفي معناه أنشدوا:

سأرجع من حجي إلى العام مقبلاً ... فأما الذي قد كان لم يتقبل [1]

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الآية 24] مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات للمجالسة والمجاورات ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الآية 24] مكاناً يؤوى إليه للاستراوح مع الزوجات، ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة، والتفضيل إما لإرادة الزيادة المطلقة في العقبى أو بالإضافة إلى المترفين في الدنيا. وقد صحت عن
ابن مسعود رضي الله عنه أنه يفرغ من الحساب/ في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل 304/ب
الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

وفي «تفسير السلمي»: أصحاب الجنة يومئذ في دار البوار على ميعاد لقاء الجبار من غير خوف زوال ولحوق ملال.

وأفاد الأستاذ: أن أصحاب الجنة هم الراضون بها الواصلون إليها المكتفون بوجدانها فحسنت لهم أوطانهم وطاب لهم مستقرهم ومكانهم.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ [الآية 25] أصلها تتشقق فحذفت التاء وأدغمها في الشين نافع وابن كثير وابن عامر أي تتفتح أبوابها ﴿ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الآية 25] بسبب طلوع ونزول الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 366).

يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية 210]، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الآية 25] وقرأ ابن كثير ونزل ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 26] الثابت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 26] لأن كل ملك وملك يبطل حينئذ لغيره ولا يبقى إلا ظهور ملكه ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الآية 26] شديداً لا يصير يسيراً.

قال ابن عطاء: الملك له على دوام الحالات وجميع الأوقات ولكن يكشف يومئذ للعوام فلا يقدر أحد أن يجحده بعدما عيَّن ذلك المقام.

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الملك لمن هو مستغنٍ عما أبدى في الملك من جميع المكونات لا يرضاه من مكان العبيد شيء ولا يفضيه شيء من السكنات.

وقال الأستاذ: يريد يوم القيامة إذا بدت أهلها وظهر للمبعوثين أحوالها علموا ذلك الزمان وتحققوا في ذلك المكان أن المُلك أزلاً وأبداً للرحمٰن فلم يتجدد وصف له سبحانه بل يتلاشى أوهام الخلق لما بدا شأنه.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الآية 27] من فرط الحسرة لديه ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الآية 27] طريقاً إلى النجاة بما أبداه دليلاً ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ [الآية 28] يا حسرتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ من أهل الكفر والغفلة عن الشكر ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الآيتان 28،29] أي ذكر الله وخطابه في كتابه ومواعظ رسوله في بابه ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الآية 29] وتمكنت منه برفع حجابه ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية 29] يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالفته ومخالفة الرسول في طاعته ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الآية 29] يواليه حتى يؤديه إلى هلاكه ثم يتركه ولا ينفعه.

305/ أ وأفاد الأستاذ: إن الكافر يضل صاحبه فيقع منه في الثبور/ والمؤمن يهدي إلى الربّ صاحبه فيصل به إلى السرور. قلت: كما يدل عليه ويشير إليه قوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: الآية 67]. وقال بعضهم: أصح الخلة وأحسن المودة ما لا يورث أسفاً ولا ندامة كما أخبر الله عنهم يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 30] شكاية عن قومه وبثاً إلى ربه ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ [الآية 30] يريد كفار قومه ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الآية 30] بأن تركوا الإيمان به والعمل بمضمونه فقال في تسليته: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 31] كما جعلنا لك أعداء ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 31] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: الآية 35] فإنما نمهلهم لكن لا نهملهم. وفيه دليل على أنه خالق الشر كما أنه خالق الخير خلافاً للثنوية والمعتزلة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ [الآية 31] إلى معرفته إن أراد هدايتهم ورعايتهم ﴿وَنَصِيرًا﴾ [الآية 31] معيناً لك عليهم إن شاء ضلالتهم وتخويفهم.

قال أبو بكر بن طاهر: رفعت درجات الأنبياء لامتحانهم بالمخالفين والأعداء وكل نبي قد ابتلي بمخالف وعدو وحاسد وابتلي كل ولي بمكابر ومعاند وذلك لتمام درجاتهم ونظام حالاتهم وعظم محلهم عند ربهم.

وقال الأستاذ: فمن شكا من الله فهو جاهل جاحد ومن شكا إلى الله فهو عارف واجد. ثم أخبر أنه لم يخلِّ نبياً من أنبيائه إلا سلّط لهم عدواً في وقته إلا أنه سبحانه لم يغادر منهم أحداً إلا أذاقه وبال ما استوجبوه على كفره وغيه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 32] أي هلا أنزل ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية 32] إليه ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 32] دفعة واحدة، وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله مفرقاً أو جملة مع أن للتفريق فوائد محققة منها ما بيّنه سبحانه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الآية 32] أي كذلك أنزلناه مفرّقاً لنقوّي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة في المبنى وعوض خوض في المعنى ولأنه تحدى بكل نجم من سوره فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولأن نزول جبريل مرة بعد مرة سبب لثبات فؤاده وكمال روحه ودوام أنسه وتمام قربه. فإن قلت: المحب يسكن
305/ب بتواصل كتب محبوبه، / ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ بسبب تقدمه وتأخره، ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلائل القالية إذ كل من الحالات الواقعة في

زمان من الأزمنة تناسب نزول آية خاصة ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الآية 32] وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تمهُّل وتؤدة في ثلاث وعشرين سنة أو المعنى بيّناه تبييناً وفصلناه تفصيلاً ولم نكتف بذكر شيء منه إجمالاً بل أوردناه على ما أردناه إكمالاً.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ [الآية 33] سؤال عجيب وبيان حال غريب ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 33] بالأمر الثابت لجوابه وعلى وفق الصدق في صوب صوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الآية 33] أي بما هو أحسن بياناً من سؤالهم في بابه.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 34] أي مغلوبين إليها أو مسحوبين. وروى البيهقي عنه عليه السلام: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه»[1]. وفي الخبر: «إن الذي مشاهم اليوم على أقدامهم يمشيهم غداً على وجوههم»[2] وهو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 34] مستقراً ومقيلاً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 34] وأخطأ طريقاً وأغلظ دليلاً، فلا جرم يقعن في قعر جهنم ذليلاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 35] التوراة وفيها فصل الخطاب ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الآية 35] يؤازره في الدعوة ويعاونه في إعلاء الكلمة وهو لا ينافي مشاركته في النبوة بل إشارة إلى الأصالة والخلافة.

وأفاد الأستاذ: أن القصة الواحدة إذا أُعيدت مرات كثيرة كانت أتم في باب البلاغة لا سيما وفي كل مرة فائدة زائدة.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ [الآية 36] يعني فرعون وقومه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 36] أي بأوليتنا في مصنوعاتنا أولاً وبمعجزاتنا ثانياً ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 318) رقم (359)، والطيالسي في المسند (1/ 334) رقم (2566).

(2) أورده القشيري في تفسيره (5/ 373).

﴿تَدۡمِيرٗا﴾ [الآية 36] أي فذهبا إليهم فكذبوهما وجحدوا نبوتهما ورسالتهما فأهلكناهم إهلاكاً بالإغراق في الدنيا وبالإحراق في العقبى. وفيه تسلية لسيد الأنبياء فيما كان يقاسيه من فنون البلاء، ووعد جميل له بإهلاك مَن له من الأعداء أو تهديد لقومه من السفهاء.

306/أ ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 37] أي نوحاً ومن / قبله أو نوحاً وحده لأنه يستلزم أنهم كذبوا الرسل كلهم ﴿أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 37] أحللنا العقوبة بهم كما أحللنا بأمثالهم وعاملناهم مثل ما عاملنا قرناءهم ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 37] أي قصتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ﴾ [الآية 37] عبرة ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 37] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الآية 37] حجاباً مقيماً.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾ [الآية 38] أي وجعلناهما كذلك عبرة لما هنالك ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [الآية 38] وهم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرَّسِّ وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم ﴿وَقُرُونَۢا﴾ [الآية 38] قيل القرون أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون، والمعنى وأهل أعصار ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] أي ما ذكر من الأمم أمصاراً ﴿كَثِيرٗا﴾ [الآية 38] لا يعلمها إلا الله ولا يحيط بتفصيل أحوالها سواه.

﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ﴾ [الآية 39] بيّنا له القصص والأحوال وما أجرى عليهم من النكال إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا لقوله: ﴿وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا﴾ [الآية 39] دمرنا تدميراً.

﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ﴾ [الآية 40] يعني كفار قريش مروا مراراً في أزمنة تجارتهم إلى الشام قبل بعثته أو بعد دعوته عليه السلام ﴿عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ [الآية 40] أي سدوم بالدال المهملة أو المعجمة وهي عظمى قرى قوم لوط أُمطِرَت عليها الحجارة ﴿أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ﴾ [الآية 40] في مرورهم عليها فيتعظون بما يرون من آثار عذاب الله فيها ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ [الآية 40] أي لا يخافون حشراً ولا نشوراً ولا يأملون عاقبة وآخرة فكذلك لم ينظروا ولم يتعظوا ولم يعتبروا فمروا بها كما مرت ركابها عليها من غير التفات إليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر كل ذلك فيما هنالك تسكيناً لقلبه وتطييباً لسرّه وإعلاماً بأنه سيهلك من يعاديه ويدمر على من يناوئه، ولقد فعل بعض ذلك في حياته والباقي بعد مضيه عليه السلام من الدنيا ووفاته.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الآية 41] ما يتخذونك إلا مهزءاً به ومهزولاً حيث قالوا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الآية 41] الهمزة للإنكار والإشارة للاستحقار.

﴿إِن كَادَ﴾ [الآية 42] إن قارب ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 42] ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في / الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد مما يرد إلى 306/ ب
الذهن أنه أدلة على تحقق التقدير ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 42] ثبتنا على محبتها واستمسكنا بعبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 42] عن صوب الصواب وفيه دلالة على أنه سبحانه وإن كان يمهلهم في الدنيا فلا يهملهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه كان يحصل سلوته لو ذكر حالته وشكا إليه قصته وتبيّن له غصته وإذا أخبر الله عما يعانيه وقصَّ عليه ما كان يلاقيه كان أوجب للسلو وأقرب من الأنس، وغاية سلوة أرباب المحنة أن يذكروا لأحبابهم ما لقوا في أيام امتحانهم في مقام احتجابهم.

لذا قال قائلهم في بابهم:

يود بأن يمسي سقيماً لعلها ... إذا سمعت منه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى ... ليذكر يوماً عند سلمى شمائله[1]

وقد أخبر الله سبحانه عنهم أنهم كانوا ينظرون إليه ﷺ بعين الازدراء والتحقير في شأنه والتقصير في مكانه لأنهم كانوا لا يعرفون قدره ولا يتبعون أمره فقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 43] بل أطاعه وبنى عليه متمناه فلا

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/ 108) ودواوين الشعر العربي (21/ 186).

يسمع حجة ولا يبصر دليلاً ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 43] تمنعه عن المعصية وتدفع عنه عذاباً وبيلاً.

وأفاد الأستاذ: أنهم كانوا يعبدون من الأصنام ما يهوون ويستبدلون صنماً بصنم وكانوا يجرون على مقتضى ما يقع لهم والمؤمن بحكم الله لا بحكم نفسه، وبهذا يتضح البرهان بين الشأن والشأن والذي يعيش على ما يقع له فوائد هواه والذي يتبع ما أمره ربه ونهاه.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ [الآية 44] أتظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 44] ما ينفعهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 44] ما يضرهم فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم.

قال ابن عطاء: لا تظن أنك تسمع بندائك إنما تسمعهم بنداء الأزل فإن ندائك ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل، فمن عقل أو أعرض فإنما هو لفقده عن محل الجواب في القدم ﴿إِنْ
307/أ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الآية 44] في عدم انتفاعهم/ بسماع الآيات وقلّة تدبرهم بشواهد الدلائل والمعجزات ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية 44] من الحيوانات لأنها تنقاد لمن يتفقدها وتمتثل إلى مَن يتعهدها وتميز من يُحسن لها ومن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يطلبون مقام حبهم ولا يعرفون إحسان الرحمٰن من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم منافعهم ولا يتقون العذاب الذي هو أشد مضارهم، ولأنها إن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تقترف شراً بخلاف هؤلاء، ولأن جهالتها وضلالتها لا تتعدى عنها وجهالة هؤلاء وضلالتهم تؤدي إلى فتنة الخلق وصدهم عن الحق، ولأنها غير متكمنة من الكمال فلا تقصير منها في جميع الأحوال، وهؤلاء مقصورون مستحقون على تقصيرهم أشد النكال وأعظم الوبال، ولأنها تصير في العاقبة تراباً ولم يشاهدوا عقاباً، وهؤلاء يقال لهم: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: الآية 30].

وأفاد الأستاذ: أن الذي ليس له نهمة إلا في أكل وشرب واستجلاب حظوظ نفسه فكالبهائم نهمتها الأكل والشرب وانتفاع حظوظها وإن الله تعالى

خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم والبهائم وعلى الهواء فطرهم وبني آدم وركّب فيهم الأمرين فمن غلب هواه عقله فهو شر من البهائم ومن غلب عقله هواه فهو خير من الملائكة، كذا قاله المشايخ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ألم تنظر أثر صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] بسطه فيما بين طلوع الفجر وسطوع الشمس وهو أطيب الأحوال الواقعة، فإن الظلة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس فيسخن الجو ويوجب الحر ويبهر البصر، ولذا وصف الجنة بقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقِعَة: الآية 30]، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الآية 45] ثابتاً مستقراً على حالة واحدة كما يكون في أيام الجنة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 45] على وجوده ومقدار حدوده ﴿دَلِيلًا﴾ [الآية 45] فإنه لا يظهر حقيقته لحس الأنام حتى تطلع الشمس فيقع ضوؤها على بعض الأجرام.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ [الآية 46] / أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه كما قدر 307/ ب
لدينا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الآية 46] قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس بأمر الحق لينتظم بذلك ما لا يحصى لمصالح الخلق. ومجمل المرام من هذا الكلام ووضوح البرهان لعقول الأنام وهو دلالة حدوث الظل وتصرُّفه على أن ذلك فعل الصانع الحكيم في أمره.

وقال الواسطي: أثبت للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق وأثبت للخاصة الخالق فأثبتوا به المخلوق، فمخاطبة العامة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغَاشِيَة: الآية 17]، ومخاطبة الخاصة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] انتهى. وتوضيحه ما قاله بعض الصوفية: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»[1]. وقال بعض آخر: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده»[2] فالأول استدلال بالصانع على المصنوع وهو حال المجذوبين والمرادين والثاني استدلال بالمصنوع على الصانع وهو طريق السالكين والمريدين وعامة أهل الدين من

---

(1) تفسير الرازي (17/ 274).
(2) تفسير الرازي (17/ 274).

المجتهدين. وحاصله إن صاحب المعرفة من لا يحجبه الكثرة عن شهود الوحدة ولا ظهور الوحدة عن مشاهدة الكثرة كما عبر بعضهم عن هذه الحالة بقوله: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه» وهذا مقام جمع الجمع.

وقال ابن عطاء: أي كيف حجب الخلق عنه ومد ستور الغفلة عليهم وحجبهم عن ربهم ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً، قال: شموس المعرفة وهي دلائل القلب إلى الرب. وقيل: أي كيف مد عليك ظل العصمة ولو شاء لجعله ساكناً أي جعلك مهملاً ولم يعقل بل جعل الشمس التي طلعت من صدرك دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً، هذا خطاب من أسقط عنه الرسوم والوسائط.

وقال الأستاذ: قيل في سبب نزول الآية إنه ﷺ نزل في بعض أسفاره وقت القيلولة في ظل شجرة وكانوا خلقاً كثيراً، فمدّ الله ظلّ تلك الشجرة حتى وسع جميعها فأنزل الله هذه الآية، وكان ذلك من جملة أنواع المعجزة. ويقال: ألم تر كيف مد ظل العناية على أحوال أوليائه فقوم هم في ظل
الحماية وآخرون في ظل الرعاية وآخرون في ظل العناية/، فالفقراء في ظل 308/أ
الكفاية والأغنياء في ظل الراحة والحماية. ويقال: ظل هو ظل العصمة وظل هو ظل النعمة، فالعصمة للأنبياء ثم للأولياء والنعمة وهي الرحمة لعموم المؤمنين في العقبى ولكافة الخلق أجمعين في الدنيا. ويقال له قوله للنبي ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ثم قوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] ستر لمكاشفه به أولاً إجراء للسنَّة في إخفاء حال الحبيب عن الرقيب. ويقال: أحياه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] ثم أفتاه بقوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الآية 45] وكذا سنته مع عباده يرددهم بين إفتاء وإبقاء أي وإيجاد وإمداد وصحو ومحو وقبض وبسط.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الآية 47] شبه تشبيهاً بليغاً لظلامه باللباس في ستره لأحوال الناس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الآية 47] راحة بالإبداع بقطع الشواغل للجنان ولكون النوم أخ الموت قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الآية 47] ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس لمعاشهم وأخذ زادهم لمعادهم. وفيه إيماء إلى

أن النوم واليقظة أنموذج للموت والقبر والبعث للحشر والنشر كما ورد أنه عليه السلام إذا قام من المنام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه البعث والنشور»[1] . وعن لقمان: «يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتُنشر»[2] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين، فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم وأصحاب المحبة يسهرون في ميلهم لأنهم إن كانوا في روح الوصال فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم وشوقهم وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال خوفهم وقلقهم، كالسهر للأحباب صفة في جميع الأبواب إما لظهور السرور أو لهجوم الهموم. ويقال: جعل النوم لقوم من الأحباب وقت التجلي يريهم ما لا سبيل إليه في اليقظة فإذا رأوا ربهم في المنام يؤثرون النوم على السر بالدوام.

قال قائلهم:

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا[3]

وقال آخر منهم:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمناما[4]

308/ب / ويقال: النوم لأهل الغفلة عقوبة ولأهل الاجتهاد راحة فإن الحق سبحانه يُدخل عليهم النوم ضرورة رحمة منه بنفوسهم لتستريح عن كل مجاهدة.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير الريح ﴿بُشْرًا﴾ [الآية 48] تقدم فيه القراءات أي ناشرات للسحاب أو مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾

---

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (12/ 342) رقم (5532)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 214) رقم (10694).

(2) تفسير الكشاف (4/ 465)، وتفسير النيسابوري (6/ 53)، وتفسير البيضاوي (1/ 221).

(3) نسب إلى قيس بن معاذ. انظر الكامل في اللغة (1/ 78)، وزهر الآداب (1/ 290).

(4) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 380).

[الآية 48] يعني قدام المطر الذي سبب نعمته ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الآية 48] مطهراً يُتطهر به ويُنتفع بشربه وفيه تنبيه على أن تطهير بواطنهم أولى من تطهير ظواهرهم لما ورد: «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم»[1].

﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً﴾ [الآية 49] مكاناً ﴿مَّيْتًا﴾ [الآية 49] من الأرض بسبب يبسها بإنبات النبات فيها ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الآية 49] جمع إنسي، وأخذ من الإنس وهو يعم أهل الصحراء وسكان المدن والقرى لأن أصل جميع الماء من السماء. وسياق الآية كما هو للدلالة على عظمة القدرة فهو للإشارة لا لكثرة النعمة ولعل تقديم الأنعام لاهتمامه في بيان الأنعام أو للنكتة التي ذكروها في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: الآية 31] بأن يستوي عنده سبحانه رزق الخاص والعام، فسبحان مَن يرزق الضعيف الدني بحيث يستعجب الشريف القوي.

وفي «تفسير السلمي»: وهو الذي أرسل رياح الندم بين توبته وطهّر قلوبهم ببركاته عن المخالفات وأبدانهم بظاهر رحمته من جميع الأجناس والأدناس.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يرسل رياح الكرم فتهب على قلوب ذوي الحاجات فتزعجها إلى طلب مبارّه من الطاعات، ويرسل رياح الولاية فتهب على قلوب الخواص فتطهرها عن قلوب الإرادات فتكتفي بالله لله، ويرسل رياح الخوف على قلوب العصاة فتحملهم على الندامة وتطهر من الإصرار فترجع إلى التوبة عن السيات، ويرسل رياح الاشتياق على قلوب الأحباب وتطهر عن كل شيء إلا عن اللواعج فلا استقرار إلا بالكشوف والتجليات. ويقال: إذا انتسم القلب نسيم قرب الرب هام في ملكوت الجمال وامتحى
عن كل مرسوم ومعهود في الأحوال. وقال/ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ 309/ أ
[المؤمنون: الآية 18] الآية أحيا به البلاد والديار حيث أنبت الأزهار والأنوار، وأنزلنا

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 33)، وابن حبان في الصحيح (2/ 119) رقم (394)، وأحمد في المسند (2/ 284) رقم (7814).

من السماء ماء الرحمة فغسل للعصاة ما تلطخوا به من الأوضار وتدنسوا به من الأوزار. والطهور هو الطاهر المطهر، وأما الحياء فيطهر قلوب العارفين عن الجنوح إلى المساكنات وما في بعض الأحوال يتداخلها من الغفلات، وأما الرعاية فيحيي بها قلوب المشتاقين بما يتداركها من أنوار التجليات حتى يزول عنها عطش الاشتياق ويحصل فيها سكينة من الإقلاق ويحيي بها نفوساً ميتة باتباع الشهوات فيردها إلى القيام بالعبادات.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ [الآية 50] أي المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 50] في الأمكنة المختلفة والأمكنة المتفاوتة والصفات المتغايرة من وابل وطل وديمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلى هذه الآية: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الآية 50] ليتعظوا ويتفكروا ويعترفوا بكمال القدرة وجمال الراحة ويقوموا بشكر النعمة وليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ما يترتب عليه المحنة والمنحة. وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليذكروا ربهم تجديد المنة ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الآية 50] كفران النعمة بعدم القيام بشكرها أو بقلة الاكتراث لها أو لجحودها بأن يقولوا: مطرنا بنواء كذا ثم مَن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أنها من خلق الله والأنواء وسائط وأمارات بجلبه سبحانه ما شاء من الأشياء.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] نبياً ينذر أهلها من المعصية فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصر الأمر على تبيانك إجلالاً لشأنك وتعظيماً لبرهانك وتعقيباً لأنك على إخوانك فقابل ذلك بالثبات على إقامة الدعوة والاجتهاد في إظهار الحجة ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 52] فيما يريدونك من الذلة ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الآية 52] بالقرآن وما فيه من الأدلة ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الآية 52] لأن مجاهدة السفهاء أكبر من مجاهدة الأعداء كما أن مجاهدة الباطن أقوى من مجاهدة الظاهر لما ورد: «رجعنا/ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد 309/ ب
الأكبر»[1]. ولما قيل: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[2] كما يشير إليه

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: الآية 123].

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه خصَّ نبينا ﷺ بأن فضّله على الكافة وأرسله إلى الجملة من العامة والخاصة ولا ينسخ شرعه إلى يوم القيامة، وبهذه الآية أدّبه بأدق الإشارة حيث قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١﴾ [الآية 51]، كما قال: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: الآية 86]، وقصد الحق أن يكون خواص عباده أبداً معصومين عن شواهدهم. وفي القصة أن موسى عليه السلام تبرم وقتاً بكثرة ما كان يسأل فأوحى الله تعالى في ليلة واحدة إلى ألف نبي من بني إسرائيل فأصبحوا رسلاً وتفرق الناس عن موسى إليهم فضاق قلب موسى وقال: يا رب إني لا أطيق ذلك، فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم ثم قال في قوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الآية 52] أي كن قائماً بحقنا من غير أن يكون لك جنوح إلى غيرنا أو مبالاة بمن سوانا فإنّا نعصمك بكل وجه ولا نرفع عنك ظل عنايتنا بحال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 53] جعلهما متجاورين متلاصقين غير متزاوجين مختلطين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الآية 53] أحدهما حلو قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية 53] وآخر منهما مالح مر من غاية ملوحته ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الآية 53] حاجزاً من قدرته ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الآية 53] وتنافراً بليغاً بين كل واحد على حدته كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوِّذ عن الشر، وذلك كدجلة يدخل البحر فيجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها.

وأفاد الأستاذ: أن البحر المالح لا عذوبة فيه والعذب لا ملاحة فيه وهما واحد في الجوهرية ولكنه سبحانه بقدرته غاير بينهما في الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها محل الشك والكفران. ويقال: أنبت في قلوب المؤمنين صفتين: الخوف والرجاء، فلا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف. ويقال: خلق القلوب على صنفين: قلب المؤمن مضيئاً مشرقاً/ وقلب الكافر أسود مظلماً، هذا بنور الإيمان مزين وهذا 310/أ

بظلمة الجحود مبين. ويقال: قلب العوام في أسر الغائب والحظوظ واللهوات وقلب الخواص مستغنٍ عن الطلبات ومتحرِّر عن رق الحظوظ والشهوات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ [الآية 54] أي من الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام، أو النطفة التي خلق منها غالب أولاده من الخاص والعام ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الآية 54] أي قسم البشر قسمين: ذوي نسب أو ذكور ينتسب إليهم وذوي صهر أي أناث يصاهر بهن كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: الآية 36]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الآية 54] حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متعددة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق توأمين ذكراً وأنثى من نطفة واحدة.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ [الآية 55] أي جمع من البشر ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 55] من غير المعبود القادر الخالق للقوى والقدر ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية 55] وهو كل ما عُبِد من دون الله، إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الآية 55] مظاهراً للشيطان بالشرك والطغيان على مخالفة الرحمٰن.

وأفاد الأستاذ: أن الخلق متشاكسون في أصل الخلقة متماثلون في الجوهرية متباينون في الصفة مختلفون في الصورة والهيئة، فنفوس الأعداء مطاياهم تسوقهم إلى النار ومكان البوار ونفوس المؤمنين مطاياهم تحملهم إلى دار القرار ومستقر الأبرار، الخلق بشر ولكن ليس كل بشر بشر واحدٌ عدو لا يسعى إلا في المخالفة ولا يعيش إلا بنصيبه وحظه، لا يحتمل الرياضة ولا يرتقي عن حد الوقاحة والخساسة، وآخر لا يفتر عن الطاعة والعبادة ولا ينزل إلى دنيء الهمة فهو في سماء تعزّزه بمعبوده في مقام القربة وبينهما للناس مناهل ومشارب وطرائق ومذاهب، فواحد يكون كما قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الآية 55] يكتفي بالمنحوت من الخشب والمصنوع من الصخر والمتخذ من النحاس والذهب جماد لا يعقل ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وآخر لا يلتفت إلى العرش/ وإن علا ولا ينقاد ولا 310/ب
يستسلم بقلبه لمخلوق وإن اتصف بمناقب لا تحصى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ [الآية 56] للمؤمنين بالمثوبة والقربة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 56] مخوفاً للعاصين بالعقوبة والفرقة ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 57] على تبليغ الرسالة الدال عليه الإرسال بالنبوة ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الآية 57] لكن مَن أراد ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الآية 57] بالإحسان إليه فليقل جميلاً فإنه يلقى به جزاءً جميلاً.

وقال الأستاذ: رسولاً منا مأموراً بالإنذار والتبشير عنا واقفاً حيث قضاك على نعت تبليغنا غير مطالب منهم أجراً ولا طامع أن تجد منهم خطأ. وقال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الآية 57] استثناء منقطع إذ ابتغاؤهم السبيل إلى ربهم ليس بأجر يأخذه منهم فهو لمن أقبل بشير ولمن أعرض نذير.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الآية 58] في الاستكفاء من شرورهم والاستغناء عن أجورهم. وأما التوكل على الذي يموت فيضيع ويفوت. قيل: التوكل أن يستوي عندك البادية وباب الطاق من القرية، كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن التوكل تفويض الأمور إلى الله وحقه وأصله علم العبد بأن الحادثات كلها حاصلة من الله ولا يقدر أحد على الإيجاد سواه، فإذا عرف هذا فهو فيما يحتاج إليه إذا علم أن مراده لا يرتفع إلا من قبل الله حصل التوكل لديه وهذا القدر من التوكل فرض على أهل الإيقان وهو من شرائط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 23] وما زادوا على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال للأولياء والأقطاب ويلحق بالتوكل على وجه كماله في هذا الباب. فإذا تقرر هذا فالناس في الاكتفاء والسكون على أقسام اسم إما من حيث الاشتقاق أو من حيث الاصطلاح والاتفاق. فأول رتبة فيه أن يكتفي بها في يده ولا يطلب الزيادة على ما عنده ويستريح قلبه عن طلب الزيادة وتسمى هذه الحالة القناعة فيقف صاحبه حيث وقف وقنع بالحاصل له ولا يستزيد، ثم ذات يد كل أحد تختلف في القلة والكثرة وراحة قلوب هؤلاء في التخلص من الحرص
والزيادة، ثم بعد هذا / سكون القلب مع رب الأرباب في حال عدم الأسباب، 311/أ

فيكون مجرداً عن الشيء وهواه ويكون في إرادته متوكلاً على الله وهو لا متباينون في الرتبة فواحد يكتفي بوعده أنه صدقه في ضمانه فيسكن عند فقد الأسباب بقلبه ثقة منه بوعد ربه فيسمى هذا متوكلاً. ويقال على هذا أن لِلتوكل سكون القلب بضمان الرب، ويقال سكون الجأش في طلب المعاش، ويقال الاكتفاء بوعده عند عدم فقده أو الاكتفاء بالوعد عند عدم الفقد، واللطف في هذا أن يكتفي بعلمه يعلم أنه يعلم حاله فيشتغل بما أمر الله به والعمل بطاعته ولا يراعي إنجاز موعوده فيكل أمره إلى الله في جميع أموره على وفق قضاء الله وقدره، وهذه حالة التسليم.

وفوق هذا مقام التفويض وهو أن يكل أمره إليه ولا يقترح على مولاه بحال ولا يختار شيئاً بسؤال ويستوي عنده وجود الأسباب وعدمه في هذا الباب فيشتغل بأداء ما ألزمه الله ولا يتفكر في حال نفسه وأمر هواه ويعلم أنه مملوك لمولاه والسيد أولى بعبده من العبد بنفسه، فإذا انتفى عن هذه الحالة فيجد في المنع الراحة ويستعذب ما يستقبله من الرد والبلاء فهو رتبة الرحماء ويحصل له في هذه الحالة من فوائد الرضا ولطائف الصفاء ما لا يحصل لمن دونه من الحلاوة في وجود المقصود بعد هذه الموافقة وهو أن لا يجد في المنع الراحة فيجد بدل هذا عند نسيم القرب زوائد الأنس بالرب بنسيان كل إرب وتذكر وجود سبب أو عدمه في طلب. فكما أن حلاوة الطاعة تتصاغر عند برد الرضا وأصحاب الرضا يعدون ذلك حجاباً، كذلك أهل الأنس بالله بنسيان كل فقد ووجد وتغافل عن أحوالهم في الوجود والعدم يعدون النزول إلى استذلال المنع والاستقلال بلطائف الرضا نقصاناً في الحال.

ثم بعد هذا استيلاء سلطان الحقيقة بما يأخذ العبد عن جملته بالكلية فتكون العبارة عن هذه الحالة الجمود والاستهلاك في الوجود والاصطلام والفناء. وأمثال هذا وهذا عين التوحيد، / فعند ذلك لا أنس ولا هيبة ولا لذة 311/ ب
ولا راحة ولا وحشة ولا آفة. هذا بيان ترتيبهم، فأما ما دون ذلك فالخبر عن أحوال المتوكلين على تباين مشربهم فيختلف على اختلاف محالهم. ويقال: شرط التوكل أن يكون كالطفل في المهد لا شيء من قبله إلا أن يرضعه من هو

في حضانته. ويقال: التوكل زوال الاستشراف وسقوط الطمع عن الأغيار وفراغ القلب عن طلب الانتظار. ويقال: التوكل السكون عند مجاري الأقدام على اختلافها في الأطوار. ويقال: إذا وثق القلب بجريان قسمة الرب لا يقدح في توكله الكسب. ويقال: عوام المتوكلين إذا أُعطوا شكروا وإذا مُنِعوا صبروا وخواصهم إذا أُعطوا آثروا وإذا مُنِعوا شكروا. ويقال: الحق يجود على الأولياء إذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسب ولا يحتسب ويجود على الأصفياء بسقوط الإرب وإذا لم يكن إرب فمتى يكون طلب. ويقال: التوكل في الأسباب الدنيوية إلى حد معين مبين عند العلماء، وأما التوكل على الله في اصطلاحه سبحانه أمور أخروية فهذا أشد غموضاً وأكثر خفاء، فالواجب في الأسباب الدنيوية أن يكون السكون عند طلبها غالباً والحركة تكون ضرورة، فأما في أمر الآخرة وما يتعلق بالطاعة فالواجب البدار والجد والانكماش والخروج عن أوطان الكسل وترك الحنو إلى الفشل، والذي يتصف بالتواني في العبادات ويتباطىء في تلافي ما ضيّعه من إرضاء الخصوم في التبعات والقيام بحق الواجبات ثم يعتقد في نفسه أنه متوكل على الله في أن يعفو عنه فهو متمنٍّ معلول الحال ممكور مُستدرَج في الأعمال بل يجب أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه ثم بعد ذلك لا يعتمد على طاعته ولا يستدل إلى سكونه وحركته ويتبرأ سره عن حوله وقوته ثم يكون حسن الظن بربه ومع حسن ظنه بربه لا ينبغي أن يخلوا من مخافته اللهم إلا أن يغلب على قلبه ما يشغل في الحال من كسوفات الحقائق النكرة في العواقب والمآل فإن ذلك إذا حصل فالوقت غالب
312/ أ ومانع، وهو أحد/ ما قيل في معنى قولهم: الوقت السيف القاطع.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الآية 58] تسبيحاً مقروناً بثنائه على جميل أسمائه وجزيل إعطائه، ونزِّهه عن صفات النقصان وسمات الحدثان مثنياً عليه بأوصاف الكمال من نعوت الجلال والجمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابق الإنعام ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ [الآية 58] بالله ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 58] مما ظهر منها وما بطن في بلاده ﴿خَبِيرًا﴾ [الآية 58] مطلّعاً بصيراً.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[الآية 59] فهو حقيق بأن يُتَوَكَلُ عليه ويفوّض الأمور إليه ويكون على وجه الثبات في الصبر والتأني في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته خلق الأشياء مدرجة على وفق حكمته ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 59] أي هو الرحمٰن المستعان في جميع الجنان ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية 59] عما ذكر من خلق الأشياء ووصف الاستواء ﴿بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية 59] عالماً يخبرك بحقيقة الأنباء وهو الله تعالى.

قال الأستاذ: انتظم به الكون والعرش من جملته ولم يتجمل الحق سبحانه بشيء من إظهار بريته فعلوُّه على العرش بقهره وقدرته واستوى بفعل خص به على العرش بتسوية أجزائه وصورته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 60] لظنهم أنه أراد به غير الله حيث ما كانوا يطلقون عليه سواه ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الآية 60] للذي تأمرنا بسجوده من غير معرفة وجوده. وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة على أنه قول بعضهم لبعض منهم ﴿وَزَادَهُمْ﴾ [الآية 60] الأمر بالسجود للرحمٰن ﴿نُفُورًا﴾ [الآية 60] تنفُّراً وتبعُّداً عن الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أقبل بلطفه وفضله على أقوام فلذلك وحدُّوه وأعرض عن آخرين بتكبُّره وتعزُّزه فلذلك جحدوه، فطرهم على سمة البعد وعجن طينتهم بماء الشقاوة والصد فلما أظهرهم ألبسهم صدار الجهل والجحد.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الآية 61] اثني عشر منازل الكواكب السبعة السيارة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ [الآية 61] يعني الشمس لقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نُوح: الآية 16]. وقرأ حمزة والكسائي سراجاً وهي الشمس والكواكب الكبار ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الآية 61] مضيئاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زيّن السماء الدنيا بمصابيح وخلق/ فيها 312/ب
البروج ورتّب فيها كواكبها وصان عن الفطور أقطارها ومناكبها وأراد بقدرته أفلاكها وأدام على ما أراد إمساكها وكما أثبت في السماء بروجاً ظاهرية أثبت في سماء القلوب من أصفيائه وأوليائه بروجاً باطنية، فبروج السماء معدودة وبروج القلوب مشهودة وبروج السماء ثبوت شمسها وقمرها ونحوهما وبروج

القلوب مطالع أنوارها ومشارق شموسها ونجومها وأقمارها وتلك النجوم التي هي نجوم القلب كالعقل والفهم والبصيرة والعلم، وقمر القلوب المعرفة إلا أن قمر السماء له نقصان ومحاقاً، ولذا.

قال قائلهم:

دع الأقمار تخبو أم تنير لنا بدر تذلُّ له البدور[1]

وأما شمس القلوب فهو التوحيد، وشمس السماء تغرب، وشمس القلوب لا تغيب ولا تغرب. وفي معناه قالوا:

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب

ويصح أن يقال: شمس السماء تغرب بالليل إذا النهار تمَّ وشموس القلوب سلطانها في الضوء وبرهانها في الطلوع بالليل أتم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الآية 62] أي ذوي خلفة يخلف كل منها الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه مرامه أو بأن يتفقا في الأدوار ويختلفا في الأطوار لقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البَقَرَة: الآية 164]، ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الآية 62] أي يتذكر آلاء ربّه ويتفكرون في صنعه ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الآية 62] أن يشكر الله على ما فيها من نعمه أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الأخرى منهما. وقرأ حمزة: أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر.

وأفاد الأستاذ: أن الأوقات متجانسة ومعنى فضيلة بعضها على بعض بمعنى أن الطاعة في البعض أفضل والثواب عليه أجزل، والليل خلف النهار والنهار خلف الليل فمن وقع له في طاعة الليل خلل فإذا حضر بالنهار فذلك وجود جبرانه، وإن حصل في طاعة النهار جلل فإذا حضر بالليل فذلك إتمام نقصانه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 63] الراسخون في عبادته المتصفون بنعمت رحمته

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 393).

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الآية 63] مشياً هيناً وسيراً ليناً أو هينين متمكنين.

قال جعفر: الذين يمشون بغير فخر ولا خيلاء بل بتواضع وحسن خلق/ 313/أ
في الملاء والخلاء وذلك لما طالعوا من تعظيم الحق وهيبته وشاهدوا من كبرياءه وجلاله خشعت لذلك أرواحهم وخضعت نفوسهم وأشباحهم.

وأفاد الأستاذ: إن العباد الذين استوجبوا رحمة الرحمٰن هم الذين وفقوا للطاعات فبرحمته وصلوا إلى طاعته هكذا بيان الحقيقة وبطاعته وصلوا إلى منيّته ورحمته هذا لسان الشريعة. ومعنى هوناً أي متخاضعين متخاشعين. ويقال من شرطه وحده أن لا يستحسن شيئاً من أحواله حتى قالوا: إذا نظر إلى رحله لا يستحسن شسع نعله وعلى هذا القياس لا يساكن أعماله ولا يلاحظ أحواله.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الآية 63] سلام متاركة في الابتداء أو الانتهاء أو سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء، أو المراد به الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في مقام الاستهزاء.

قال سهل: لم ينتقموا لأنفسهم فسلموا من غلبة الشيطان عليهم.

وقال الأستاذ: إذا خاطبهم الجاهلون بأحوالهم الطاعنون في أعمالهم قابلوهم بالرفق وحسن الخلق والقول الصدق. ويقال: مَن خاطبهم بالقدح فيهم جاوبوه بالقدح له ويخبرون من جنائهم أنه منهم في أمان من المكافأة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] في صلاتهم وعبادتهم، وتخصيص البينونة أن العبادة بالليل أشد وطأً وأبعد رياءً.

قال الحسن البصري: نهارهم في خشوع وليلهم في خضوع.

وقال الأستاذ: يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين فوجدوا سهود صباحهم ثمرة سجود رواحهم كما في بعض الأخبار: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[1]، أي عظم ماء وجهه عند ربه، وأحسن الأشياء ظاهر

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 129) رقم (3095).

بالسجود محسن وباطن بالشهود مزيد. ويقال: متصفين بإتيان الشهود قائمين بآداب الوجود.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] لازماً دائماً، وفيه إيماء إلى أنهم مع حسن مخالفتهم في عشرة الخلق ومجاهدتهم في طاعة الحق وجلون من عذاب ربهم مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم لقلّة اعتدادهم بأعمالهم وعدم اعتمادهم على استمرار أحوالهم ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ [الآية 66] للفجرة ﴿وَمُقَامًا﴾ [الآية 66] للكفرة.

313/ ب وأفاد الأستاذ: أنهم يجتهدون غاية/ الجهد ويستفرغون غاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزل العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التفضل وببيان التذلُّل كما قيل:

وما رمت الدخول عليه حتى   حللت محلة العبد الذليل(1)

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ [الآية 67] لم يجاوزوا حد الكريم ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الآية 67] لم يضيقوا بخل اللئيم. وقيل: الإنفاق في المحرمات والتقتير مع الواجبات لقولهم: لا خير في سرف ولا سرف في خير، ويؤيد الأول قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الآية 67] وسطاً وعدلاً لا نقصاناً ولا فضلاً. ويقوي الثاني ما قاله الحكيم الترمذي من أن الإسراف في النفقة هو البذل في وجوه السيئات والإقتار هو منعها عن وجوه الطاعات.

وقال الأستاذ: إن الإسراف أن تنفق في الهوى وفي نصيب النفس من المتمنى، فأما ما كان لله فليس فيه إسراف، والإقتار ما كان ادخاراً عن الله، وأما التضييق على النفس منعاً لها عن اتباع الشهوات وليتعود الأسير باليسير فليس بالإقتار المذموم. هذا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء والباقون بفتح الياء وضم التاء فاختلف المبنى واتحد المعنى.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 397).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الآية 68].

قال الأستاذ: في الظاهر عبادة الأصنام وفي الباطن مساكنة الأنام، والتوحيد أن لا تعبد الأغيار والأصنام المعمولة من الأحجار المنحوتة عن الأشجار، وكما يتصف بهذا بالنفوس والإيثار لا يتوهم المسار والمضار من الأغيار ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية 68] أي حرَّمها بمعنى حرَّم قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 68] أي بأمر الشرع على وفق الصدق ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الآية 68] فإن الزنا نوع من القتل لهلاك النسل أو لأنه قد يجر أمره إلى حد القتل، نفى عنهم أمهات السيئات بعدما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم وتمام إحسانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين هذه الأمور وتعريضاً للكفرة والفجرة ولهذا عقبه الوعيد الشديد على وجه التهديد بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الآية 68] جزاء إثمه تماماً.

وأفاد الأستاذ: إن من النفوس المحرَّم قتلها على العبد نفسه المسكينة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النِّساء: الآية 29]، وقتل/ نفسك بغير حق لها 314/أ
تمكينك إياها من اتباع ما فيه هلاكها، ثم دليل الخطاب أن يقتلها بالحق بذبحها بسكين مخالفة هواها فما فلاحك إلا بقتل نفسك بيديك فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 69] بدل من يلقى لأنه في معناه. وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالرفع استئنافاً أو حالاً وكذا قوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الآية 69] وابن كثير وابن عامر يضعف بالتشديد، وحفص وابن كثير فيه إشباع الهاء ومضاعفة العقوبة لانضمام الكفر والمعصية كما يشير إليه قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الآية 70].

وقال الأستاذ: أقوام يضاعف لهم العذاب يوم القيامة بحسرات الفرقة وزفرات الحرقة وآخرون يضاعف لهم العذاب اليوم بتراكم الخذلان وتوالي الهجران ودوام الحرمان، بل مَن يضاعف له العذاب في عقباه فهو الذي

يضاعف العذاب في دنياه، كذا في الخبر: «من كان بحالة لقي الله بها»[1]، أي لا محالة إلا من تاب من الذنب في الحال وآمن في المآل. ويقال: آمن أن نجاته بفضل الله لا بتوبته وعمل صالحاً لا ينقض توبته ويقال: إن نقض توبته عمل صالحاً وجدد أوبته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الآية 70] بأن يمحو بالتوبة سوابق معصيتهم ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل في نفوسهم ملكة المعصية بملكة الطاعة أو بأن يثبت له بدل كل عقاب نزل ثواباً بأن يمحو من ديوانهم الزلات ويكتب بدلها الخيرات والحسنات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية 70] يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات.

﴿وَمَن تَابَ﴾ [الآية 71] رجع عن المعاصي التي كان يفعلها بالندم عليها والقلع عنها والعزم على أن لا يعود إلى مثلها ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 71] بتلافي ما فرط منه وقصر فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 71] يرجع إليه ﴿مَتَابًا﴾ [الآية 71] مرجعاً مرضياً لديه ماحياً للعقاب ومثبتاً للثواب. قيل: ليست التوبة لأحد كاملة حتى يدع كثيراً من المباحات مخافة أن يخرجه إلى المحرمات.

قال ابن عطاء: النية هي الرجوع من كل خلق مذموم في الطبع إلى كل خلق محمود في الشرع.

وقال جعفر: لم يرجع إلى الحق مَن له مرجع إلى الخلق حتى يكون رجوعه ظاهراً وباطناً إلى الله دون ما سواه.

314/ب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الآية 72] شهادة الزور/ أو لا يحضرون محاضر الكذب ونحوه، فإن شهادة الباطل مشاركة في فعله لأنها دليل الرضا بوجوده.

قال ابن عطاء: هو شهادة اللسان من غير مشاهدة العيان. وقيل: لا يخالطون المبتدعين ولا يجالسون المدّعين. وقيل: هو كل مشهد ليس فيه زيادة في دينك أو قربة إلى ربك ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ [الآية 72] بمجالس اللعب

(1) انفرد به القشيري.

واللهو ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الآية 72] معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والالتفات إليه والخوض لديه ومن ذلك الإغضاء عن كلام السفهاء ومقام الاستهزاء.

وقال الأستاذ: وإذا مروا بأصحاب الزلات وبمساكن المخالفات مروا منكبين متعاونين لا يساكنون أهل تلك الحالات. ويقال: الآية نزلت في أقوام لما دخلوا بيوت مكة مروا بأبواب بيوتهم التي عبدوا فيها الصنم مروا منكرين لئلا يلاحظوها ولم يلتفتوا إليها فشكرهم الله على ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 73] بالقراءة والموعظة ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الآية 73] لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا غير داعين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بها بل ركبوا عليها سامعين بآذان واعية ومبصرين بعيون راعية. فالمراد بالنفي نفي الحال دون الفعل. وقيل: الهاء للمعاصي فالمراد نفي الفعل.

ولذا قال ابن عطاء: لم ينكروها ولم يعرضوا عنها بل أقبلوا بالسمع والطاعة على أوامرها.

وقد مال الأستاذ إلى المعنى الأول حيث قال: قابلوها بالتفكر والتأمل فيها واستعمال الفكر والنظر فيما يتعلق بها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ [الآية 74] وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وذريتنا ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 74] بتوفيق الطاعة وتحقيق العبادة وحيازة الفضائل وحياطة الفواضل وتحسين الأخلاق والشمائل فإن المؤمن إذا شاركه في طاعة الله أهله سرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه لما رأى من سعادتهم له في الملة وتوقع لحوقهم به في الجنة.

وقال الأستاذ: قرة العين مَن كان لطاعة ربه معانقاً ولمخالفة أمره موافقاً ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الآية 74] تقتدون بنا في إفاضة العلم النافع وإفادة العمل الواقع.

قال الشبلي: المتقي من اتقى ما دون الله.

315/أ وأفاد الأستاذ: إن الإمام من/ يقتدى به ولا يبتدع في سبيله. ويقال: إن الله مدح أقواماً ذكروا رتبة إمامة فسألوا بنوع من التضرُّع والمسكنة ولم يدعوا فيها باختيارهم في القضية فالإمامة بالدعاء لا بالدعوى وإلا فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ [الآية 75] أعلى مواضع الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الآية 75] بصبرهم على إقامة الطاعة وترك المعصية ورفض الشهوة وتحمُّل البلية ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ [الآية 75] أي تنقية دائمة وسلامة من كل آفة وملامة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: يلقون مخففاً معلوماً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [الآية 76] لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الآية 76] وقال بعضهم: أحسن المقام المقام في مشهد الحق وأطيب القرار القرار في جواره على عرش وضائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعطي الكثير من إعطائه ويعده قليلاً ويقبل اليسير من العبد ويقول جاء بعجل سمين. وقوله: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ [الآية 75] يسمعهم سلامه عليهم بلا واسطة ويتجلى لهم ليروه من غير تكليف نقلة وتحمُّل قطع مسافة. ويقال:

قال لهم: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60] اليوم حضر العبد بيته لأداء العبادة فنقل إلى المساجد قدمه شوقاً للطاعة وتركاً للعادة، فيجازيهم غداً بأن يكفيهم قطع المسافة فهم على أرائكهم في مستقر عزهم يسمعون كلام الله وينظرون إلى الله ولا يلتفتون إلى ما سواه. وقولهما: صبروا، أي عما أمروا به وعما نهوا عنه وعلى الأحكام التي أجراها الله بترك اختيارهم وحسن الرضا بتقديره في اختيارهم خالدين فيها مقيمين مديمين لا يبرحون في منازلهم ولا يزالون في أحوالهم حسن مستقرهم مستقراً وحسن مقامهم مقاماً.

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾ [الآية 77] أي أي شيء يصنع بكم أو لا يعتد بوجودكم أو وجودكم ﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الآية 77] لولا عبادتكم من ركوعكم

وسجودكم وشهودكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [الآية 77] بما أخبرتكم به من وجوب الطاعة وقصرتم في القيام بحق العبادة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ [الآية 77] التعذيب أو جزاء التكذيب ﴿يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الآية 77] أي لازماً لزوماً دواماً.

وقال الأستاذ: لولا تضرعكم ودعاؤكم بوصف الابتهال والالتجاء لأدام بكم البلايا والعناء ولكن لما أخذتم في الاستكانة وتضرعتم/ بالدعاء كشف 315/ ب
عنكم الضراء. ويقال: لولا عبادتكم الأصنام وتسميتكم آلهة ودعواكم إياها باستحقاق العبادة متى كان يخلدكم في العقوبة.

فهرس المحتويات

سورة إبراهيم عليه السلام 3

سورة الحجر 34

سورة النَّحل 60

سورة الإسراء 118

سورة الكهف 177

سورة مريم عليها السلام 229

سورة طٰه عليه السلام 259

سورة الأنبياء عليهم السلام 314

سورة الحج 362

سورة المؤمنون 408

سورة النور 445

سورة الفرقان 490

TAFSĪR
AL-MULLĀ ᶜALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S
EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

by
Al-Molla Ali Al-Qari
(D. 1014 H.)

edited by
Dr. Naji As-souwayd

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban